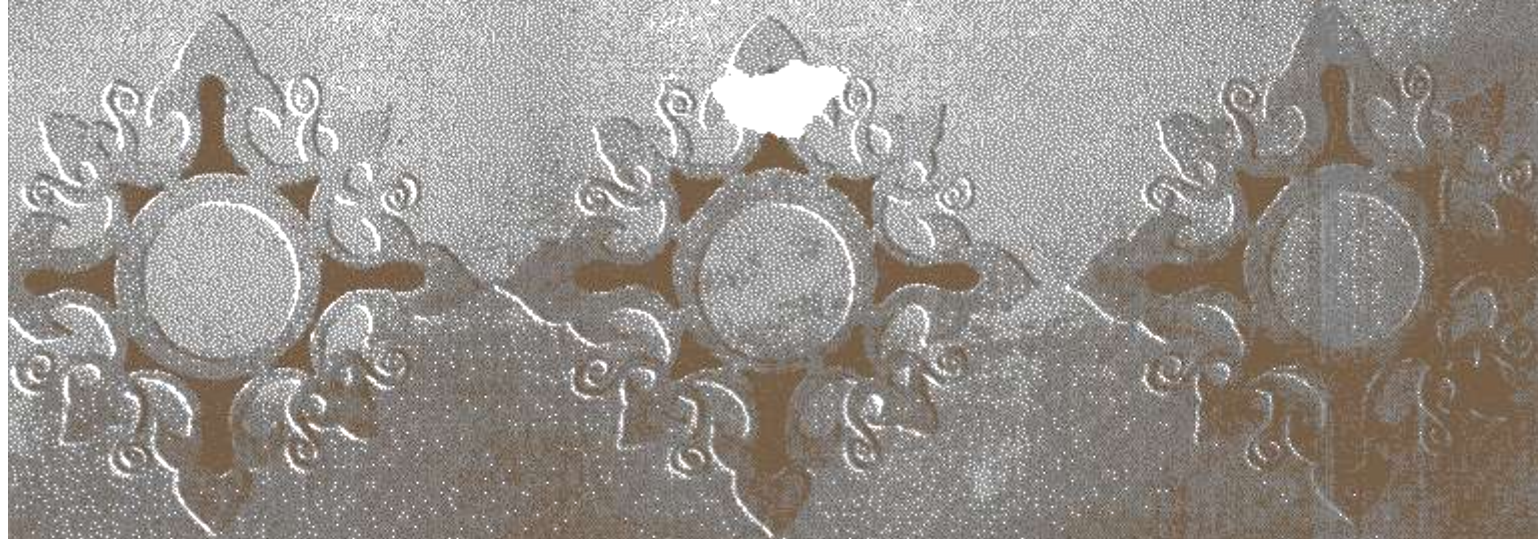


# المودد

سبلة تراثية نصف سنوية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة والآعلام - دار الشؤون الثقافية العامة - جمهورية العراق

المجلد الحادي والعشرون - العدد الاول - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م





٢١٦٠٧

# المودك

مجلة تراثية نصف سنوية



تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - جمهورية العراق



مركز تحقيقات كمبيوتر علوم إسلامي

المجلد

الحادي والعشرون

العدد

الأول ١٩٩٣

رئيس التحرير عبد الحميد العلوجي

سكرتير التحرير صادق هادي

## الهيئة الاستشارية

د. نوري حمودي القيسي  
د. محيي هلال السرحان  
د. ناجية عبدالله  
اسامة ناصر النقشبندى  
نبيلة عبدالمنعم داود  
سليمة عبدالرسول

- عنوان المجلة : دار الشؤون الثقافية العامة - الاعظمية - ص . ب ٤٠٣٢ بغداد - جمهورية العراق
- لا تعاد المواد لاصحابها سواء تنشر أم لم تنشر .

الاسعار : العراق (٥) دنانير ، البلدان العربية (٢٠) دولاراً أو مايمادلها ، الدول الاجنبية (٢١) دولاراً أو مايمادلها .

### الاشتراكات :

العراق ٧ دنانير داخل القطر ، ١٢ ديناراً للمؤسسات ، الدول العربية ٢٨ دولاراً ، الدول الاجنبية ٣٣ دولاراً .

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق بغداد ( ١٠٠ ) لسنة ١٩٩٣

## من الترفه إلى جهد المقل

عندما بزغت « المورد » فصلية .. اشتهرت ، بين المجلات ، بذعاً يترقّل ، وتنفست بشرى لوزنة  
الاجداد .. فعانقها التراثيون معقّد مباحة ، وآثروها لنتاجهم وعاءً ومكنزاً .. ولكنها ، غبّ الحصار الكارث  
الاثيم الذي تلبّد بوطننا قاتلاً طامّة مجوّعاً ، غابت عن السمعير .. بلا ضجيج ، وتنحّث عن الساحة ..  
دونما تاؤه ، وطارت الى منقلب مجهول .

وشاء قائدنا الشريف صدام حسين ( غصفه الله ورضي عنه ) ، إبان الحصار ، أن يستلهم الله  
خيراً ، ويُنجده وينصره على القارعة الثلاثينية التي إشتهها المجرم بوش أوجع عقوبة للمؤمنين برّهم ،  
والجراص على كرامتهم .

وعندئذ زفّ قائدنا الفذّ بشارته لكل عراقي ، وشَرَخ صدورهم بأنّ الحصار آذن بالتأكّل .  
وتجاوباً مع هذا الفأل أسفرت « المورد » ، واختالت بين المجلات قاعة بالهجرة من موسمها  
الفصلي الى موسم عجيف يسوغ لها الظهور مرتين في السنة .

وبهذه النعمة تُنوّب ، في العام الغابر ، عدّها الأول ، وانتظم الفرخ أنصارها ، ثم عوضت تلك  
النعماء بالعدد الثاني الذي اصطفاه قراؤها مجموعاً على ما في بعض الموروث العربيّ من رؤى وأحلام .  
وأخيراً استطابت أن تسلك نهجها على هذا الشاكل .. حتى يوم الخلاص من ضيم الحصار الذي  
جثم على عراقنا الحبيب بلا علّة ، واستلذّ تجويع العراقيين ، وتطويق المرضى بما يُعجلُ تجنيز  
موتاهم ، ورَجَزَ الأطفال عن حليبيهم .

و « المورد » تحت وطأة التقشف العاصر ، وفي أفياء الزهاد ، ستصيرُ مع الصابرين على ما أصابهم وأصابها في أيام العُسرة ، وستنازلُ الظالمين بالإرث الحضاري الأعزَّ .. الى أن تتشقى بالحصار مدفوناً في ذمة الشيطان ، وبالمحاصرين وقد أذلُّ طاغوتهم .. والى أن يسعد الله المحاصرين على أوزار الحصار ، وعند ذاك ستجودُ بأربعة أعدادٍ تتناغمُ مع فصول السنة ، وتتمطى بين شروق وغروبٍ على وتيرةٍ مثلى لا تحيدُ عن مواسمها الموقوتة .

وهي - حِيالَ هذا المُتمنى - ستحرصُ على إهابها الثابت بلا ضَجَرٍ ودونما جَزَعٍ ، وستُعزِّي قراءها بالزادِ التراثي الأنفع ، وستعزفُ أوتارها في مضامير شتى .. وفق نَماذج مختار ، بذوقٍ رفيع ، مما ترامى عليه تراثنا العربي الاسلامي .  
ومن الله التوفيق .



رئيس التحرير

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

# استئناس بمعجم آيات الاقتباس

## القسم الاول

بقلم

عبدالقادر التحافي

بغداد

الاستهلال :

المحسنات البلاغية التي يعنى بها ، وادف ان البلاغيين القدامى لم يفرقوا بين ما هو « تضمين » على وجه العموم وما هو « اقتباس » على وجه الخصوص ، وعندهم « حسن التضمين » هو ان يضمن المتكلم كلامه كلمة او آية او حديثاً او مثلاً سائراً او بيت شعر . ويقرر المؤلف بعد هذا انه بمرور الزمن خُصَّ الاقتباس بالقرآن تمييزاً له على سائر الكلام . ثم لم يلبث قليلاً حتى اضيف اليه الاخذ من الحديث .

وأخراً ما استقر عليه اصطلاح الاقتباس هو ان يضمن المتكلم كلامه « كلمة » او « آية » من الكتاب العزيز او الحديث الشريف ... وكان قد قيد قبل ذلك الاصطلاح بقيد الاجماع فقال : « ان الاصطلاح لكي يكون اصطلاحاً يجب ان يكون عليه اجماع »<sup>(١)</sup> ...

وتبعاً لما سلف لنا ان نقول ان المؤلف لم يضمن كتابه شيئاً من الحديث ، وبهذا غاب عن صفحاته نصف الالتزام الذي ألزم به نفسه في معجمه هذا . إلا ان اقتصار عنوان الكتاب على « معجم آيات الاقتباس » يصرف الفكر الى ان الآيات المقتبسة هي المقصودة لا غيرها .

٦ - ارى ان الاصطلاح الموافق لرأي المؤلف والمنسجم مع ما جاء في الكتاب من نصوص حوله هو ما اورده ابن حجة الحموي في خزانته وتعبيره : « هو ان يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية او آية من آيات كتاب الله خاصة ، هذا هو الاجماع ... »<sup>(٢)</sup> . ولنعطف عليه ما اورده السيوطي في الاتقان بأنه « تضمين النظم او النثر بعض القرآن لا على انه منه »<sup>(٣)</sup> ، وهذا ما نقله بحذايره ابن معصوم في انوار الربيع<sup>(٤)</sup> ...

كلمة من آية :

٧ - ننقل الى عرض المعنى الذي يوحيه نص « كلمة من آية » الوارد في متن تعريف الحموي .

قال « الراغب » في كلامه على مادة « كلم » في مفرداته ان الكلمة تقع على الاسم والفعل والاداة .. الخ .

قال تعالى ﴿ ... كبرت كلمة تخرج من أفواههم ... ﴾ الكهف / ٥ .

وقال تعالى ﴿ ... إِنْ اللَّهَ يَبْشُرُ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ... ﴾

آل عمران / ٣٩ .

قيل هي كلمة « التوحيد » ، وقيل هي « كتاب الله » .

وقال تعالى ﴿ ... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ

التي ألقاها الى مريم ... ﴾ النساء / ١٧٠ .

١ - صدر كتاب « معجم آيات الاقتباس » صنع الاديب حكمة فرج البدرى وترتيبه عن « دار الرشيد » ضمن سلسلة كتب التراث سنة ١٩٨٠ م ، وكان المؤلف فيه مفكراً وناقداً وعارضاً ومقوماً .. وقد قدم لمبحثه واستهدف غايته وشرح نهجه ثم ختم عمله بمعجم تفصيلي علمي .

٢ - اما التقديم فجاء فيه ما يختص بالاقتباس والايذاء وما لحقهما من تفريع معنى وتباين اصطلاح . واما الهدف فاحتواء الآيات القرآنية المطابقة عروضية لأوزان بحور الشعر العربي . واما الشرح فوضع النقاط على الحروف وايضاح ما لم يكن بمعروف او مألوف من المباني والمعاني التي تخبطت فيها المصادر والمراجع الشعرية بعد نزول القرآن الكريم . واولت اهتماماً اكثر بموقع الاقتباس منه فيما يتناول المحمود المقبول والمباح المبنول والمرذول<sup>(١)</sup> .. واما الختام فالإقرار بأن الاقتباس النصي من أي القرآن الكريم مباح للشعراء الذين يضعون نصب اعينهم ان « الشعر كلام مؤلف ما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه »<sup>(٢)</sup> ..

٣ - لقد سرنى ما حققه الكتاب من تخصصية مفردة لمادة موثقة توافر لها العمق الثقافي والمعاصرة الرائدة مما ابعدها عن الكلام غير الموثق والاحكام العامة خصيم العرف العلمي .

الغاية :

٤ - تهدف هذه المقالة في متنها وملحقها الاول الى تحريك مناقشة واعية لبعض ما اورده المؤلف من آراء بغية توسيع مجال الانتقاء لما هو اصلح ، كما تهدف في ملحقها الثاني الى استدراك ما لم تنشط الرغبة بالمؤلف في ادخاله ضمن مواد معجمه .

الاقتباس :

٥ - غني المؤلف الفاضل بفرع من الدراسات البلاغية يختص بموضوع كتابه . هذا الفرع هو علم البديع الذي يعد الاقتباس ضرباً منه . ونذكر ان الاقتباس ضرب من الصناعة البلاغية يضمن فيه الشاعر او الناثر شيئاً من القرآن او الحديث .

وقد عذّه البلاغيون ضرباً من البديع بوصفهم اياه واحداً من

قيل هي فعل الامر « كُنْ »<sup>(١٧)</sup>.

وروى الابشيهي في المستطرف ما نصه<sup>(١٨)</sup> :

وكانوا لا يزيّدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها كما في  
آخر سورة البقرة ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا ﴾ ربنا ولا تحمل  
علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة  
لنا به ﴾ واغفر لنا ﴾ واغفر لنا ﴾ وارحمننا ﴾ أنت مولانا فانصرنا على  
القوم الكافرين \*

ولعل فيما ذكرنا كفاية لإثبات ان جملاً قصاراً مثل ﴿ ولات حين  
مناص ﴾ ... ثم ﴿ ما دمت حياً ﴾ وما شابه ، والتي سيكون لها شأن  
فيما سنواصل من كلام ، تدخل حيز الاقتباس من أحد ابوابه المشرعة .  
ولقد اجاد المؤلف وافاد بايجازه معنى الكلمة عندما قال : انها  
الكلام المركب إلا ان تكون الكلمة من الاعلام القرآنية ، او اسم سورة ، او  
حرف افتتاح مثل ﴿ يس ﴾ و ﴿ طه ﴾ وغيرها<sup>(١٩)</sup> .

#### نوعا الاقتباس :

٨ - الاقتباس الشعري عند البديري نوعان ، هما :

د - الاقتباس الاشاري : هو الاقتباس الذي يغير فيه الشاعر لفظ  
النص وتركيبه .. او هو ما اشار اليه الشاعر من الآيات ، من غير ان يلتزم  
بلفظها وتركيبها ، او هو ما عرف فيه ان الشاعر يشير الى آية من الآيات  
القرآنية ..

ب - الاقتباس النصي : هو الاقتباس الذي يلتزم فيه الشاعر بلفظ  
النص القرآني وتركيبه ... ومادته كل ما جاء من القرآن مؤزناً على  
اعاريض الشعر وضروبه<sup>(٢٠)</sup> .

٩ - التزم السيد البديري بالاقتباس النصي الذي على وجه  
الحقيقة هو اقتباس في نظره وبإقراره فأودعه المعجم .

١٠ - اقول : لو عدنا الى ما سبق الكلام عليه من معنى الكلمة  
بوجه العموم وانها تأتي مفردة كما تأتي مركبة لظهر لنا ان كل اقتباس  
اشاري هو اقتباس نصي ايضاً لان وجود الكلمة يعني ثبوت وجود النص .  
ساضرب لذلك مثلاً ذكره المؤلف وقال انه من الاقتباس الاشاري الخارج  
عن صدد الكتاب . قال : من الاقتباس الاشاري قول الشاعر<sup>(٢١)</sup> :

مدحت ابن سلم والمديح مهزة

فكان كصفوان عليه تراب  
وارى ان كـ ( صفوان عليه تراب ) هو النص المشير الى قوله تعالى  
﴿ ... كمثل صفوان عليه تراب ﴾ البقرة / ٢٦٤ . وكذلك كـ ( صفوان  
عليه تراب ) هو النص القرآني المكافئ لكلمة من آية هي : كمثل  
﴿ صفوان عليه تراب ﴾ .

١١ - يضرب المؤلف مثلاً للاقتباس النصي قول الإمام  
الشافعي<sup>(٢٢)</sup> :

أثلني بالذي استقرضت مني  
وأشهد معشراً قد شاهدوه

فإن الله خلّق البرايا

عنت لجلال هيئته السجوة

يقول ﴿ اذا تدابرتنم بـدين

الى أجل مسقى فاكثوة ﴾ البقرة / ٢٨٢

وإخال ان هذا مخالف لتعريف الاقتباس الذي اثبتناه آنفاً والذي  
احتريز فيه السيوطي بقوله « لا على انه منه » وأيده ابن معصوم وأكد  
علي الجارم في البلاغة الواضحة بقوله معزفاً : الاقتباس تضمين ....  
والشعر شيئاً من القرآن الكريم و ... من غير دلالة على انه منه<sup>(٢٣)</sup> .  
وفي مثال البديري الذي ألمعنا اليه آنفاً الدلالة واضحة جداً على  
انه من القرآن الكريم وهي قول الشافعي : « فإن الله خلّق البرايا  
يقول ... » . وهذا يخرج عن معنى الاقتباس المتعارف عليه اجمالاً .  
لقد احسن ابن رشيق القيرواني حيث دؤن في « العمدة »<sup>(٢٤)</sup> :  
« اجد انواع التضمين ان يصرف الشاعر المضمّن عن معنى  
قائله ... » .

واضاف ابن حجة الحموي في خزانته عند الكلام على الايداع ناقلاً  
عن القزويني :

« ... وأحسنه ما زاد على الاصل بنكتة كالتورية والتشبيه ... » .

#### منزلة الاقتباس النصي

انتقل الى الاقتباس من القرآن نصاً واضرب مثلاً لم احظ تحته  
بطائل وهو قول عثمان بن يوسف الخطيب ( من الخفيف )<sup>(٢٥)</sup> :

ثق بوعده الإله فهو كريم

﴿ إنه كان وعده مأتياً ﴾

خفف السير يا حبيبي وانزل

في مقام الخليل وامكث ملياً

قبل الأرض عنده واتل جهراً

﴿ ذكر ﴾ مولاك ﴿ عبده زكريا ﴾

وترج الندى فانت لدى من

لم يكن بالدعاء قط ﴿ شقياً ﴾

خاف من بعده الموالي فنأدى

ودعا ﴿ ربه نداء خفياً ﴾

﴿ وهن العظم ﴾ وامتلا ﴿ الرأس شيباً ﴾

يا إلهي فمّنك هب لي ولياً

لقد اقتبس الخطيب من قوله تعالى في سورة مريم :

﴿ ذكر رحمة ربك عبده زكريا ﴾ إذ نادى ربه نداء خفياً ﴾ قال ربّ

إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربّ شقياً ﴾

وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك

وليّاً ﴾ ..... إنه كان وعده مأتياً ﴾ .

فما النتيجة وما الحصيلة ؟ وما مقدار الثمر الذي طرحه ذلك

الجهد ؟ ألا يرى القارئ الكريم معي ان المقتبس اسقط طائر البلاغة

### تعيين البحر

١٧ - ذكر السيد البديري ان رغبته لم تنشط به الى الافادة من قصار الجمل فلا جزء ولا نهك ولا خزم ولا ثلم<sup>(١٧)</sup>. ولكن ألم يسجل في المعجم ﴿ فويل للمصلين ﴾ أليست هذه من قصار الجمل وهي من بحر الهزج الذي قال عنه المؤلف في كتابه « العروض » ان بحر الهزج مجزوء وجوباً حسب دائرته<sup>(١٨)</sup>، كما سجل من قصار الجمل ﴿ لاهية قلوبهم ﴾ و ﴿ آياته للناس ﴾ و ﴿ السراط المستقيم ﴾ و ﴿ كائين من نبي ﴾ و ﴿ واتقوا الله الذي ﴾<sup>(١٩)</sup>.

فاذا اخترت انا ﴿ ولات حين مناص ﴾ تطابق [ ٢٢١١٢١٢١ ] وتعادل ثمانية مقاطع ، فكيف ساعين لها بحراً واحداً وقد دخلت البحر الكامل في شعر علي الشرقي :

يا أهل أقراص الشمير تحقلوا  
عنقاً يصارعكم على الأقراص  
سيجيء دوركم على الباغي الذي  
يرجو المناس ﴿ ولات حين مناص ﴾  
كما دخلت البحر المجتث في شعر الزهاوي :

تخشي بطسون شباع  
من البطسون الخصاص  
سيطلبون مناصاً  
﴿ ولات حين مناص ﴾

وهذا يوسف الذوق ادخلها البحر الخفيف :  
من عذيري والعاذلون ألوف  
من فتاة للشمس منها كسوف  
أسررتني ﴿ ولات حين مناص ﴾

وفؤادي الى التصابي ألوف  
١٨ - وفي عودة سريعة الى ما شمله الاجماع من تعريف الاقتباس نلاحظ ان ﴿ ما دمت حياً ﴾ هي كلمة من آية تدخل في صميم التعريف وان كانت من الجمل القصار فإين موقعها من البحور وأيها تدخل ؟ لقد دخلت بحسب اطلاعي البحور الآتية :  
أ - الطويل : العباس بن الاحنف :

وكنتم امراء صعباً على من يقودني  
فمزغت في عفر التراب لكم خدي  
فدومي على العهد الذي كان بيننا  
فإني لكم ﴿ ما دمت حياً ﴾ على المهد  
ب - البسيط : ابو سليمان الخطابي البستي :

﴿ ما دمت حياً ﴾ اداري الناس كلهم  
فانما نحن في دار المداواة  
ج - الوافر : احمد الفخري :

أنشغل بالملفاتن مقلتيها  
وتبقى العمر مناعاً عصياً

من عليائه الى الحضيض مهيض الجناح ؟

ألا ينطبق على اقتباساتهم :

ما كل من قال شعراً

الى السمسم يصير

فللدجاجة ريش

لكنها لا تطير

ثم ما الفائدة التي اجتثت من تلك الاقتباسات ؟ ألم تصد تلك الآيات المحكمة المحلفة في سماء البلاغة بياناً وديماً ولمحة دالة بالفاظ وتراكيب دنيا قاتمة ؟ وماذا صنع الناظمون إلا ان اضافوا ظلاً داكناً على الصور القرآنية النورانية نوات الاعجاز الكامل ! ربما لم تتجاوز الفائدة اشباع رغبة فنية او ممارسة ترف صناعي او حاجة في نفس المقتبس . وربما ارشدت صورههم الشعرية المرصعة بالنصوص القرآنية الى ما في القرآن الكريم من اغراض توافق مكونات النفس الانسانية في دعائها او مطالبها والتماسها فضلاً عن إطلاع غير المسلمين او من يندر ان يقرأ القرآن من المسلمين قراءة تدبر ، على ما في القرآن من صور رائقة ... وكل تلك لا توجب النزول الى دركات العمته المحيطة والصفد المطوق للاقتباسات .

### التزامات معتمدة

١٢ - ذكرت البحور الشعرية باسمائها غالباً - وليس بأنواعها -  
واما عند الضرورة القصوى لتخصيص الانواع فإني اعتمدت بعض تسميات الحنفي في عروضه إلا « الرباعي » فالتسمية المناسبة له هي « مخزوم الرجز » ويحبذ الحاقه بالرجز كنوع من انواعه [ فغ مستفعلن مستفعلن مستفعلن ] .

١٣ - إدخال مخلع البسيط تحت بحر البسيط .  
١٤ - قد تكون الآية المقتبسة وردت في اكثر من سورة قرآنية ، كقوله تعالى :  
\* لله ميسرات السموات والارض \* آل عمران / ١٨٠ ،  
الحديد / ١٠ .

فأنا اشير الى مكان واحد لها فقط مفضلاً الموقع الذي ينسجم فيه معناها مع مقصد الشاعر .

١٥ - اذا وردت الآية القرآنية غير تامة اللفظ والتركيب في شعر شاعرين او اكثر منظومة على بحر واحد اخترت النص الاطول منهما كقوله تعالى : ﴿ واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز ﴾ أطول من ﴿ إنك أنت العزيز ﴾ . فذكرت الاطول استدراكاً على الاقصر . اما اذا كان النصان في اكثر من بحر واحد فقد استغنيت عن ذكر احدهما غالباً .

١٦ - اعتمدت الرواية التي تتناسب واخلاقية النظم لتواكب الاقتباس المقبول شرعاً ، وربما اضطرت الى شيء من التقيير لذات السبب او لتقريب المقتبس من الاصل المقتبس عنه .



— الكامل : ﴿ لا تحسبن الله مخلف وعده ﴾

— الطويل : ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده ﴾ ابراهيم / ٤٧ .  
وآخر من الرمل والرجز :

— الرمل : ﴿ ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ .

— الرجز : ﴿ أن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ النجم / ٣٩ .

٢٠ - يتضح هنا ان دخول الكلمة / التركيب في اكثر من بحر واحد

يمزى الى مطاوعتها للاوزان دون تغيير يذكر كـ ﴿ ما دمت حياً ﴾ و ﴿ جاءهم بأسنا ﴾ و ﴿ ولات حين مناص ﴾ ويتغيير طفيف كإضافة « حرف عطف » او حذف « لام قسم » وما الى ذلك ، هذا فضلاً عن امكانية خزم التركيب وكسعه . مثاله تسجيل المعجم للتركيب القرآني ﴿ اولئك شرّ مكاناً وأضلّ عن سواء ... ﴾ المائدة / ٦٠ على النمط التالي :

[ وانما ﴿ اولئك شرّ مكاناً وأضلّ عن سواء ﴾ القصد ] ، فجاء مخزوماً (يانما ) ومكسوعاً ( بالقصد ) . وقد يكون هنالك خزم افضل من خزم ومثاله ما فعله المؤلف عند خزمه التركيب القرآني ﴿ اقض ما أنت قاض ﴾ طه / ٧٢ ، فقد خزمه بثمانية احرف - وهذا كثير - وادخله البحر المديد على الصيغة الآتية : [ كن حكيماً و ﴿ اقض ما أنت قاض ﴾ ]<sup>(١٩)</sup> .

ولعل أنسب منه ما خزمته بحرفين فقط وادخلته المجتث كما يأتي :

جـ بـ ا ر ر ث المــــــــــــــــواضي

قم ، ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾

الدائرة الضيقة

٢١ - ان تلك الاحتمالات المتعددة وما يواكبها من تداخل ، لاشك ، هي التي كانت ستضخم حجم المعجم لو تقصاها المؤلف الفاضل ، وبخاصة اذا ما بزز التداخل وتبادل الانواع الذي احتجن القسم الثاني من المعجم المزيد منه .

ومما يدعو الى زيادة حجم المعجم ورود اللفظة / التركيب في اكثر من آية وسورة فتدخل المعجم اكثر من مرة . ومثال ذلك دخول ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ ﴾ مرة عن سورة النور واخرى عن سورة العنكبوت<sup>(٢٠)</sup> . وبعضها تجاوز التكرار الثنائي فهذه ﴿ نعم أجر العاملين ﴾ تدخل مستدركة عن سورة آل عمران واخرى عن سورة العنكبوت ومستدركة كرة ثالثة عن سورة الزمر<sup>(٢١)</sup> .

٢٢ - صرح المؤلف الكريم بتخصيص معجمه بمادة الاقتباس او ما شاكل شطور الشعر وايياته من القرآن الكريم مما هو مادة الاقتباس النصي ، وقد حاول فيه المؤلف ان يحيط قدر طاقته بهذه المادة .. وهو اذا فاتته الاحاطة وهي ليست مما يقع في وسع البشر فيحسبه ان لا يفوته شرف الريادة<sup>(٢٢)</sup> .

لقد كان المؤلف الرائد صادقاً مع نفسه ومع القارئ فيما ادعى من شرف الريادة وبذل جهد الطاقة لولا انه اضاف [ أو ] الى مادة الاقتباس

ألم يلفتسك تـأريـخ إلـيا

سـاكـفـر بـالـهـوى ﴿ ما دمت حياً ﴾

د - الكامل : علي الكيلاني :

يا جـيـرتـي يا مـبـتـغـاي ومـثـيـتي

لا تـجـنـحـوا بـعـد التـمـاهـد للـجـفا

لا تـنـكـروا ما بـيـننا ، أنا عـبـدكم

وحـبـيـبكم ﴿ ما دمت حياً ﴾ في الخـفا

هـ - الهزج : عبدالقادر التحافي :

دع التـحـمـيـض فـي دـفـعي

وفـي تـجـرـيـح إـحـسـاسـي

أنا ﴿ ما دمت حياً ﴾ لا

أكنّ الشـرـر للـنـاس

و - الرجز : محمد عزة :

لا كـان غـيـر الله في

عـونـي اذا ما رمت شـيـاً

مـسـرـضـاة رـني فـلـتـكن

ما أبـتـغـي ﴿ ما دمت حياً ﴾

ز - المنسرح : محمد حبيب العبيدي :

انظـر الـي واعـطـف عـلـيـاً

إن لم تـعـسـدني أكن شـقـيـاً

أنت ورنـي سـلـبت لـبي

يـهـواك قـلـبي ﴿ ما دمت حياً ﴾

ح - الخفيف : كوثر الطهطاوي :

جـرت بـالـهـجر يا كـعـاب عـلـيـنا

إن تـركـت الحـبـيب نـضـواً شـجـيـاً

وجـفـاني النـعـاس بـعـدك دوماً

ليس يـلقـي الجـفـون ﴿ ما دمت حياً ﴾

ط - المجتث : عبد الباقي العمري :

لا زلت أحـمـد رـني

﴿ ما دمت حياً ﴾ على ما

أعـطى سـلـيـمـان أـثـخ :

عـبـدالـعـزـيـز غـلـامـا

ولكن أما تدخل هذه الكلمة المركبة ﴿ ما دمت حياً ﴾ بقية البحور ؟

نعم انها تدخل البحور الستة عشر كلها ، وفي الملحق ( أ )

المرفق بيان لمواقعها الممكنة في سبعة البحور المتبقية محددة بالرموز

المعتمدة وهي ( ١ ) للمتجرك و ( ٢ ) لمتحرك وساكن معاً .

١٩ - اما ما يختص بكلمة اوسع تركيباً فغالبا ما تدخل الرجز

والكامل باضافة او حذف حرف واحد وهذا يصلق على الكامل والطويل

ويصلق على المنسرح والبسيط ويتحقق في المديد والسريع ويطرّد في

الرمل والرجز واليك مثالا من الكامل والطويل :

الصلاة وغيرها :

[ ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾ مسلماً ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ .

[ ﴿ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ وكذلك أمرت وأنا من المسلمين ]<sup>(١٦٦)</sup> .

وقوله ( ﷺ ) : [ ﴿ اللَّهُمَّ فَالِقَ الْإِصْبَاحِ ﴾ وجاعل ﴿ الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ﴾ إقض عني ديني وأغنني من الفقر ]<sup>(١٦٧)</sup> .

وكذلك بما جاء في سياق عهد أبي بكر الصديق عندما وافته المنية قوله : [ ... الخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب ﴾ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ]<sup>(١٦٨)</sup> .

٢٦ - انكر السيوطي وابن معصوم على الشعراء ضربين من الاقتباس المردود ، أحدهما ما نسبته الله تعالى لنفسه واستعاذ بالله

ممن ينقله الى نفسه ، وثانيهما تضمين آية كريمة في معرض هزل أو سخر<sup>(١٦٩)</sup> .

٢٧ - لقد حوّم المؤلف الفاضل حول الشبهات متدرعاً بفكر ثاقب وقريحة وقادة وسليقة نقادة ومتحصناً بالعلم الجرم والمقدرة الكافية في

محاولات موفقة للابانة عن مواقع الاباحة والقبول ومواقع الرفض والعزوف .

## ٢٨ - المقترحات :

لعل في المقترحات الآتية اشياء يسيرة لا تنال من نيباجة المؤلف ومعطيات معجمه شيئاً ما :

الحسين (١) بمقاله الموسع

### مواقع الكلمة المركبة

مادرت حياً = ٢٢١٢٢

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن	فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
المردود الأول ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢	٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن	فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
المردود الأول ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢	٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢
مستغفلن مستغفلن فاعلاتن	مستغفلن مستغفلن فاعلاتن
السريع الأول ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢	٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢
مفاعيل فاعلاتن	مفاعيل فاعلاتن
المضارع الأول ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢	٢٢١٢٢ ٢١٢٢٢ ٢٢١٢٢
فاعلاتن مستغفلن	فاعلاتن مستغفلن
المستغفل الثاني ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢	٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢
فعلون فعلون فعلون	فعلون فعلون فعلون
المضارع الأول ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢	٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢ ٢٢١٢٢

التي تخصص بها معجمه . لقد كانت مادة الاقتباس بحسب التعريف السابق [ كلمة من آية أو آية ] فصارت [ او ما شاكل شطور الشعر وايياته ] وهكذا خرج التعريف من ان يكون جامعاً مانعاً متفقاً عليه بدخول [ او ] التشكيكية عليه . وبها يتجرد المعجم من قسمه الثاني الذي لا يتحقق فيه شطر البيت بغير التداخل وتبادل الانواع ناهيك عن النصوص التي ستتمرد على القسم الاول التي لا تؤلف شطراً ولا بيتاً تاماً .

## المستدرك

٢٢ - كنت اقوم بعملية تجميع للابيات الشعرية التي تضم كلمات من القرآن من خلال مطالعتي لكتب التراث ودواوين الشعراء عبر مسيرة زمنية استمرت بضع سنين . وكنت قد نشرت ثلاث حلقات من الاقتباس في مجلة الجندي العراقية في ثلاثة اعداد متتالية للاشهر آب وايلول وتشيرين الاول سنة ١٩٦٧ م بعنوان [ اقباس من التراث ] . واخيراً احتجنت كراستي المخطوطة ذات المائتي ورقة ونيف مجموعة لا بأس بها من المختارات ، غير ان السيد البدري جمع فاغنى وتقصى فأثرى وجهد فعانى ورثب فاعان . إلا انه على الرغم من الجهد الذي عاناه في الاستقصاء والحرص على استغراق الآيات فقد انفلت من بين يديه ما يمكن ان يستدرك عليه . وقد سمي مثل هذا المستدرك سقطاً لا تسلم منه آنية الصيدلاني وهو يصفق الدواء<sup>(١٧٠)</sup> .

ان سقط آنية الصيدلاني لما يزل يحتفظ بمواصفات الدواء النافع الناجع ولا يسقط الانتفاع به إلا بمرور المدة التي صنع لها ان كان من النوع الذي يؤثر فيه الزمن . أما هذا الدواء المجازي والمعنوي في ان واحد فهو الذي لا يؤثر فيه الزمن مطلقاً .

وقيل قديماً وذهبت مثلاً [ قد تجد في الاسقاط ما ليس في الاسقاط ] . فكيف اذا كانت تلك العناصر نورانية التركيب اصلاً . ان من هنا تشكل هذا المستدرك الملحق ( ب ) بالمقالة والمسمى « المستدرك المنظوم » . وهو حتماً يتعقب اثر احسان المؤلف الفاضل ذي الاصاله الفكرية وبراعة الانتقاء وعمق الاستقصاء ، وتلك اشياء مفروغ من التسليم بجودها .

## الخاتمة

٢٤ - لا يعني وجود التفاعيل العروضية وجود الشعر ابدأ . فانها ما لم تتألف على هيئة مرسومة لدى الشعراء فانها لا ينفاتى منها الشعر المعروف لدى اصحاب صناعته<sup>(١٧١)</sup> .

ان حد الشعر الصحيح ان يكون كلاماً مقفى موزوناً ، لا يقع مثله إلا من عالم به قاصد الى وزنه وتقفيته . وعلى هذا لا يعد من الشعر ما ورد في القرآن الكريم من آية او كلمة من آية تحاكي وتطابق التفعيلات العروضية .

٢٥ - اجاز الشيخ عز الدين عبدالسلام الاقتباس من القرآن الكريم ، وقد استدلل بما ورد عن الرسول محمد ( ﷺ ) في قوله في

د - الاكتفاء بذكر الكلمة المركبة ذات المعنى مرة واحدة وبأطول نص لها اذا ما تكررت في سورة واحدة او في اكثر من سورة .  
 ٢٩ - كانت تلك المقترحات بدوات دارت في ذهن دوتها على الورق ، فعسى ان تكون هذه المقالة دعوة لتصويبها وتأكيد صحتها او تصحيحها وتقويمها بمقدار ما فيها من الغوامض والموهومات التي نبت بي عن المسار اللاحب . والكمال لله وحده .  
 الملحقان  
 ٣٠ - تتم المقالة بالاطلاع على الملحق ( أ ) المسمى « مواقع الكلمة المركبة » والاطلاع على الملحق ( ب ) المسمى « المستدرك المنظوم » وهما مرفقان بهذه المقالة .

أ - تحديد تعريف مادة الاقتباس بنصوص القرآن الكريم فقط لأغراض هذا المعجم على ان تكون الكلمة المركبة ذات معنى تام غير مبتر لذاتها بلا خزم ولا كسع ولا ما شابه ذلك مع حذف [ او ] التشكيكية منه .  
 ب - تدخل الكلمة المركبة الاقتباس النصي موجهة الى معنى يبتعد بها عن معناها القرآني على انها ليس منه وذلك باخراج الكلام الموزون مخرج التوجيه الذي هو الايهام او مخرج التورية او التشبيه وما شاكل ذلك .  
 ج - الغاء القسم الثاني من المعجم لعدم موافقته شطور الابيات وتقصيره عن ادراك مداها .

### الهوامش والمراجع

التحافي - لغاية ١٤٠٤ هـ وعنه ظهر المستدرك المنظوم وهو الملحق ب بهذه الكلمة .  
 ١٦ - معجم آيات الاقتباس ص ٤٤ .  
 ١٧ - المروض في اوزان الشعر وقوافيه - حكمة البدري - بغداد ١٣٨٦ هـ ص ٧٧ .  
 ١٨ - معجم آيات الاقتباس ، الصفحات ٧٨ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، على التوالي .  
 ١٩ - المصدر نفسه ص ٥٧ .  
 ٢٠ - المصدر نفسه الصفحتان ١٣٣ ، ١٣٤ .  
 ٢١ - المصدر نفسه ص ١٢٨ .  
 ٢٢ - المصدر نفسه ص ٣٨ .  
 ٢٣ - المصدر نفسه ص ٤٥ .  
 ٢٤ - المروض ، تهذيبه واعادة تدوينه - جلال الحنفي - بغداد ١٣٩٨ هـ ص ٦٠٢ .  
 ٢٥ - فقه السنة - السيد سابق - بيروت ١٣٨٩ هـ ج ١ ص ١٤٦ .  
 ٢٦ - انوار الربيع ج ٢ ص ٢١٧ .  
 ٢٧ - الكامل في اللغة والادب - للمبرد - مصر ١٣٥٥ هـ ج ١ ص ١٢ .  
 ٢٨ - الاتقان ص ١١٢ ، انوار الربيع ج ٢ ص ٢١٧ .

١ - الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - ط ٣ - مصر ١٣٧٠ هـ ص ١١٢ .  
 ٢ - العمدة - لابن رشيقي القيرواني - القاهرة ١٣٥٣ هـ ص ١٤ .  
 ٣ - معجم آيات الاقتباس - حكمة البدري - بغداد ١٤٠٠ هـ ص ٩ .  
 ٤ - خزنة الادب وغاية الارب - لابن حجة الحموي - مصر ١٣٠٤ هـ ص ٢٤٢ .  
 ٥ - الاتقان ص ١١١ .  
 ٦ - انوار الربيع - لابن معصوم - نجف ١٣٨٨ هـ ج ٢ ص ٢١٧ .  
 ٧ - المفردات في غريب القرآن - للراغب - طهران ١٣٧٣ هـ ص ٤٥٥ .  
 ٨ - المستطرف في كل فن مستظرف - لابشيهي - مصر ١٣٦٨ هـ ج ٢ ص ٢٤٩ .  
 ٩ - معجم آيات الاقتباس ص ١٠ .  
 ١٠ - المصدر نفسه ص ١٢ .  
 ١١ - المصدر نفسه ص ١٩ .  
 ١٢ - المصدر نفسه ص ٢١ .  
 ١٣ - البلاغة الواضحة - علي الجارم ومصطفى امين - مصر ١٣٧٣ هـ ص ٢٧٠ .  
 ١٤ - العمدة ج ٢ ص ٨٠ .  
 ١٥ - الجملة القرآنية في الشعر العربي - مجموع خطي - عبدالقادر

## الملحق ( ب ) بمقالة الاستثناس المستدرك المنظوم

\* نذكر اسم الشاعر فاسم السورة فرقم الآية او الآيات المقتبس منها ونحصر الاقتباس بين الاقواس والمرجع الاصلي لكل مقطوعة على الرغم من ان الاشعار جميعها كما يحتجته مخطوط الجملة القرآنية في الشعر العربي لكاتب البحث .

### البحر الطويل

شهاب الدين الحجازي - الاسراء / ٣٣ - عن ( خديم الظرفا ونديم اللطفا ) لمؤلف مجهول

أيا من طويل الليل بالهجر قصروا  
أنبيوا وكونوا من أناس به تاهوا  
وإن شئتمو تحيوا أميتوا نفوسكم

﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ﴾  
مراد علي العمري - النصر / ١ - ( الروض النضر للعمري ١ : ١٨٣ )  
ويشارك بالفتح المبين ولم تزل

من الله منصوراً وشانيك أريدا  
ولما توالى البشر قلت مؤزخاً

لقد ﴿ جاء نصر الله والفتح ﴾ أحمددا  
منصور الهروي - المائدة / ٤٥ - ( انوار الربيع لابن معصوم ٢ : ٢٤٢ )  
ومنتقب بالورد قبّلت خذّه

وما لفؤادي من هواه خلاص  
فأعرض عني مغضباً قلت لا تجر

وقبّل فمي إن ﴿ الجروح قصاص ﴾  
الخباز البلدي - طه / ٢٠ ، الأعلى / ٤ - ( يتيمة الدهر للثعالبي : ٢ : ٢٠٩ )

كأن يميني حين حاولت بسطها  
لتوديع إلفي والهوي يذرف الدمعا

يمين ابن عمران وقد حاول العصا  
وقد جعلت تلك العصا ﴿ حية تسعى ﴾

وقائلة هل تملك الصبر بعدهم  
فقلت لها : لا ﴿ والذي أخرج المرعى ﴾

محمد سعيد الحبوبي - الاحزاب / ٥٣ ، ص / ٢٥ - ( ديوانه : قافية الباء )  
محجّبة كف الردي لا تمسها

لتقبض إلا ﴿ من وراء حجاب ﴾  
أقامت بجانب المرتضى وهي جنبه

وأبت الى ﴿ زلفى وحسن مسأب ﴾  
أحدهم - العصر / ١

أنشده الرحمن في جمع شعلنا

فيقسم هذا لا يكون الى الحشر  
إذا ما غدا مثل الحديد فؤاده

﴿ والعصر إن ﴾ العاشقين ﴿ لفي خسر ﴾  
ابن خالويه - ابراهيم / ١٩ ، مريم / ٢٤ - ( الاقتباس للثعالبي : ١٨٤ )

﴿ ألم تَرَ أن الله ﴾ قال لمريم  
﴿ وهزي اليك ﴾ الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزّه  
جنته ولكن كل رزق له سبب

عبدالحسين الصائق - طه / ٢٧ - ( مأخذ الشعراء للعالمي ٢ : ٤٨ )  
وحقك لم يملك لساني بياني

فعذراً أو ﴿ احلّ عقدة من لساني ﴾  
بهاء الدين العالمي - يس / ٩ - ( الكشكول للعالمي ١ : ١٤٣ )

فمن قلّة التمييز حالي سيء  
وفعلي معتلّ وهني ممتدّد

كان على الابصار منهم غشاوة  
و﴿ من بين أيديهم ﴾ ومن خلفهم ﴿ سدّ ﴾

ابن العربي - الشورى / ٢٣  
رأيت ولائي آل طسه فريضة

على رغم أهل البعد يورثني القرى  
فما طلب الرحمن أجراً على الهدى

بتبليغه ﴿ إلا المودة في القرى ﴾  
ابو طالب عبد مناف - الناس / ١ - ( سيرة ابن هشام ١ : ١٧٧ )

﴿ أعوذ بربّ الناس ﴾ من كل طاعن  
علينا بسوء أو ملخ بباطل

ومن كاشح يسعى لنا بمعيرة  
ومن ملحق بالدين ما لم نحاول

عبدالمحسن الكاظمي - الانفال / ٦١ - ( ديوانه : قافية اللام )  
بني المجد إن شدّ الزمان عليك

فشذوا وإما يجهل الدهر فاجهلوا  
﴿ أعفوا ما إستطعتم ﴾ ، تأقّبوا

وإن جلجل الخطب المريع فجلجلوا  
وله ايضاً : - الانفال / ٦٢ - ( ديوانه : قافية الباء )

تنشط وثبّ وازحف وجاهد ولا تدع  
مجالاً بأن يرمى شويهاتك الذنب

﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ وإن  
أبوا غير نار الحرب فلتنشب الحرب

محمد حبيب العبيدي - المائدة / ٤٨ - ( ديوانه : نكرى حبيب )  
وما الدين إلا واحد قد تعدّت

وما الدين إلا واحد قد تعدّت



شرائعه حتى استقام اخيرها  
 ﴿ لكل جعلنا شريعة ﴾ خير شاهد  
 على ان مقياس الشعوب دهورها  
 وله ايضاً : - النساء / ٩٧  
 وآلهت أسرائيل عجلاً واننا  
 نؤله في عصر البخار عجولاً  
 كفرت بعصر الكهرياء وينسما  
 جنى أهله ﴿ لا يهتدون سبيلاً ﴾  
 ابن الرومي - الشعراء / ٢٢٦ - ( ديوانه )  
 ﴿ يقولون ما لا يفعلون ﴾ مسبّة  
 من الله مسبوب بها الشعراء  
 وما ذاك فيهم وحده بل زيادة  
 يقولون ما لا يفعل الامراء  
 احدهم : الحج / ٦٣  
 على بابنا قف عند ضيق المناهج  
 تفز بعلي القدر من ذي المعارج  
 ﴿ ألم تر أن الله أنزل ﴾ نعمة  
 علينا وولانا قضاء الحوائج  
 عبدالرحيم البرعي - المنكبات / ٦٣ - ( ديوانه : حسب القوافي )  
 له الراسيات الشم تهبط خشية  
 وتنشق عن ماء يسبح ويخضل  
 وأحيا نواحي ﴿ الأرض من بعد موتها ﴾  
 بمنسجم غيث من السحب بهمـل  
 وله ايضاً : البقرة / ١٥  
 نبي أتى والناس في جاهلية  
 يخوضون في بحر من الشرك زاخر  
 على الغي ﴿ في طغيانهم يعمهون ﴾ قد  
 هوت بهم الاهوا الى غير ناصر  
 وله : الاسراء / ١٠٩  
 وذات جمال في أباطح مغة  
 محاسنها تحكي سناء توقدا  
 اذا ما رآها العاشقون رأيتهم  
 ﴿ يخزون للانقان ييكون ﴾ سجدا  
 وله : التوبة / ٢٦  
 نبي تقى أريحى مهـذب  
 يشير لكل العالمين نذير  
 ﴿ ويوم حنين إذ ﴾ رمى القوم بالحصى  
 فولّوا وهم عمي الميون وعمور  
 خليل البصير - آل عمران / ١٨٠ - ( شماعة العنبر : ١٣٠ )  
 أطمع في جنات عدن غداً وقد

توزّنت وجه الأرض في الطول والعرض  
 أتمل إحراز الموارث كلها  
 ﴿ ولله ميراث السماوات والأرض ﴾  
 ملا جرجيس الموصلي - البقرة / ١٢٧ ، النجم / ١٥ - ( جوامع  
 الموصل : ١٧٩ )  
 ﴿ وإذ يرفع ابراهيم ﴾ فيها قواعداً  
 بصنق عسى أن الجنان له ماوى  
 فخذ كل ثاني شطر بيت مؤزخاً  
 جزى الله للمنشي لها ﴿ جنة الماوى ﴾  
 عبدالباقي العمري - طه / ٣١ - ( ديوانه : الترياق الفاروقي )  
 قضى نحبه أبى الطهر سيّدة النساء  
 سليله فخر الكائنات أبي القُر  
 قضى نحبه ابْن الصنو شُبْر من غدا  
 أبوه حريّاً في ﴿ أخي اشدد به أزي ﴾  
 وله ايضاً : طه / ١٢  
 خلعتنا نفوساً قبل خلع نعالنا  
 غداة حللنا مرقداً منك مانوسا  
 وليس علينا من جناح بخلعها  
 لـ ﴿ أنك بالواد المقدس ﴾ يا موسى  
 احدهم : المائدة / ٧٥  
 لئن غبتم عني فــــان محكم  
 لفي مهجتي بين الجوانح والحشا  
 وأرجو من الرحمن يجمع شملنا  
 و ﴿ نلك فضل الله يؤتيه من يشا ﴾  
 شمس الدين النواجي - التوبة / ١٢٩ - ( السمو الروحي في الادب  
 الصوفي )  
 محمّد المختار أشرف من ﴿ دعا  
 الى الله ﴾ وانتقادات اليه الشرائع  
 نبي كريم طاهر ومطهر  
 ﴿ رؤوف رحيم ﴾ خاشع متواضع  
 البحتري - ص / ٢٣ - ( ديوانه )  
 أبا الفضل ذي ﴿ تسع وتسعون نعمة ﴾  
 غنى لك فيها عن غزال لنا فرد  
 اتأخذه مني وقد أخذ الجوى  
 مأخذه مما أسر وما ابدي  
 عبدالقادر التحافي - المائدة / ٣ - ( ديوانه )  
 فيا أهل وذي والتواصل الفة  
 ترود مراح النفس والقلب والصدرا  
 يضّر بكم ( أن تعتدوا ، وتعاونوا  
 على البرّ والتقوى ولا ﴾ تحملوا غدرا

شرائعه حتى استقام اخيرها  
 ﴿ لكل جعلنا شريعة ﴾ خير شاهد  
 على ان مقياس الشعوب دهورها  
 وله ايضاً : - النساء / ٩٧  
 وآلهت أسرائيل عجلاً واننا  
 نؤله في عصر البخار عجولاً  
 كفرت بعصر الكهرياء وينسما  
 جنى أهله ﴿ لا يهتدون سبيلاً ﴾  
 ابن الرومي - الشعراء / ٢٢٦ - ( ديوانه )  
 ﴿ يقولون ما لا يفعلون ﴾ مسبّة  
 من الله مسبوب بها الشعراء  
 وما ذاك فيهم وحده بل زيادة  
 يقولون ما لا يفعل الامراء  
 احدهم : الحج / ٦٣  
 على بابنا قف عند ضيق المناهج  
 تفز بعلي القدر من ذي المعارج  
 ﴿ ألم تر أن الله أنزل ﴾ نعمة  
 علينا وولانا قضاء الحوائج  
 عبدالرحيم البرعي - المنكبات / ٦٣ - ( ديوانه : حسب القوافي )  
 له الراسيات الشم تهبط خشية  
 وتنشق عن ماء يسبح ويخضل  
 وأحيا نواحي ﴿ الأرض من بعد موتها ﴾  
 بمنسجم غيث من السحب بهمـل  
 وله ايضاً : البقرة / ١٥  
 نبي أتى والناس في جاهلية  
 يخوضون في بحر من الشرك زاخر  
 على الغي ﴿ في طغيانهم يعمهون ﴾ قد  
 هوت بهم الاهوا الى غير ناصر  
 وله : الاسراء / ١٠٩  
 وذات جمال في أباطح مغة  
 محاسنها تحكي سناء توقدا  
 اذا ما رآها العاشقون رأيتهم  
 ﴿ يخزون للانقان ييكون ﴾ سجدا  
 وله : التوبة / ٢٦  
 نبي تقى أريحى مهـذب  
 يشير لكل العالمين نذير  
 ﴿ ويوم حنين إذ ﴾ رمى القوم بالحصى  
 فولّوا وهم عمي الميون وعمور  
 خليل البصير - آل عمران / ١٨٠ - ( شماعة العنبر : ١٣٠ )  
 أطمع في جنات عدن غداً وقد

## البحر المديد

شهاب الدين الحجازي - البقرة / ٢ - ( خديم الظرفا ونديم اللطفا )  
 في رسول الله مدحي مديد  
 ما عسى مدحاً أتى من بديه  
 وكتاب الله جساء بمدح  
 ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾  
 شهاب الدين الموصلي - الفلق / ٤  
 تغمره ، أنقى من البـزـد  
 ريقه ، أشهى من الشهد  
 هو ظبي من بني أسد  
 جاز ( نقائات في العقد )

## البحر البسيط

ابو الشيص الخزاعي - القيامة / ٢٧ ، ٢٩ - ( اشعار ابي الشيص للجبورى )  
 يا ليت شعري متي تجدي علي وقد  
 أصبحت رب دنانيـر وأوراق  
 تجدي علي اذا ما ﴿ قيل من راق ﴾  
 ﴿ والتفت الساق ﴾ عند الموت ﴿ بالساق ﴾  
 اسماعيل الجوهري - الرحمن / ٥٤  
 يا ضائع العمر بالاماني  
 أما ترى رونق الزمان  
 لعننا نجتلي سـروراً  
 حيث ﴿ جنى الجنتين دان ﴾  
 رشيد ابو مرة - العلق / ١٠ - ( مجلة الوعي الاسلامي ع ٦٠ / سنة ٥ )  
 عدو اقتنسا سود صحائفه  
 وليس يعرف في قاموسه عدلا  
 أبحرق المسجد الأقصى وتتركه  
 ليمنع الذكر او ﴿ عبداً اذا صلى ﴾  
 ادهم : النساء / ٨٦  
 أهدي اليكم على بعد تحيته  
 ﴿ حيوا بأحسن منها أو ﴿ فردوها  
 عبدالرحمن القرقيشدي - العلق / ٢  
 كم طارق منك بالاحسان يطرقني  
 مثل البروج أتى من أحسن الطرق  
 يا عالي القدر رفقا ، مشني ضعف

والله قد ﴿ خلق الانسان من علق ﴾  
 عبدالقادر التتافي - الحج / ٦١ - ( ديوانه )  
 رأيت في خطـه جمـالاً  
 أفـاضـه ذائب النضار  
 منقفاً أية تـراها :  
 ﴿ ويولج الليل في النهار ﴾  
 وله ايضاً : ص / ١٧ ، ١٩  
 لو كنت ﴿ داود ذا الاید ﴾ الفتى الغلاب  
 ﴿ والطير محشورة كل له أواب ﴾  
 ما صخ لي ، والجوى بين الحنايا ثوى  
 تسكين طائر قلب في الهوى وثاب  
 شهاب الدين الحجازي - الرد / ٣٢ - ( خديم الظرفا ونديم اللطفا )  
 يا سيد الرسل والبحر البسيط ويا  
 من فضل همتـه تغلو به الهمم  
 بعثت خاتم رسل الله كلهم  
 ﴿ في أمة قد خلت من قبلها الامم ﴾  
 وله ايضاً : آل عمران / ٣  
 اختلعت رحمة فبسطي  
 زال وأولادهـا بغمـه  
 فرزها رننا الزنا  
 ﴿ وهب لنا من لدنك رحمة ﴾  
 صفى الدين الحلي - القيامة / ١٦ - ( ديوانه )  
 سـرك إن صنتـه بصمت  
 أصلح بين الانسام شانك  
 فسلا ثقتـه لامرئـي بسـر  
 و ﴿ لا تحرك به لسانك ﴾  
 حسان بن ثابت - الانفال / ٧٤ - ( ديوانه )  
 سـمـاكم الله أنصاراً لنـركم  
 دين الهدى وعوان الحرب تستعز  
 ﴿ وجاهدوا في سبيل الله ﴾ واعترضوا  
 للنائبات فلا خوف ولا ضجر  
 الشاب الظريف - الكهف / ٧٧ - ( ديوانه )  
 ما أنصفوا الخضر الباني جدارهم  
 لما اراد بأن يتقض حين بنى  
 ف ﴿ استطعما أهلها ﴾ موسى وصاحبه  
 فلم يضيفوهما شيئاً ، فكيف أنا  
 ادهم : الاعراف / ١١٦  
 وقام من بيننا خطيباً  
 كجده ملقياً مقالـه  
 ﴿ تلقف ما يافكون ﴾ لكن

لا يدعي عندها الرسالة

عبدالمقتر الدهلوي - آل عمران / ١٠٣

يا سائق الظعن في الأسفار والأصل

سلم على دار سلمى فأبك ثم سل

يا طالب الجاه في الدنيا تكون غداً

على شفا حفرة من جاحم الشعلة

عبدالرحيم البرعي - الإسراء / ١ ، النجم / ٩ - ( ديوانه )

سارت الى المسجد الأقصى ركائبه

يزفقه مسرج الإسرا وملجمه

فصار جبريل تحوده محبته

من قباب قوسين أو أدنى يكلمه

وله أيضاً : التوبة / ١١٠ ، المائدة / ٣

أتى وأتمته العمياء قد وقفت

على شفا جرف هار فحل عرى

وحزم الدم والميتات محكمه

وما أهل لغير الله أو نذرا

النواجي - يس / ٤٠ - ( الروض النضر ١ : ١٥١ )

ساق كبر دجى يسعى بشمس ضحى

بين الندامى يفوق الغصن إن خطرا

فاعجب لشمس اضأت في يدي قمر

والشمس لا ينبغي أن تدرك القمر

احدهم : الصافات / ١٠٢ - ( الروض النضر ١ : ١٥٣ )

يا مانع الوصل يا حياتي

يما متلف القلب بالتجني

زني فقد زادني شجوناً

إني أرى في المنام أتى ..

ابو محمد الخازن - الفرقان / ٢ - ( الروض النضر ١ : ٣٧٨ )

بشرى لقد أنجز الإقبال ما وعدا

وكوكب المجد في افق العلى صعدا

لم يتخذ ولداً إلا مبالفة

في صلق توحيد من لم يتخذ ولداً

صفي الدين الحلي - طه / ١٨ - ( ديوانه )

هذي عصاي ولي فيها مآرب اخ

رى أو أهرش بها طوراً على غنمي

إن ألقيها تتلف كتما صنعوا

إذا أتيت بسحر من بيانهم

عبدالباقي العمري - الجمعة / ١١ - ( ديوانه )

مديح آل النبي عندي

خير من اللهو والتجارة

أنجوه به من عذاب نار

وقودها الناس والحجارة

وله أيضاً : الزمر / ٦٣

أسرار آية إني جاعل ظهرت

بعدل منشييه في كل القضايا

أعطى مقاليد أحكام الأمور له

من في يديه ( مقاليد السماوات )

محمد العبدلي - يوسف / ٦٥ - ( الروض النضر ٢ : ٤٤ )

فجد عليها وأنعم بالقبول وإن

زهدت فيها ، وخذها بالفاء وطرا

وقل لمن يعتني : هذي بضاعتنا

رئت البنا فأرخنا : هدي ظهرنا

الطفراني - الأنعام / ٣٥ - ( ديوانه )

حب السلامة يثني هم صاحبه

عن المعالي وبغري المرء بالكسل

فإن جنحت اليه فاتخذ نفقا

في الأرض أو سلماً في الجو فاعتزل

عبدالله النقشبندى - النور / ٣٥ - ( النجم الزاهر لنكتل كشمولة : ١٠٢ )

ورثل الآية العصماء معتصماً

بالنص دون ازدياد في ثناياه

الله نور السموات وما نزلت

الله نور ، أو أن النور الله

عبدالله الطرابلسي - الإسراء / ٢٣ - ( سلك الدرر ٣ : ١٠٣ )

واطلب على الصبر في الأحوال قاطبة

ولازم الصبر فهو المنهج الاطهر

واطلب من الوالدين الاكرمين رضى

ولا تقل لهما أف ولا تنهز

صالح التميمي - الكهف / ٩٨ - ( ديوانه )

ما كان سذك للشط الذي ظلما

إلا نجاة لأهل الكرخ حين طمى

سداً علا لم يكن ياجوج يعبره

وما استطاعوا له نقباً وان عزمنا

#### البحر الوافر

شهاب الدين الحجازي - آل عمران / ١٥ - ( خديم الظرفا ونديم

اللطفا )

جفا رضوان من هزجي

ولي بـدـل عـذاراه

وأزواج مطهرة

ورضىـوان من الله

عبدالباقي العمري - الإسراء / ١ - ( ديوانه )

وكم أسرى به روح المعاني

الى أقصى العلى من طول بعيدة

كما أسرى به مولاه ليلاً

فـ ﴿ سبحان الذي أسرى بعمده ﴾

وله أيضاً : البقرة / ١١٢ ، هود / ٦٠

و ﴿ أسلم وجهه لله ﴾ طسوعاً

وسلم ما لديه من عتيق

وقد رجعوا بأخرى من ثمود

وعادوا مثل ﴿ عاد قوم هود ﴾

وله : الأعراف / ١٨٩ ، البروج / ١٥ ، هود / ٥٩

﴿ تعالى الله ﴾ ﴿ ذو العرش المجيد ﴾

وحلت حكمه الملك الحميد

ملك عز سلطاناً وقهراً

لنفخة ﴿ كل جبار عنيذ ﴾

محمد نوري القادري - التوبة / ٣٣ - ( نور القمر لعبدالله فيضي :

المقدمة )

لعبدالله نسور ليس يخفى

تضيء به الليالي المدلهقة

يسريد الجاحدون ليطفتوه

﴿ ويبأسى الله إلا أن يتم ﴾

البارودي - الرعد / ١٦ - ( ديوانه )

وما الايام إلا صائبات

تمز بكل سافرة وترس

على هذا يسير الناس طرّاً

ويبقى ﴿ الله خالق كل نفس

حافظ ابراهيم - القلم / ٤ - ( ديوانه )

لهم شيم ألد من الاماني

وأطرب من معاطسة النديم

كهئك في الخلاعة والتصابي

وإن كانوا ﴿ على خلق عظيم ﴾

الرصافي - يس / ٣٦ - ( ديوانه )

إذا أيقظتهم زادوا رقاباً

وإن أنهضتهم قعدوا ونساباً

فـ ﴿ سبحان الذي خلق العبادا

كان القوم قد خلّقوا جماداً

بهاء الدين العاملي - الرحمن / ٤١ - ( الكشكول ١ : ١٧١ )

أضعت العمر عصياناً وجهلاً

وقلبك لا يفيق من المعاصي

ونفسك لم تزل أبداً جموحاً

فويل يوم ﴿ يؤخذ بالنواصي ﴾

عطا الخطيب - آل عمران / ٥٤

سنرجع ظافرين بعون ربي

ويلقى الشامتون كما لقينا

دعومهم يمكرون بما استطاعوا

فإن ﴿ الله خير الماكرينا ﴾

الشاب الظريف - ( الأنعام / ٢٨ - ( ديوانه )

عريب كسان لي معهم عهد

ظننت بقضاءها ولهم وداؤ

عهدت لسديهم خلقاً جميلاً

وقد غضبوا ﴿ ولو زلوا لعادوا ﴾

المطوعي : - فاطر / ٣٧ - ( معاهد التنصيص ٤ : ١٨٤ )

غدا لقنا التحن ليلاً بهيماً

وكان كائن القمر المنير

وقد كتب السواد بعارضيه

لمن يقرأ ﴿ وجاءكم النذير ﴾

محمد حبيب العبيدي - لقمان / ١٨ - ( ديوانه : ذكرى حبيب )

مشى تحت القنابيل لم ترغه

صواعقه وهو على شفير

فيا جيشاً على اسم الله يفزو

فيحق ﴿ كل مختال فخور ﴾

وله أيضاً : الحج / ١٨

وفجر ينجلي عن ضوء شمس

وصبح بعده يأتي مساء

يكسر على ذويه الدهر قسراً

و ﴿ إن الله يفعل ما يشاء ﴾

ابن الرومي : - الحشر / ٢ - ( ديوانه )

وصفغان يجود بمصفييه

ويصفغ نفسه في الصافيينا

كهلم المشركين بيوت سوء

﴿ بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾

على الشرقي - الرحمن / ٢٧ - ( ديوانه )

وفوق ضلال هذا الكون رشد

صفت مسراته وجلاه جال

وربك كل شيء سوف يفنى

﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال ﴾

عبدالرحيم البرعي - الأعراف / ١٤٢ ، الطور / ١١ ، المائدة / ٧٠ -

( ديوانه )

ولو قابلت لفظة ﴿ لن تراني ﴾

بـ ﴿ ما كذب الفؤاد ﴾ فهمت معنى



فندرج محمّد في الذكر لفا  
تلا ﴿ والله يعصمك ﴾ اطمأنا  
ابن دانيال الموصلي - الروم / ٥٠ - ( المختار من شعر ابن دانيال  
للدليمي )  
وسلطان له القذح المعلّى  
تأمل ﴿ كيف يحيي الأرض ﴾ عدلا  
أزال نواله اليبس المسذلا  
بجود يملأ الثقلين فضلا  
اسماعيل فرج - مريم / ١٧ - ( المساجلات الموصلية )  
به للانس يجتمع الشتات  
ويقتل بالصدود ولا يبيات  
ويحيي بالوصال ولا ممات  
وتبقى ( الباقيات الصالحات ﴾  
خليل البصير - ابراهيم / ٢٨ - ( شامة العنبر للغلامي : ١٣٠ )  
أمن كفروا بأنعمه تعالى  
جزاؤكم العذاب مع الصغار  
فسإن مبدلي النعماء كفرا  
﴿ أحلّوا قومهم داز البوار ﴾  
البوصيري - فاطر / ٢٥ - ( السمو الروحي في الادب الصوفي )  
بمدح المصطفى تحيا القلوب  
وتتفر الخطايا والذنوب  
شريعته ﴿ صراط مستقيم ﴾  
فليس ﴿ يمشنا فيها لغوب ﴾  
مكي الجوشي - الحج / ٤٧ - ( سلك الدر ٤ : ١٣٨ )  
لأنّ أعزّ من طسرفي وقلبي  
فسلّ عما أقول شهود قلبك  
ويوم لا أرى ذاك المحيّا  
اعادل فيه ﴿ يوماً عند ربك ﴾  
عبدالله الطرابلسي - الطلاق / ١ - ( سلك الدر ٣ : ١٠٣ )  
أعبدالله لا تجزغ لضم  
وثق بالله تتضح المسالك  
وكن جلسداً على صرف الليالي  
﴿ لعمل الله يحدث بعد ذلك ﴾  
عبدالقادر التحافي - الليل / ١٢ ، المزمل / ١٧ - ( ديوانه )  
ولولا آيتان لظلل شعري  
خميم الشيب معطساراً خضيبا  
هما ﴿ أنذرتكم نارا تلظن ﴾  
و﴿ يوماً يجعل الولدان شيبا ﴾  
وله أيضاً : الحج / ١٤  
يروز بفكره كل احتمال

### البحر الكامل

الاببيوردي - غافر / ٢٤ - ( انوار الربيع ٢ : ٢٤٢ )  
وقصائد مثل الرياض أضعها  
في باخل ضاعت به الاحساب  
فإذا تناشدها الرواة وأبصروا الـ  
ممدوح ﴿ قالوا ساحر كذاب ﴾  
ابو الفضل الحبري - القصص / ٦٩  
أشكو الاحية لا يغت جفاؤهم  
يبغي أذاي صغيروهم وكبيروهم  
هم يعلنون لدى اللقاء موذتي  
والله ( يعلم ما تكّن صـدورهم ﴾  
الخباز البلدي - الكهف / ٧٩ - ( نيتمة الدهر للثعالبي ٢ : ٢٠٩ )  
قد قلت إذ سار السفين بهـ  
والشسوق ينهب مهجتي نهبا  
لو ان لي عزّاً أصول بهـ  
لاخذت ﴿ كل سفينة غصبا ﴾  
ابن نباته - الإنسان / ٥ - ( انوار الربيع ٢ : ٢٤٨ )  
يا لانمي في خادم لي سيد  
قشماً لقد زدت السلو نفورا  
ولقد أدت على المسامع قهوة  
في الحب ﴿ كان مزاجها كافورا ﴾  
شهاب الدين الحجازي - الفتح / ١٠ - ( خديم الظرفا ونديم اللطفا )  
كملت صفاتك يا رشا وأولو الهوى  
قد بايعوك وحظهم بك قد نما  
متفاعلن متفاعلن متفاعلن  
﴿ إن الذين يبايعونك إنما .. ﴾

وليد الاعظمي - الحج / ٢٢ ( ديوانه : الزوابع )

جاءت تحييتهم ملائكة السما

من كل باب : السلام عليكم

﴿ جنّات عدن ﴾ للذين تصدّقوا

﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ فيم

البحثري - البقرة / ٢١٢ - ( ديوانه )

فلو أن مشتاقا تكلف غير ما

في وسعه لسعى اليك المنبر

نعمى من الله اصطفاك بفضلها

﴿ والله يرزق من يشاء ﴾ ويقدر

ابو العتاهية - الحج / ٤١ - ( ديوانه )

﴿ له عاقبة الامور ﴾

طوبى لمعتبر ذكور

طوبى لكل مراقب

لله اواب شكور

البارودي - آل عمران / ٤٧ - ( ديوانه )

الريح تكتب والفيدير صحيفة

والسحب تنقط والحمائم تقرأ

صور تبدل على حكيم صانع

﴿ والله يخلق ما يشاء ﴾ ويبرأ

وله ايضا : ابراهيم / ٣٩

وعلام أجهد في المطالب باذلا

نفسى وهذى للمطالب منتهى

فوالحمد لله الذي وهب ﴿ العلى

وسرى الاذى عني فأبصرت الهدى

محمد سعيد الحبوبي - النمل / ٤٠ - ( ديوانه )

لم تبيد شارقة تلوح أمامه

إلا وعاد مكانها من خلفه

ترتد رانضة القياد إذا التوى

﴿ من قبل أن يرتد ﴾ شاخص طرفه

حافظ ابراهيم - القمر / ١٠ ، الرعد / ٢٦ - ( ديوانه )

ما زلت نختار المواقف وعرة

حتى وقفت لئذلك الجبار

وهدمت سوراً ما أجاد به سوى

﴿ فرعون ذي الأوتاد ﴾ والانهار

نعم الجزاء ونعم ما بلّغته

في منزليك ﴿ فنغم عقيب الدار ﴾

شهاب الدين الحجازي - يوسف / ٦٧ - ( خديم الظرفا ونديم اللطا )

يا كاملاً لا تعتمد إلا على

من فضله عم الخلاق أجمعين

واقصّد الى من لا يخيب أملاً

﴿ وعليه فليتوكل المتوكلون ﴾

الزهاوي - التوبة / ١١٠ - ( ديوانه )

بالعلم قد لبس العراق حضارة

ما أن تردت مثلها الامصار

يا علم قد كانت ربوعك جنة

غناء ﴿ تجري تحتها الانهار ﴾

وله ايضا : الدهر / ١٠

لا تغترز إن كان يو

مك ضاحكاً مرحاً منيراً

فلسوف تشهد بعده

﴿ يوماً عبوساً قمطريراً ﴾

وله من الكامل الثاني عشر - سبأ / ١٢

طيّارة طسارت

وكأنها نسز

ف﴿ غدوها شهر ﴾

ورواحها شهر

الرصافي - ص / ٣٢ - ( ديوانه )

غريث فأبقت كالشواظ عقيها

شفقاً بحاشية السماء طويلا

﴿ حتى توارث في الحجاب ﴾ وغادرت

وجه البسيطة كاسفاً مخذولا

الحمودني - الاعراف / ١٧٥ - ( ذيل زهر الآداب للقيرواني : ١٥٤ )

قل لابن حرب طيلسا

نك قوم نوح منه أحدث

ك﴿ الكلب إن تحمل عليـ

ه ﴾ الدهر ﴿ أو تتركه يلهث ﴾

ابن سينا - الاعراف / ١٧١

خمرأ تظلل لها النصارى سجداً

ولها بنو عمران أخلصت الولا

لو أنها يوماً وقد ولعت بهم

قالت : ﴿ ألسن بريكم قالوا بلى ﴾

خليل خداه - الروم / ٥٠ - ( شماعة العنبر : ٢٢٣ )

يا خافضاً رفغ الظنون وناصباً

علم اليقين ولا يكسون فشككا

من بعدما قنط السورى من رحمة

﴿ فانظر الى آثار رحمة ﴾ ريكا

خليل البصير - الشورى / ٢٨ - ( شماعة العنبر : ٢٢٣ )

يا من يذكّر خلّـه

كرم الكريم ونعمته

هذا قديماً دأبه

يعفو ﴿ وينشر رحمته ﴾

أحدهم : - البقرة / ١٤٤ - ( المعجم الجغرافي لبغداد القديمة للشخلي )

قرت عيون المؤمنين بقبلة

سطعت أهلة رشداً بهداها

لفضلها نادى الإله حبيبه

﴿ لئولينك قبلة ترضاها ﴾

عبدالرحيم البرعي - العلق / ٣٠١ - ( ديوانه )

قالت أتاه السبع بالمتعب

برسالة ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ وابتد

فأجاب لست بقارىء من مولدي

فتنى عليه ﴿ اقرأ وربك الأكرم ﴾

وله أيضاً : الزمر / ٩

وعلى شهيد الدار عثمان الذي

من نوره استحيت ملائكة السما

من أنزلت فيه : ﴿ أمن هو قانت ﴾

ذاك الذي جمع الكتاب المحكما

وله : الأعراف / ١٠٠

فتعال نسمك السجوع برامة

سخرأ ونذكرك النقا وزودا

واسنخ ﴿ نقص عليك من أنبائها ﴾

ما كان منها قائماً وحصيها

نعمة الله النعمة - الرعد / ٤١ - ( المساجلات الموصلية )

الله يحكم لا مبرر لحكمه

والمرء منقاد لأمير الباري

يمحو ويثبت ما يشاء ﴿ وعنده

أم الكتاب ﴾ بسائر الأعمار

رفيق بن جابر - الفتح / ٢

يا أولاً في المرسلين وآخرأ

الله خضك بالكمال ليرضيك

أوحى اليك لكي تكون حبيبه

﴿ ويتم نعمته عليك ويهديك ﴾

البدر بن حبيب الحلبي - التوبة / ٩ - ( رحلة الخباري ج ٣ )

لله ما أحلى محاسن جلتي

وجهاتها اللاتي تروق وتعذب

بنهجر ريوتها الفرات وروضاها

يا صاح كم ﴿ كنا نخوض ونلعب ﴾

أحدهم : الحج / ٢٣

مُنحت قلوب العاشقين بخده

نملاً ونم بها النجيع الأحمر

فأعجب لهم شهداء مسكنهم لظي

﴿ ولياسهم فيها حريز ﴾ أخضر

جرجيس الإريلي - النحل / ٣٠ - ( جوامع الموصل : ١٨٤ )

يسا من أتى يبغي العلى

والارتقا في المرتقين

سعد المؤرخ : بالبنا

﴿ ولنغم دار المتقين ﴾

البوصيري - المزمل / ٦ ، النساء / ٤٨

الله أكبر أن دين محمداً

وكتابه أقوى و﴿ انوم قبيلا ﴾

عم البرية عدله ، فصدقه

وعدوه ﴿ لا يظلمون فتيلا ﴾

محمد بن بختيار بن عبدالله - الواقعة / ٧٦ - ( ذيل تاريخ مدينة السلام

لابن الديلمي ١ : ١٨٦ )

قسماً بمن سكن الفؤاد وانه

قسماً به ﴿ لسو تعلمون عظيم ﴾

اني به صب كئيب مدنف

قلق الفؤاد مولد مهموم

عبدالقادر التحافي - طه / ٧ ، الحشر / ١٤ - ( ديوانه )

درب السلامة مفرد علم

لا يفتني ﴿ عوجاً ولا أمثا ﴾

أصا الفؤاد ، فخادع زند

مجموعهم ، ﴿ وقلوبهم شتى ﴾

وله أيضاً : الزمر / ٥٣ ، الحج / ٧٨

يا فتية الشعب المشرذ عنوة

عن أرضه وبها كريم تلابه

﴿ لا تقنطوا من رحمة الله القريب

ب ﴾ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾

وله : الأنعام / ٤٤

فكانهم من فتنة الدنيا ﴿ نسوا

ما ذكروا ﴾ واستحسنوا دنيا الفتون

أولم تطالع شاخصات عيونهم

سطرأ تجلى آية بين المتون

دحض الإله به فعال القاسيا

ت قلوبهم من حيث ﴿ كانوا يعملون ﴾

﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذ

ناهم ﴿ على بغيها ﴿ هم مبلسون ﴾

# رحلة مغربي الى حضرموت

عام ٨٦٥ هـ - ١٤٦٠ م

تقديم وتعليق

د. عبدالهادي التازي

جامعة محمد الخامس - المغرب

هذا ما يتصل برحلة ابن عابد باختصار، وقد اهتم ببعضها آخرون<sup>(١)</sup>.

فهل هذا كل ما تتوفر عليه المكتبة اليمنية من رحلات مغربية؟  
ذاك ما اريد أن اخصص له هذا الحديث ...  
أثناء زيارة ودية للزميل العزيز والاستاذ الجليل عبدالله الحبشي في بيته بصنعاء ( ٩ / ٩ / ١٩٩٢ ) تجاذبنا أطراف الحديث حول المخطوطات التي تتصل بالمغرب ... كان حديثاً متنوعاً يسلطنا جانب منه الى جانب آخر ...

وفي معرض حديثنا عن رحلة يوسف بن عابد سالفة الذكر أهداني صورة منها مع تاليف آخر لابن عابد : ( الدرة الفاخرة فيمن لقيته من رجال الآخرة ) ، ثم اطلعتني الاستاذ على صورة لرحلة اخرى كان تاريخها يسبق تاريخ رحلة ابن عابد بأكثر من قرن وربع القرن ... وقد أحسن في الظن فطلب الي أن اشتغل بها على نحو ما فعلت بالمخطوطة اليمنية : ( النصوص الظاهرة في اجلاء اليهود الفاجرة ) لآحمد بن أبي الرجال<sup>(٢)</sup> ... ملفتاً نظري الى ان لها نسخاً اخرى في مكتبة الأحقاف بمدينة تريم من حضرموت .

ومنذ جعلت ( الرحلة ) في المحفظة التي تلازمي وأصبحت مشغلتني بل انها كانت في صدر ما جعلني اصمم على أن أرحل من صنعاء الى حضرموت !!

وهكذا ركبنا الطائرة<sup>(٣)</sup> صباح السبت يوم ثاني عيد المولد ، ١٢ ايلول ١٩٩٢ من صنعاء الى ( الريان ) مطار ( المكلا ) التي أصبحت عاصمة محافظة حضرموت ...

ومن ( الريان ) أخذنا طائرة اخرى في اتجاه الشمال نحو مدينة سيئون ... التي اشتهرت بكثرة مساجدها ومعالمها ...  
وفي صباح اليوم الموالي وهو ( الجمعة ) اتجهنا بالسيارة نحو مدينة ( تريم ) التاريخية ...

وتعتبر مكتبتها ( الأحقاف ) منجماً ثرياً بالمخطوطات التي تتناول سائر حقول المعرفة من علوم القرآن والحديث والسيرة النبوية

كان فيمن عرفنا من الرحالة المغاربة الذين كتبوا عن رحلتهم الى اليمن الرحالة الذي انتقل من مدينة فاس الى حضرموت في نهاية القرن العاشر واول القرن الحادي عشر الهجري ، أي القرن السادس عشر الميلادي ، في نفس الوقت تقريباً الذي توسط فيه أحمد المنصور الذهبي لابن العقاد المكي لدى خاقان الترك حتى يعينه هذا قاضياً على اليمن<sup>(٤)</sup> ..

ويتعلق الامر بالشيخ يوسف بن عابد الادريسي الحسني الذي سجل حديث رحلته في كتاب أملاه على بعض مريديه ..  
وقد كان في اوائل من قدم هذه المخطوطة للقراء زميلنا العزيز الاستاذ علي سالم سعيد بكير الأمين الحالي لمكتبة الأحقاف للمخطوطات بمدينة تريم بحضرموت<sup>(٥)</sup> جنوب الربع الخالي من الجزيرة العربية .

وقد كان فيما رواه الاستاذ بكير ان ابن عابد هذا من مواليد منطقة أنكاد شرقي المغرب سنة خمس وستين وتسعمائة هجرية ١٥٥٨ م وأنه توجه الى فاس لطلب العلم بجامع القرويين ، وسنه عشرون سنة ، حيث سكن بيتاً له في المدرسة المصباحية وهي تقابل أحد أبواب الجامع الاعظم .

ومن المغرب ينتقل ابن عابد الى مصر حيث يلتقي في الازهر الشريف - بعدد من مشاهير العلماء قبل أن يتوجه الى مكة لأداء مناسك الحج وزيارة مدينة الرسول ﷺ ، ومن مرسى جدة قصد حضرموت بواسطة أحد المراكب اليمنية المنتشرة بالمنطقة ، في شهر المحرم سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ، يناير ١٥٨٤ ، حيث أرسى به المركب في بلدة جازان على ساحل البحر الاحمر ، ومن هناك اتجه صحبة قافلة الى أن انتهى الى حضرموت ، الى قرية عيّنات جنوب شرقي مدينة تريم ليأخذ عن الشيخ أبي بكر بن سالم ( ت ٩٩٢ - ١٥٨٤ ) ، وقد لُذ لابن عابد المقام بحضرموت فتزوج وأنجب وسكن على مقربة من مدينة ( سيئون ) في قرية تحمل اسم ( مريمة ) وبها أدركته الوفاة هناك عام أربع وأربعين وألف ١٦٣٤<sup>(٦)</sup> .



السنة التي توفي فيها سلطان الملا ، واكليل تاج العلا سيدنا عبدالله بن أبي بكر الميدير<sup>(٨)</sup>، ويحتمل أن يكون الشيخ جمال الدين محمد ابن الفقيه عبدالله بن فضل بالحاج<sup>(٩)</sup> هو الذي حج مع السيد محمد بن أحمد نظراً الى اتفاق التاريخ ، ولأنه حج في ذلك الوقت ... وعلى كل حال فالقصد نشر المحاسن المطوية ، وإظهار القضايا الخفية لينتفع بها الموفقون من البرية ، وقد قرئت على الحبيب الإمام علي ابن محمد الجبشي<sup>(١٠)</sup>، فاغتنب بها وذاكر عليها ، وقرأت مراراً كذلك على سيدي الإمام أحمد بن الحسن العطاس ( ت ١٣٢٤ - ١٩١٥ )<sup>(١١)</sup> فايدها وتكلم في شأنها ، وأوصى بالتمسك بما فيها ، ومن كلامه رضي الله عنه قوله : « لاحت لي بارقة في شأن رحلة المغربي الى تريم ، وقد وقع فيها بعض تحريف من حيثية الاسماء والمعرفة لا من حيث الوقوع . وتخيّل لي المجلس كله ودخوله على السيد الى آخرها ... وأهل الباطن شالين القصة معهم يجيئون بخبز من المخبا والمخبا ، والذي ما يوافق كشفهم الصريح المطلق ما يقبلونه ، ولو اجتمعوا ( كذا ) عليه جميع القائلين » . قلت : وفي كلامه هذا أبلغ ردع لمن أنكرها ولم يتق بصحة نقلها ، ( اذا قالت حذام فصدقوها )<sup>(١٢)</sup> ، خصوصاً والمتكلم على نور من ربه ونظر بعين قلبه انتهى . وهذه هي الرحلة المشار اليها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه رحلتي الى مدينة تريم ... وبعد أن يورد نصها كاملاً يختم المغربي حديثه بالإخبار بأن والده دون رحلته أيضاً الى حضرموت وأنه كان يحيل عليها إلا أن الولد - بعد وفاة والده - فتش عنها بين الكتب فلم يظفر بها ...

وبالرجوع الى مخطوطة صنعاء ، وجدت انها تقتبس من كتاب ( صلة الأهل ) وتجعل لها مقدمة مقتبسة من التمهيد السالف الذكر ، فجاءت المقدمة على هذا النحو :

هذه رحلة رجل صالح مغربي رحل بعد الحج والزيارة من بندر جدة في صحبة سيد شريف من أكابر السادة العلويين اسمه محمد بن أحمد ، وشيخ جليل من صلحاء آل أبي فضل ، عام خمسة وستين وثمانمائة وهو العام الذي توفي فيه سيدنا الإمام سلطان الملا عبدالله بن أبي بكر الميدير<sup>(١٣)</sup> ، وقد قرئت على سيدنا الحبيب الإمام علي بن محمد ابن حسين الجبشي فاغتنب بها وذاكر عليها ، وقرئت مراراً عديدة على الحبيب الإمام أحمد بن حسين بن عبدالله العطاس فايدها وتكلم في شأنها وأوصى بالتمسك بما فيها ، وقال : لاحت لي بارقة في شأن رحلة المغربي الى تريم ، وقد وقع فيها بعض تحريف من حيثية الاسماء والمعرفة لا من حيث الوقوع الى آخر ما ورد في النص السابق ... انتهى كلامه رضي الله عنه . قال : وهذا أوان الشروع في الرحلة ، قال الشيخ المغربي رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه رحلتي الى مدينة تريم ...

\* \* \*

وقد كان مما أثار انتباهي في ذلك ( التمهيد ) من كتاب ( صلة

وعلم الكلام والفقه واصوله وعلم الفرائض والمواarith والتصوف والأدب وعلوم اللغة والبيان والنحو والتاريخ وعلم الفلك والمسافة والحساب الى جانب العلوم البحتة وعلوم السياسة ونظام الدواوين ...

وهناك وجدنا انفسنا مع رجال علم وفضل يحيطون بنا ، وإن المرء ليشعر بانهم يرغبون في تقديم المساعدة اليه بكل ما يملكونه ...

كانت مناسبة لتبادل الحديث مع السيدين الفاضلين : حسين أحمد عبدالله الكاف ، والسيد عبدالقادر بن سالم ابن شهاب ، وكلاهما يعمل مساعداً لمحافظ المكتبة الأستاذ الجليل علي سالم سعيد بكير الذي لم يلبث أن عاد من مدينة سيئون على دراجته النارية ..

جولة ممتعة في سجلات المخطوطات التي تحتضنها ( مكتبة الاحقاف ) هذه ... وقد كان علي أن اركز بحثي على المخطوطات التي تتصل بالمغرب ومنها « رحلة المغربي الى حضرموت » التي تمت قبل رحلة ابن عابد بنحو سبع وعشرين ومائة سنة على ما أسلفنا ...

وقد وجدت فعلاً مخطوطة ثانية للرحلة بعنوان : « هذه رحلة المغربي الذي خرج من بلده لزيارة بلد تريم » ، وهي تحمل رقم ٢٨٨٣ وقد كان الفراغ من كتابتها صباح الجمعة ١٤ ربيع الثاني عام ١٣٣٧ - ( ١٧ يناير ١٩١٩ ) بقلم شيخ بن عبدالله بن سالم الشري ..

وقد كانت المخطوطة التي أهداها الي الزميل الجبشي تحمل عنواناً هكذا : ( بذل النحلة لمن يحب الناصحين الكرام الاجلة ، بذكر ما أودعه المغربي من شمائل تريم وأهلها في الرحلة ) .

وإذا كانت مخطوطة ( تريم ) لم تشر للاصل الذي استقت منه النص فان مخطوطة الحبشي تنص في الصفحة الاولى على ان المخطوطة كانت نقلًا عن الصفحات الاخيرة لكتاب « صلة الأهل ... » للشيخ محمد بن عوض بافضل المتوفى بعد سنة ١٣٦٩ - ١٩٥٠<sup>(١٤)</sup>.

وقد أسلمني هذا التعليق الى مخطوطة ( صلة الأهل ) بتدوين مناقب آل أبي فضل ( التي كان لها أيضاً إسم ثان : جمع الشمّل ، للمتفرق من مناقب آل أبي فضل ، نسبة الى العارف بالله فضل بن عبدالله بافضل .

وهنا وقفت في الصفحة ٤٨٨ من المخطوط على تمهيد لذكر الرحلة جاء فيه ما يلي :-

( ... ومن فضلاء بني فضل وأتقيائهم رجل كثير فضله وعلمه ، مجهول إسمه ، صاحب الإمام العارف بالله محمد بن أحمد أحد كبار العلويين ورافقه في نهابه الى الحج وإيابه الى مدينة تريم ، وحين قفلا من الحج رافقهما الى بلدهما أحد علماء المغرب ، فنون رحلة لطيفة ذكر فيها بعض ما رآه من حالهما في السفر ، ثم ما شاهده بتريم من أحوال سكانها العلويين ... ومن جاورهم من الصالحين فاستحسنتم إيادها برمتها لنفاستها وعظم فائدتها ، ولداليتها على ما يخفى على الكثير من الناس ، من صفات اولئك الاكياس ، وجعلتها لهذا المؤلف مسك الختام ويدر التمام ، وتاريخ هذه الرحلة كان سنة خمس وستين وثمانمائة في

الاهل ) ما ورد في شهادة الإمام أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس ( ت ١٣٣٤ - ١٩١٦ ) حول التحريف المرتكب في الاسماء من لدن الرحالة المغربي ... وخاصة ما تبع ذلك ( التمهيد ) من ( تعليق ) للشيخ محمد عوض بافضل يشير فيه الى وجود من « أنكر الرحلة ولم يثق بصحتها » !! وهنا كانت لي جولة اخرى من البحث حول هذا الموضوع الذي أصبح بالنسبة إليّ مثيراً وملذاً في ذات الوقت !

في تاليفه بعنوان « أدوار التاريخ الحضرمي » يتعرض الاستاذ محمد بن أحمد بن عمر الشاطري للحالة الاقتصادية في حضرموت أثناء القرن التاسع عندما كانت تحت حكم الدولة الكثيرة الأولى الذي استمر ثلاثة قرون أو تزيد ... فيؤكد - اعتماداً على ( رحلة المغربي الى تريم ) ، موضوع حديثنا - انهم أي الحضارمة - في عهد هذه الدولة - كانوا يتوفرون على الاكتفاء الذاتي - وانهم نتيجة لذلك يتمتعون بالاستقلال الاقتصادي الحقيقي<sup>(١٢)</sup>...

وقد كان يشير بذلك - على ما سنرى - الى ما ورد في ثنايا الرحلة من ان الناس في حضرموت كانوا لا يستوردون غير إبر الخياطة وموسى الحلاقة وكحل العيون ...

يضاف الى هذا ان الاستاذ الشاطري - وهو في معرض الحديث عن الحياة الاجتماعية في المدينة ، وان القوم كانوا فيها مثلاً في السلوك والاستقامة ، والتبخل والقناعة ، أعجبت به العبارة التي أجمل فيها ذلك المغربي الهوية التي تميّزت بها المدينة ، وكانت هذه العبارة : « إنهم أي أهل تريم بالملائكة أشبه » التي ظل المغربي يردها والتي نالت من الاستاذ الشاطري حظها في وجدانه<sup>(١٣)</sup>...

والى هنا كان كل شيء على ما يرام بيد أن الاستاذ الشاطري بعد أن استفاد من النص واستغله لاطروحته - أتى بتعليق في هامش تاليفه المذكور - أقول في الهامش - كان يقصد به أن يوثق من جهة نقله عن الحالة الاقتصادية والحالة الاجتماعية لكنه في نفس الوقت طرح سؤالاً من شأنه أن يضعف اطروحته ...

وهكذا فبعد أن أكد الاستاذ الشاطري وجود رحلة منتشرة بين الناس تسمى ( رحلة المغربي ) تشتمل على وصف لحضرموت في القرن التاسع تقريباً ... ويشير فيها صاحبها الى الاكتفاء الذاتي والوضع الاجتماعي ، بعد ذلك يطرح هذا السؤال : هل الرحلة المغربية حقيقية أم رواية خيالية ؟ ثم يتولى الشاطري نفسه الجواب ، فيذكر ان الناس اختلفوا ، فمنهم من قال بأن الرحلة حقيقية ، وان نصوصها رحلت من المغرب بواسطة أحد الاشراف الادارسة الى حضرموت<sup>(١٤)</sup> ، لكن في الناس - يتابع الشاطري كلامه - من قال : ان واضعها هو السيد حسن بن علوي ابن شهاب وانه جعلها على لسان المغربي ليكون محتواها أدعى لقبولها ! ويضيف الشاطري الى هذا ان الاستاذ محمد بن هاشم<sup>(١٥)</sup> - رحمه الله - أخبره بأن السيد حسن بن علوي ابن شهاب أخبره بأنه هو الذي وضعها !! لكن الشاطري - بالرغم من كل هذا استند الى الرحلة

فيما نقله عن الاكتفاء الذاتي ... وعن الوضع الاجتماعي واختتم تعليقه كما ابتدأه ، أي انه يريد أن يجمع بين بعض المعلومات التي تتضمنها الرحلة وبين ما رواه عن ابن هاشم ...!! قال بالحرف : ويدل الغموض والإجمال والمبالغة في بعض الجوانب على انها موضوعة لكن من أحسن ما قال مؤلفها فيها عن السلف الصالح بتريم أنهم بالملائكة أشبه ...! وقد دفعني الفضول الى ملاحقة السيد حسن بن علوي ابن شهاب ، فمن يكون هذا السيد الذي قالوا عنه : انه واضع الرحلة ؟ يحكي عنه أهل تريم انه كان من رجالات العلم ، وانه كان من المدرسين برباطها أي معهدا العلمي الشهير ، قبل أن ينتقل الى سنغافورة ...

وقد أنشأ له هناك في سنغافورة جريدة سماها ( الوطن ) ، وأنشأ رسالة وجهها الى أهل حضرموت يطالب فيها بتطوير التعليم سماها ( نحلة الوطن ) فأثارت ضجة كبرى في الأوساط الحضرمية المحافظة وعارضه المشايخ فكتب بعضهم رسالة أسماها : إتحاف أهل القبلة في الرد على صاحب النحلة ... وعلى هذا وقع الرد بتأليف : « الانصاف بين النحلة والإتحاف » ...

قال بعضهم : ولما قرر ابن شهاب أن يعود في الاخير الى وطنه ( حضرموت ) فكر في طريقة يسترضي بها مواطنيه الحضارمة ، فوضع هذه « الرحلة » ونسبها الى مغربي مجهول قاصداً الى نشر محاسن السابقين ليكسب عطف اللاحقين !! وقد أدركه أجله في تريم عام ١٣٣٢ - ١٩١٤ .

وقد سألت الاستاذ بكير أمين مكتبة الاحقاف للمخطوطات عما يعتقد فاكفتني بإحاطتي على ما قاله هو في حديث له استشهد فيه بما ورد في كتاب ( أدوار التاريخ الحضرمي ) سالف الذكر ...

ولعل مما بث الشك في بعض الناس ما أورده الزركني في ترجمة ابن شهاب من انه نسب تاليفه ( الإنصاف ... ) الى أحد الأزهريين<sup>(١٦)</sup>! وعلى نحو ما اقترحه عليّ الاستاذ الجبشي في صنعاء ، قال الاستاذ بكير : الآن ونحن مع قاضي مغربي ، فإننا نرجو أن يساعدنا على ( تحقيق المناط ) حول الموضوع الذي انقسم الناس فيه على فئتين !!!... فعلاً كنت اقرأ هذا الخلاف على وجوه زملائي الذين كانوا يتحدثون اليّ !

وان في أبرز ما أطمعني في محاولة الاستجابة الى رغبة زملائي أن « المغربي » الذي دون الرحلة المذكورة عام ٨٦٥ - ١٤٦٠ م قام أكثر من مرة بمقارنات ومفارقات في بعض العادات بين المغرب وبين حضرموت ...

لقد أفاد ان والده كان على نصيب من العلم وانه سمع منه ذات يوم أثناء إملاء الدرس أشياء كثيرة عن حضرموت وبخاصة مدينة تريم ... التي تحتضن عدداً كبيراً من الاشراف العلويين أضفى عليهم والده وصفاً جميلاً وعلق بذهنه فكره مراراً في الرحلة ، فلقد قال الوالد عنهم : « إنهم

بالملائكة أشبه « ، ويظهر ان اغراق الوالد في وصف حضرموت وأهل حضرموت دفع بالولد الى أن يسأل والده : هل ما إذا كان دُونَ رحلته تلك ؟ وهو السؤال الذي أجاب عنه الوالد بنعم !

وقد كانت خيبة الولد شديدة عندما لم يعثر على نصوص الرحلة بعد وفاة والده !

وعندما سمحت ظروف الولد بالقيام بمناسك الحج ، قصد مدينة ( جدة ) ، وهناك أخذ يسأل عن الطريق التي يمكن أن توصله الى حضرموت وقد استفاد من المعلومات التي قدمها له أحد معارف والده . وانتظر السفينة الزاهية من ميناء جدة الى ميناء الشَّحْر ليأخذ مكانه ضمن الحجاج العائدين الى اليمن ... كان على المركب أن يخترق البحر الأحمر من الشمال الى الجنوب مروراً بميناء ( المخا ) ليجتاز مضيق باب المندب ثم ليقطع خليج عدن ويقصد ميناء الشَّحْر ... القريب من المُكَلَّا ...

وهناك أخذ يبحث عن أهل تريم التي كان يسمع بها من والده ... فتعرف على شخصين اثنين كانا مفتاحه للوصول على المدينة كان أولهما أحد أشرف المدينة ، وهو : محمد بن أحمد ... والثاني تلميذه الشيخ بافضل .

وقد ركز « المغربي » اهتمامه على السيين المذكورين ... وهنا قدم وصفاً دقيقاً للشريف الذي كان ذا تواضع وسكينة ... إن الحجاج كانوا يتسابقون لخدمته وتقديم القهوة والكعك له في الصباح ... ثم يتناهبون ما يفضل عنه تبركاً به ! وقد استيقظ المغربي ذات ليلة فوق بصره على الاثنين يتدارسان القرآن ، واستيقظ ثانية ليجد الاثنين على حالهما الأول فاستمر يقظاً يراقبهما حتى طلوع الفجر حيث اذن الشيخ بافضل وأم الشريف بالناس قبل أن يستأنف الاثنان مداواة القرآن ...

لقد أمضى الركاب سبعة أيام بين ميناء جدة وبين ميناء الشَّحْر ، ومن الغريب انه بالرغم من مرور كل تلك المدة على متن المركب ، فان المغربي لم يجرؤ على تقديم نفسه للسنيين المذكورين اللذين - بدورهما - لم يكونا فضوليين فيسألا الغريب عن اسمه وأصله ووجهته !

ولقد لفت نظر المغربي المتاع الذي يحمله الفريقان والذي لم يكن يتجاوز طرداً واحداً كانت الكتب أهم ما في ذلك الطرد الذي كان يحمله الشيخ بافضل على كتفه !

وتبع « المغربي » السنيين المذكورين حتى وصلا الى بيت في ذلك الميناء ، فدخله الشريف صحبة رفيقه من غير أن يلتفتا معاً الى هذا المغربي !

وقد وقعت عين المغربي على مسجد قريب من البيت فقصد واستراح بصحنه ، فغشي النوم ... ولما استيقظ لمح الشيخ بافضل فاتجه اليه يسأله عن الشريف الذي كان هناك موجوداً بالمسجد ينتظر صلاة الظهر ... وبعد أداء الفريضة سمع رجلاً يقول للشريف : هيا بنا

نعود للبيت ، فعرف ان هذا الرجل هو صاحب البيت ... وهنا سأله أحدهم : متى وصلتم الى الميناء ؟ فاجابه بأنه جاء مع مولانا الشريف ومع الشيخ ! فوجهت له الدعوة ليصحبهما الى البيت ، فلبى الطلب ، وسره جداً أنه عندما وقعت عليه عينا الشريف تبسم له وقال : أهلاً بصاحبنا في السفر !! وهنا جرؤ المغربي على مخاطبة الشريف بقوله : وسأرافقكم الى تريم ..! وكانت فرصة أن يحكي المغربي عن رحلة والده وعن أمنيته هو في أن يقف على ما وقف عليه والده ... فاجابه الشريف : تظفرون بما أملتم إن شاء الله ..!

ولما كان في حديث خاص مع الشيخ بافضل أخبره بأنه يحج لأول مرة اداءً للفرض ، وهنا سمح « المغربي » لنفسه أن يلقي سؤالاً على بافضل : وهل ان هذه هي حجتة الاولى ؟ فاجابه الشيخ بأنها ليست حجتة الاولى ، وانهم يحجون هذه المرة نيةً عن غيرهم في مقابلة اجرة تسلمها ، فسأله المغربي عن قدر تلك الاجرة ، فاجابه : بأن الشريف استؤجر للحج والزيارة بحصة من العملة الرائجة حدها الشيخ بافضل للرحالة المغربي العدد والنوع والوصف ... أما غير الشريف فإنما يتقاضى تقريباً نصف ما يتقاضاه الشريف عدداً ونوعاً ووصفاً على ما سنقرأه في النص ...

لقد أقاموا بميناء الشَّحْر أربعة أيام قبل أن يقصدوا مدينة تريم مع قافلة من الجمالة ... وكان عليهم أن يقطعوا اسبوعاً كاملاً قبل أن يصلوا الى محطة بضاحية المدينة حيث بعث الشريف من أخبر أهل تريم بمقدمه ... وهنا توالى وفود الأشراف الذين كانوا يتهافتون عليهم طالبين منهم الدعاء ...

وقبل الوصول الى بيت الشريف اقترح الشيخ بافضل على « المغربي » أن ينزل عنده فاجابه المغربي بأنه يفضل أن ينزل في مسجد قريب من بيت الشريف ... وهنا أرسله صحبة غلام له الى مسجد بني أحمد ...

وفي مسجد بني أحمد هذا أخذ المغربي فكرة عن اهتمامات أهل مدينة تريم عندما ظلت عينه لا تقع إلا على العابدين الذاكرين ... وهنا ذكر ان كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي كان من بين المواد المتناولة ... وهناك تذكر من جديد قوله والده : « إن أهل تريم بالملائكة أشبه ! » .

وقد كان المغربي يعتقد ان هذه المجالس ستنتهي بصلاة العشاء ، لكنه فوجيء بأن الامور عادت الى ما كانت عليه من دروس وغيرها ... وقد ورد عليه الشيخ بافضل يطلب اليه أن يلتحق ببيت الشريف لتناول ما تيسر ، فاجاب المغربي بأنه جاء الى تريم ليمتع نفسه بمثل هذه المشاهد ، فافهمه الشيخ بأن في هؤلاء الناس من لا يعود الى بيته إلا بعد أن يصلي الضحى ..! ودخلا البيت الذي كان يضم بعض الأشراف وهنا حضر الطعام ... الذي كان يتألف من : خبز الذرة مع بعض المرق . وقد أفهم الشريف ضيفه المغربي بأن الإقامة في تريم لا تصفو إلا

بالقناعة وميسور العيش ، كما تحدث اليه عن وجود رجال في تريم يطوون الاشهر لا ينقون فيها غير الاسودين التمر والماء !!  
ويعد أن خرج الجميع استأننت - يقول منشئ الرحلة - الشريف في العودة الى الجامع فأجابني : إن أردت أن لا تنام فانهب الى المسجد !! فعلاً ظل المسجد حياً بمن فيه من المُبَاد والمُتَبَتِلين الذين لا يفتأون يترددون على المسجد بمصائبهم ومصاحفهم ... وهنا نذكر مرة أخرى قول والده : « انهم بالملائكة أشبه » !!

ان المسجد في حركة دائمة ، وما تنتهي حلقة إلا الى حلقة اخرى ... وأخذ المغربي يتساءل : هل هناك مسجد على وجه الارض على نحو هذا المسجد ؟!

وقد قدر للمغربي أن يحضر مظهراً آخر من الحياة الاجتماعية مما يعبر عن مركز الاشراف هناك . لقد وقع الاعلان في المسجد عن وفاة أحد رجال الفضل بالمدينة ... وطلب من الناس أن يقرأوا الفاتحة على روح الشريف أحمد بن أبي بكر ... وصدر الامر لأحد الحاضرين يحمل اسم عبدالرحمن بأن يسرع الى المسجد الذي كان يؤم فيه ذلك المتوفى ... ويطلب الى الحاضرين أن يقدموا للصلاة بهم الشيخ بأغشير في انتظار أن يعين لهم إمام جديد ... وكان أحمد بن أبي بكر هذا يؤم بالناس الصلوات الخمس في مسجد من مساجد آبائه ...

وقد لاحظ الرحالة المغربي أن أداء صلاة الصبح أيضاً لا يعني انصراف الناس لمشاغلتهم اليومية ! ولكنه يعني بداية نشاط علمي جديد .. فقد افتتح مجلس لتدريس شمائل الإمام الترمذي ولم يتوقف الشيخ عن درسه إلا للاستعداد للذهاب لتشيع جنازة الشيخ أحمد ابن أبي بكر ...

وقد أخذ الشيخ بافضل ضيفه « المغربي » الى بيت الشريف لتناول الفطور الذي كان يتألف من القهوة وخبز الذرة . وذهب المغربي صحبة الشريف لحضور الجنازة ... وهنا شاهد عادات خروج الجنازة ، ولاحظ كيف ان الأسرة تهيمن على مشاعرها فلا نواح ولا صياح وإنما هو الاستسلام لقضاء الله ... وقد أمكنه مع هذا أن يحضر ما يمكن أن نسميه حفلة التابين ...

فقد قام شاب من الاشراف لا يتجاوز سنه السابعة عشرة وهو الذي كان قد صلى بالناس ... وذكر أن خاله السيد أحمد بن أبي بكر انتقل الى جوار ربه ، وهو الذي عهد له بأن يصلي بالناس عليه ... وطلب منه أن يطلب من الحاضرين الدعاء والمسامحة وأنه يوصيكم بتقوى الله ... وأضاف الى هذا نصيحة توجه بها الى أهل البيت خاصة : وهي ان يبتعدوا عن مخالطة أصدانهم ... وقد حرص « المغربي » على أن يأتي بالنص الكامل لهذه النصيحة التي وجد فيها ما يفسر السر في احتفاظ المدينة بخصائصها وفضائلها . ان مدار التربية على أن لا يخالط الصالح الفاسد ، وانه لكي تحقق هذه النصيحة يجب أن لا يهمل الآباء واجبه ويتركوا ابنهم يخالط أصداده . ولما جلس قام آخر ليُتَتَّى على

أهمية عدم السماح بمخالطة المرء لمن يشعر انه يفترق معه في الخصال والسلوك ..!

وفي طريقه الى الشيخ بافضل أدى وصفاً مختصراً لطريقة بناء البيوت في تريم بواسطة اللبانات المتكونة من التراب المخلوط بالتبن ... وقد جرى حديث بين المغربي وبين الشيخ بافضل في بيت هذا الأخير : سأل المغربي مستضيفه عن المذهب الذي يتبعه أهل تريم ... وعن طريقتهم في تربية أبنائهم ...

وهكذا فبعد أن أكد الشيخ بافضل لضيفه ان الطريق المتبع في البلاد ليس إلا المذهب المرتكز على كتاب الله وسنة رسول الله ، وقال له : انهم حريصون جداً على أن تُترجم أعمالهم عما يريدونه من أقوال : أي انهم يطبقون العلم على العمل ، أكثر من هذا وأحسن اننا سمعنا من الشيخ بافضل عن فكره التربوي الذي وجد فيه المغربي ما يدعو لتسجيله كاملاً ... ان الحضارة يربون أولادهم باحتفاظهم بهم في بيوتهم ويعملونهم بأفعالهم قبل أقوالهم ... وربما منعوا أولادهم من الذهاب الى حضور مجالس المدرسين الذين هم على غاية من الاستقامة والكمال خوفاً عليهم من لقاء بعض أصدانهم أثناء الذهاب والإياب في الطريق ...

ويمناسبة تناول القهوة مع الشيخ بافضل ... سألته المغربي : عن المكان الذي تجلب منه القهوة ؟ فأجابته بافضل : بأنها من اليمن ... فسمح المغربي لنفسه بإلقاء المزيد من الأسئلة : وهل إن باقي المواد يوتي بها كذلك من اليمن ؟ فأجابته : لا ... ان أغلب ما نحتاج اليه هو من بلادنا إلا ثلاثة أشياء : الإبرة ، والموسى والكحل ... كل هذه البضاعات تأتيها مع الحجاج ... فسأله عن الثياب ؟ فأجابته : بأنها أيضاً من صنع اليمنيين ، بل انها تزيد عن الحاجة ، ولذلك فإن تجارنا يذهبون بها الى اليمن معاوضة بالبن . وهنا سأله المغربي عن الشبكة التي تُضرب في البلاد ويتعامل بها الحضارة في أخذهم وعطائهم ... فأجابته : ان أكثر المعاملة إنما تتم مقايضة بالقمح أو الذرة أو التمر ، ولم يكن بافضل أن هناك عملة مضرورية يتعامل بها ولكنها قليلة جداً ، وان بعض الناس فقط هم الذين يتوفرون عليها ، وهي تتميز بنقش فيها يحمل اسم الجلالة ، وهنا يضيف بافضل معلومة تتصل بالعملة الرائجة ( الريال ) على نحو ما سبق عندما كان يتحدث عن الاجور التي يتقاضاها اللذين يحجون نيابة عن غيرهم ... وعلى ما سئري في النص ... وسأله المغربي : وكيف السبيل الى تكسير الدينار ، فأجابته : لا وجود للدينار عندنا ...

وبعد هذا اتاحت الفرصة للمغربي أن يحضر مشهداً آخر لم يعتد حضوره ولا حتى السماع به : ذلك هو تنصيب الإمام الذي يعرض ذلك الإمام المتوفى الذي حضر جنازته ..

فعلماً راح صحبة الشيخ بافضل الى المسجد المقصود حيث حضر جمع غفير من الاشراف وغيرهم من المصلين ، وبعد أن تقدم أحد الاشراف فصلى بالناس الظهر ، قام أحدهم فأبّن من جديد أحمد بن أبي



يظهر فيما يراه أولادنا من أفعالنا اليومية ... وهم قد ينسون ما سمعوه بأذانهم ولكنهم لا ينسون ما شاهدوه بأعينهم ! والآباء والمعلمون عاجزون عن تحريك الناس للعمل ما لم يكونوا هم من أهل العمل ! وما نشاهده من الصلاح في أكثر إخواننا أهل البيت إنما حصل لهم من مشاهدة آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم الصالحين الذين تربوا بينهم .. لقد اعترف هذا المغربي بأن هذا الكلام أخذ منه مأخذه ، وأنه لم يتمكن هو من كتابته ولكنه اعتمد على أحد الحاضرين فنسخه له ... ثم تقدم المغربي الى هذا الاستاذ الفتى وأخبره بأنه قدم من الحج مع الشريف محمد بن أحمد ..

وهناك لقطة لا بد أن تثير انتباهنا : تلك أن « المغربي » طلب الى هذا العالم الشاب أن يجيزه ، فقد دأب العلماء المغاربة من قديم على أن يطلبوا اجازات من المشايخ في المشرق على ما سنرى ...

وقد عاد اليه الشيخ بافضل قبيل صلاة المغرب فاطلمه « المغربي » على ما سمع في هذا الدرس ، ثم ترجمه في أن يجد له سكناً ولو باجرة ... وهنا دله على ( بويرة ) يمتلكها رجل طاعن في السن ، كان يعرف جيداً الشريف محمد بن أحمد ، فوجد في المغربي نعم الانيس ! وانتهى بهما الحديث الى النوم حتى إذا اقترب الفجر خرجا الى المسجد على عادة الناس في المدينة ... وبعد الصلاة حلق الحاضرون على الامام ليتلقوا درسه في احاديث ( منهاج العابدين ) للامام الغزالي ...

وبعد العودة الى المنزل سأل المغربي صاحب البيت عن ذلك الشيخ ؟ فقال له : انه ( باعبيد ) ممن يقومون الليل في ركعة واحدة ... ولم يلبث المغربي أن ذهب عنده لداره فتعرف عليه عن كتب حيث سمع منه ما ذكره مرة أخرى فيما رواه عن والده عن أهل هذه البلدة : إنهم بالملائكة أشبه ! وهنا سأل الشيخ باعبيد عن والده ومتى زار تريم ؟ فاجابه بأنه زارها منذ ثلاث وثلاثين سنة ... فسأله : وهل يؤن رحلته ؟ فاكده بالمعلومة التي سلف أن قدمها في بداية الرحلة ، وأن المخطوطة لم يُعثر عليها فيما خلفه والده ...

فماذا يمكن أن يخطر على البال في أمر « المغربي » الذي وصفه مؤلف كتاب ( صلة الأهل » بأحد علماء المغرب ونعتته مخطوطة الجبشي بالرجل الصالح ؟ لقد ظهرت لي بعض خيوط في بادئ الامر جذبتني معها فترة من الوقت ! فلقد عرفنا من خلال هذه الرحلة أن هناك رحلة سابقة لوالد المؤلف ... فهناك إذن رحلتان : رحلة هذا الولد ورحلة ذلك الوالد .

ومن خلال استعراض عابر لفهرس الرحلات المغربية ، لاح لي أن أقرب من يمكن أن تنسب اليه رحلة الوالد هو محمد بن سليمان بن داود الجزولي الذي نسب له ابن القاضي في ( لقط الفرائد ) رحلة قبل أن يتوفاه الله عام ٨٦٣ - ١٤٠١ هـ<sup>(١٨)</sup> ، بيد اني لم ألثب أن استبعدت هذا الافتراض ، فقد كان الرجل متصدياً للتدريس بالحرمين وأدركه أجله

بكر الذي - كما قال - مضت عليه اثنتان وخمسون سنة وهو محافظ على الجماعة ... لم يتأخر عن واجبه إلا لعذر شرعي ... ولقد قالت عنه اخته مريم بحضرة كثير من الشريفات : إن أخاها ما شيع قط اختياراً ! وأنه كان لا يعرف النوم في رمضان إلا إذا طلعت الشمس وصلى الضحى ! وأنه يستيقظ قبل الظهر فيتوضأ ويستأنف عبادته الى اليوم الموالي ! وإننا - يتابع ذلك الاحد كلامه - اجتمعنا هنا لتعيين واحد منكم يقوم بوظيفة الإمامة وفيكم الكفاية والأهل ، فاجابه أحد الحاضرين من الاشراف ، وهو عبدالله ، بقوله : ان المحافظين على صلاة الجماعة بهذا المسجد لا يقلون عن خمسة وعشرين من أبنائكم ، وفيهم تسعة من العلماء العاملين المدرسين ، فعينوا أنتم منهم من تحبون ... وأخذ القوم يتدافعون تلك الوظيفة حتى انتهى الامر الى القرعة ! فاقترعوا فخرجت القرعة على الشريف عبدالله ... وهنا قرئت الفاتحة وختم المجلس بالدعاء .

وقد رأى « المغربي » في هذه التسوية أمراً جديداً عليه فاخبره الشيخ بافضل بأن الوظيفة في بلاده تكليف يصحبه أجر معلوم ... ويقصد المغربي مسجداً آخر لينتظر فيه الشيخ بافضل ، وهنا يشهد لقطة أخرى تمثل نشاط الحياة العلمية في المدينة ، ويتعلق الامر باستاذ لا يتجاوز الخامسة عشر من عمره يتصدر حلقة فيها المراهقون والكهول والشيخوخ ... وأمامه من نُسبته في المغرب « بالسارد » أو النقيب كما يسميه ابن الجماعة ... وكان هذا السارد بالصدفة شيخاً يسرد ما تيسر من الكتاب ويسكت ، فيتحرك ذلك البحر الخضم فيلقي ما يلقي ...

ويحكي هنا عن حادثة وقعت في أعقاب هذا الدرس ، فقد رفض أحد الحاضرين شرب القهوة التي قدمت اليه رغم حبه لها وذلك مجاهدة لنفسه وتربية لإرادته ! وتنتهي هذه الحادثة الى درس قوي في آثار الإرادة عندما تكون صادقة ... وإن المرء يجب أن يتخلص من عبودية أية شهوة أو نشوة ، حتى ولو كانت قهوة ، وحتى لو كانت قهقهة !

وقد كان من أروع ما نقله « المغربي » عن ذلك الاستاذ الفتى ... نظرية تربوية أخرى ذكرتني فيما نسمعه من مختلف المربين - كيفما كانت حيثياتهم - وعلى اختلاف أزمانهم ومراتبهم ومشاربهم عن الدور العظيم الذي يمكن أن تؤديه القدوة التي تُشاهد بالبصر وليست التي تسمع بالأذان ...

فلقد عرف ذلك الاستاذ الفتى كيف يقنع مستمعيه بأن عيون الصبيان - وليس آذانهم - هي المنفذ الواسع الذي يتلقى منه الصبي ، ويقول ذلك الفتى : ان ما يتعلمه الصبيان عن طريق المشاهدة من أفعال آبائهم وأمهاتهم وممن يختلطون بهم في صفرهم ينتقمون به انتفاعاً عظيماً أو يتضررون به ضرراً عظيماً وليس كذلك ما يسمعونه بأذانهم ، فإن ما يرونه عين يقلدونه إن خيراً فخير وإن شراً فشر - فصلاح أولادنا متوقف على ما يشاهدونه في بيئتهم الذي تربوا فيه ، وسلوكنا

بين أهله وبنيه هناك بمكة .

فلنرافق مصنف الرحلة لنتحسس خطواته ونقف عند أقواله :  
عندما وجد « المغربي » نفسه في مجلس عزاء لاحظ ان العادة في تريم  
تختلف عنها في المغرب ، فاهل الميت هناك صابرون محتسبون أما في  
المغرب فان الهلع يؤدي بالأهل الى أن يفقدوا أعصابهم ...  
فعلاً لقد تحدثت كتب النوازل الفقهية في المغرب عن هذه  
الظاهرة ...

ورد في كتاب ( المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل  
افريقية والانديلس والمغرب ) تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى  
الونشريسي المتوفى بفاس سنة ٩١٤ - ١٥٠٩ ، وهو معاصر لتاريخ  
الرحلة ، اقول أول ورد الحديث عن اجتماع النساء للبكاء على الميت  
بالصراخ ولطم الخدود<sup>(١١)</sup> ... ولقد فوجيء المغربي مرة أخرى وهو يحضر  
تنصيب فقيه يؤم بالمؤمنين في صلاتهم بأحد المساجد الكبرى بتريم ،  
فوجيء عندما سمع أن الأئمة هناك لا يتقاضون أجوراً وأنه يكفيهم أن  
تُجمع عليهم كلمة المسلمين .. ولم يفته أن يذكر أن الامر في بلده المغرب  
على غير ما رآه في حضرموت .

والواقع ان العمل أيضاً جرى في المغرب على أن يتقاضى الأئمة  
أجرة على ما يقومون به ، وقد حفلت كتب الفقه والنوازل ، على  
الخصوص بالقضايا التي تتصل بأجرة الإمامة والامام ... وقد تحدث عن  
هذا كذلك الامام الونشريسي سالف الذكر في أكثر من مكان من كتابه  
المعيار<sup>(١٢)</sup>.

وقد قرأنا ان مصنف الرحلة « المغربي » يبدي رغبته في الحصول  
على الاجازة ، وهنا تذكرت افادة جلييلة عن رحالة مغربي آخر ، هو أبو  
سالم العياشي الذي لقي الشريف محمد باعلوي الحضرمي بمكة عام  
١٠٦٤ - ١٦٥٤ وطلب منه الاجازة ، فاجازه الشيخ باعلوي بما عنده  
عن شيخه عبدالله بن علي عن شيخ بن عبدالله ، عن والده عبدالله بن  
شيخ عن عمه ابي بكر بن عبدالله العيدروس ، عن والده وعن عمه عمر  
المحضر ابني عبدالرحمن السقاف ... الخ .

أضف الى كل هذا ان التاريخ الذي تمت فيه الرحلة الى تريم  
( ٨٦٥ - ١٤٦٠ ) كان ظرفاً مرشحاً بالنسبة للمغاربة - للقيام بهذه  
الرحلة ، فقد غلب التصوف في تلك الفترة من التاريخ بعد أن سقطت  
سبتة في يد البرتغال عام ٨١٨ - ١٤١٥ ، ويعد أن صدر قرار البابا  
نيكولاس الخامس بتاريخ ٨ محرم ٨٥٨ - ٨ كانون الثاني ١٤٥٤  
الذي يخول فيه الاستيلاء على بقية السواحل المغربية<sup>(١٣)</sup>.

وقد داعبني الشعور بأن هناك تعمداً في إغفال الرحالة لإسمه  
ونسبه وبلده بل وفي إغفال التدقيق للأعلام الشخصية الواردة في  
الرحلة مما عبر عنه الشاطري « بالغموض والإجمال » : محمد بن  
أحمد - الشيخ بافضل أحمد بن أبي بكر - عبدالرحمن بأغشير - أحمد -  
عبدالله - الشريفة مريم - الشريفة نور بنت محمد - الشيخ باعبيد ..

وثمة عنصر آخر لم يمكن إغفاله ، ذلك هو تعلق المغاربة بالمشرق  
وخاصة بني عمهم ... من العلويين . وهكذا بدا أن منشئ الرحلة من  
المعبرين عن ذلك التعلق بالأشراف العلويين الحسينيين ( بضم  
الحاء ) الذين نزلوا حضرموت في نفس التاريخ تقريباً الذي نزل فيه  
أبناء عمهم العلويون الحسينيون ( بفتح الحاء ) بالمغرب<sup>(١٤)</sup>.

هناك نقاط كانت تغازلني للبقاء الى جانب الاطروحة التي تنسب  
الرحلة الى عالم مغربي بالرغم مما كان يطفو أحياناً على الاسلوب  
الإنشائي من كلمات عليها مسحة الحداثة مما ساكّل متابعتي للقارئ  
النبية الذي يعيش مع اسلوب الامس البعيد ، ويمارس اليوم تراكيب  
تستمد من روافد أخرى غير اللغة العربية : أجدني في أنس عظيم ..  
ويذُت أن يشرح لي - يا تزي هل - لملك تعبان ! حفلة التنصيب  
- الحقيقية - الزويق مال المركب ...

وأرجو أن أقول أيضاً انه لم يشوش علي التاريخ المتأخر  
للمخطوطات التي تتحدث عن الرحلة ، لاني افترضت انها قد تكون نقلت  
من مخطوطة من عشرات آلاف التي تعج بها هناك رفوف المكتبات العامة  
والخاصة ...

لكن كلمة واحدة في الرحلة هي التي أنهت صلاحية ( تاشيرتي )  
لمواصلة رحلتي ! كانت كلمة لا تتجاوز أربعة أحرف ، هي التي كانت وراء  
تحولي ، وليس ما نقله بعضهم بصيغة ( قيل ) و ( يقال ) من الافعال  
المنبئية للمجهول التي لا تتناسب ومنهاج البحث العلمي ...

وحتى لا أطيل على القارئ حول هذه الكلمة ذات الأحرف  
الأربعة ... أذكر انها لفظ ( ريال ) ... فقد ذكره منشئ الرحلة مرة باسمه  
وعده بل ونعته بالأشرفي ... ثم ذكره مرة ثانية عند حديثه عن السكة  
المضروبة في حضرموت !

ان اسم ( الريال ) لم ينسجم إطلاقاً في وجداني مع نعت  
الأشرفي ... ولكانما قرأت ( الدولار الأشرفي ) !!! إسم ( الريال ) انما  
ظهر حديثاً ، وان المعروف لدى سائر الذين يتتبعون تاريخ العملة سواء  
عند المغاربة أو المشاركة هو ان كلمة ( الريال ) لم تكن قد وجدت بعد  
في ذلك العصر ... فكيف ساغ استعمالها قبل تاريخ ميلادها بأكثر من  
قرنين !!

وكلمة ( الريال ) أولاً من أصل اسباني ( Réale ) ، وهو اسم أصبح  
يطلق في العالم الاسلامي ، في القرن الحادي عشر والثاني عشر  
الهجري - السابع عشر والثامن عشر الميلادي ، على القطع الكبيرة من  
العملة الفضية الاوربية التي كانت رائجة دولياً في ذلك التاريخ .  
وقد أطلق ( الريال ) أيضاً على التالر ( thaler ) الجرمانى الذي  
توالى إصداره الى القرن التاسع عشر ، وعلى الريال الفرنسي القديم  
( ÉCU ) ، وعلى السكودو ( SCUDO ) الريال الايطالي القديم .  
وفي القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر أخذ التالر المنسوب  
الى ماري ثيريز ( Marie- Thérèse ) النمساوي مكان سائر القطع

المنافسة وأصبح رائجاً في منطقة البحر الأحمر ، ولو أن كلمة ( الريال ) احتفظت بإسمها وبقيمتها كذلك .

وقد ظهر إسم الريال في النظام النقدي للبلاد الإسلامية المعاصرة في نهاية القرن الماضي : الحجاز واليمن والعراق وهو الاسم الذي كان يعطي للقطعة الفضية الكبيرة وقد كان شكله هو شكل ثالر ( ماري ثيريز ) سالف الذكر ..

وفي سنة ١٢٩٧ - ١٨٨٠ ظهر ريال في السوق من قبل سلطان زنجبار ( ZANZIBAR ) وفي بلاد فارس والبلاد المجاورة كذلك ، وكان عملةً يحسب لها حسابها ، حيث كانت العشرون ريالاً توازي جنيتهاً إسترلينياً في بعض الأوقات .

وقد عرف في الوثائق المغربية ريال ( بومدفع ) وهو نقد إسباني يحمل شعار ( أعمدة هرقل ) التي أخذها المغاربة ( ١٢٦٨ - ١٨٥٢ ) على أنها مدفع<sup>(٣٣)</sup> ... كما ظهر ريال ( بونون ) لأنه يحمل شعار الملك الإسباني ( ١٨٧٠ م - ١٢٨٧ هـ ) أميدي ( Amedée ) الذي كانت أذنه ظاهرة في الريال ، وكان هناك ريال يحمل اسم العاهلة الإسبانية إيزابيل ، ويسميه المغاربة ريال المرأة ! وفي النظام النقدي المغربي المسمى بالخسني ( نسبة إلى الملك الحسن الأول ) - ( أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ) كان الريال يعادل ما يسمى ( نورو ) عند الأسبان ، ويعني القطعة الفضية التي ضربت في أوروبا لحساب المغرب ، وكانت توازي خمس فرنكات أو بسيطات .

أوردت كل هذه المعلومات لأبرز أكثر أن كلمة ( الريال ) لم يكن لها وجود هناك في القرن العاشر الهجري ، ومن ثم فإن استعمالها في مصنفات سابقة لهذا التاريخ يدعو للتساؤل ...

وبعد هذا الحديث عن كلمة ( الريال ) ... لنعد إلى النعت بالاشرفي<sup>(٣٤)</sup> . أن الكلمة طبعاً نسبة إلى الأشرف ، فمن هو هذا الأشرف الذي قصده محرر الرحلة ؟ لا شك أن هذا المحرر كان يفكر في الأشرف اسماعيل ابن العباس الذي ولي سنة ٧٧٨ - ١٣٧٧ واستمر إلى عام ٨٠٣ - ١٤٠١ ... وقد كان من أهم ملوك الدولة الرسولية التي حكمت اليمن<sup>(٣٥)</sup> ...

واعتقد أن اختيار الأشرف هذا لتدعم به الريالات ، اختيار مرتجل أيضاً وإن نظرة عابرة على مصادر التاريخ اليمني ، وعلى المجاميع التي تهتم بالنقود والعملات والسكة ، لم تُرد جملة « واحدة » فيها - حسب علمي - عبارة « الريال الاشرفي » !! وإنما تردد الدنانير والأواقي واللكوك<sup>(٣٦)</sup> ، ومعنى كل هذا أن هذا النعت أيضاً يدعو للتساؤل ... وإن وقفنا أمام هذه التساؤلات التي تفرض علينا إتخاذ الموقف الذي تقتضيه الأمانة العلمية ... فإننا نشعر أن من واجبنا - من جهة أخرى - أن نعترف بالمجهود الذي بذله منشئ الرحلة في سبيل أن يقدمها إلينا على ما هي عليه ...

فعلماً كان مجهوداً رائعاً يستحق الوقوف عنده لانه يعبر عن فكر خصب كما يعبر عن ثقة في النفس ...

لقد كان على ذلك المنشئ أن يقرأ جيداً الفصل الخاص ببلاد اليمن من رحلة ابن بطوطة التي كانت قد ظهرت في مصر عام ١٣٨٨ - ١٨٧١ بعد أن صدرت ببازيس مصحوبة بترجمتها للفرنسية عام ١٨٥٨ م<sup>(٣٧)</sup> .

لماذا ابن بطوطة بالذات ؟ لأن هذا الرحالة المغربي كتب الكثير عن المنطقة وتحدث مثلاً عن « الذرة » مرتين كمادة غذائية هناك ... ومن هنا جاءت الفكرة لمنشئ الرحلة بأن يفكر في تقديم الذرة كصحن من الصحن المعروفة في حضرموت ...

ونحن نتحدث عن الطعام ، لا بد أن نلتفت إلى كلمة ( كك ) الواردة في الرحلة المغربية والتي كان لها وجود أيضاً في رحلة ابن بطوطة ، على نحو ما كان لكلمة ( الدويرة ) وجود كذلك .

ولم يكن هذا هو الاقتباس الأول والأخير من ابن بطوطة ، فإن هناك اقتباساً آخر يتصل بتعلق المغاربة بالمنطقة ... وتجذر تلك الصلات ، فقد وجد ابن بطوطة أن هناك - منذ القدم - نقاط لقاء عديدة بين أهل المغرب وتلك الجهات<sup>(٣٨)</sup> ...

وبالإضافة إلى كل هذا فإن الحديث عن سلوك الحضارة واستقامتهم وزدهم واكتفاءهم باليسير كل هذه لقطات لم يهملها ابن بطوطة !

ولكن هل لم يلتفت منشئ الرحلة لغير ابن بطوطة ؟ اعتقد انه استوحى أيضاً من رحلة يوسف بن عابد الإدريسي الفاسي ... فقد تحدث ابن عابد عن السبب الذي دعاه إلى المجيء إلى حضرموت وإن والده رحمه الله كان وراء ذلك التوجيه ... وكما تأثر « المغربي » الذي زار تريم ، فقد رأينا ابن عابد هو بدوره يتأثر من تلك المجالس العلمية .. وإذا كان ابن عابد أشار إلى وجود بعض الأتراك في المجالس العلمية فإن منشئ الرحلة - وهو فطن جداً - كان يعرف أن الأتراك لم يكن وقتهم للوصول إلى اليمن في الوقت الذي رتب فيه رحلته ... على أن هناك ظروف عيد الأضحى وملابساته في هذه الرحلة أو تلك مما لا يخفى على القارئ الذي يقارن بين الرحلتين ...

وماذا عن اختياره لكتب أبي حامد الغزالي كمادة للدرس آنذاك ؟ أعتقد أن كاتب الرحلة كان يتوفر جيداً على ما كتبه الإمام الشلبي في كتابه ( المشرح الروي ) الذي عرّفنا بأن تأليف الإمام الغزالي كانت في صدر مراجع الإمام العبدروس علاوة على ما سجلته أيضاً رحلة يوسف ابن عابد ... وليس من الصدفة أن يختار منشئ الرحلة اسم الجامع العتيق في تريم : مسجد بن أحمد ، وليس بأعلوي ، حتى يضفي صبغة القدم على مرويياته !!

وقد نجح منشئ الرحلة في رسم صورة للمنافسة التي كانت بين حضرموت والجهات الأخرى في اليمن وخاصة أواسط القرن التاسع ،

عندما كانت تسجل بعض الاحتكاكات والمواجهات على ما تؤكد نفسه المصادر اليمنية .

والحديث عن « القهوة » الذي ورد مراراً وتكراراً كان يقصد الى إبراز أن المنطقة كانت على ذلك العهد من هواة القهوة ، ويكفي أن نعرف أن الامام العيدروس كان من هواة هذا المشروب<sup>(٢٩)</sup>... وبما أن « وصول » المغربي الى تريم كان يصانف وفاة العيدروس فلا بد أن يجد المدينة وهي ما تزال تحتفظ بما كان في أيام العيدروس !

ومن جهة أخرى فإن ( القهوة ) التي لم تكن معروفة في المغرب آنذ ، لا بد أن تلتفت نظر ذلك « المغربي » اليها والى شاربها ولا بد في التالي من تكرار ذكرها ... لأنها بالنسبة اليه جديدة .

وفي هذا الصدد أذكر بأنني على مثل اليقين من أن صاحب التأليف أطلع أيضاً على رحلة أبي سالم العياشي الذي عبّر عن استغرابه من تناول أهل مصر للقهوة مع انها « ليست طعاماً ولا نواء ولا مما يشتهي ! » على حد تعبير العياشي في رحلته<sup>(٣٠)</sup>...

وان حديث « منشيء الرحلة » عن عادة المغاربة في نواح نسائهم على الميت ... وعادتهم في أدائهم الأجرة للأئمة الذين يؤمنون بالناس ... أقول : ان ذلك الحديث إستقاه ، بدون شك ، عن طريق قراءة كتب النوازل التي أشرنا اليها ، والتي كانت منتشرة في المشرق أيضاً ، علاوة على ما نعرفه عن الهجرة المبكرة لبعض المغاربة من أمثال الهاشمي التونسي الى تلك المناطق ، ممن كانت لهم صلة بباقي المهاجرة من الجهات الاخرى وخاصة منهم الحضارمة<sup>(٣١)</sup>.

ومن المجهود المبذول من طرف منشيء الرحلة حديثه عن التاريخ الذي صادفه بتريم يوم ١٤ محرم ٨٦٥ وكان يوافق خريف ذلك العام ( ٣٠ ت ١٤٦٠ ) ، لقد كان ذكياً في اختيار ذلك التوقيت أيضاً ، وقد ان موسم الحج ينتهي حوالي منتصف شهر ذي الحجة ، وهو الوقت الذي أزمع فيه على الرحيل نحو حضرموت ... بحيث لم يكن هناك وقت ضائع ...

وقد أثار انتباهي في الرحلة ذلك ( السيناريو ) الذي اخترعه منشيء الرحلة ليحكى لنا قصة الشيخ أحمد بن أبي بكر الذي تناول لحم العيد فشوش على بطنه ولازمه المرض الى أن التحق بربه ..! لقد كانت القصة على العموم محبوبة بشكل مقبول ، وان منشئها ليستحق التنويه عليها وخاصة في اتقانه التعبير عن تقدير المغاربة لتلك الخصال الحميدة التي يتوفر عليها أهل اليمن ، كما وإتقانه التعبير عن شعور أهل حضرموت إزاء ذلك المغربي الذي زار بلادهم على نحو ما حكاه ابن بطوطة الطنجي وهو يشيد بعطف اليمنيين على الغريب أو على نحو ما سيحكيه ابن عابد القاسي وهو يثني على أريحية الحضارمة ...

وبعد فلقد كانت « الرحلة » اضافة جميلة وفريدة لأدب الرحلات في المشرق والمغرب ، ولأدب ( المقامات ) الذي دشنه الهمداني ...

## النص الكامل للرحلة مع التعليقات

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه رحلتي الى مدينة تريم<sup>(٣٢)</sup>، اختصرتها غاية الاختصار ، وقد رحل قبلي الى هذه المدينة المباركة مدينة تريم ، والذي رحمه الله ، إلا أن رحلته كانت وأنا في سن الطفولية<sup>(٣٣)</sup>، فلما ترعرعت وصرت أحضر دروسه سمعته ذات يوم يذكر رحلته الى حضرموت<sup>(٣٤)</sup> ويخصص بالذكر بلداً هناك إسمها تريم ، وقد أغرق ذات يوم من الايام في وصفه لما عليه الاشراف أهل البيت الطاهرين من العلم والعمل الساكنين بتريم حتى ختم وصفه بقوله : انهم بالملائكة أشبه ! فآثر كلامه معي ، وصرت كلما سذحت فرصة عاودته عن أخبار رحلته ، وقد قلت له يوماً : لو دونتم رحلتكم ؟ فقال لي : قد دونتها ، وما أتت عليه - بعد ذلك - إلا مدة يسيرة وفارق الدنيا ، رحمه الله ، ولقد فتشت بعد موته على تلك الرحلة فلم أعرث عليها ، غير ان وصفه لأولئك الاشراف الطاهرين المطهرين لا يزال يطن بأذني ، ومراراً كثيرة يخطر ببالي أن أرحل الى تلك المدينة لزيارة من بها من العلماء والاولياء من أهل البيت النبوي ، حتى عزمتم على أداء فريضة الحج وزيارة الشفيع الاعظم ﷺ ، وتوجهت الى الحرمين الشريفين وحججت وزرت قبره ﷺ ورجعت الى بندر<sup>(٣٥)</sup> جدة ، وسألت عن حضرموت وكيف الرحلة اليها ، فاحسن لي بعض معارف والذي فأرشدني الى كيفية الرحلة اليها ، فصممت حينئذ عزمي على الرحيل ، الى بلد تريم ، وبعد أيام حضرت الساعية<sup>(٣٦)</sup> الذاهبة الى بندر الشحر<sup>(٣٧)</sup> وعبرت فيها مجاناً ، فلما كنت في الساعية بين الحجاج العائدين الى اليمن وحضرموت ، أخذت أسأل عن أهل حضرموت وأذكر تريم فدلني أحد الحجاج من أهل الشحر على رجلين هما من مدينة تريم : أحدهما من الاشراف اسمه محمد بن أحمد والثاني تلميذه الشيخ بافضل<sup>(٣٨)</sup>، فجنّت اليهما وتعرفت بهما وأخذت في مراقبة حركات ذلك الشريف وسكناته ، فعرفته رضي الله عنه جالساً في موضعه ، لا ينتقل منه إلا لقضاء حاجته ، ورأيت مفترشاً حصيراً ومعه شملة<sup>(٣٩)</sup> سوداء خفيفة ، رأيت يتوضأ من ابريق معه كان من الخزف ، رأيت في الصباح يشرب قهوة<sup>(٤٠)</sup> كانت أنيتها من خزف أيضاً ، رأيت الحجاج في الصباح يقدم له بعضهم كعكاً<sup>(٤١)</sup> ناشفاً ، فيأخذ منه يسيراً ، ثم يتناهب الحجاج فضله للبركة بشوّه .

قمت ليلةً من الليالي ، فوجدت الشريف جالساً والشيوخ بافضل امامه ، وهما يتدارسان القرآن عن ظهر قلب ، فعدت ونمت ، ثم استيقظت فوجدتهما على حالتهما الاولى فراقبتهما حتى طلع الفجر ، فأذن الشيخ بافضل للفجر فأسرعت فتوضأت ، وصلينا خلف الشريف مع كثير من الحجاج ، ولا تسال عن رقة صوته ، وعن حسن صلاته ، وبعد ذلك مكث الشريف وصاحبه الشيخ بافضل يتدارسان القرآن حتى طلعت الشمس ، أما الشريف فقام يصلي ، وأما الشيخ بافضل فقام ليعمل قهوة ، فذهبت اليه وساعدته حتى قدمتها بيدي الى المولى الشريف ، وشرب منها ما تيسر وتناول مما قدمه الحجاج من الكعك ، وقد مرّت علينا سبعة أيام بالبحر ، ويوم الثامن أرسيت بنا السفينة في مرسى بندر الشحر وكنت في خلال تلك المدة أتمنى أن يسألني الشريف أو الشيخ بافضل عن إسمي وعن إسم بلادي أو الى أين أقصد ؟ فلم يكن شيء من ذلك ! فتذكرت وصف والذي رحمه الله لأولئك الاشراف حيث قال : إنهم بالملانكة أشبه ! فوصل الى الساعية أرباب الزوارق فسمعت الشريف يقول للشيخ بافضل : استأجزلنا زورقاً إجارةً صحيحة ، إلا أن زيان الساعية ، أحسن الله اليه ، حالاً تقدم الى الشريف فقال : ان القارب مال<sup>(١٢)</sup> الساعية حاضر لتعبروا عليه الى الساحل معنا ، فتفضلوا ، فقام الشريف وأخذ الشيخ بافضل ما معه ، وما مع الشريف من المتاع ، ولكن أتدري ما هو ذلك المتاع ؟ هو زنبيل<sup>(١٣)</sup> فيه كل ما معهما من أنية وفراش وكتب وزاد ، جعله الشيخ على كتفه وأنزلوا ، ونزلت أنا خلفهم بإجارة ريان الساعية أحسن الله اليه ، فلما أوصلنا الى الساحل ، تقدم الشريف يمشي وتبعه الشيخ بافضل وزنبيله على كتفه ، فودعهم ريان الساعية ، وطلب منهما الدعاء ، فتقدم الشريف يمشي وتبعه الشيخ بافضل وتبعتهما حتى وصل الشريف الى بيت فدخله ودخل الشيخ بافضل ، ولم يلتفتا إلي ! فنظرت يميناً ويسرة فوقع نظري على مسجد كان قريباً من ذلك البيت ، فقصدته ونزلت برحبته ، فاضطجعت وغشيتني النوم ، فلما استيقظت رأيت الشيخ بافضل داخل المسجد ، فذهبت اليه ، وقال لي : أنت هنا ؟ فقلت له : أين الشريف ؟ فأشار اليه داخل المسجد ، فأتبعت بصري وإذا بالشريف قائم يصلي ، فأسرعت وتوضأت هناك من ماء مالح<sup>(١٤)</sup> ، وبعدها أذن المؤذن لصلاة الظهر ، واجتمع الناس وأقيمت الصلاة ، فطلب إمام المسجد من الشريف أن يتقدم فامتنع<sup>(١٥)</sup> ،

وقضينا الظهر الى أن خرج كل من في المسجد إلا الشريف والشيخ بافضل صاحبه ورجلان من أهل البلد ، فتقدم أحدهما الى الشريف ، فسمعته يقول له : هيا تفضلوا نعود الى البيت ، فعرفت أنه رب البيت الذي نزل به الشريف ، فوثب الشريف ووثبوا كلهم ، ووثبت أنا معهم ، فتقدم إلي أحد الرجلين أحسن الله اليهما ، وقال : متى جئتم البنندر ؟ فقلت له : بصحبة مولانا الشريف ، فقال لي : تفضل علينا ، فقامت وتبعتهما حتى وصلنا المحل المهيئ لمولانا الشريف وعندما رأني مولانا الشريف تبسم في وجهي ، وقال لي : أهلاً بصاحبنا في السفر ! فسررت

حينئذ سروراً عظيماً واغتنمت الفرصة وقتلت فقلت له : وان شاء الله أكون معكم الى تريم لزيارة أمثالكم بها ، فقال : نية صالحة . وهل حدثت لكم الآن ، أم هي معكم من قبل ، فأخبرته بأن والذي رحمه الله ، قد رحل الى تريم ، وأخبرته بما تقدم وبما سمعته من قول أبي ، وأني لا أزال من ذلك الوقت وخاطري متحرك للزيارة ، فبشرني ببشارة عظيمة وقال : إن شاء الله تظفرون بما أملت ، ثم قال لي وللحاضرين : إني أعتاد ضجعة قبل الظهر وهذا اليوم لم أتمكن منها فاستأذنكم فيها ، فتحولنا الى مجلس آخر ، فقال لي الشيخ بافضل : معكم نية لزيارة أهل البيت بثريم ؟ فقلت له : نعم ، قال : وهل حججتم قبل هذا العام ؟ فقلت : لا ، وإنما حججت هذه السنة عن فرضي ، وهل حججتم أنتم قبل هذا العام ؟ فقال : نعم قد حججنا ، وهذه المرة حججنا بالإجارة عن غيرنا ، فقلت له : وكم في الغالب مبلغ الإجارة من بلدكم ؟ فقال : ان الشريف استأجر للحج والتسليم على جده بنحو خمس عشر ريالاً أشرفية<sup>(١٦)</sup> ، والفقر بنحو ثمانية منها ، فقلت له : وأين تكون هذه ؟ فقال : تكفينا لمؤنتنا ذهاباً وإياباً وزيادة ، وهنا وددت أن يشرح لي المؤنة بالتفصيل فأحجمت عن ذلك حياء ، وبالجمل فمدة إقامتنا ببندر الشحر أربعة أيام ، وبعدها توجهنا الى تريم مع الجفالة ، وكانت المسافة ما بين الشحر وتريم سبعة أيام ، إلا انها بمشي خفيف جداً ، وعشية يوم الثامن وصلنا محلاً خارج البلد ، ومنه بعث الشريف بشيراً الى تريم يخبر أهله بعودته ، وبعد برهة يسيرة تلقانا الكثير من الأشراف وغيرهم ويطلبون منا كلاً على حديثه الاستغفار والدعاء ، وعرجنا على المقبرة لزيارة شريف منهم يدعى بالشريف المقدم ، فزرناه فقط ، ومن المقبرة الى بيت الشريف محمد ، وقبل أن نصل اليه قال لي الشيخ بافضل : تنزل عندي ؟ فقلت له : أنزل في أقرب مسجد الى بيت مولانا الشريف ، فقال لغلام : اذهب بهذا الى مسجد بني أحمد<sup>(١٧)</sup> ، فتوجهت مع الغلام حتى المسجد ورجع الغلام ، ودخلت أنا المسجد والوقت قبل المغرب ، وأخذت أطوف في أنحاءه فعرفت محل الوضوء وغيره ، وكانت معي حقيبة صغيرة ، فيها بعض متاعني ، وما أحتاج منه مما لا بد منه فوضعتها أمامي ، وجلست حتى أذن المؤذن لصلاة المغرب فأقبل الناس أفواجاً أفواجاً وأقيمت الصلاة ، وبعد أن فرغنا منها صليت ركعتين وأخذت أنظر من في المسجد من الأشراف ، فإذا بعضهم قائم وبعضهم ساجد ، وبعضهم جالس ، مستقبل القبلة ، ورأيت في ناحية من المجلس قوماً يدرسون القرآن عن ظهر قلب ، ثم رأيت تلامذة مصطفين ينتظرون استاذهم للتدريس ، فجاء الاستاذ وشرع في الدرس يقرأ لهم في إحياء الإمام الغزالي<sup>(١٨)</sup> ، ويقرر لهم تقريراً دقيقاً جداً ، ثم دقت النظر فيمن في المسجد فرأيت الجميع على نهاية من الأدب وما رأيت أحد قد يتكلم مع آخر ، بل كل منهم في شغله مشغول بربه ، وعندئذ تذكرت ما قاله والذي رحمه الله ، انهم بالملانكة أشبه ! وبينما أنا على هذه الحالة وإذا بمؤذن العشاء وبعده بعدة وجيزة أقيمت الصلاة ، وتقدم الإمام وأحرم بصلاة العشاء فغشيتني من الهيبة والجلال



ما غشيني عندما سمعت تكبيرة الاحرام ، وقد قرأ في الاولى سورة ق ، وفي الثانية المزل ، ولا تسأل عن حسن تلك القراءة وتأثيرها في القلوب ، وما فرغنا من صلاة العشاء وجلسة بعدها حتى عاد اولئك العباد وانتصبوا يصلون ، أما أنا فمكنت في محل اخر قاعداً أمتع بصري بروية اولئك الطاهرين المطهرين ، وبعد ذلك جاءني الشيخ بافضل وقال : هيا بنا لنأخذ ما تيسر في بيت مولانا الشريف وإنه أرسلني اليك ، فقلت له : إني جئت الى هذا البلد لمشاهدة اولئك العباد وأجديني في أنس عظيم ، ودعني انتظرهم حتى يفرغوا من صلاتهم لآلتهم بركتهم ، بلثم أكفهم الكربة ، فقال : قم وأحدثك خارج المسجد ، فقممت وخرجنا من المسجد ، فقال لي : إن في هؤلاء من لا يعود الى بيته إلا في الغد بعد أن يصلي الضحى ، ومثل هؤلاء في البلدة كثيرون ، وسترى في منزل الشريف من هو مثل هؤلاء وفوقهم ، علماً وعملاً ، فقلت له : هيا بنا ، فتقدم وأنا خلفه حتى وصلنا المحل المهيأ للجلوس فيه ، فسلم الشيخ بافضل ، ورد عليه أكثرهم ، وجلستا ، وقلت : لا بد وأن يستنكروني ، فيسألوا عني الشيخ بافضل ، فلم يكن شيء من ذلك ، أما المجلس فمفروش من الحصير المتخذ من خوص النخل ، وفيه نحو من عشرة من الأشراف ، ولا نسمع لأحد صوتاً كأنما على رؤوسهم الطير ، وقد وددت أن أسأل صاحبي الشيخ بافضل عن اسمائهم ، فحال بيني وبين سؤالي جلال المجلس وهيبته ويعدده حضر الطعام في قصعتين واجتمع الكل عليه ، وكنت قد اقتصر على القصعة التي تليني ، وهي من خبز طعام الذرة<sup>(١١)</sup> ، ولا أعرف بماذا كان إدامها لأنها مثرودة بمرقة لا لحم فيها ، فلما رأي المولى الشريف مقتصرأ على ما حولي ، قال لي : كل من هذه القصعة الثانية ، فامتثلت وأكلت منها وكان إدامها فيه حموضة ، وعندئذ قال الشريف مخاطباً لي : إن الإقامة ببلدنا تريم لا تصفو إلا بالزهد والقناعة بميسور العيش ، فأجابه أحد الأشراف ، كانت على رأسه خوذة<sup>(١٢)</sup> ، فقال : لو زهدنا حقيقة لما جمعنا بين إدامين ، وإنما الزاهد الحقيقي هو متبوعنا الأعظم ﷺ ، فقال آخر : الحمد لله على إتصالنا به ، والحمد لله على وجود رجال من أهل البيت هم موجودون اليوم بتريم يطوون الأشهر لا يذوقون فيها غير الأسودين : التمر والماء ! فسمعت واحداً منهم يقول : نعم ، نعم ، ولما رفعنا أيدينا عن الطعام تقدم الشيخ بافضل فاستاذنهم ليذهب الى بيته ، فاذن له المولى الشريف ، وبعده استاذن الجميع في الإنصراف ، وانصرفوا وبقيت أنا آخر القوم ، فقال لي الشريف : الى أين تذهب ؟ ان هذا المنزل هو مهياً للزوار الغريباء ، فقلت له : الى المسجد ، فقال لي : إن أردت أن لا تنام فانهض الى المسجد لأنك زائر ، فقلت له : إن شاء الله ، وانصرفت وأمر غلاماً يوصلني الى مسجد بني أحمد فأوصلني ورجع ، أما أنا فدخلت المسجد وقد تركت حقيقتي فيه ، فلما دخلته رأيت الذين فارقتهم فيه وهم على حالتهم التي تركتهم عليها وما بقي غير مصباح ضئيل نوره ، يصلي بالقرب منه رجل طويل متأبطاً مصحفاً ينشره تارة ويطويه

أخرى ، وحالاً أخذت أصلي بقدية<sup>(١٣)</sup> العشاء والوتر ، فلما فرغت من صلاتي اعتكفت وجلست ممثلة أنساً بمشاهدة اولئك الناس الذين أكرمهم مولاهم باصطفائهم لهم ، وأخذت افكر في نفسي ، وأقول : يا هل ترى يوجد في مسجد آخر في بلد أخرى ، أمثال هؤلاء ، ولكنني تذكرت وصف والدي رحمه الله لأهل البيت بتريم حيث قال : انهم بالملانة أشبه ! فقلب علي ظني انهم معدوموا النظير ، وبيننا أنا على تلك الحالة وفيما أظن قد مضى من الليل نصفه الاول ، وإذا برجل دخل الى المسجد فأسرج مصباحاً وبعده استقبل القبلة وانتصب مع المنتصبين وبعده جاء آخر ، وهكذا الى أن غص المسجد بالزحام وعاد المسجد الى حالته التي كان عليها ، ما عدا الاستاذ المدرس سابقاً ، وبعد أن أذن المؤذن للفجر الاول رأيت رجلاً دخل فتخطى الصفوف ، حتى جثى<sup>(١٤)</sup> بين يدي أحد الأشراف الشيوخ وأسرأ اليه كلاماً ورجع من حيث أتى ، فلما أذن المؤذن الأذان الثاني للفجر ركع القوم ركعتي الفجر تكلم ذلك الشريف وقال : إقرأوا الفاتحة للسيد أحمد بن أبي بكر ، فانه انتقل الى رحمة الله تعالى ، وبعده قال أحدهم : رحمه الله ولقد صليت العشاء البارحة خلفه ، ثم إن الشريف الاول قال : يا عبدالرحمن اذهب الى مسجدكم هناك ، وقل لهم : عمي يقول لكم ندعوا الشيخ باغشير<sup>(١٥)</sup> ، يصلي بكم صلاة الصبح ، وغداً سنعين لكم واحداً للإمامة ، وبعد ذلك أقيمت الصلاة وتقدم الإمام وصلى بالقوم فقراً في الاولى بغم يتساءلون ، وفي الثانية إذا السماء إنشقت<sup>(١٦)</sup> ، وانقضت الصلاة ولا أعرف فيما مضى من عمري اني صليت الفجر بوضوء المغرب إلا تلك الليلة ! وقد عددتها من بركتهم رضي الله عنهم آمين ، أما أكثر المصلين فقد لزموا أماكنهم حتى الإسفار فانفض أكثرهم الى صحن المسجد واصطفوا ، فعرفت ان هناك درساً ، وبعده بزمان يسير قام من الصف أحد الأشراف ، وجلس أمام التلامذة ، وشرع يقرأ لهم في شمائل الإمام الترمذي<sup>(١٧)</sup> رضي الله عنه ، ولا يذكره ﷺ ، إلا بقوله الحبيب الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، واستمر الدرس الى أن كادت أن تطلع الشمس فحتم الدرس بقوله : الى هنا نختم الدرس لاجل تشييع الجنازة ، وختم الدرس ، وبيننا أنا على حالتي ، وإذا بالشيخ بافضل قد أخذ بيدي ، وقال : قم ، فتناولت حقيقتي وخرجنا من المسجد الى بيت مولانا الشريف ، فلما دخلنا ، حالاً جلس الشيخ وجلست والتراب فراشنا ، فقال لي الشيخ كيف أنت ، وكيف بت ؟ وأخبرته بما كان لي ، وسألته عن الرجل المتأبط للمصحف يطويه تارة وينشره أخرى ، فقال : أما المصباح فيأتي به معه من بيته ويستضيء به لانه ربما أرتج عليه في القراءة ، ثم جاء غلام يحمل الينا قهوة وقطعتين من خبز الذرة ، وبعد أن شربنا وأكلنا قلت للشيخ بافضل أين مولانا الشريف ؟ فقال قد ذهب لتشيع جنازة بعض الأشراف فهل لك في التشيع ؟ قلت له : نعم ، ولكنني اريد أن أقضي حاجتي وأتوضأ ، فساعدني ، أحسن الله اليه ، وتوضأت وذهبت الى بيت المتوفى ، فوجدناه قد امتلا بالمشيعين يتلون كتاب الله عن ظهر قلب إلا القليل ،



حتى خرجت الجنازة يتقدمها رجل يخجر بالتهليل تارة ويسكت أخرى ، ومشى المشيعون ، وكنت منتظراً أن أسمع بكاء الباكيات والنائحات تبعاً لعادة بلدي<sup>(٤٧)</sup> ، فلم أسمع شيئاً من ذلك مطلقاً حتى وصلنا الجبانة<sup>(٤٨)</sup> ، وحالاً نودي للصلاة عليه فتقدم للصلاة عليه غلام شاب من الاشراف لا يتجاوز سنه السابعة عشر من السنين ، فلما سلم من الصلاة إنفعل وقابل القوم وقال : يا معاشر المسلمين ، لقد قيم على مولاه خالي السيد أحمد رحمه الله ، وقد عهد الي أن أصلي بالناس عليه ، وأن أطلب له منكم الدعاء والمسامحة وأنه يوصيكم جميعاً بتقوى الله ، ويوصيكم أهل البيت خاصة بالابتعاد عن مخالطة أصدادكم ويقول : اعلموا أن مدار التربية عليها ، وأنه لا يتخلف عن سلوك طريقة أهله الصالحين ، إلا من أهمل أبواه تربيته وتركاه يخالط أصداده ، وهذا ما عهد به إلي أن أبلغكموه وسكت ، ثم قام آخر ، وقال : تمسكوا بهذه الوصية ، وعضوا عليها بالتواجد تفلحوا تفلحوا تفلحوا ، ثم حملت الجنازة وشيعت حتى المقبرة ، ومكثنا هناك ما شاء الله ، وتفرق الناس ، وكنت ملتزماً للشيخ بافضل ، فلما وقع نظري على مولاي الشريف تقدمت اليه ولثمت يده وتأخرت ، وتقدم اليه الشيخ بافضل وسأره بكلام وتأخر وأمسك بيدي ومشينا معاً وقال لي : الآن اذهب بك الى منزلي ، حتى وصلنا بيت الشيخ بافضل وكانت بيوت بلدة تريم لاطئة بالأرض مبنية بالتراب المخلوط بالتبن<sup>(٤٩)</sup> ، فدخلنا بيت الشيخ بافضل ، وجلسنا فابتدري الشيخ بافضل بقوله : أهلاً بك وسهلاً كيف رأيت البلد ؟ فقلت : رأيت أهلها أهل البيت كما وصفهم والدي وفوق ذلك ، وهل لهم طريقة مخصوصة بهم في سلوكهم ومدونة في كتبهم ؟ فقال لي : إن طريقتهم الكتاب والسنة وتطبيق العلم على العمل ، وطريقتهم مدونة في أعمالهم وأفعالهم ويربون أولادهم باحتفاظهم بهم في بيوتهم ويعلمونهم بأفعالهم قبل أقوالهم ، ومعلومكم أنهم في بيوتهم مشغولون دائماً بربههم حتى من يخدمهم كانوا على غاية من الصلاح والاستقامة ، وربما منعوا أولادهم من الذهاب الى حضور مجالس المدرسين الذين هم على غاية من الاستقامة والكمال ، خوفاً عليهم من لقاء بعض أصدادهم حين الذهاب والإياب في الطريق ، فيسترقون من طباعهم . هكذا بلغت بهم المحافظة على تربية أولادهم لانهم علموا حق العلم ما في المخالطة من الخير والشر ، وأنت ستري بعينك ما يؤيد ما قاله والدكم ، وقلته لكم ، ونحن - والحمد لله - بينهم وفي بركتهم ونسال الله أن يرزقنا كمال الادب المرضي عند الله معهم ، فإن الادب المعلول لا يفيد صاحبه أبداً بل ربما عاد عليه بالضرر ، وهنا دخل علينا غلام معه القهوة فوضعها بيننا وذهب ، فتناولها الشيخ وجعلها في أنية صغيرة من خرف وناولني منها إناء واحداً ، وهنا قلت للشيخ : من أين يجلب اليكم البن ؟ فقال : من اليمن ، فقلت له : لعل ما تحتاجون اليه كذلك يأتيكم من اليمن ، فقال : لا ! وإنما هي القهوة فقط من اليمن ، وأغلب ما نحتاج اليه إنما هو من<sup>(٥٠)</sup> بلاننا إلا إبر الخياطة ومواسي الحلاقة وكحل العيون فيأتينا به الحجاج مع رجوعهم

من الحج ، فقلت له : وهذه الثياب تنسجونها هنا ؟ فقال : نعم وتزيد عن الحاجة فيذهب بها التجار الى اليمن فيبيعونها هناك بمعاوضة بالبن ، فقلت له : وأي ضريبة تتعاملون بها في أخذكم وعطائكم ؟ فقال : إن أكثر المعاملة هنا إنما هو بالحنطة الحمراء والحنطة البيضاء والتمر ، وتوجد هنا ضريبة بالتعامل بها ولكنها قليلة جداً ولا توجد إلا عند بعض الناس مكتوب فيها لفظ الجلالة ، ويقال : إن مائة قطعة منها تساوي ريالاً واحداً في اليمن<sup>(٥١)</sup> ، فقلت له : وكيف السبيل هنا الى تكسير الدينار ، فقال : لا وجود للدينار عندنا ولا نعرفه<sup>(٥٢)</sup> ، وعندنا عاد الينا الغلام ووضع بيننا إناء فيه تمر ، وأكلنا منه ما تيسر ، وبعد ذلك قال لي الشيخ : أولى لك أن تنام قليلاً فإذا جاء الوقت أيقظتك ، فقلت له : أحسن الله اليك ، وخرج من عندي واضطجعت وغشيتني النوم حتى عاد فأيقظني فانتهت وجلست وجلس هو أمامي ، وقال : قرب وقت الظهر فهل لك في الوضوء ؟ فقلت له : نعم ، فدلني على محله فتوضأت ، وعدت الى محلنا ، فقال لي الشيخ بافضل : ان الشريف الذي توفي وشيعنا جنازته اليوم كان إماماً للصلوات الخمس في مسجد من مساجد آبائه ، وسيجتمع بعض الاشراف الآن في ذلك المسجد وينصبون غيره لتلك الوظيفة ، فهل تحب أن تحضر وترى ؟ فقلت له : نعم أحسن الله اليك ، فقال : بسم الله نذهب الى ذلك المسجد ، فخرجنا من البيت وتوجهنا الى المسجد ودخلناه والمؤذن يؤذن للظهر فيه ، وبعد أن فرغ من الأذان أخذنا في صلاة التحية والراتبة<sup>(٥٣)</sup> ، وما فرغنا من ذلك إلا وقد اجتمع ناس كثيرون من الاشراف وغيرهم ، حتى اقيمت الصلاة وتقدم أحد الاشراف فصلى بالقوم الظهر ، ولما انقضت الصلاة ورايتها والناس جلوس تكلم أحد الاشراف الشيخوخ وقال : رحم الله أخانا أحمد بن أبي بكر ، فلقد مضت عليه اثنتان وخمسون سنة وهو محافظ على الجماعة بهذا المسجد ، وكان هو الإمام كما عرفتموه ، وما عرف انه تأخر عن ذلك إلا لعذر شرعي ، جاعني مرة وقال : أكلت يوم الثالث عشر من أيام التشريق لحماً فشوش علي في باطني واستمر معي ذلك التشوش نحو أربعين يوماً ، فأليت بعد ذلك أن لا أدوق اللحم مطلقاً !! وهو كما عرفتموه على جانب عظيم من الزهد في الدنيا ، والصبر على الفقر مع نهاية العفة ، فكانت اخته الشريفة مريم لا تفارق الوضوء إلا بالنوم ، ولقد أخبرت بحضرة كثير من الشرائف<sup>(٥٤)</sup> اللاتي أتيتها ضحوة هذا اليوم للتعزية به « أن أخاها أحمد ما شبع قط اختياراً وكان لا يعرف النوم في شهر رمضان إلا بعد أن تطلع الشمس ويصلي صلاة الضحى ويستيقظ قبل الظهر فيتوضأ ويقرأ القرآن من أوله الى سورة يوسف قبل أن يؤذن للظهر » . وإنا قد اجتمعنا الآن هنا لتعيين واحد منكم يقوم بوظيفة الإمامة في هذا المسجد وفيكم الكفاية والاهلية ، فاشكروا الله على ذلك ، فاجابه أحد الحاضرين من الاشراف بقوله : ان المحافظين على صلاة الجماعة بهذا المسجد لا ينقصون عن خمسة وعشرين من ابنائكم وفيهم تسعة من العلماء العاملين المدرسين فعينوا



بيتهم الذي تربوا فيه ، وصفاتنا تظهر في أولادنا فما يرون<sup>(٧٨)</sup> أولادنا من أفعالنا اليومية المختلفة تؤثر فيهم تأثيراً بليغاً وتبقى معهم زمناً طويلاً ، وإذا مات أبائهم فقد ينسون تعاليمهم التي سمعوها بأذانهم ولا ينسون أبداً ما شاهدوه بأعينهم ، والأباء والمعلمون وإن كان فيهم همة ، ومثلهم غيرهم ، فهم لا يقدرّون على تحريك الناس للعمل ما لم يكونوا هم من أهل العمل ! لأن الناس يميلون بطبعهم الى الاقتداء بمن حولهم في العوائد والاخلاق

وان لم يقصدوا ذلك<sup>(٧٩)</sup> ، وان كل من ينظر الى شخص فاسد لا يلبث أن يكتسب منه شيئاً يضر به ! فكيف بمن يخالط المفسدين ، وهذه الشريفة : نور بنت محمد فانها لم تدخل بيتاً من البيوت ولا ترددت على أهل إلا طهرت ما فيه وصيرت كلام أهلها جليلاً وقويماً ، وما ذلك إلا لاستقامتها التي جعلت لها هذا التأثير في القلوب ، وما نشاهده اليوم من الصلاح في أكثر إخواننا أهل البيت ، ومثله ما نسمعه فيمن تقدم عن آبائنا ، فإنما حصل لهم من مشاهدة آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم الصالحين الذين تربوا بينهم ، وأنت يا أخي إحتفظ ولدك من مخالطة من لا يليق به ولا بنا مخالطته حتى ولو كانوا من أبناء جنسنا الغافلين أبائهم ، المغرورين بنسبهم والمشغولين بما لا يفيدهم ، ونحن داعون لك ولولدك ، وسكت قليلاً ، وحالاً أذن المؤذن لصلاة العصر وأنا معجب غاية الإعجاب من ذلك الفتى الشاب المتجلبب بوقار الشيوخ وجلالهم وهيبتهم ، ولكن ما يصدر من أهل البيت النبوي لا ينكر ولا يستنكر ! ولعمري إنهم أهل لذلك وفوق ذلك ، إني سمعت ذلك الكلام ولم أتمكن من حفظه ، ولكن رأيت حينئذ من يكتبه من الحاضرين فطلبت منه أن يستنسخ لي منه نسخة وما قصر فكتب لي ذلك أحسن الله اليه آمين ، وعندما تقدم أقيمت صلاة العصر ، وما تقدم غير ذلك الفتى الشريف حفظه الله وأمد في أوقاته آمين ، وبعد أن إنقضت صلاة العصر تقدم المأمومون يلثمون أكف الشريف ، فتأخرت أنا حتى لم يبق غيري فتقدمت اليه وجثوت بين ركبتيه وأخذت يده ولثمته وقلت له : غريب زائر طالب دعاكم ، فقال : بارك الله فينا وفيك ، فقلت له : وقدمت الى هذه البلد مع مولاي الشريف محمد من الحج ، فقال : هنيئاً لكم ، ونطلب منك أن تستغفر لنا وتقرأ الفاتحة<sup>(٨٠)</sup> بثنية قبول استغفارنا لنا ، فامتثلت أمره ، واستغفرت الله لي وله وقرأت الفاتحة ، ثم قلت له : اطلب منكم ، أن توصوني وتجيؤوني<sup>(٨١)</sup> وتدعوا لي ، فسكت ثم قال : أوصيك ونفسي بتقوى الله ، والاجازة فاطلبوها من الوالد محمد ، وأما الدعاء فنحن داعون لكم بخير ، ونهض من محله وخرج من المسجد ، وخرجت خلفه من المسجد ، ونهبت أمشي خطوات وأنا أشكر الله تعالى على منه عليّ بزيارة أشراف هذه البلد أهل البيت الطاهر وترحمت على والدي مراراً فوق عانيتي إذ لولاه لما اهتديت الى هؤلاء الأولياء الحقيقيين ، وقبل المغرب بمدة وجيزة عاد اليّ الشيخ بافضل ، ولما التقيت به قال : حضرتم الدرس ؟ فقلت له : نعم أحسن الله اليكم ، وأطلب منكم أن تعينوني على

محل أوي اليه ولو بأجرة ، فقال : هكذا تحبون ؟ فقلت له : نعم ، فقال لي : تحبونه من الآن ؟ فقلت له : نعم ، فقال : ممكن إن شاء الله تعالى فهنيئاً بنا اليه ، فتوجهنا معاً حتى أوصلني الى دويرة ، فنادى : يا سالم ! فخرج اليه رجل قد أنهكت قواه الشيخوخة ، وبعد مصافحته . قال له الشيخ بافضل : هذا غريب جاء هنا للزيارة ويطلب منكم تزونه مدة أيام ، فحالاً قال الشيخ : قبول ، هذا هو هنا ينزل ، وبيت الخلا قريب ، ولكن إن فتح الله علينا بشيء اقتسمناه معه ، فقلت له : لا بأس ، وحالاً دخلت وجلس الشيخ رب المنزل ، واستأذن الشيخ بافضل وانصرف ، فقال لي رب المنزل ، هو أنت الغريب جئت مع الحبيب محمد بن أحمد ، فقلت له : نعم ، فقال وحججت هذه السنة ؟ فقلت له : نعم ، فقال استغفر لنا واقرأ لنا الفاتحة فامتثلت وبعد ذلك قال لي : حج مبرور وسعي مشكور وذنب مغفور وتجارة لن تبور ، يا لها من سعادة الحج ومصاحبة محمد بن أحمد الى تريم ، إعذر ! إعذر ! يغينا لك عشاء ، ولكن ما معنا إلا تمريرة وبنا ننتظر<sup>(٨٢)</sup> الى ما بعد العشاء إن فتح الله بشيء وإلا بانقضم الموجود ! فقلت له : عندي ما قد فتح الله عليّ به ، ولكن إئتوني بمن يذهب الى السوق ، فقال لي الشائب<sup>(٨٣)</sup> : الوقت مغرب وغداً يكون خير ، ولعلك متوضيء فقلت له : نعم ، فقام من عندي وذهب ثم عاد وقال : هيا نريد المسجد فخرجنا معاً وجئنا الى المسجد وصلينا المغرب واعتكفنا حتى العشاء ، ورجعنا الى البيت وجيء بالعشاء ، فقال الشائب : فتح الله ، ناس عندهم غُرس وارسلوا لنا عشاء جزاهم الله خيراً فوضع بيننا في قصعة ، فاكلناه فقال الشائب : هذا عندنا يسمونه الخمير<sup>(٨٤)</sup> ، وبعد أن اكتفينا منه قال الشائب : الآن وقت النوم ، ولعلك تعبان ، والمقام ، متى تقوم من النوم لأجل أن ننهك فقلت له : متى قمت أنت من نومك فأيقظني ، فقال لي : أنا شبيهة ولا يجيئني النوم إلا قليلاً يا ولدي ، فقلت له : أيقظني قبل طلوع الفجر بقليل ، ثم قال لي عرفت مكان الخلا ؟ فقلت له : نعم وكان مصباحنا تلك الليلة القمر إذ هي ليلة الرابع عشر من شهر محرم الحرام<sup>(٨٥)</sup> ، واضطجعت ونمت براحة حتى كان الوقت ، فأيقظني وتوضأت ، وخرجنا معاً الى المسجد واعتكفت حتى أذن الفجر وتقدم الإمام وصلى بنا صلاة طويلة جداً قرأ في الاولى سورة الحديد ، وفي الثانية بالحاقة<sup>(٨٦)</sup> ، وانتهت الصلاة ، وبعدها بمدة طويلة اصطف المريدون أمامه يدرس لهم في ( منهاج العابدين ) ، وكلهم كأنما على رؤوسهم الطير ، لا يتكلمون ولا يسألون بل رأيتهم والهية قد أهدقت بهم والسكينة قد غشيتهم وانتهى الدرس قبل طلوع الشمس بزمان يسير وبقينا في المسجد الى أن طلعت الشمس ثم صلينا صلاة الإشراف<sup>(٨٧)</sup> ، ورجعت الى البيت ، وجلس الشائب وجلست فقلت له : من ذلك الإمام الذي صلى بنا الصبح ؟ فقال هو الشيخ باعبيد من كبار الجم الزيان<sup>(٨٨)</sup> ممن يقومون الليل في ركعة واحدة ، فقلت له : أين يسكن ؟ قال : هو جاري فقلت له : هل يمكنني أن أزوره ؟ فقال يمكنك وخصوصاً الآن ، فقلت له : الآن أزوره ، فنادى رجلاً جاره فأتى فقال له إنهب بهذا الرجل الى يا عبيد ، فذهبت

معه واستأذن فدخلنا ورجع الرجل ، أما أنا فسلمت عليه وصافحته وجلست ، فقال : من أين ؟ فقلت له : غريب جئت الى هنا مع الحاج<sup>(٨)</sup> الشريف محمد بن أحمد وصاحبه بافضل ، وقصدي زيارة أهل هذه البلد وأنتم في الجملة ، وقد صليت الصبح خلفكم اليوم ، قال : وهل حضرتم الدرس ؟ فقلت : نعم ، فقال لي ان الطلبة الذين رأيتهم في الدرس هم من أهل بيت الرسالة ، وما نتكلم به معهم ، فإنما هو منهم أخذناه ، وعنهم رويناه ، ثم إنى أخبرته بما سمعته من الدوى في وصفهم الى اخره ، فقال

(٦) اغتتم هذه الفرصة لاجدد شكري لكل الذين ساعدوني لتحقيق هذه الامنية بعد انتهاء أعمال الندوة الدولية لحماية المخطوطات اليمنية ، التي انعقدت بدار المخطوطات ، صنعاء القديمة ، جوار الجامع الكبير فيما بين ٧ / ٩ ايلول ١٩٩٢ .. وأخص بالذكر سعادة الاستاذ بافقيه ، رئيس الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات ولنائبه الدكتور يوسف فضل .. والسيد الوكيل وكذا لرفيقي في الرحلة الاستاذ

هو الشيخ محمد بن محمد بن سليمان الجزولي مؤلف دلائل الخيرات المتوفى عام ٨٦٩. ابن القاضي : لقط الفرائد من لقاظة حقق الموائد ، تحقيق محمد حجي - مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ١٣٩٦ = ١٩٧٦ .

العباس بن ابراهيم، الاعلام بمن حل مراكزه وأغصان من الاعلام، ج ٥، ص ٤٠، الطبعة الملكية، الرباط ١٩٧٦.

(١٩) المعيار، الجزء ٦ ص ٤١٩، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية ١٤٠١ = ١٩٩١ م.

(٢٠) انظر، ج ١ من المقيار ص ٢٢١ ج ٧ ص ١٣٨ - ١٣٩ - ٤٧٣ - ٤٧٨.

( ٢١ ) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج ٧ ، ص ٢٢٣ ، رقم الايداع القانوني ١٩٨٦ / ٢٥ - مطابع فضالة المحمدية ، المغرب .  
( ٢٢ ) ترجم أبو سالم العياشي في رحلته ( ٨٩ ، ٢ ) لشيخه السيد محمد باعلي نقلًا عن ( بهجة الفاخر في معرفة النسب العالي الفاخر ) فقال : محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن علي بن محمد بن علوي بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب والزهراء البتول بنت المصطفى ﷺ - ابن عابد : ملقط الرحلة ...

وقد تولت المصادر المغربية الأخرى التاريخ لنسب العلويين الحسينيين د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج ٩ ، ص ١٠ . ( ٢٣ ) من رسالة السلطان مولاي عبدالرحمن بتاريخ ١٤ ربيع الثاني ١٢٦٨ = ٦ شباط ١٨٥٢ : « وها نحن جعلنا ... للريال ذي المدفع عشرين أوقية وللذي لا مدفع فيه تسع عشرة أوقية وللبيضة التي بالمدفع خمس أواق وللتتي لا مدفع لها أربع أواق ... »

الناصرى : الاستقصا ، طبعة البيضاء ، ١٩٥٦ ، ج ٩ ، ص ٦٤ .  
 د. التازي : العملة ودور السكة بالمغرب ، مجلة اكااديمية المملكة المغربية ، عدد ٤ تشرين الثاني ١٩٨٧ .  
 ( ٢٤ ) وردت كلمة الاشرفي عند الريان المعروف شهاب الدين ابن ماجد في قصيدته الشفالية :

وكل ضرب الاشرفي منه  
فلا تسئل من بعد ذاك عنه  
د. التازي : ابن ماجد والبرتغال : مجلة البحث العلمي ،  
عدد ٣٦ ، ١٩٨٦ .

( ٢٥ ) علي الخزرجي : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تصحيح محمد بن علي الاكوع الحوالي : مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، طبعة ثانية ١٩٨٣ .

(٢٦) اللوك : جمع لك وقد تولى الرحالة المغربي ابن بطوطة تفسيرها عندما كان بمدينة سيوستان .. فقال : انها مائة الف دينار ، وبهذا يرتفع إشكال استاذنا محمد الاكوع في تحقيقه لقرة العيون لابن الديبع ، القسم الثاني ، ص ١١٦ ، تعليق ٤ ، مطبعة السعادة ، صنعاء .

( ٢٧ ) وقفت في مكتبة الاحقاف على طبعة لابن بطوطة لم أقف عليها في

( ١١ ) يعتبر العطاس هذا من أعيان العلويين في حضرموت .. جمع مكتبة لا نظير لها في بلاده ، وكان مسموع الكلمة عند القبائل ، وعلى يده عقد الصلح بين الدولة القميطية والقبائل الدوعنية ، وقد أملى « وصايا » و « إجازات » ورسالة في « القبائل الحضرمية » . قف على كتاب : عقود الالماس بمناقب الامام أحمد بن حسن العطاس . راجع عبدالله الحبشي : مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ، ص ٤٦٢ .

( ١٢ ) حذام : امرأة في الجاهلية من العرب اليمانية يضرب بها المثل في حدة البصر وصدق الخبر وتلقب بزقاء اليمامة ، فيها قيل : أبصر من زقاء اليمامة ، وقال الشاعر :

إذا قالت حذام فصدقوها  
فإن القول ما قالت حذام !  
( ١٣ ) الجزء الثاني ص ٦٣ ، مكتبة الارشاد بجدة ، طبعة بيروت .

( ١٤ ) المصدر السابق .  
( ١٥ ) لقد جرفتني هذه المعلومة في بداية الامر الى التفكير في أن السيد  
ياحد الاشراف الى السيد الطاهر بن عبدالله الادريسي الذي نجد له  
ذكراً في المصادر البيمنية التي تحدثت عن أيام محمد المؤيد بالله ،  
وهي تقول بالحرف :

وصل في أيامه ، رضوان الله عليه ، السيد الجليل العالم النبيل  
الطاهر بن عبد الله الإدريسي من بلاد المغرب الأقصى ... فاستدعى  
مولانا الحسن عليه السلام ووصله الى مقامه وعرف ما عنده من فنون  
العلم وانه من اهل بيت ملك ... فقرره كثيراً واقام عنده أياماً ... وأرسله  
مع بعض خواصه الى الامام عليه السلام ... وقد اعطاه الامام عطاءً  
جزيلاً وكتب معه دعوة الى المغرب الأقصى . ت.م.ج. جزء ٨ ص ٨٠ .

( ١٦ ) محمد بن هاشم بن عبدالرحمن ... بن طاهر العلوي ، ولد بحضرموت وتلقى علومه على جماعة من شيوخ تريم ... وقد رحل الى جاوة عام ١٣٢٥ = ١٩٠٧ وساهم في تحرير صحفها ، وتزعم البعثة المرسلة الى مصر سنة ١٣٤٤ = ١٩٢٥ ثم عاد الى مسقط رأسه وأحيى بعض الندوات والجمعيات ، وقد أدرجه أجله سنة ١٣٨٠ = ١٩٦١ .  
عبدالله الحبشي : مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن  
صفحة ٤٦٩ .

( ١٧ ) ترجم الشيخ خير الدين الزركلي لابن شهاب هذا في الاعلام : ج ٢ ، ص ٢١٤ ، قال عنه : انه جاهر بأراءه كان ينشرها في الصحف المصرية كالأمويد والمنار والصحف الحضرية كمجلة الامام ، وجريدة الاصلاح الصادرة في سنغافورة ، ويقول عنه : انه كان عنيفاً في جدله كثير النقد للشيوخ فكثر خصومه من اهل تريم وغيرها ... ويضيف الزركلي الى هذه المعلومات ان كتابه « الانصاف بين الصلة والاتحاف » نسبته الى احمد فهمي صدقي الدسوقي الازهري ، ويختم ترجمته بان له ايضاً كتاب ( الرقية الشافية في الرد على النصاب الكافية ) وان له شعراً في بعضه جودة ... انظر تاريخ الشراء الحضرميين لعبدالله بن محمد بن عمر السقاف ، جزء ٥ ، صفحة ٢٣ / ٣٢ .

علي سالم سعيد بكير : رجل وكتاب ، رحلة في سبيل العلم الى حضرموت ، مجلة الحكمة ، عدد ١٢٣ ، تموز ١٩٨٥ .

( ١٨ ) هذا عالم من سوس انتقل الى مكة فكان من أعلام المدرسين بها وليس



تنبت فيه الشجرة التي نغرز اللبان ... تغلب عليها الجفريون ... وبعد ظهور الاسلام تناولتها أيدي الخلفاء الراشدين ثم الدولتين الاموية والعباسية ... المحقق: معجم البلدان والقبائل اليمنية ... دار الكلمة - صنعاء ١٤٠٦ = ١٩٨٥ .

( ٣٥ ) البندر : كلمة فارسية ( ج بندار ) المكان الذي ترسو عليه المراكب بالمرسة ، أو مدينة ساحلية يرأسها شاه بندر ، أي رئيس الميناء الذي يقوم بوظائف الشرطة والجمارك ، وهناك معنى آخر للبندر ، على سبيل المجاز : وهو القنصل الاجنبي الذي يتولى في أي ميناء معين حماية حقوق أبناء بلده ، والبندر استعمال غير معروف ببلاد المغرب ، وهو من الكلمات التي استعارها الاستعمال الاوربي من الفاظ البحر .. فالبرتغاليون يطلقون على الميناء ( Bandel ) على نحو استعارتهم لكلمة أمير البحر ( Admiral ) ر . ن . ناعة ( Azcenal ) وانجر ( Anchar ) وحبل ( Cabl ) وغراب ( Alabus ) ومرسـ ( Carra ) ورأس بر ( Rasbec ) على الشاطئ الغربي لياب المنذب وشحر ( Cach ) على الشاطئ الجنوبي للجزيرة وجواد ( Guadel ) جزر عند سواحل الحجاز الغربية .

عن كتاب ثلاثة أزهار في معرفة البحار لاحمد بن ماجد . تحقيق ونشر ثيودور شوموفسكي ، ترجمة وتعليق : د. منير مرسى . كلية التربية ، جامعة عين شمس ١٩٦٩ ، القاهرة .

( ٣٦ ) يقصد بالساعية ، السفينة لانها بالفعل ساعية بين ميناء وآخر ... ( ٣٧ ) ميناء لحضرموت ، واليه ينسب اللبان الشحري ، لانه يوسق منه ، وكثيراً ما تنسب البضاعات للموانئ التي شحنت منها أو نزلت بها على نحو ما نسمعه عن الهيل الذي يسمى المغاربة قاقلة نسبة الى الميناء الذي يأتي منه ، وعلى نحو القهوة اليمنية التي تسمى ( مخا ) لانها آتية من ميناء المخا ( Mokha ) ، والبخور الجاوي لكونه آتي من جاوة .

( ٣٨ ) يلاحظ أن أهل الديار الحضرمية يلزمون الكنية الالف على لغة القصر فيقولون لبني حسن : باحسن ، ولبني حسين : باحسين ، ولبني علوي باعلوي - انظر المشرق الروي ، ج ١ ، ص ٢٨ .

( ٣٩ ) كساء واسع يشتمل به ج شملات ، وأم شملة كنية عن الدنيا ... ( ٤٠ ) يلح كاتب الرحلة على ترديد القهوة كمشروب لاهل اليمن الذين يقول شاعرهم :

إذا أنت لم تشرب على الصبح قهوة

فيومك يوم لا يفارقه الكسل ! ومعلوم ان القهوة اليمنية التي كانت تشحن الى العالم من ميناء المخا ( MOKHA ) لم تكن معروفة آنذاك في المغرب ، وانما يعود ظهورها للقرن العاشر الهجري ، ويبدو ان هذه البداية كانت متمثلة قرابة القرنين ، فقد كتب ابو سالم العياشي ( ت ١٠٩٠ - ١٦٧٩ ) في رحلته « ان أهل مصر يتكلمون بينهم بشرب البن الذي يسمونه القهوة ، ونحن لا نعرفها وليست عندنا بطعام ولا دواء ولا شهوة ! » محمد المهناوي : القهوة بالمغرب ..

جريدة العلم ١٩٩١ / ٩ / ٢٩ .

( ٤١ ) كلمة دخيلة من أصل مصري وليست باعجمية ، نوع من الحلوى على شكل سوار أو دملج ، وقد وردت في رحلة ابن بطوطة ، وهو بالمنطقة

جهة من الجهات ! ويتعلق الامر بطبعة ثانية لرحلة ابن بطوطة تحت عام ١٣٢٢ = ١٩٠٤ على نفقة الشريف مولاي أحمد بن عبد الكريم القادري الحسني المغربي الفاسي ( مطبعة التقدم ، شارع محمد علي بمصر ) ، وكانت الطبعة الاولى بمطبعة وادي النيل ١٣٨٨ = ١٨٧١ . وقد طبع الشريف القادري هذا - على ذمته - كتاباً آخرى بالمطبعة الحجرية بفاس : مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي وطبع عام ١٣٢٢ ، وكشف الاسرار عن علم الغبار للامام القلصادي ، طبع ٣١٨ . ( ٢٨ ) د. التازي : الصلات التاريخية بين المغرب وعمان ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، أب ١٩٨١ .

( ٢٩ ) د. التازي : ابن ماجد والبرتغال .. مجلة « البحث العلمي » العدد ٣٦ ، صفحة ٦٠ ، سنة ١٤٠٦ = ١٩٨٦ ، التعليق ٦٣ .

( ٣٠ ) رحلة العياشي ٢ .

( ٣١ ) في حديث أدلى به د. محمد الهاشمي التونسي لجريدة ( المقطم ) ١٣ / ١٤ ايلول ١٩٢٩ بمناسبة عودته من جاوة ليلاده تونس ، ذكر ان عدد الحضارة الموجودين هناك يربو على ثلاثين ألف نسمة ، وقد وصفهم بالذكاء والنشاط والصبر ولو انه واخذ عليهم القطيعة فيما بينهم الخ ... والحديث يدل على ان هذا المغربي كان على صلة قوية بهاجرة حضرموت ..

- د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج ٧ ، ص ٣١١ .

( ٣٢ ) تريم ( بوزن أمير ) تعتبر من أشهر المدن في اقليم حضرموت ، ويقول ياقوت : ان حضرموت اسم للناحية بجملتها ، ومدينتها شبام وتريم ، دخلها الاسلام عندما عاد وفد حضرموت من عند النبي ﷺ في السنة العاشرة ، وكان أول عامل عليها هو زياد بن ليبيد الذي كان يقيم تارة في تريم وتارة في شبام .

وفي أيام بني أمية دخلت تريم كغيرها تحت هيمنة الاباضية الى ان قامت أول دولة شنيّة : دولة آل راشد في مطلع القرن الخامس الهجري ( مذهب الشافعي في الفقه ، ومذهب الاشعري في العقيدة ) ... وتمضي هذه الدولة لتأتي بعدها دولة آل يمان التي أسسها مسعود بن يمان ( ت ٦٤٨ = ١٢٥٠ ) وجعل مركزها في تريم ... ومن آل يمان انتقل الحكم الى الدولة الكتيرية الاولى في آخر القرن الثامن حيث استمروا ثلاثة قرون أو تزيد وفي عهد هذه الدولة يتحدث « المغربي » عن تريم التي كانت تعيش على انفراد من الدولة الحاكمة في بقية اليمن ... ومن آل كثير انتقل الحكم الى آل يافع قبل أن يعود الكتيريون مرة اخرى ... لتجري عجلة الزمن حتى تصل الى العهد الحاضر ...

( ٣٣ ) هكذا في النسخ الاخرى عوض الطفولة ... وهو استعمال مطروق على نحو استعمال كلمة الشبابية .

( ٣٤ ) ناحية كبيرة كانت تعرف باسم ( الاحقاف ) وتقدر مساحتها بنحو ١٢٠ ألف ميل مربع ، وقيل : انها سميت كذلك لسبب ذكره بعض المؤرخين ، وذلك ان عامر بن قحطان أول من نزل الاحقاف فكان إذا حضر حرباً أكثر من القتل فصاروا يقولون عند حضوره : « خضر موت » ! ثم صار ذلك لقباً عليه .. بينما جاء في اسطورة يونانية ان رائحة شجر اللبان الذكر التي اشتهرت بها منطقة حضرموت كانت مُميتة مما دعاهم الى اطلاق اسم ( أرض الموت ) على الوادي الذي



عمان ...

( ٤٢ ) القارب، مال السفينة ... يعني القارب الذي هو ملك للسفينة وتابع لها ، وهذا تعبير جار على السنة المشاركة اليوم ، وبخاصة في جهات الخليج ، البيت مال الاستاذ ، أو البيت تبع الاستاذ ... وفي المغرب نستعمل تعبير ذيله ...

( ٤٣ ) الزنبيل : ج زنا بيل : الجراب أو الوعاء أو القفة ، انظر مادة ( زيل ) في كتب اللغة ...

( ٤٤ ) يلاحظ انتباه كاتب الرحلة للحديث عن طعم الماء الذي يوجد في ميناء الشجر ووصفه بالمالح ...

( ٤٥ ) كان كاتب الرحلة يريد القول : بأنه نظراً لكون الشريف غير مقيم في البلد فإنه لا ينبغي له أن يؤم بالناس ...

( ٤٦ ) يلاحظ هنا ان كاتب الرحلة ذكر المبلغ عدداً ونوعاً ووصفاً على ما اشرنا في التقديم ، وإذا كان عدد قطع العملة ووصفها لا يهمننا فإن نوعها : ( الريال ) استوقفنا كثيراً ووجدنا فيه السز الذي يختفي وراءه القول الفصل حول رحلة المغربي الى تريم وهو ما سنخصص له نهاية هذا التحليل .

( ٤٧ ) مسجد بني أحمد هذا يحمل اليوم اسم مسجد بني علوي ، ويقول الاستاذ بكير : انه من اشهر مساجد تريم ... وهو المسجد المتيق فيها ، لأن أول من أسسه السيد الامام علي بن علوي بعد انتقال السادة العلويين الى تريم أواخر القرن السادس ، وعندما تحدث الشلي صاحب « الفهرست الروي » عن مساجد تريم المعروفة في وقته قال : وأعظم مصالحتها بالاتفاق مسجد القوم المعروف قديماً بمسجد بني أحمد ، واشتهر بمسجد آل باعلوي في هذا الزمان ، ثم تضيع بعض أركانه فزعمه ولده ، ثم طال به الزمان ، فانتدب لعمارة الشيخ عمر المحضار ... والواقف اليوم على المسجد سيلاحظ ان قاعته الداخلية تتألف من ثلاثة بلاطات تأخذ من المحراب الذي تبدو عليه ملامح القدم ، وتنتهي الى صحن بسيط ، ويلاحظ انه لا توجد توافذ لهذا المسجد وله بابان فقط ، أحدهما يوجد قبالة المحراب مباشرة والثاني دخلنا منه ، وهو من جهة القبلة ، وقد ألحقت بهذا المسجد قاعة مغلقة تتخذ جامعاً في وقت الشتاء يسمونها الحفام ، وقد وجدت من مرافقه بيوتاً للوضوء والاستحمام ... - علي بن سالم بكير : الجامع في التاريخ الجامع ، ١٣٩٥ = ١٩٧٥ .

( ٤٨ ) بين سنتي ٤٨٨ - ٤٩٨ = ١٠٩٦ - ١١٠٦ ألف الامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي كتابه الشهير : إحياء علوم الدين أثناء إقامته في دمشق والقدس من ستة عشر جزءاً زاد عدد صفحاتها على ثلاثة آلاف صفحة ، فصل فيها آداب الطعام والزياره والحج والسفر والصوم والتلاوة والنكاح والصحة ، ومعاشره الخلق ، وما يليق إذ وجد الانسان في مختلف الامكنة كالمساجد والاسواق والشوارع والحمامات وغيرها فجاء موسوعة كاملة عن آداب السلوك ، استشهد فيها بالسنة وتصرفات الصحابة وكبار الشخصيات الاسلامية في مختلف المناسبات المذكورة .

( ٤٩ ) سيرد صاحب الرحلة ( الذرة ) كمادة أساسية في المنطقة ، وقد تساءلت عن السر ، فقال لي بعض الزملاء بانها كانت أرخص من الزرع .. والذي أراه أن صاحب الرحلة كان يقتدي بالرحالة المغربي ابن بطوطة وهو يتحدث عن الطعام في تلك المنطقة ، فلقد رد ذكر الذرة

مرتين عندما كان في ظفار وفي عُمان ، وهما على مقربة من حضرموت ...

( ٥٠ ) الخوذة : ما يجمنه المحارب على رأسه ليقيه ...

( ٥١ ) القصد الى الشفع ...

( ٥٢ ) هناك جتا يجثو ، وجثي يجثي : جلس على ركبتيه ...

( ٥٣ ) بالغشير بضم الغين على التصغير كما هو في الفهرست الروي .

( ٥٤ ) عم يتساءلون : سورة النبا رقم ٧٨ - سورة إذا السماء انشقت : سورة الانشقاق رقم ٨٤ .

( ٥٥ ) محمد بن عيسى الترمذي نسبة الى ترمذ .. أدركه أجله بمسقط رأسه ترمذ عام ٢٧٩ = ٨٩٢ من تصانيفه الجامع الكبير والشامل النبوية والتاريخ والعلل في الحديث ...

( ٥٦ ) هنا نجد ان كاتب الرحلة يقارن بين العادات في مدينة تريم والعادة في بلاده المغرب ... وقد كان هذا مما شجعني على إرضاء زملائي في اليمن لاشتغل بالرحلة وحول مصداقية هذه المقارنة ، انظر التقديم ...

( ٥٧ ) استعمال كلمة ( الجبانة ) بمعنى الهـبرة مطروق في المغرب الأوسط والادنى .

( ٥٨ ) لاطئة بالأرض يعني ليست كبيوت مدينة شبام التي تتصاعد طباقاً طباقاً فوق بعضها حتى تصل الى نحو تسع طبقات تقل أو تزيد .

( ٥٩ ) ينبغي أن نقف قليلاً لنعرف عن التنافس الذي كان يظهر أحياناً بين حضرموت وبين غيرها من الجهات الأخرى في اليمن .. ان كلام كاتب الرحلة يؤخذ منه ذلك ، وهو ما يمكن أن نقرأه في كتب التاريخ اليمني من أمثال كتاب قرة العيون باخبار اليمن الميمون تأليف أبي الخيا عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي ( القسم الثاني ) تحقيق وتعليق محمد بن علي الاكوع الحوالي ، مطبعة السعادة ، الصفا ، ١٣٩٧ = ١٩٧٧ .

( ٦٠ ) الحديث عن العملة هنا يذكرنا في الحديث السابق عنها عندما حدد صاحب الرحلة مبلغ الاجرة التي تدفع للذي ينوب عن غيره في الحج عدداً ونوعاً ووصفاً ... وهي القضية التي سنتناولها في خاتمة هذا التحليل .

( ٦١ ) نتساءل هنا كيف يمكن قبول عدم وجود الدينار باليمن مع أن كتب التاريخ اليمني ما انفكت تردد ذكر الدينار كمصلحة على ذلك العهد .

( ٦٢ ) الراتبة تعني نافلة غير تحية المسجد ، تؤدى عند الاذان وقبل صلاة الفريضة ، نرى هذا في مساجد المشرق التابعة لبعض المذاهب ، والمعهود في المغرب الاكتفاء بتحية المسجد وصلاة الفريضة ...

( ٦٣ ) يلاحظ جمع الشريفة على شرائف وليس على شريفات المعهود عندنا في المغرب .

( ٦٤ ) الذي قرأناه يا جد عبدالله ، نداء للشخص بإسم حفيده وليس بابنه ... وقد يكون الاصل يا عبدالله وأقحمت كلمة ( جد ) ...

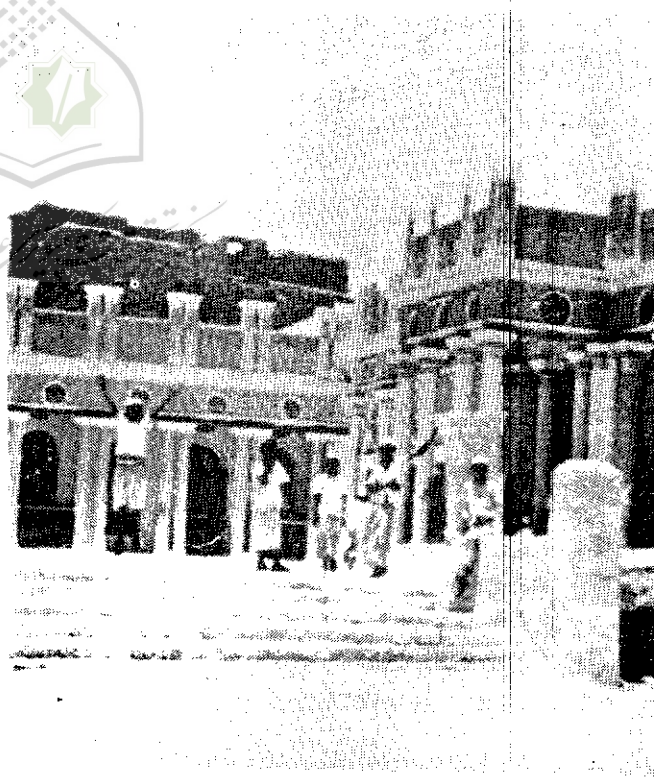
( ٦٥ ) هنا أيضاً نجد ان كاتب الرحلة يقارن بين العادات في مدينة تريم والعادة في بلاده المغرب ، وكان هذا مما شجعني - كما أسلفت - على إرضاء زملائي في اليمن ... انظر التقديم ...

( ٦٦ ) هذا ما نسميه في المغرب ( الشارد ) ويختاره الشيخ من عيون طلبته النابهين لانه يكون لـ بمثابة المساعد الامين يرشده - بادب - لما قد ينسى الحديث عنه في تقريره ، ويجيبه عما يسال عنه مما فات في

معروف اليوم ؟ فذكر لي انه طبخ يشبه الهريسة المعروفة بالحجاز ... وأذكر بالمناسبة ان من بين الصحن التي تناولتها علاوة على بنت الصحن ( نوع من الحلوى ) هناك ما سمي لي بالحضرمية وهي عبارة عما نعرفه في المغرب بـ ( البيمارة ) والتي تعتمد على الفول المطحون وعليه غلالة من زيت الزيتون وكمون وفلفل وليمون .. ( ٧٥ ) ليلة الرابع عشر من المحرم ٨٦٥ توافق ٣٠ تشرين الاول ١٤٦٠ فالوقت اذن وقت خريف ، ولا بد اننا سنتنبه لكون التاريخ يناسب لمن غادر موسم الحج ، واتجه - عبر جدة نحو ميناء الشحر ... ( ٧٦ ) سورة الحديد هي السورة رقم ٥٧ أما سورة الحاقة فتحمل رقم ٦٩ . ( ٧٧ ) الاسم الكامل للتأليف : منهاج العابدين الى الجنة ، قيل انه اخر تأليف للارام أبي حامد الفزالي في التصوف .. معجم المطبوعات . ( ٧٨ ) القصص الى صلاة الضحى ( ٧٩ ) الزيان يعني الحسرة ، يقال قمر زير ( ٨٠ ) لا ينبغي أن ننسى ان العادة في المغرب على أن يحمل الشريف لقب ( الحاج ) لان انتسابه لاهل البيت يفنيه عن هذا اللقب الذي يعطي عادة لغير الاشراف . ( ٨١ ) يلاحظ التوثيق في ذكر تاريخ صاحب الرحلة ، وكذا في رحلة والده ، مع اعادة المعلومات التي ابتدأ بها ، والجدير بالذكر ان التاريخ الذي كتب هنا بالكلمات كتب في نسخة لاحقة بالرقم الهندية .

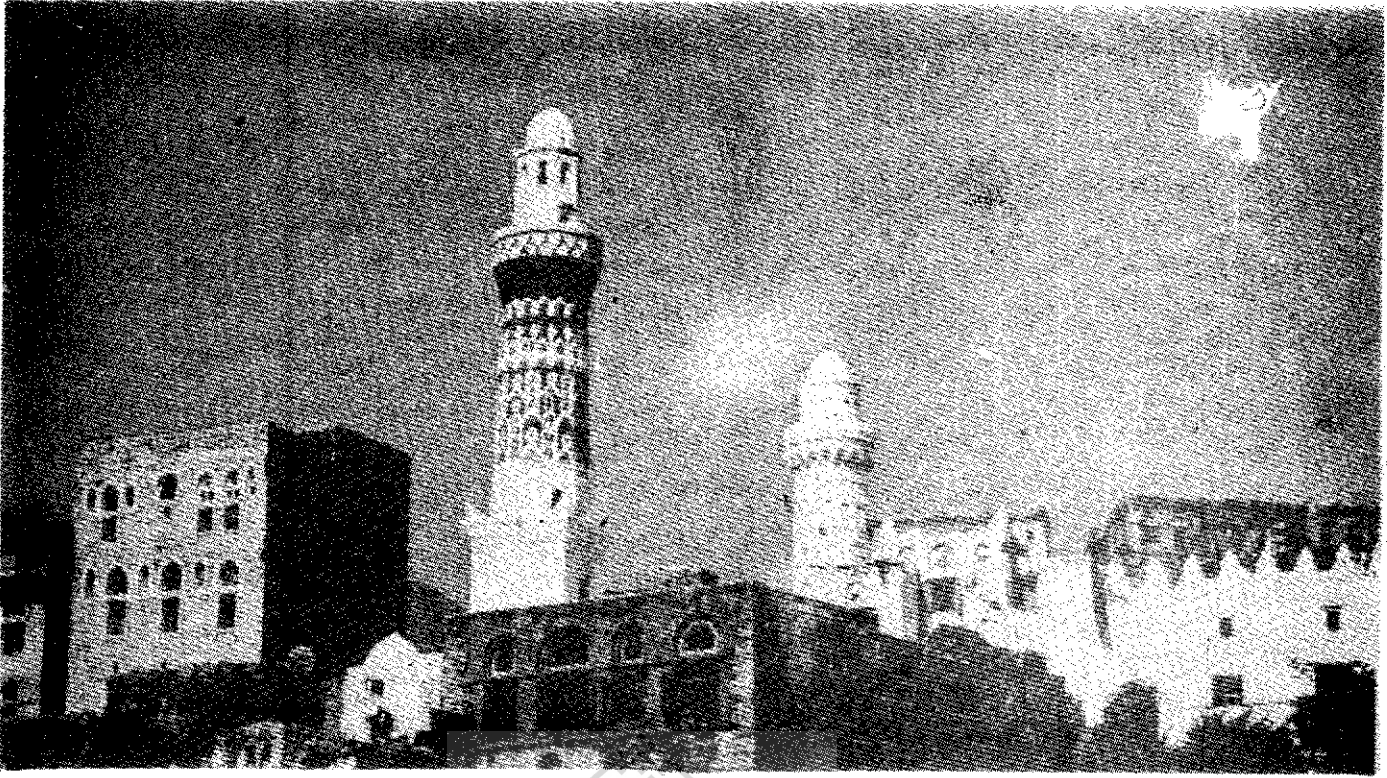


مجالس سابقة ... وقد سبقت الإشارة الى التعريف به في التقديم . ( ٦٧ ) هذا يذكر في قول الامام البوصيري : والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفضمه ينفضم . ( ٦٨ ) ( فما يرون اولادنا ) على لغة اكلوني البراغيث ... ولم يكن هذا اول استعمال لهذه اللغة في المصادر اليمنية المتعلقة بهذه الرحلة . ( ٦٩ ) هذا كلام جيد جداً بالنسبة لرجال التربية الذي يتوقون الى تكوين ناشئة صالحة ... ( ٧٠ ) القصص الى سورة الفاتحة : وهي السورة الاولى من القرآن الكريم ... ( ٧١ ) جزع المغاربة على نيل الإجازة من غيرهم أمر معروف عن قديم وند ذكرنا في الخاتمة نموذجاً لهذا الحرص وضربنا مثلاً بابي سالم العياشي الذي استجاز الشيخ باعلوي الحضرمي ... ( ٧٢ ) تركيب غريب من صاحب الرحلة على نحو التركيب بعده : ( بانقدم ) وقد جاءت غرابته من انه يشبه التعبير السائد الآن في بعض البلاد العربية ، مصر مثلاً ، والذي يفيد معنى الاستقبال سنتتظر .. سنقدم ... فهل هكذا كانت صياغة الكلام في تريم أثناء القرن التاسع ؟ ( ٧٣ ) عبارة الشاب .. سمعتها في طرابلس ( ليبيا ) ، يطلقونها على الطاعن في السن وكانوا يقصدون بها الملك السابق ادريس السنوسي رحمه الله . ( ٧٤ ) سالت بعض رفاقي في حضرموت ، عن القصص من الخصير ؟ وهل هو

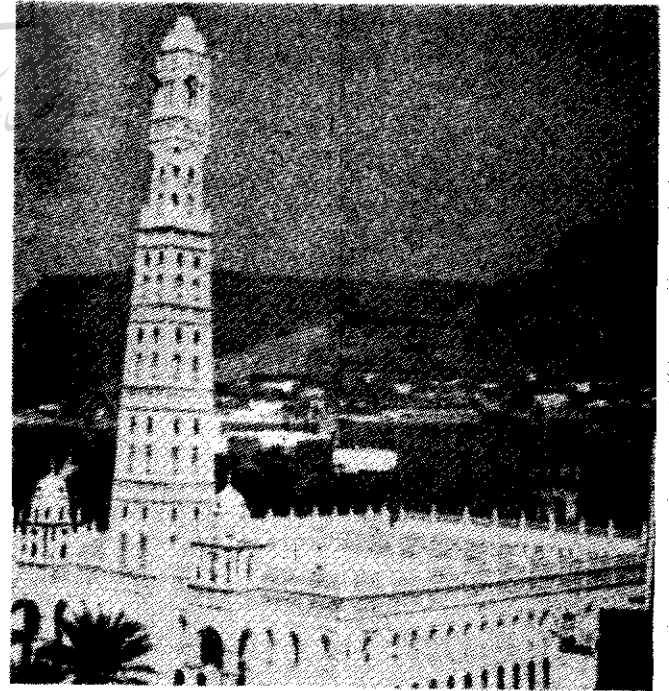
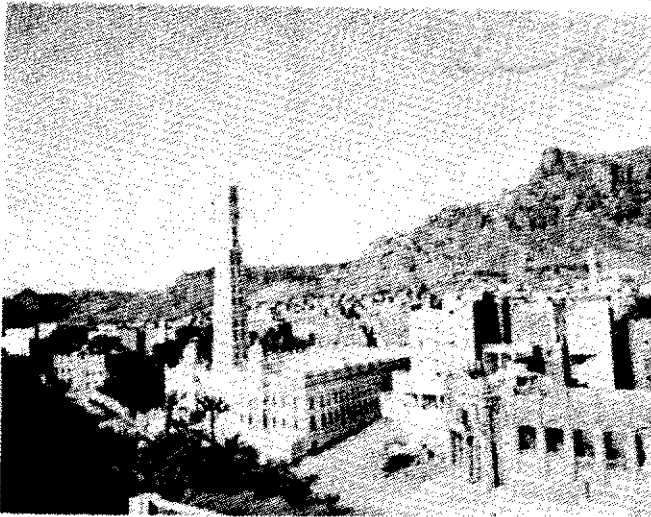


هنا تقع مدرسة الوسطى في مدينة سيئون حيث تكثر المساجد ، ومن أعظمها جامع العمودي نسبة الى اسرة تنحدر من عمود الدين .





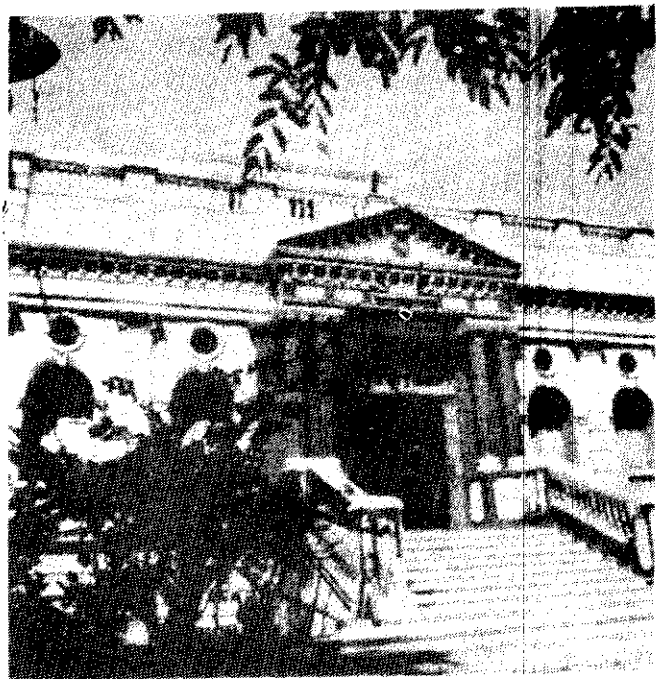
تظل المباني معبرة عن الهوية اليمنية التي كانت مضرب المثل في الاصاله والحضارة : ( لقد كان لسبيا في مساكنهم آية ) .



هذه مدينة تريم ... على مقربة من هذا الجامع توجد مكتبة الاحقات التي تحتضن آلاف المخطوطات التي تتناول سائر حقول المعرفة .

مدينة تريم التي تجر وراءها تاريخاً حافلاً بالاحداث والرجال ...





على مقربة من تريم يتم قبر النبي هود عليه السلام ، ويقصدها الزوار عادة على الجمال ويحتفل بعودتهم للمدينة بطريقة خاصة .

مدخل فندق البستان في تريم ، وهو اول فندق في المدينة ، ويومر على مساح تستمد مياهها من عيون صافية دافئة .

بذل النحلة ، لمن يحسن الترحيل الكرم (الاجلة )  
( بذل النحلة ، لمن يحسن الترحيل الكرم (الاجلة )  
بذل النحلة ، لمن يحسن الترحيل الكرم (الاجلة )

غلاف مخطوطة صنعاء التي اهديت لي يوم  
١٩٩٢ / ٩ / ٩ ، ويلاحظ انها  
تحمل هذا العنوان : ( بذل النحلة ، لمن يحسن  
الترحيل الكرم (الاجلة ) بذل النحلة ، لمن يحسن  
الترحيل الكرم (الاجلة ) بذل النحلة ، لمن يحسن  
الترحيل الكرم (الاجلة )



الريال كان المفتاح للوصول الى الحقيقة !

غلاف مخطوطة صنعاء التي اهديت لي يوم

١٩٩٢ / ٩ / ٩ ، ويلاحظ انها

تحمل هذا العنوان : ( بذل النحلة ، لمن يحسن

الترحيل الكرم (الاجلة ) بذل النحلة ، لمن يحسن

الترحيل الكرم (الاجلة ) بذل النحلة ، لمن يحسن

الترحيل الكرم (الاجلة ) بذل النحلة ، لمن يحسن

بسم الله الرحمن الرحيم  
 هذه رحلتني الى مدينة ترم احتضرت بها غاية الاختصاص  
 وقد اقبلت الي هذه المدينة الساكنة مدينة ترم والذين  
 رحمة الله الا ان رحلت كانت وانا في سن الطفولة فلما  
 ترعوت وحضرت احضر درسي سمعت ذات يوم يذبح  
 ولله الحضور ويحضر بالذبح بلدا هناك اسمها  
 ترم وقد افرق ذات يوم من الايام بتزم في حوضه ماء ليم  
 الاثر في هو البيت الا اهرين من العلم والعمل السالكين  
 بتزم حتمت وصفه لم يقوله نعم بالمدينة السنية فامر  
 كلامه معني وجره كلما سمعت فرطم غاوي عن اخبار  
 رحلته وقد انت له دونتم رحلتني فقال لي قد دونتمها  
 وما انت عليه بعد ذلك الا انك لا تدري وقررت لذي  
 رحلتني فقلت له انه قد غاب عن الدنيا

[illegible][illegible]

بواصل من الاشراف العلويين بالمشرق عما توصلوا به من العاهل المغربي في  
محرم الحرام ١١٩٥ .

صورة من الورقة الاولى من رحلة « المفريي » عن مخطوطة  
مكتبة الاحقاف لمدينة تريم

[illegible]

المختار في معرفة  
وكل ما يتعلق به من علمنا في حق الله تعالى



كافة الشرياء أو أوالده عن أهل بيت أبي علي الذي يركب الشرف  
والدين بالمعينة الفورية على ما كان هذا أفضل الصلوات إلى السلطان  
سلطان علي بن زين العابدين وبن كنانة وبعد فتصلح مع خزانة  
الحاج المكي بن عبد الله والعلو عبد الله بن علي بن أبي طالب صلوات  
عليه وأهل بيته من غير الصلاة الفورية بل على ما كان عليه من غير  
الركن البنيوي من جهة السلطان العلوي وانه ادعوا إليه ليلة الاثنين  
أشهر ربيع الثاني من جمادى الأولى وانه ادعوا إليه في ليلة الاثنين  
أهل بيت أبي علي الذين يركب الشرف وأهل بيت أبي علي الذين يركب  
الشرف وأهل بيت أبي علي الذين يركب الشرف

جانب من مخطوطة ( صلة الأهل ) المحفوظة في مكتبة الاحقاف بمؤسسة تريم  
 ويوجد فيها أن الرحلة قرئت مراراً عديدة على الإمام أحمد ابن حسن العتاس  
 فأيدها وأوصى بالتمسك بما فيها ... ومن كلامه رضي الله عنه قوله : لاحت لي  
 بارقة في شأن رحلة المغربي الى تريم ..

أحد الوثائق الرسمية التي تعبر عن صلة العلويين الحسنيين في المغرب بالعلويين الحسنيين في المشرق .

رسالة من ملك المغرب محمد بن عبدالله الى أولاد عمه هناك ، وهي بتاريخ ١٤ ذي الحجة .

## توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه

بقلم  
هلال ناجي  
الاعظمية ص. ب. ٤٠٦٨

فعنوان المخطوط كان مفقوداً في النسخ الثلاث ، لكنني بعد التدقيق عنه ظفرت به في كتاب صبح الاعشى للقلقشندي الذي أورد عنوانها وهو « العناية الربانية في الطريقة الشعبانية »<sup>١</sup> ، وأشاد بها في قوله : إن الآثار لم يسبق إلى مثلها ، ثم أورد بعض آراء الآثار في الخط منتورة نقلاً عن الألفية في ثلاثة عشر موضعاً .  
وقد عزز ما تقدم بيت في الألفية نصه :  
فاغز بها يا طالب « العناية »  
ما زينة الراوي سوى الدرايه  
هذا بالإضافة إلى أن مصنف الألفية قد نص على اسمه في منتها بقوله :

واعطف وقسل بالفضل والاحسان

يارب جد بالعفو عن « شعبان »

وأذكر أنني حين تصديت لنشر كتاب « تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب »<sup>٢</sup> لمؤلفها عبدالرحمن بن يوسف ابن الصانع المتوفى سنة ٨٤٥ هـ كانت بحوزتي أربع مخطوطات من هذا الكتاب أقدمها مخطوطة دار الكتب الوطنية في تونس وأصلها مفقود وكانت على ميكروفلم مخرومة الوسط ، وكانت غفلاً من العنوان ومن اسم المؤلف ، وقد كتب على الورقة الأولى ما نصه « رسالة في علم الكتابة » .  
أما المخطوطة التيمورية فقد كتب على الورقة الأولى منها « رسالة في الخط ويرى القلم » لابن الصانع .

وكانت مخطوطة السيد حسن حسني عبدالوهاب غفلاً من العنوان ومن اسم المؤلف .

وأما المخطوطة الرابعة وهي مخطوطة دار الكتب المصرية فقد كان عنوانها « كتاب فيه صناعة الكتابة » تأليف الشيخ عبدالرحمن ابن الصانع .

وقد اضيف إلى أعلاها وبخط مغاير عبارة « كتاب تحفة أولي الألباب » .

المخطوطات الأربع كانت غفلاً من العنوان . غير أنني جزمت به مستنداً إلى ما ورد في إيضاح المكنون ١ / ٢٤٣ من وجود نسخة من « تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب » تأليف عبدالرحمن بن الصانع في دار الكتب العمومية وهو دليل يؤكد عنوان المخطوط ، ولأنه

كان العلامة عبدالسلام محمد هارون رائداً في تفعيد قواعد « تحقيق النصوص ونشرها » لم يسبقه أحد من العرب - فيما أعلم - إذ صدرت الطبعة الأولى من كتابه هذا سنة ١٩٥٤ .

وكان الفقيه قد أشار في مقدمة طبعته الأولى هذه إلى محاضرات المستشرق الألماني برجستراسر بكلية الآداب المصرية ، وذكر أنه لم يوفق إلى الاطلاع على شيء منها .

وبالفعل فإن هذه المحاضرات<sup>٣</sup> لم تصافح عيون القراء إلا عام ١٩٦٩ حين أعدها وقدم لها الدكتور محمد حمدي البكري ونشرها بعنوان « أصول نقد النصوص ونشر الكتب » .

إن فقيدينا الجليل قد تناول موضوع « تحقيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم المؤلف » في كتابه المشار إليه بصورة مختصرة<sup>٤</sup> ، كما أفرق فقرة في محاضراته القيمة الممنونة « تجربتي مع التراث العربي » لموضوع « تصحيح نسبة الكتب إلى مؤلفيها »<sup>٥</sup> وهي مما يندرج في باب « تحقيق اسم المؤلف » .

وقد رأيت أن أصل حيلي بحبله ، وأن أفصل الحديث في هذا الموضوع من خلال تجربتي وما وقفت عليه ، وأن أصنع من هذا كله باقة أضفها بتواضع عند قبره وهو يرقد رقدته الأبدية - رحمه الله - تعبيراً عن عظيم تقديري لجهوده الخالدة في إحياء التراث العربي وتأسيس قواعد نشره .

إن عنوان المخطوط قد يكون مفقوداً أو منظماً أو مزيفاً . وقد يكون المخطوط غفلاً من اسم المؤلف ، أو منسوباً لغير مؤلفه .

وكنت حين عقدت النية على تحقيق ألفية الآثار في الخط قد وفقت إلى الحصول على ثلاث مخطوطات منها ، فالنسخة التي اتخذتها أمّاً وهي نسخة السيد حسن حسني عبدالوهاب - رحمه الله - كانت خالية من عنوان المخطوطة واسم ناظمها معاً .

وكانت مخطوطة العطارين بتونس منسوبة لمؤلفها ولكنها زائفة العنوان ، ابتكر لها الناسخ عنواناً من عنده هو : « سبيل الدراية في علوم الخط وفنون البراية » .

وخلت المخطوطة الثالثة وهي مخطوطة جامعة برنستون من العنوان أيضاً ، ولكنها نسبت لمؤلفها الحقيقي .



ليس لابن الصائغ كتاب في الخط غير « تحفة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب » كما نص على ذلك مترجموه .

x

ومن الكتب المخطوطة التي نشرت بعنوان مغلوط منسوبة لغير مؤلفيها الكتاب المعنون « نقد النثر » المنسوب لقدامة بن جعفر والذي حققه ونشره الدكتوران طه حسين وعبد الحميد العبادي معتمدين على نسخة الاسكوريال الناقصة ، وطبع مرات بهذا الاسم المغلوط والنسبة المغلوبة .

ثم لما ظفر الدكتور علي حسن عبدالقادر بمخطوطة كاملة من الكتاب في مكتبة جستر بتي في دبلن بارلنדה ، صحح خطأ شاع سنين طويلة ، فاذا عنوان الكتاب الحقيقي « البرهان في وجوه البيان » واسم مؤلفه اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، ويعنوانه الصحيح هذا وينسبته الصحيحة الى مؤلفه الحقيقي طبع الكتاب في بغداد ثم طبع في القاهرة<sup>(١)</sup> .

وتواجه المحقق صعوبة بالغة حين تكون المخطوطة فريدة من جهة ، وغفلاً من عنوانها واسم مؤلفها من جهة اخرى . فلا بُدَ آنذاك من البحث عن الدليل العقلي والدليل النقلي لاثبات عنوان المخطوط الضائع واسم مؤلفه المجهول .

ففي دار الكتب المصرية مخطوط فريد محفوظ برقم ٢٢٨١ - تاريخ تيمور ، فقدت منه صفحة عنوانه ، والصفحة الاولى من خطبة مؤلفه ، فضاع بذلك عنوان الكتاب واسم مؤلفه معاً . وقد وهم بعض مهترسي دار الكتب فسموا الكتاب « تراجم الشعراء » ونخلوه الى الثعالبي .

ان دراسة النص من الداخل كانت تنفي نسبة الكتاب الى الثعالبي ، فقد ورد في المخطوط شعر لابن منير الطرابلسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، والثعالبي توفي سنة ٤٢٩ هـ . وفيه شعر في مدح عائلة الدوامي وهي اسرة اشتهرت في اواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين .

ووردت في النص عبارة تدل على انه صنف أيام المستنصر بالله العباسي الذي ولي الخلافة سنة ٦٢٣ هـ وهي : « وأنا أقول : قاتله الله ، لو شاهد هذه الايام المستنصرية » فلا وجه ان نسبة هذا المخطوط الى الثعالبي ، فهو مصنف بعد وفاته بقرنين . وبدأت رحلة محقق الكتاب الاستاذ شاكرا العاشور وراء اسم المخطوط واسم مصنفه التي استمرت عشر سنين وانتهت بالتوفيق والنجاح التامين .

لقد وجد المحقق في المخطوط اشعاراً نسبها المصنف الى نفسه مدح بها بعض خلفاء بني العباس ، وقد ازال بعض العابثين اسم الممدوح .

وقد ظفر المحقق المذكور بعض تلك القصائد في مخطوطة ديوان ابي المجد اسعد بن ابراهيم بن الحسن بن علي الاريلي ، مما مدح به الخليفة المستنصر بالله العباسي وهي مخطوطة أصلها في الظاهرية

ومصورتها في المجمع العلمي ببغداد . وهكذا توصل الى اسم مصنف المخطوط . وبقي أمر الغوص في مظان ترجمته بحثاً عن « عنوان المخطوط » ومن خلال رحلة المحقق المضنية هذه وقف عن كتاب « تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي وفيه ترجمة لمجتني المروءة عبدالله بن أحمد الحنفي » ورد فيها ما نصه : « ذكره شيخنا الصدر العالم مجد الدين أسعد بن ابراهيم النشأبي الاريلي في كتاب « المذاكرة في ألقاب الشعراء » وقال : كان عبدالله بن أحمد الحنفي يلقب مجتني المروءة ، وكان صديقاً لعبدالله بن المقفع . ولقب مجتني المروءة لكثرة ذكره المروءة ، فحق ذلك قوله :

لا تحسبن أن المروءة مطعم ، أو شرب كأس  
أو في الولاية والمواكب ، وللباس  
لكنها كرم الفرو

ع . زكث على كرم الغراس » .

وهذا النص منقول من المخطوطة الفارقة العنوان ، وبالظفر به توصل المحقق بشكل قاطع الى اسم المخطوط وهو « المذاكرة في القاب الشعراء »<sup>(٢)</sup> .

مثل هذا العناية عانتها الدكتوراة ودار القاضي حين وقفت أمام مصورة مخطوطة محفوظة في مكتبة كوبريللي بالاسنانه عنوانها جواهر الحكم ورقمها ١٢٣٤ تم نسخها سنة ٥٩٧ هـ .

فقد وجدت ان صفحة العنوان كتب عليها بخط واضح « كتاب النوايغ والحكم للزمخشري رحمه الله تعالى آمين » . بينما جاء على ظهر الورقة نفسها ما يلي : « قال بديع الزمان الهمداني رحمه الله تعالى برحمته وأسكنه اعلى فسيح جنته بمنه وكرمه » . الى أن يقول في الصفحة ذاتها : « فهذا كتاب لقبته « جواهر الحكم ونوايغ الكلم » ..

فالمخطوطة تنسب مرة للزمخشري وثانية لبديع الزمان الهمداني ، واسمها على صفحة العنوان « النوايغ والحكم » . واسمها في داخل النص « جواهر الحكم ونوايغ الكلم » . وقد اكتشفت المحققة ان خط الصفحتين الاولى والثانية مختلف عن خط سائر المخطوطة ، فجزمت بأن الورقة الاولى دخيلة على الكتاب دون ريب . وتساءلت هل يمكن أن تكون المخطوطة من تأليف الزمخشري ، فنفت ذلك لأسباب عدة من بينها ان المؤلف يتحدث عن أناس لقيهم وعن أمور شاهدها في القرن الرابع الهجري ، والزمخشري توفي سنة ٥٣٨ هـ . ولأن المخطوطة تعج بالهجوم على المتكلمين ، وخاصة المعتزلة ، ومثل هذا لا يمكن أن يصدر عن الزمخشري وهو معتزلي . ثم ناقشت المحققة مدى صلة هذا المخطوط ببديع الزمان ويكتاب منسوب اليه اسمه « جواهر الحكم ونوايغ الكلم » فجزمت بأن هذا الكتاب لا يمكن أن يصنفه بديع الزمان لان مؤلفه يتحدث عن أمور شاهدها سنة ٣٤٣ هـ ، ولم يكن بديع الزمان قد ولد حينئذ .

وهكذا وجدت نفسها أمام مخطوط مجهول العنوان ، مجهول اسم

المؤلف .

ولغرض التوصل الى مؤلف الكتاب فانها درست النص من الداخل دراسة واعية متأملة بهدف تحديد الزمان الذي عاش فيه والمكان الذي تحرك خلاله . والاشخاص الذين درس عليهم أو قابلهم ، وموافقه منهم . ثم الركائز الفكرية التي اعتمدها في الحقول العلمية المختلفة كالدين والفلسفة والكلام والاخلاق ، فضلا عن الاوضاع الاجتماعية والنفسية التي كان يعبر عنها . والمشكلات الشديدة الظهور في ادبه ، وانواع نشاطه لادبي ، فانتهت من ذلك كله الى أن هذا الكتاب المجهول هو من تصنيف ابي حيان التوحيدي ، وانه جزء من كتاب اكبر منه .

ان هذه الادلة كانت تمثل الدليل العقلي ، وهي لوحدها غير كافية لتأكيد نسبة الكتاب الى « التوحيدي » ما لم تعزز بالدليل النقلي . وقد كان لها ذلك حين وفقت الى مخطوطة كتاب رحلة قطب الدين النهروالي المتوفى سنة ٩٢٠ هـ . فوجدت النهروالي فيها ينقل في مواضع كثيرة عن كتاب « بصائر الحكماء وذخائر القدماء لأبي حيان التوحيدي » وان ما ينيف على عشرين نقلا من البصائر قد وردت في المخطوطة المجهولة التي كانت تحاول تحقيق عنوانها ونسبتها .

وهكذا تظاهر الدليل النقلي مع الدليل العقلي في اثبات ان هذه المخطوطة هي جزء من كتاب « البصائر والذخائر » لأبي حيان التوحيدي .

شبيه بهذا مخطوطة ظفر بها العالم الجليل الشيخ حمد الجاسر في مكتبة دير الاسكوريال في اسبانيا ، كانت غفلا من اسمها ومن اسم المؤلف ، وقد استرعت اهتمام الشيخ لأن مصنفها اورد نصوصا لفوية عن قدماء علماء اللغة ومقطوعات شعرية لشعراء متقدمين . واخبار وحكم وامثال ، قل أن يعنى بها من ليس من جلة العلماء . ومن خلال استقراء النص توصل الى أن مصنفها عاش في شرق البلاد الاسلامية في القرن الخامس الهجري . توصل الى ذلك من خلال شيوخه للذين أخذ عنهم ، وكان مصنف المخطوطة قد ذكر من اجداده اسحاق بن أبي العباس الاموي ، مما أكد انتسابه الى بني امية . كما ذكر من مصنفاته « الدرة الثمينة » و « الفیصل » و « تلو الحماسة » و « منية الاديب » .

وفي ضوء ما تقدم من حقائق استطاع الشيخ حمد التوصل الى مصنف المخطوطة وهو الشاعر المشهور محمد بن احمد الابيوردی ، الذي عدّ ياقوت في معجم الادباء كتاب « الدرة الثمينة » من مصنفاته . وتأكد ذلك أيضاً بما ورد في مخطوطة « زاد الرقاق » - وهي من مؤلفات الابيوردی المحفوظة بدار الكتب المصرية - إذ ورد فيها قول الابيوردی في اثناء الكلام على حماسة ابي تمام : ...وتقيت اثره في انتقاء ما يضاهاها من أشعار المحدثين ، ووسمت الاوراق المشتملة عليها بـ : « تلو الحماسة » . عزز هذا كله ما عُرف به الابيوردی من اهتمام باللغة إذ اجمع ياقوت والذهبي والسيوطي على انه له في اللغة مصنفات لم يسبق اليها . وهكذا توصل الشيخ الجاسر الى اسم المصنف وإن لم

يستطع إمطة اللثام عن اسم المخطوطة .

ومن المخطوطات التي رُئِفَ عنوانها واسم مؤلفها ، مخطوطة في دار الكتب الوطنية في تونس تحمل رقم ٣٧٤٥ عنوانها « كتاب ري الظما في من قال الشعر من الإما » تأليف ابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي .

وحين قام الدكتور جليل العطية بفحص المخطوطة ودراستها من الداخل انتهى الى انها لا يمكن أن تكون من تصنيف ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . لأن مصنفها ينقل عن رواية عاصره توفوا في القرن الرابع الهجري ومنهم : محمد بن خلف بن المرزبان ( ت ٣٠٩ هـ ) وعلي بن سليمان ( ت ٣١٥ هـ ) وجعفر بن قدامة ( ت ٣١٩ هـ ) وجحظه ( ت ٣٢٤ هـ ) .

ومن المستحيل على ابن الجوزي سماع اشخاص توفوا قبله بنحو قرنين . ثم ان المصنف أشار في مخطوطته هذه الى كتاب آخر له يدعى « القيان » وهو من مصنفات ابي الفرج الاصفهاني الشهيرة . وبالإضافة الى هذا فانه روى كثيراً من اخباره عن عم له يدعى الحسن بن محمد ، والحسن هذا عم ابي الفرج الاصفهاني - كما تذكر المصادر - ( انظر نقط العروس لابن حزم ص ١١٢ ) .

ثم ان المصادر التاريخية وكتب الطبقات تذكر لأبي الفرج الاصفهاني كتاباً باسم « الاماء الشواعر » وهذا ينطبق مع مادة المخطوطة انطباقاً تاماً .

وقد انتهى محقق الكتاب<sup>١</sup> من هذا كله الى ان عنوان المخطوطة الصحيح هو « الاماء الشواعر » وان مصنفها الحقيقي هو ابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغاني .

ومن المخطوطات التي نسبت الى غير مصنفها مخطوطة « توشيع التوشيع » . فقد نسب الكتاب في الصفحة الاولى من المخطوطة الى محمد بن عساكر .

ومحمد بن عساكر هذا هو ناسخ المخطوطة وليس مصنفها . ان هذا الكتاب في الاصل يضم مجموعة من الموشحات الاندلسية والمغربية والمشرقية مع معارضاتها التي نظمها مصنف المخطوط . وقد استطاع محقق الكتاب العثور على بعض هذه المعارضات في كتب اخرى منسوبة الى الصفدي . فصحت نسبة الكتاب اليه<sup>٢</sup> .

ومن المخطوطات التي نسبت الى غير مصنفها مخطوطة جوتنجن من كتاب « الموفقيات » فقد كتب على ورقة العنوان ما نصه : الموفقيات لأبي عبدالله الكاتب الدمشقي

ولكن مخطوطة باش اعيان العباسيين بالبصرة من الكتاب ذاته صحت هذا الوهم حين نسبت المخطوطة الى الزبير بن بكار .

وقد طبع الكتاب بعنوان « الاخبار الموفقيات »<sup>٣</sup> . واعتقد ان الاصول في تسميته ، « كتاب الموفقيات في الاخبار » على ما ذكر ابن النديم في الفهرست . أو « الموفقيات في الاخبار والاشعار » على ما ذكر ابن خير الاشبيلي .

نسبتها الى ابن الاثير ان ابن واصل في كتابه « مفرج الكروب » ١١٢ / ٣ أوردتها منسوبة الى ابن الاثير . وهكذا تضافرت الأدلة لتقطع كل شك وترد كل شبهة في صحة نسبة هذه الرسائل لضياء الدين ابن الاثير ، وفي انها جزء من ديوان رسائله الذي قال عنه ابن خلكان انه في عدة مجلدات<sup>(١١)</sup> .

وقد يعتري المخطوط تغيير في عنوانه من صُنع محققه ، كما حدث لكتاب « الوسائل الى معرفة الاوائل » لعبدالرحمن السيوطي ، الذي نشره المرحوم محمد اسعد طلس في بغداد عام ١٩٥٠ بعنوان « الوسائل الى مسامرة الاوائل » خلافاً لما نص عليه السيوطي في مقدمته . ثم أعاد نشره الدكتوران ابراهيم العدوي وعلي محمد عمر في القاهرة سنة ١٩٨٠ بعنوانه الصحيح<sup>(١٢)</sup> .

نظير هذا نشره المرحوم عبدالعزيز الميمني الراجكوتي لكتاب ابي عمرو الزاهد فقد نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - بعنوان « كتاب المداخلات » والسواب انه « المداخل في اللغة » كما نص على ذلك المعري في رسالة الغفران وبالعنوان الصحيح نشره محمد عبدالجواد في القاهرة<sup>(١٣)</sup> .

ومن المخطوطات التي وهم بروكلمان وصانع فهرس دار الكتب المصرية بالقاهرة في نسبتها المخطوطة الفريدة المرقمة ١٥٠٠ أدب . فقد أشار بروكلمان في اثناء ترجمة شميم الحلي الى مخطوطتين من كتابه « الأنيس الجليس في التجنيس » احدهما في الموصل والاخرى في القاهرة وهي مخطوطتنا موضوعة الكلام<sup>(١٤)</sup> .

وحين قصدت الموصل ووقفت على المخطوطة المذكورة ، وجدت أن لا علاقة لها بشميم الحلي ولا بفن التجنيس ، وانما هي مخطوطة مجهولة المؤلف اغلبها قصص ومواعظ دينية وعنوانها « أنيس الجليس في التجنيس » - كذا - وهي في مكتبة الاوقاف العامة في الموصل . ومصدر الوهم الذي وقع فيه بروكلمان ، اعتماده على كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود الجليبي . وحين صوّرت مخطوطة القاهرة اتضح انها تخلو من ذكر مؤلفها ، وان صانع فهرس دار الكتب المصرية توهم ان مصنفها هو شميم الحلي لما وجد في المصادر التي ترجمت للاخير من اشارة الى كتاب له عنوانه « أنيس الجليس في التجنيس » ، ولم يلتفت الى الفرق الظاهر بين العنوانين . فمخطوطة دار الكتب تحمل عنوان « الأنيس في غرر التجنيس » وكتاب شميم الحلي المفقود كان بعنوان « أنيس الجليس في التجنيس » فشأن ما هما .

حين انتفت نسبة هذه المخطوطة الى شميم الحلي بخلوها من اسمه واختلافها كلياً عن مخطوطة الموصل ، كان علي فحص النص من الداخل والغوص في كتب الطبقات والتراجم بحثاً عن مؤلفها . فتضافرت لدي الأدلة الآتية مؤكدة ان الكتاب من تصنيف الامام عبدالملك بن محمد الثعالبي :

١ - ان الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ في مخطوطة الوافي بالوفيات - القسم الثاني الورقة ٢٦٩ قد ذكر للثعالبي كتاباً

ومن المخطوطات النادرة التي حققناها مخطوطة محفوظة في مكتبة نور عثمانية بالاسكندرية وعليها رقمان رقم قديم هو ٢٧٤٥ ورقم حديث هو ٣٢٢٤ . والمخطوطة غفل من اسمها واسم مؤلفها ، وغفل من تاريخ نسخها واسم ناسخها وهي من موقوفات السلطان عثمان خان بن السلطان مصطفى خان .

ولتمرسنا بأسلوب ضياء الدين ابن الاثير والمأمن بدقائق حياته ، فقد جزمنا بأنها جزء من رسائله بالأدلة الآتية :

١ - ان استقراء مناسبات هذه الرسائل يرسم لنا صورة للحياة السياسية والأدبية التي عاشها ضياء الدين ابن الاثير . وهي صورة لا تختلط بغيرها من حيث الشخص والاحداث وتقطع بنسبة هذه الرسائل اليه .

٢ - قال ابن خلكان في ترجمة ضياء الدين ابن الاثير في وفيات الاعيان ٢٩١ / ٥ ما مثاله : « وله في كيفية خروجه مستخفياً رسالة طويلة ، شرح فيها حاله . وهي موجودة في ديوان رسائله » .

وأقول : ان هذه الرسالة موجودة في كتابنا هذا تحت رقم ( ٣٨ ) . وهي من أوثق الأدلة على ان المخطوطة المجهولة هي جزء من ديوان رسائله .

٣ - ومما عزز نسبة المخطوطة لضياء الدين ابن الاثير ، الرسالة المرقمة ( ٣٩ ) - بحسب ترقيمنا - ، فقد صذرنا بقوله : « كتاب كتبه في المعنى الى أخيه الأكبر مجد الدين أبياه الله تعالى » .

فمعلوم ان المحدث الكبير مجد الدين المبارك هو الاخ الأكبر لضياء الدين ابن الاثير .

٤ - ومن الأدلة القاطعة ان نقولاً من هذه الرسائل قد أثبتنا ابن الاثير في بعض مصنفاته وعزاها لنفسه صراحة ، ومن ذلك القطعة الواردة في الرسالة رقم ٥٦ والتي اولها : « ولكنها الايام انني تبدي لنا من جورها كل غريبة ... » فهذه القطعة اوردنا ابن الاثير في المثل السائر ١ / ١٩٦ ونسبها لنفسه ، وصذرنا بقوله : ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب أذم فيه الزمان ، ثم اورد النص المتقدم .

٥ - ومن ذلك ان ابن الاثير اورد في المثل السائر ١ / ٣٦٧ قطعة من رسالة كتبها الى الملك الافضل بهنيه بملك مصر . وهذه القطعة هي جزء من الرسالة رقم ١٩ من مخطوطتنا المجهولة .

٦ - ان المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم ابن الفرات قد أثبت في الجزء الثاني من المجلد الرابع ص ١٧٤ - ١٧٥ من تاريخه ، قطعة من رسالة كتبها ابن الاثير الى بعض اخوانه . وهذه القطعة على ما شابها من تصحيف وتحريف هي بعض من الرسالة المرقمة ٣٨ من مخطوطتنا المجهولة . وقد عزز

عنوانه « الأنيس في غزل التجنيس » .

٢ - ان ابن شاکر الکتبی المتوفى سنة ٧٦٤ هـ في مخطوطة عيون التواريخ الورقة ٥٧ ذکر کتاباً للثعالبي عنوانه « الأنيس في غزل التجنيس » .

٣ - وذكر ابن قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٥١ هـ في مخطوطة طبقات النحاة واللغويين كتاباً للثعالبي عنوانه « الأنيس في غريب التجنيس » .

وليس يخفى على العارفين بالمخطوطات سهولة تحريف كلمة ( غر ) الى غزل أو غريب .

٤ - ان مصنف المخطوطة المصرية يشير في مقدمته الى كتاب آخر له في هذا الفن إذ يقول : « وبعد فان اجناس التجنيس كثيرة ، واقسامها جمّة ، ولهذا الخادم في تعديد اقسامها وايراد امثالها والتبنيه على عيونها وعيوبها ، وعررها وعررها كتاب لطيف يجمع مستوفاه وناقصها ومشاكلها ومماثلها ومشتقها ومركبها ، وغير ذلك مما يطول الكتاب بسياقة ذكره واعادة شرحه ... » . وليس يخفى ان للثعالبي كتاباً آخر عنوانه « اجناس التجنيس » ذكرته المصادر بهذا الاسم ونشره الدكتور ابراهيم السامرائي بعنوان « المتشابه » وهذا دليل آخر يعزز ان المخطوطة للثعالبي .

٥ - تنحاز مقدمات كتب الثعالبي بالاتي :

أ - اهداؤها الى بعض مشاهير عصره ، متخذاً من المقدمة والاهداء سبيلاً لاسباغ المدائح على من أهدي اليه الكتاب ، استجلاباً لرضاه وتقرباً منه ، واستنداراً لعطائه .

ب - انه اعتاد في مقدماته أن يذكر مادة الكتاب ، ويعدد ابوابه بشكل تفصيلي .

وهاتان الميزتان واضحتان تمام الوضوح في مقدمة مخطوطتنا هذه ، مما يعزز نسبتها للثعالبي .

٦ - من خصائص كتب الثعالبي : الاعادة . فهو ينقل نصوصه ومعلوماته من كتاب الى آخر ، ولكنه في هذا النقل وتلك الاعادة يعرضها عرضاً جديداً ، وكثيراً ما يستشهد بالشواهد ذاتها ولكن في مبحث جديد ولغرض جديد . فهو يستخدم النصوص ذاتها استخدامات متعددة في كتب متعددة لاغراض متعددة . وهذه الصفة واضحة في مخطوطتنا هذه . فشواهدا الشعرية تطفح بها كتب الثعالبي ولا سيما « البيتية » ، لكنه هناك أوردتها في غضون تراجم شعراء معينين كمختارات من اشعارهم ، أمّا هنا فإن هذه الشواهد ترد لتأكيد غرض من اغراض التجنيسات المركبة التي عقد عليها الكتاب .

٧ - وثمة دليل آخر فان الشعراء الذين استشهد المؤلف بأشعارهم هم من الذين ألف الثعالبي الاستشهاد بأشعارهم في مصنفاته ، كالبيستي وابي الفضل الميكالي والمطوعي

وقابوس بن وشمكير وابن نؤشت وابن مطران والعتبي والرستمى والصاحب بن عباد وسواهم ، وليس فيهم شاعر واحد متأخر عن عصر الثعالبي . وهذا دليل داخلي يدعم ان الكتاب من تصليفه .

وهذا كله انتهى بنا الى تأكيد نسبة الكتاب الى أبي منصور الثعالبي<sup>(١١)</sup> . انموذج آخر من المخطوطات المجهولة المصنف واجهت صديقنا الدكتور طارق الجتايي واعني كتاب « ائتلاف النُصرة في اختلاف نُحاة الكوفة والبصرة » في مخطوطته الفريدة المحفوظة في مكتبة شهيد علي بالاسنانه برقم ٢٣٤٨ . كانت المخطوطة غفلاً من اسم المؤلف ، واسم الناسخ . غير ان الناسخ ذكر انه فرغ من نساختها سنة ثمانين مئة للهجرة . وكان الدكتور احمد صبحي فرات قد نشر بحثاً قتيماً في مجلة المانية عن مؤلف هذه المخطوطة استطاع من خلال النص التوصل الى الحقائق التالية :

١ - ان المصنف عاش في زمن الملك اليميني الاشرف اسماعيل بن العباس ( ٧٧٨ - ٨٠٣ هـ ) الذي تذكر المصادر اهتمامه بالعلم والشعر ، والمصنف خدمه بهذا الكتاب .

٢ - ان كتب التراجم والتواريخ تذكر عدداً من العلماء المقربين من الملك الاشرف من بينهم : عبداللطيف الشرجي ( ت ٨٠٢ هـ ) وابنه احمد بن عبداللطيف ( ت ٨١٢ هـ ) .

٣ - ان مؤلف المخطوطة من تلامذة الفيروز آبادي مؤلف القاموس المحيط إذ ذكره في المخطوطة بعبارة : شيخنا .

وقد رجح الدكتور المذكور ان مصنف المخطوطة هو « احمد بن عبداللطيف الشرجي » لان الزبيدي ذكره في خطبة تاج العروس كواحد من تلامذة الفيروز آبادي الذين قرأوا القاموس المحيط عليه عام ٧٩٧ هـ ، وقد ذكر احمد هذا انه قرأه على المؤلف .

أمّا الدكتور طارق الجتايي فقد رجح ان مصنف هذه المخطوطة هو « عبداللطيف الشرجي الزبيدي لاسباب الآتية :

١ - ان المترجمين للأب وللابن ، عدّوا للأب كتباً ومصنفات ولم يذكروا لابنه شيئاً من ذلك .

٢ - ان السخاوي في الضوء اللامع عدّ الأب شيخاً للنحاة في عصره بقطره وان الملك الاشرف قرأ عليه بعض تصانيفه . وان الملك المذكور كان شديد الحفاوة به وقد بالغ في الاحسان اليه . فلا بدع أن يخدمه الاب بهذا الكتاب .

٣ - ان الانتهاء من تصنيف الكتاب وقع سنة ٨٠٠ هـ ، والابن لم يجاوز الثامنة والشعيرين من عمره في حين ان عمر الاب ثلاثة وخمسون عاماً ، وهو عمر النضج والشهرة ورسوخ القدم .

وهكذا قرّر عند الدكتور طارق ان المؤلف هو عبداللطيف بن أبي بكر بن أحمد الشرجي الزبيدي اليماني . لابنه احمد بن عبداللطيف<sup>(١٢)</sup> .

ومن المخطوطات التي نسبت الى غير مؤلفيها كتاب « الحنين الى الاوطان » فقد نشره اعلام معروفون منسوباً الى الجاحظ. نشره أولاً الشيخ طاهر الجزائري في القاهرة سنة ١٩١٥، ونشره المستشرق الشهير ريشر ضمن مجموع يضم ٢٩ رسالة من آثار الجاحظ. وهي فيه الرسالة الخامسة والعشرون - طبع المجموع في شتوتجارت سنة ١٩٣١. واعيد نشر طبعة الشيخ طاهر الجزائري في القاهرة سنة ١٩٣٢. ثم نشر بتحقيق المرحوم الاستاذ عبدالسلام محمد هارون ضمن رسائل الجاحظ - الجزء الثاني ص ٣٧٩-٤١٢، في القاهرة<sup>(١)</sup>.

وكان الاستاذ حسن السندوبي قد نفى نسبة هذا الكتاب للجاحظ وقال فيما قاله : من قرأ هذا وقرنه بشيء من كتب الجاحظ أو وازن بينه وبين طريقته في التأليف ، لا يشك مطلقاً في أن الجاحظ منه براء. وأنه من تلفيق الوراقين الذين يجمعون شتى العبارات الى بعضها في كتاب ، ثم ينسبونه الى مؤلف مشهور ليلقى الرواج عند الناس . ومن العجب أن الشيخ طاهر الجزائري - رحمه الله - وهو الذي وقف على طبعه يخدع به ، ولا يفتن الى ان نسبته الى الجاحظ كذب وافتراء<sup>(٢)</sup>.

وقد صدر الاستاذ عبدالسلام محمد هارون نشرته في الدفاع عن نسبة الكتاب ورده الى الجاحظ ، معللاً ذلك بأن الكتاب لا يحمل سمة من السمات التي توحى بأنه ليس من صنع الجاحظ ، فهو جارٍ على طريقته في التأليف ونهجه .... واسلوبه التعبيري لا يجافي ما عهدناه أيضاً من بيانه ، ومقدمة الكتاب أية على ذلك . كما انه ليس في نصوص الكتاب ، ولا في رجاله ، ولا في حوادثه ما يجاوز زمنه زمان الجاحظ ، وان كثيراً من نصوصه مشتركة بين هذا الكتاب وبين سائر كتب الجاحظ ، وتلك سمة جاحظية معروفة .

ثم انتهى الى القول : فعلى ذلك كله تنتفي الريبة في أن يكون هذا الكتاب منحولاً ، بل هو جاحظي جاحظي<sup>(٣)</sup>.

لقد استطاع صديقنا الدكتور جليل العطية أن يقيم الدليل العلمي القاطع على ان رسالة « الحنين الى الاوطان » التي نشرت عدة مرات منسوبة الى الجاحظ ، ليست له ، وانما هي لمؤلف آخر اسمه ( موسى بن عيسى الكسروي ) كان معاصراً للجاحظ وشيخاً لمحمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي . ففي غمرة تحقيقه لكتاب ( الحنين الى الاوطان ) لمحمد بن سهل المذكور على مخطوطتين احدهما في مكتبة جستربرتي بدمشق مكتوبة في القرن الخامس الهجري ، والاخرى في مكتبة آيا صوفيا بالاسكندرية ، تكشف له الحقيقة التالية :

- ١ - ان ( موسى بن عيسى ) قد صنف كتاباً في ( الحنين الى الاوطان ) وحذت تلميذه محمد بن سهل عن سبب تأليفه له .
- ٢ - ان محمد بن سهل تصفح كتاب شيخه المذكور ، فأخذ منه ما استحسنته ، وضم اليه ما فاتته وهو كثير ، وبؤنه تبويباً خاصاً ، وقد صرح بذلك في خطبة الكتاب .

وفقدان اسم المصنف من المخطوط مشكلة واجهتها وأنا احقق مخطوطة « منهاج الاصابة »<sup>(٤)</sup> فقد كانت المخطوطة فريدة في الدنيا محفوظة بدار الكتب الوطنية في تونس برقم ٧٩٦٩ وورقة العنوان فيها مكتوبة بخط مغاير للنص ، مما يؤكد سقوط ورقة الاصل . لكن ذلك لم يقدح في صحتها إذ ورد عنوان الكتاب في مقدمته حيث قال المؤلف : « ولما رأيت هذه الصناعة الشريفة الثناء ، العظيمة السناء ، قد درست معاهدها ، وطلمست معالمها ، وفسدت آلاتها ، وتغيرت حالاتها ، عملت هذا الكتاب وسميئته » منهاج الاصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة « ليكون تذكرة لي في مدة حياتي ، وأثراً صالحاً بعد مماتي » .

ولقد ثبت لي بالدليل القاطع ان هذه المخطوطة هي كتاب « منهاج الاصابة » حين ظفرت بنقول منها أوردتها القلقشندي في صبح الاعشى في الصحائف ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١٤٢ ، ١٤٧ من الجزء الثالث ، وكانت هذه النقول جميعها موجودة في مخطوطتنا هذه . لكن المخطوطة كانت خلواً من اسم المصنف ، فكان سندنا في التوصل اليه ما ذكره الزبيدي في « حكمة الاشراق » من ان محمد بن احمد الزفناوي قد صنف في علم الخط كتاب « منهاج الاصابة » وانتفع به أهل مصر . وكان سندنا أيضاً ما ذكره مصنف المخطوط من انه مختصر في قلم التلث وما ابتكر منه من الاقلام ، وهو الوصف ذاته الذي وصف به القلقشندي هذا الكتاب .

واذكر انني قرأت على الصحيفة ٣٢٨ من المجلد السادس من مجلة معهد المخطوطات - وهو مجلد قديم صدر عام ١٩٦٠ - ، خيراً مفاده وجود مصورة فريدة لديهم من ( شرح ديوان الحسن بن أسد الفارقي ) أصلها في كتابخانه ملي طهران برقم ٢٧٦ .

فاستأثر الخبر باهتمامي لاني كنت آنذاك اصنف كتاباً عن الحسن بن أسد الفارقي أضمت اليه ما تناثر من شعره في شتيت المطان ، فبعثت الى المعهد اطلب مصورتها . فلما وردت وفحصتها من الداخل اتضح انها ليست شرحاً لديوان الفارقي ولا ديواناً له . وانما هي نسخة اخرى من كتاب « الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب » للحسن بن أسد الفارقي أيضاً . وهذه النسخة لم يكن قد وقف عليها محقق « الإفصاح » الاستاذ الجليل سعيد الافغاني ، كما لم يقف على مخطوطة أوقاف بغداد . وقد اعتمد في نشرته الثانية وهي نشرة علمية متقنة صدرت ضمن منشورات جامعة بنغازي سنة ١٩٧٤ على مخطوطات المدينة المنورة وباريس ودار الكتب المصرية<sup>(٥)</sup>.

وقد تنبه الاستاذ الفاضل عبدالاله نبهان الحمصي الى خطأ في الجزء الأول من فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية صحيفة ٣٩٩ - رقم الكتاب ١٧٧ . إذ ذكر ان هذا المخطوط هو : ( نظم الضوابط النحوية للسكاوي ) . وقد توصل الباحث الفاضل الى خطأ ذلك ، وان وجه الصواب فيه ان المخطوطة هي ( نظم الفرائد للمهلي ) حيث قورنت المخطوطة بما نقله السيوطي في الاشباه والنظائر النحوية ٢ / ٤٤ عن المهلي<sup>(٦)</sup>.

٣ - ان النصوص التي اقتبسها ( محمد بن سهل ) من كتاب شيخه موسى بن عيسى موجودة في رسالة ( الحنين الى الاوطان ) المنسوبة الى الجاحظ ، وهو أمر يقطع بأن الرسالة المذكورة ليست للجاحظ<sup>١١١</sup>.

وعلى ذكر الجاحظ وما نسب اليه من المصنفات ، لا بد من الإشارة الى ان الكتاب الذي نشره الاستاذ رمضان ششن بعنوان « كتاب أمل الآمل » منسوباً الى الجاحظ<sup>١١٢</sup> ، ليس له . فمخطوطة الكتاب التي اعتمدها المحقق وهي محفوظة بمكتبة ولي الدين بالاستانة برقم ٢٦٣١ ليس فيها اشارة الى اسم المؤلف أو تاريخ تأليفه . وقد شك محققه في نسبه للجاحظ لاختلاف الاسلوب . رغم ان الجاحظ ألف كتاباً اسمه « الآمل والمأمول » هو في الضائع من تراثه . واضاف : لعل المؤلف هو الثعالبي ، أو رجل عاش في القرن الرابع الهجري .

ولقد توصل المحقق الثبت الدكتور جليل العطية الى مصنف هذا الكتاب ، واتضح انه محمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي « من علماء القرن الرابع الهجري » . فمن مصنفاته موسوعة « المنتهى في الكمال » وتضم اثني عشر كتاباً ، ذكرها النديم في الفهرست . وكتاب « الآمل والمأمول » هو السابع في الموسوعة<sup>١١٣</sup>.

ويلاحظ هنا ان المصنف قد نص في خاتمة كتابه على ما يلي : « تم كتاب الآمل والمأمول » . ولكن محققه السيد رمضان ششن غير العنوان فجعله « أمل الآمل » وشتان ما هما . ومن النصوص التي نسبت لغير مؤلفها شرح لقصيدة الشنفرى الشهيرة بلامية العرب ، طبع بهامش شرح الزمخشري للقصيدة المذكورة والمسمى « أعجب العجب في شرح لامية العرب » المطبوع في القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ .

فقد نسب هذا الشرح للمبرد . وهذا وهم لأن الشارح يصرح في غير موضع من شرحه انه من تلامذة ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب . فكيف يصح أن يكون المبرد هو صاحب الشرح !!! وهل كان المبرد يوماً تلميذاً لثعلب ؟!

وكما نسب للجاحظ وللمبرد ما ليس لهما فقد نسب للثعالبي ما ليس له أيضاً ومثال ذلك كتاب « طرائف الطرف » ومنه مخطوطات في باريس ومكتبات كوبرلي وأيا صوفيا وطويقيوسراي ولالهلي وغيرها . وقد صورت منه مخطوطة ولدى فحصها من الداخل وجدت مصنفها يقول : « فاني اردت أن اجمع طرفاً من الطرائف ... اكثرها لأهل العصر والقريبي العهد ممن ادركت زمانه وقرأت عليه ديوانه ، وادعيتها [ في ] مقدمة الأبواب في كل باب من شعر المتقدمين ... » ثم رأيت بين من اختار لهم شعراء لم يدركهم الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، كالابوردي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ والطغرائي المتوفى سنة ٥١٤ هـ وعمر الخيام المتوفى سنة ٥١٥ هـ والزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وسواهم . وهو أمر يقطع بنسبة الكتاب الى غير الثعالبي .

ووجدت مخطوطة منه في دار الكتب المصرية نسبت الى البارع الهروي<sup>١١٤</sup> . فطفت الاحق تراجم المذكور واخبار تصانيفه فثبت لي الآتي :

١ - ان البارع الهروي هذا هو : الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الديباس الهروي البغدادي المتوفى سنة ٥٢٤ هـ .

٢ - نص ياقوت في معجم الادباء على ما يلي : قال : الفضلاء الملقبون بالبارع في حراسان ثلاثة ، أحدهم بالبارع الهروي ، وهو صاحب كتاب « طرائف الطرف » وهو أدونهم في الفضل مرتبة<sup>١١٥</sup>.

٣ - ان حاجي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون قد وصف كتاب « طرائف الطرف » بما يلي : « مختصر على اثني عشر باباً فيه الاشعار والامثال والحكم . أوله : أما بعد حمد الله تعالى أولى ما افتتح به كل مقال انخ للبارع الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الديباس البغدادي الشاعر المتوفى سنة ٥٢٤ الهروي البغدادي »<sup>١١٦</sup>.

ووصف حاجي خليفة لمحتويات الكتاب وأوله يطابق تماماً المخطوطة التي بين أيدينا . وهكذا جزمنا بأن مصنف « طرائف الطرف » هو البارع الهروي البغدادي وليس الثعالبي .

وكان المستشرق « فلوجل » قد نشر في فيينا عام ١٨٢٩ كتاباً للثعالبي بعنوان « مؤنس الوحيد » . وهذا المطبوع في حقيقته قطعة من محاضرات الراغب الاصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ هـ . فهو ليس للثعالبي<sup>١١٧</sup> . ومما نسب للثعالبي وهو ليس له كتاب « الفرائد والتلائد » . الذي طبع في القاهرة سنة ١٣٠١ هـ منسوباً الى الثعالبي على هامش كتابه « نثر النظم » . ثم طبع منسوباً الى الثعالبي بعنوان « الامثال » في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ . وكان قد طبع بعنوان « أحسن المحاسن » منسوباً الى علي بن الحسين الرافعي في القسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ ضمن كتاب « خمس رسائل »<sup>١١٨</sup>.

قال صديقنا الدكتور محمود الجادر : ان المخطوطات والطبعات الثلاث المذكورة هي بأجمعها كتاب واحد وقد تأكد لدي بما لا يقبل الشك أنها جميعاً ليست للثعالبي ، وانما لابي الحسين محمد بن الحسن بن احمد الاحوازي . والدليل القاطع على ذلك هو ان الثعالبي نفسه اورد في كتابه « سحر البلاغة » ذكر الاحوازي ونسب اليه ثلاثة وعشرين نصاً وصفها بقوله : « ما أخرج من كلام أبي الحسين محمد بن الحسن الاحوازي في كتابه الفرائد والقلائد » . وقد وجدت هذه الاقوال الثلاثة والعشرين موجودة بأجمعها في المطبوع باسم الفرائد والقلائد المنسوب الى الثعالبي<sup>١١٩</sup>.

نظير هذا الكتاب المعلن « مكارم الاخلاق » الذي نشره الاب لويس شيخو اليسوعي في مجلة المشرق ببيروت سنة ١٩٠٠ م منسوباً الى الثعالبي .



ومعلوم ان العكبري كان ضريباً منذ الصغر ، والتعبير المذكور يشير الى عكسه ، اعني ان الشارح كان بصيراً ، فهو ليس العكبري .

٥ - وفي شرح الديوان ما يدل على ان الشارح دخل الموصل أو كان من أهلها وانحدر الى بغداد ثم ارتحل الى الكوفة وسافر الى بلاد الشام والحجاز والعكبري لم يكن من أهل الموصل ولا دخلها ولا دخل الكوفة .

٦ - والدليل الاخير ان لمؤلف الشرح كتابين في النحو هما : « نزهة العين في اختلاف المذهبين » و « الروضة المزهرة » . ولم يذكر أحد هذين الكتابين في تأليف العكبري .

تلك هي الأدلة التي ساقها الدكتور مصطفى جواد في نفي كون الشرح للعكبري . ثم استطاع بعد ذلك من خلال تعمقه في قراءة نص الشرح اكتشاف الحقيقة . قال : فقد جاء في الشرح في بيان قول المتنبي : تتقاصر الأفهام عن إدراكه

مثل الذي الافلاك فيه والدُّنا

قوله « قال ابو الحسن عفيف الدين علي بن عدلان : الرواية الصحيحة مثل بالرفع ... » وهكذا كشف شارح ديوان المتنبي عن اسمه . وعاج مصطفى جواد الى سيرة علي بن عدلان يستقرها في المصادر فوجده قد ولد بالموصل سنة ٥٨٣ هـ ودرس فيها الادب علي مكي بن ريان الماكسيني النحوي المشهور وقرأ عليه ديوان المتنبي وارتحل الى بغداد طلباً للعلم وهناك أخذ على ابي البقاء العكبري ، وسمع الحديث من جماعة ودرس فنون الآداب وأولع بحل المترجم والالغاز ثم ارتحل الى بلاد الشام ماراً بالكوفة . ودخل حلب . وكانت ملتقى العلماء والادباء وطلاب الحديث في اوائل القرن السابع واجاز له العلامة تاج الدين زيد بن الحسن الكندي . وكان يلم بدمشق ثم يرجع الى حلب ، وقد رأى فيها جمال الدين ابن القفطي وياقوتاً الحموي . كما لقي ابن خلكان وصاحبه . ثم قصد الديار المصرية ودرس على عبدالمنعم بن صالح التيمي الاسكندراني وقرأ عليه ديوان المتنبي . وصار علامة في الادب ولغة العرب . حاذقاً في حل المترجم والالغاز . وألف كتاب « عقلة المجتاز في حل الالغاز » وكتاباً في « المترجم » صنفه للملك موسى بن العادل الايوبي وطار صيته ونظم الشعر ، وألف الشرح الجسيم لديوان المتنبي وسماه « التبيان في شرح الديوان » وهو مأخوذ من تسمية شيخه العكبري لاعراب القرآن ، بالتبيان في إعراب القرآن . وألف في النحو « نزهة العين في اختلاف المذهبين » و « الروضة المزهرة » وترجم بالقاهرة سنة ٦٦٦ هـ<sup>٢٢</sup> .

وغني عن البيان ان تفاصيل سيرة ابن عدلان تنطبق وما ورد من اخبار شارح الديوان تمام الانطباق . وهكذا رُد كتاب التبيان وهو انفس شرح لديوان المتنبي الى صاحبه ومؤلفه الحقيقي .

ان هذا الكتاب ليس للثعالبي ، فهو منتخبات من كتاب الاحوازي الذي تقدم ذكره والمعنون « الفرائد والقلائد »<sup>٢٣</sup> .

وفي دار الكتب المصرية مخطوطة بعنوان « درر الحكم » برقم ٥١٠٧ أدب ، منسوبة الى الثعالبي . وهي بخط أسير الخطاطين ياقوت المستعصي فرغ منها سنة ٦٨١ هـ . وهذه النسبة مقلوطة إذ ورد في خاتمة المخطوطة ما نصه : تم المجموع بحمد الله وحسن توفيقه ، وفرغ من جمعه وكتبته ياقوت المستعصي في رمضان سنة احدى وثمانين وستمائة للهجرة ... » . وكلمة ( جمعه ) تقطع كل شك في ان مصنف الكتاب هو ياقوت بالذات<sup>٢٤</sup> .

في القاهرة بين عامي ١٩٣٦ - ١٩٣٨ صدرت الطبعة الاولى من ديوان ابي الطيب المتنبي بشرح ابي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان . حققه ثلاثة من جلة علماء مصر هم : مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي . ثم صدرت الطبعة الثانية منه عام ١٩٥٦ .

وقد نهى المرحوم الدكتور مصطفى جواد لتفنيد نسبة الشرح الى العكبري ، فاستدل على ذلك بالاتي :

١ - ان شارح ديوان المتنبي درس الديوان على شيخه مكي بن ريان الماكسيني بالموصل سنة ٥٩٩ هـ وقرأه بالديار المصرية على الشيخ عبدالمنعم بن صالح التيمي . والماكسيني نحوي ضريب مشهور توفي بالموصل سنة ٦٠٣ هـ ولم يكن شيخاً لابي البقاء العكبري في علم من العلوم ولا مسمعاً له . أما عبدالمنعم بن صالح فكان علامة مصر في النحو ولد سنة ٥٤٥ هـ وتوفي سنة ٦٣٣ هـ فبالامكان من الناحية التاريخية أن يكون تلميذاً للعكبري المولود سنة ٥٣٨ هـ والمتوفى سنة ٦١٥ هـ ، ولا يجوز العكس ، ثم ان الشيخ عبدالمنعم لم يدخل العراق والعكبري لم يدخل مصر .

٢ - ثم ان شارح ديوان المتنبي قال في شرحه : فسمعت شياخي أبا الفتح نصرالله بن محمد الوزير الجزري يقول ... « وهو ابن الاثير المولود سنة ٥٥٨ هـ والمتوفى سنة ٦٣٧ هـ . وكيف يكون ابن الاثير شيخاً للعكبري وقد ولد بعده بعشرين عاماً ؟ وتوفي بعد وفاته بثلاث وعشرين سنة ؟!

٣ - في شرح بيت المتنبي :  
يُدبّر الملك من مصر الى غنَدِ

الى العراق قارض الروم والنُوب  
أشار الشارح الى امتلاك الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب لمدينة آمد في ارض الروم ، ومعلوم تاريخياً ان احتلاله اياها تم سنة ٦٣٠ هـ فكيف يذكر العكبري في شرحه حادثة وقعت بعد وفاته بسنوات طويلة ؟!

٤ - قال شارح الديوان في موضع من شرحه : « ونقلته بخطي »

لا تقوم بغير دراسة النص من الداخل، واستبطانه للوصول الى اسمه واسم مصنفه على وجه القطع واليقين، لوجه التقدير والتخمين. بذلك تقضي الامانة العلمية.

كان ذلك في بواكير السبعينات، واليوم ونحن على اعتاب التسعينات اكتب هذا موضحاً بالامثلة قاعدة مهمة من قواعد التحقيق العلمي، ألا وهي قاعدة «توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه»، لينتفع به شبابنا المعتر بتراته العربي الاسلامي، الدارج على دروب العلم والمعرفة. والحمد لله على ما انعم الله به نعم المولى ونعم النصير.

وبعد: فقد كنت قبل اعوام طوال قد نشرت مقالة في مجلة - المكتبة - العراقية<sup>١</sup>، دعوت فيها صنّاع فهرس المخطوطات الى فحص المخطوط من الداخل قبل فهرسته. كي لا تضيع جهود طائلة وأوقات ثمينة في ملاحقة مخطوط وتصويره واحضاره، حتى اذا ما فحصه المحقق من الداخل اتضح انه شيء آخر غير ما ذكر في الفهرست. فتضيق جهود ويهدر مال، ويقتل وقت، ويموت أمل. وانتهيت الى القول: فليس من الفهرسة في شيء نقل ما كتب على صفحة العنوان وتعداد أوراق المخطوط وقياساته ونوع خطه. الفهرسة العلمية

## المصادر والمراجع

- (١) (العدد الرابع - المجلد الخامس عشر) الصادر سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، بغداد.
- (١٩) انظر ما كتبه بهذا الشأن في المجلد الثالث والعشرين - الجزء الثاني ص ١٢٨ - ١٢٩ من مجلة معهد المخطوطات العربية الصادر في نوفمبر ١٩٧٧ م، ذو القعدة ١٣٩٧ هـ.
- (٢٠) انظر المرجع السابق ص ١٢٩، وقد طبع مؤخراً كتاب نظم الفرائد وحصر الشرائد لمهلب بن حسن المهلبى بتحقيق الدكتور عبدالرحمن العثيمين.
- (٢١) ذخائر التراث العربي الاسلامي ١ / ٤٢.
- (٢٢) ادب الجاحظ ص ١٥٣.
- (٢٣) الجزء الثاني من رسائل الجاحظ ص ٣٨٠ - ٣٨١.
- (٢٤) انظر مقدمة المحقق الدكتور جليل ابراهيم العطية لكتاب «الحنين الى الاوطان» لمحمد بن سهل بن المرزبان - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- (٢٥) صدرت الطبعة الاولى من الكتاب في بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م.
- (٢٦) الحنين الى الاوطان: محمد بن سهل بن المرزبان: مقدمة المحقق ص ١٥.
- (٢٧) فهرس القاهرة ثاني ٢ / ٢٤٤ (كتبت سنة ٨٦٤ هـ).
- (٢٨) معجم الادباء (طبعة مرجليوث) ٢ / ٢٤١.
- (٢٩) كشف الظنون ٢ / ١١٠٩ - ١١١٠.
- (٣٠) انظر بروكلمان - الترجمة العربية ٥ / ١٩٥ - ١٩٦ وانظر «الشمالي ناقد» وأديباً.
- (٣١) وذكر بروكلمان انه طبع في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ بعنوان «العقد النفيس» ص ١٦٣: ونزهة الجليس» ٥ / ١٩٣.
- (٣٢) الشمالي ناقد وأديباً ص ١٦٤.
- (٣٣) المصدر السابق، ص ١٦٥.
- (٣٤) المصدر السابق، ص ١٦٠.
- (٣٥) في التراث العربي: تأليف مصطفى جواد ٢ / ٢٣٩ - ٢٥٤.
- (٣٦) أعدت نشر هذه المقالة في كتابي هوامش تراثية ص ٣ - ٦. بغداد ١٩٧٣.

- (١) القاها المستشرق الالماني بكلية الاداب سنة ٣١ - ١٩٣٢.
- (٢) تحقيق النصوص ونشرها ص ٤٠ - ٤١.
- (٣) مجلة المجمع الاردني نيسان ١٩٨٣ ص ١٢٥.
- (٤) نشرت هذه المخطوطة ببغداد في مجلة المورد المجلد ٨، العدد ٢، ١٩٧٩ م.
- (٥) نشرت هذا الكتاب في تونس سنة ١٩٦٧.
- (٦) نشر هذا الكتاب الدكتوران احمد مطلوب وخديجة الحديثي في بغداد سنة ١٩٦٧. ونشره الدكتور حفني شرف بالقاهرة سنة ١٩٦٩.
- (٧) نشره السيد شاكر العاشور ببغداد سنة ١٩٨٩.
- (٨) نشرت هذه المخطوطة بتحقيق الدكتورة وداد القاضي بعنوان «البصائر والذخائر»، الجزء السابع. الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- (٩) نشرت هذه المخطوطة بتحقيق الدكتور جليل العطية في بيروت سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- (١٠) صدر توشيع التوشيح تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفي بتحقيق البير حبيب مطلق في بيروت سنة ١٩٦٦.
- (١١) حققه الدكتور سامي مكي العاني وطبعه في بغداد سنة ١٩٧٢.
- (١٢) صدرت هذه الرسائل ضمن منشورات جامعة الموصل - ندوة ابناء الانبى بتحقيق: د. نوري القيسي وهلال ناجي سنة ١٩٨٢.
- (١٣) نشرته مكتبة الخانجي في القاهرة في ١٩٢ صحيفة.
- (١٤) نشر الميمني كتاب المداخلات في المجلد التاسع ص ٤٤٩ - ٤٦٠ الصادر سنة ١٩٢٩ من مجلة مجمع دمشق. وصدرت نشرة محمد عبد الجواد عن مكتبة الانجلو المصرية في القاهرة سنة ١٩٥٦.
- (١٥) انظر تاريخ الادب العربي: كارل بروكلمان - الترجمة العربية، ج ٥، ص ١٧٤.
- (١٦) صدر الكتاب بتحقيقنا في الجزء الاول من المجلد الثالث والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العراقي الصادر في كانون الثاني ١٩٨٢ م.
- (١٧) صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب في بيروت سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م بتحقيق الدكتور طارق الجنابي.
- (١٨) نشرت هذا الكتاب في العدد الخاص بالخط العربي من مجلة المورد

## طبقات الشعراء لمحمد بن سلام

بين مقالة المورد « طبقات الشعراء مخطوطا ومطبوعا »

وكتاب « برنامج طبقات فحول الشعراء »

دراسة

د. علي جواد الطاهر

كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة

الشعراء « في مجلة « الاديب » ، بيروت ، سن ٢٦ ، ج ١ ، ص ١٩٦٧ ؛ والفصل الثالث في « الاديب » أيضاً من السنة نفسها ، ج ٥ ، مايو ١٩٦٧ بعنوان « أسس جزئية في تصنيف الشعراء » . واحتفظ بالباب الثاني بفصليه : « طبقات الشعراء مخطوطا » و « طبقات الشعراء مطبوعاً » حتى ينتهي من خبر الشيخ محمود محمد شاكر الى نتيجة .

ثم عاد الى العراق ( قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة بغداد ) ولكتاب « طبقات الشعراء » مكانته من نفسه ، ويهمه كثيراً أن يعاد تحقيقه - بعد أن وجد النسخة المخطوطة التي افترقها الشيخ محمود محمد شاكر في مكتبة جسترستي بدلين . ولا شك في أن الاستاذ محمود محمد شاكر هو الأصل في التحقيق ، وقد بذل في نشره إياه سنة ١٩٥٢ جهداً وزاد علماً وحاز اختصاصاً ، ولكن لا تبدو على الاستاذ محمود محمد شاكر دلالة على سعيه لاعادة التحقيق . وليس صحيحاً أن يحقق الكتاب على غير علمه وبدون علمه .

وعرض على الدكتور نوري حمودي القيسي فكرة مؤداها أن يشتركا في اعادة التحقيق مع حفظ حق الاستاذ محمود محمد شاكر في المقدمة بان يوضع اسمه في مقدمة المحققين بسبب ما سياخذه المحققان من تحقيق الاستاذ شاكر الصادر سنة ١٩٥٢ . لقيت الفكرة قبولا ، ولكنني فضلت عرضها على الاستاذ محمود محمد شاكر ، فكتبت اليه رسالة أجاب عنها : انه حصل على المخطوطة الضائعة التي استقرت في مكتبة جسترستي بدلين ، وانه أعاد التحقيق عليها . وقد خرج الامر عن يده لانه موكل الى دار المعارف التي نشرت التحقيق الاول .. وكان

أنجز كاتب « مقالة المورد » كتابه « محمد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء » - عام ١٩٦٤ وهو متعاقد للتدريس في قسم اللغة العربية بكلية الآداب من جامعة الرياض ( الملك سعود ) ويمضي اجازته ببيروت حيث مكتبة الجامعة الاميركية . وقد استطاع - وهو في الرياض - أن يحصل من معهد المخطوطات العربية في القاهرة على صورة من صورة لمخطوطة مكتبة حكمت عارف بالمدينة ، وصورة لمخطوطة اخرى في مكتبة جسترستي بدلين في أنبيرة . وأن يجري مقابلة بين هاتين المخطوطتين ومطبوعة الاستاذ محمود محمد شاكر . وهم أن يكتب الى الاستاذ محمود محمد شاكر يشره بعثوره على النسخة التي كانت الاساس الذي اعتمد عليه في تحقيقه وقد فقدها . ولكن الدكتور مازن المبارك يبين له ان الاستاذ محمود محمد شاكر ليس في الحال التي يمكن مكاتبته فيها وكأنه يشير الى سجن أو احتجاز أو توقيف .

حين انتهى المؤلف من كتابه أقرأه ثلاثة أساتذة كرام من زملائه هم : الدكتور مهدي المخزومي والدكتور عزة حسن والدكتور مازن المبارك . وفتح « مكتبة النهضة » في بغداد لنشره فوافقت ( سنة ١٩٦٥ ) فارسل اليها المخطوطة ، ولكن المكتبة لم تستطع النشر . ولا بأس ، وليس المؤلف على عجلة من أمره ، ويهمه أن يطلع الباحثين والقراء على المهم من كتابه قبل أن يصدر مطبوعاً ، وهكذا فعل .

نشر الباب الاول بفصليه : « حياة ابن سلام » و « فنون علمه ومؤلفاته » ( بعد أن اكتفى من فنون العلم بتعريفها مختصراً الشواهد عليها ) في « مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق » - الجزء الاول من

طبقات الشعراء لمحمد بن سلام

ب - كان كاتب مقالة المورد يطمح الى صيغة أكثر إبانة حتى لو جاءت مفصلة .

ج - ما زال كاتب مقالة المورد يؤكد ان ليس لدينا ما يمين تاريخ العمى .

د - ان كثيرين ممن وصفتهم المصادر بالعمى لم يكونوا عمياناً منذ الولادة ، وكتاب الصلاح الصفدي شاهد على ذلك .

هـ - نقل الاستاذ محمود محمد شاكر أخباراً من « الاغاني » الى متن « طبقات الشعراء » مروية عن أبي خليفة . وفي هذه المنقولات ما يرد : اخذني ابو خليفة .. أو اخبرني الفضل بن الحباب الجمحي في

عموماً ، ويزيد - هنا - أن الاثنين وأربعين عموداً للموضوع ( طبقات الشعراء مخطوطاً ومطبوعاً ) كله ، ولم تكن الستة والأربعون الباقية للطبعة الاولى والآن ، يبدو أن كتاب الاستاذ محمود محمد شاكر « برنامج طبقات فحول الشعراء » لا يغير كثيراً مما جاء في مقال المورد ، وصاحب المقال ما زال عند برهاناته على آرائه في اسم الكتاب وأنه « طبقات الشعراء » وليس « طبقات فحول الشعراء » ، وأن ليس لمحقق ( شارحاً كان أم قارئاً ) أن يدخل ما جاء متناثراً في عدة كتب ( منها الاغاني ... ) في متن الكتاب الذي يحققه ليسد النقص على أن تلك المتناثرات هي من نصيب الكتاب كما كان عليه الكتاب المحقق نفسه ،

المدني بالقاهرة بجزئين - أو سفرين - كما سماهما . وكانت الطبعة الجديدة محط المراجعة والتقدير عندما قررت « محمد بن سلام » موضوعاً لطلبة الدكتوراه عام ١٩٧٧ - ١٩٧٨ ، ولا تقلل الملاحظات عليها من قيمتها ومكانة صاحبها العلامة .

ثم رأيت أن أنشر الفصلين في عنوان واحد هو « طبقات الشعراء .. مخطوطاً ومطبوعاً » ، ووصل خلال ذلك ( عام ١٩٧٨ ) كتاب بعنوان « ابن سلام وطبقات الشعراء » للدكتور منير سلطان . الكتاب جيد حسن التأليف علمي المنهج ، أشرت الى ما أفدت منه لدى إعداد الفصلين للنشر ، وحين انتهيت قدمته الى مجلة « المورد » ببغداد فنشرت في العدد الثالث من المجلد الثامن ( ص ص ٢٥ - ٤٦ ) لصام ١٣٩٩ / ١٩٧٩ .

وصل العدد - أو أوصل - الى الاستاذ محمود محمد شاكر فرأى أن يرد عليه بكتاب كامل انتهى بالصفحة ١٧٩ ، سماه « برنامج طبقات فحول الشعراء » ، القاهرة ، مطبعة المدني ١٤٠٠ / ١٩٨٠ . وللأستاذ محمود محمد شاكر أن يقول في الرد ما يشاء ، وهو العالم العلامة . ولكاتب مقالة « المورد » تنبيه واحد خلاصته انه كان يود لو تفضل الأستاذ محمود محمد شاكر فلاحظ ان كاتب مقالة « المورد » ذكر ملاحظاته على مطبوعتيه في فقرتين منفصلتين . أورد في الفقرة الاولى ما يحسن ذكره على الطبعة الاولى ( ١٩٥٢ ) كما هي لدى ورودها في سياق تسلسل طبقات الكتاب المختلفة والملاحظة على أي منها في تلك السياق هكذا : طبعة ليندن ( ١٩١٤ - ١٧ ) ، طبعة السعادة ( ١٩٢٠ ) ... الطبعة الاولى لتحقيق ( أو شرح ) الأستاذ محمود محمد شاكر .. ( دار المعارف ، ١٩٥٢ ) ، طبعة المكتبة المحمودية ( ١٩٦٨ ) ، طبعة بيروت لطبعة ليندن ( د . ت = ١٩٦٩ ) ، الطبعة الثانية لتحقيق ( قراءة وشرح ) الأستاذ محمود محمد شاكر ( القاهرة ، المدني ١٩٧٤ ) .

يقول كاتب مقالة « المورد » انه وقف عند الطبعة الاولى ( ١٩٥٢ ) كما هي ، وذكر عليها تسع الملاحظات المهمة ( أولاً ، ثانياً ... تاسماً ) كما هي ، كما لاحظها سنة ١٩٦٤ ، ولم يزد عليها شيئاً ، ولو شاء ل زاد دون أن يسمح لنفسه بالوقوف عند خطأ تافه جاء فيه المجزور مرفوعاً ( ص ٢٢ من مقدمة المحقق ) « وقد جمعت من كتاب [ بضم الباء ] الاغانى لأبي الفرج كل ما وقفت عليه ... » أجل إن كاتب مقال المورد أراد أن يبقى معها كما كان ، لانه بصدد تعريفها كما هي وكما عرّف غيرها في السياق ، وليلم بالوصف من تقع له أو يعتمد عليها . وهذه النقاط التسع ما زالت قائمة على تلك الطبعة . ومعنى هذا أن قول الأستاذ محمود محمد شاكر - وهو يرد على نقاط الملاحظات على الطبعة الاولى ( ١٩٥٢ ) ان كاتب مقالة المورد لم يقرأ الطبعة الثانية أو انه مر بها سريعاً « بلا احتفال ولا عناية » ( ص ١١٢ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ... ) قول غير وارد . وينظر - زيادة في التأكد - القسم

الآخر من المقالة ( مقالة المورد ) . غير وارد ، لان المسألة - هنا - مسألة الطبعة الاولى وليست مسألة الطبعة الثانية . وأحسب ان ما ذكره الاستاذ محمود محمد شاكر نفسه ( ص ١٥٥ ) يدل على أن كاتب مقالة « المورد » قد قرأ الطبعة الثانية ، وهو هنا - في هذه الحال - أي كاتب مقالة المورد - يصف هذه الطبعة الثانية ، وقد حل مكان وصفها من منهج البحث لدى سياق الكلام على الطبقات في تسلسلها الزمني . ويبقى السؤال : لم أطنب كاتب مقالة المورد في الكلام على الطبعة الاولى وأجز في الكلام على الطبعة الثانية . وهو سؤال قد يرد ، وجوابه ان كاتب مقالة المورد اكتفى - هنا - بما جاء هناك عما تتكرر الملاحظة عليه في الطبعتين وأشار الى نقاطه إشارة ، وهي ( ١ ) تسمية الكتاب بطبقات فحول الشعراء مع انه « طبقات الشعراء » . ( ٢ ) ادخال ما جاء في كتب خارج المخطوطة ( كالاغانى والموشح ... ) في متن الكتاب المحقق على أن هذا الذي جاء في الكتب الخارجية هو هو في الكتاب المحقق وهو يسد مكان الضائع من النسخة المخطوطة وكانه لم يضع . ( ٣ ) زيادة أشرطة وأبيات على شواهد محمد بن سلام . ( ٤ ) عمى أبي خليفة . ( ٥ ) عد أحمد بن حنبل بين من روى عن محمد بن سلام وأن ابن سلام من شيوخه وأحمد بن حنبل من تلاميذه . ( ٦ ) عد كل من روى عنه محمد بن سلام شيخاً له . ( ٧ ) إثبات كتاب « غريب القرآن » بين مؤلفات محمد بن سلام . ( ٨ ) حدة الأستاذ المحقق مع المستشرق يوسف هل صاحب الفضل المبكر في بحث كتاب « طبقات الشعراء » بين عامي ١٩١٤ - ١٩١٨ وأورية تغلى في حريها العالمية الاولى .

وزاد كاتب مقالة المورد - في حاشية - ان الأستاذ محمود محمد شاكر لم يعمل فهرساً بالمصطلحات الادبية - النقدية ، واستغرب - كاتب مقالة المورد - وجود - أو بقاء وجود - بشامة بن الغدير في طبقات الشعراء الاسلاميين .

وكانت النقاط قد مرت كلها مشروحة لدى الملاحظة على الطبعة الاولى ، واذا كان الذي بقي منها هو هو في الطبعة الثانية فلا خير في اعادة التفصيل فيه . وحين سلمت الطبعة الثانية مما اوجب الملاحظة على الطبعة الاولى اكتفى كاتب مقالة المورد بالتنبيه لـ « تلك السلامة » ، فقال : « ... ولكنه - أي الأستاذ محمود محمد شاكر - تجنب - فيما عدا ذاك - أشياء مما وقع للتحقيق الاول ، يكفي من ذلك انه اعتمد على المخطوطتين الأساسيتين ، وانه تجنب التصرف بنسب جميل بثينة ، والممقز ، وزاد على فهرسه السابقة ، فهرساً لمباحث العربية والنحو والفوائد ، وفهرساً للألفاظ من اللغة أخلت بها المعاجم ... » .

قلت : سؤال قد يرد ، وقد ورد فعلاً ، فقال الأستاذ محمود محمد شاكر ( ص ١٥٨ ) : « ان الطبعة الثانية لم تدل من اهتمامه ( ... ) إلا ما يتجاوز عمودين من مجلة المورد في مقالة حافلة فيها اثنان وأربعون

ب - كان كاتب مقالة المورد يطمح الى صيغة أكثر إبانة حتى لو جاءت مفصلة .

ج - ما زال كاتب مقالة المورد يؤكد ان ليس لدينا ما يعين تاريخ العمى .

د - ان كثيرين ممن وصفتهم المصادر بالعمى لم يكونوا عمياناً منذ الولادة ، وكتاب الصلاح الصفدي شاهد على ذلك .

هـ - نقل الاستاذ محمود محمد شاكراً أخباراً من « الاغانى » الى متن « طبقات الشعراء » مروية عن أبي خليفة . وفي هذه المنقولات ما يرد : أخبرني ابو خليفة .. أو أخبرني الفضل بن الحبيب الجمحي في كتابه الى ( ... ) أو ... فيما كتب به الي أو وكتب الي .. وفي هذا ما يدل على أن أبا خليفة كان يكتب .

٢ - قال صاحب مقالة المورد : « ونلاحظ أنه - أي الاستاذ محمود محمد شاكراً - يجعل « أحمد بن حنبل » بين من روى عن محمد بن سلام شأنه في ذلك شأن ثعلب وأبي حاتم والرياشي والمازني والزيادي ... وبالمسألة حاجة الى تثبيت ودراسة خاصة » .

وقال الاستاذ محمود محمد شاكراً ( ص ١١٢ ) : « ثم ... إنه - كاتب مقالة المورد - يلاحظ أنني جعلت « أحمد بن حنبل بين من روى عن محمد بن سلام ... » ومضى الاستاذ يبرهن على صحة قوله بأن أحمد بن حنبل أصغر من محمد بن سلام بخمس وعشرين سنة ، وابن سلام دخل بغداد سنة ٢٢٢ هـ - وأحمد بن حنبل في الثامنة والخمسين من عمره ، وابن سلام في الثالثة والثمانين من عمره .. وقد كتب عن ابن سلام قرين أحمد وصديقه « يحيى بن معين ... فماذا يستنكر إن ، من أن يكون أحمد قد كتب عنه أو سمع منه لغة أو شعراً أو خبراً وحديث به ... ومع هذا فانا لم أقل هذا استنباطاً فيؤخذ علي ، بل هذا هو الذي قاله ياقوت في معجم الألباء في ترجمة « محمد بن سلام الجمحي » ( ١٣ : ٧ ) قال : « وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل وابنه عبدالله ، ومع ذلك فانا لم أكن أكتب « تحقيقاً » في ترجمة أحمد بن حنبل ، وحملت ما نقل اليها ... » .

والتعليق على هذا :

أ - ان الحجج الثلاث الاولى ( أي سلام أكبر عمراً من أحمد بن حنبل ، ابن سلام دخل بغداد ، صديق أحمد بن حنبل روى عن محمد بن سلام ) ليست أكثر من نظريات أو فرضيات . ويبقى نقل الخبر عن ياقوت ( ١٣ : ٧ ) . ولا بأس بياقوت ناقلاً للأخبار ، ولكن لا بد من ملاحظات على نقله ومن ذلك سمة كتابه وتنوع أبواب علمه بين البلدان والاعلام ، وانه ينقل ، ينقل فقط ، وما يتيسر ... ولا بأس فللرجل فضله على العلم . ثم تأتي ملاحظة بُعد « اهتمامات » ياقوت عن « الامام أحمد بن حنبل » .

كل هذا يرد ، ويدعو الى التريث أو « التحوط » لدى رواية الخبر .

عموماً ، « ويزيد - هنا - أن الاثنين وأربعين عموداً للموضوع ( طبقات الشعراء مخطوطاً ومطبوعاً ) كله ، ولم تكن الستة والأربعون الباقية للطبعة الاولى والآن ، يبدو أن كتاب الاستاذ محمود محمد شاكراً « برنامج طبقات فحول الشعراء » لا يغير كثيراً مما جاء في مقال المورد ، وصاحب المقال ما زال عند برهاناته على آرائه في اسم الكتاب وأنه « طبقات الشعراء » وليس « طبقات فحول الشعراء » ، وأن ليس لمحقق ( شارحاً كان أم قارئاً ) أن يدخل ما جاء متناثراً في عدة كتب ( منها الاغانى ... ) في متن الكتاب الذي يحققه ليسد النقص على أن تلك المتناثر هو هو من نصوص الكتاب كما كان عليه الكتاب المحقق نفسه ، وليس لمحقق أن يزيد على الأبيات التي استشهد بها مؤلف الكتاب المحقق ، أبياتاً أخرى ليست من أصل الكتاب ولم يكن المؤلف يجهلها . هذا موجز القول في نقاط طال الكلام فيها ، ويصعب أن يختلف فيها اثنان ، ومنها ما لاحظته آخرون - أقصد التصرف باسم الكتاب - قبل مقالة المورد ويعمدها .

وتبقى بنقاط حاجة الى شيء من التفصيل ، وهذه هي :

١ - عمى أبي خليفة الفضل بن الحبيب راوي كتاب خاله محمد بن سلام ( طبقات الشعراء ) . قال صاحب مقالة المورد : « عاش أبو خليفة طويلاً فهو من المعمرين . وإذا عد في « العميان » ونكر انه « كان أعمى » فلا بد من أن يكون ذلك قد حدث على الكبر . وليس لدينا ما يعين تاريخ العمى » - المورد ، العمود الاول ، ص ٢٩ .

وأعاد القول في معرض النقاط ، « سانساً » : « لدى قراءة المقدمة نلاحظ انه في كلامه على أبي خليفة يقول « كان أعمى » ، وقد يومم مثل هذا التعبير بانه كان أعمى منذ الطفولة كبشار مثلاً ، ولم يكن في أخبار أبي خليفة ما يدل على ذلك ، وإنما هي تشير الى أن عماء كان متأخراً ، لكبره .. وقد عثر » .

قال الاستاذ محمود محمد شاكراً ( ص ١١١ ) : « ثم انتهى الى « سانساً » [ المورد ص ٤٢ ] فذكر ما قلته في ترجمة أبي خليفة أنه « كان أعمى » ، وأخذ علي إثبات ذلك ، مع اني نقلته عن معجم الألباء لياقوت ، وترجمته في « نكت الهميان في نكت العميان » للصلاح الصفدي ، ورأى أنه « لم يكن في أخبار أبي خليفة ما يدل على ذلك ، وإنما تشير الى أن عماء كان متأخراً ، لكبره ... وقد عثر » فانا نقلت ما هو موجود ، ولكن الدكتور أتى بشيء لا دليل عليه لا من مرجع ولا من بديهية عقل ... » .

والتعليق على هذا :

أ - ان كاتب مقالة المورد لم يأخذ على الاستاذ محمود محمد شاكراً إثبات انه « كان أعمى » ولكنه خشي على القراء من الوقوع في وهم التاكيد أنه « كان أعمى » مدى عمره ومنذ الولادة وهذا ما لا دليل عليه ، أما انه انتهى أعمى ، وكان أعمى فلا نقاش فيه أو في ذكره لدى الترجمة .



ولا تمنى الحال صاحبها حتى حين لم يكن « يكتب » تحقيقاً  
في ترجمة أحمد بن حنبل أو محمد بن سلام .

ومعلوم أن العلم بالامام أحمد بن حنبل لا يطلب عند ياقوت وفي  
« معجم الأديباء » وإنما يطلب في الكتب التي اختصت بالفقهاء  
والمحدثين وبالحنبلة منهم خاصة ، وبأحمد بن حنبل على وجه  
الخصوص . ولدينا كتاب ألفه عالم حنبلي هو أبو الفرج عبد الرحمن ابن  
الجوزي ( المتوفى سنة ٥٩٧ ) خاصاً بالامام أحمد بن حنبل على  
وجه الاستقصاء ، ووقفه خاصة عند شيوخ الإمام أحمد بن حنبل ومن  
روى عنهم .

- ما الرأي في أن نحتكم الى كتاب ألفه حنبلي عن حنبلي ؟  
- ليكن .

- ونقرأ كتاب الشيخ ابن الجوزي عن الإمام أحمد بن حنبل فلا نراه  
يذكر في شيوخه أو فيمن روى عنهم اسم محمد بن سلام .

ويكرر صاحب مقالة المورد أنه لا ينفي - في ملاحظته - نفيًا باتاً  
امكان أن يروى أحمد بن حنبل عن محمد بن سلام ، وإنما هو يدعو الى  
« التثبت والدراسة » ، ويزيد هنا أنه في مقالته عن محمد بن سلام  
المنشورة في مجلة « مجمع اللغة العربية بدمشق » نيسان ١٩٦٦ / نو  
الحج ١٣٨٥ - ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ) وقف عند باب « الحديث »  
من علوم محمد بن سلام ، وعند من روى عن محمد بن سلام فمدهم نقلاً  
عن الخطيب البغدادي - وهو موضع ثقة في الموضوع ، ثم قال : « و زاد  
آخرون : « الإمام أحمد بن حنبل » نقلاً عن الأنباري في « نزهة  
الألباء » فاحس ضعف المصدر في بابه وقال في الحاشية : « ولم يذكر  
ابن الجوزي في كتابه عن أحمد بن حنبل اسم محمد بن سلام بين من  
ذكر من مشايخ أحمد بن حنبل وكبار من روى عنهم . ويبدو أن في  
المسألة مبالغة أو التباس » .

ان الذي أراه كاتب مقالة المورد « التثبت والدراسة » ثم مراعاة  
النسبة والتناسب . فليس مناسباً أن نقول « روى عنه - عن محمد بن  
سلام - أحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو حاتم ، والرياشي ، والمازني ،  
والزيادي وأحمد بن حنبل » فنضع أحمد بن حنبل مع من كانوا تلاميذ  
بمعنى الكلمة في سياق واحد ويدون إعلام القارئ بالفارق الكبير بمقدار  
الرواية .

٣ - وقال كاتب مقالة المورد : « ويعد - الأستاذ محمود محمد  
شاكر - كل من روى عنه محمد بن سلام في طبقات الشعراء خبراً أو  
شعراً .. شيخه ( ... ) ويبدو أن الأستاذ محمود شاكر توسع كثيراً في  
معنى « الشيخية » ، وإلا كيف نضع بشار [ بشاراً ] - مثلاً - مع  
يونس بن حبيب ... » .

وقال الأستاذ محمود محمد شاكر ( ص ١١٣ - ١١٤ ) :  
« ... أما لفظ « شيخ » فانه عند أهل العلم من الأئمة ، لفظ مشترك ، أو  
شبيه بالمشارك . فكما يدل على العالم الذي تلازمه نهراً طويلاً تتلقى

عنه ، أو تروى عنه ، فانه يدل أيضاً على من لم تلقه إلا مرة واحدة ، ولم  
ترو عنه إلا حديثاً . والذين يتكلمون في أسانيد الاخبار والاحاديث  
يقولون مثلاً : « روى هذا الخبر ( الخبر من الاخبار ) محمد بن جرير  
الطبري ، عن شيخه فلان بن فلان ، ولم يرو عنه غير هذا الحديث  
المفرد » أي انه لقيه مرة واحدة ، وسمع منه خبراً واحداً لم يرو عنه  
غيره ، فيسمونه « شيخاً » لروايته عنه خبراً واحداً ليس غير ... » .  
والتعليق على هذا :

١ - الأستاذ محمود محمد شاكر عارف عالم بمداليل ألفاظ أهل  
العلم من الأئمة . وكلام كاتب مقالة المورد يستنكر هذا التسهل  
بالمصطلح وان كان يرمي أولاً الى ضرورة بيان الأهم والأقل أهمية في  
هؤلاء الذين نطلق عليهم لقب « شيخ محمد بن سلام » - أسبعين كانوا  
كما وردوا في الطبعة الأولى أم تسعة وتسعين كما بلغ العدد في الطبعة  
الثانية - « وإلا كيف نضع بشاراً - مثلاً - مع يونس بن حبيب ، يريد أن  
يقول كيف نضع من لم يرو عنهم محمد بن سلام إلا بيتاً واحداً أو خبراً  
واحداً في ميزان واحد - من التعداد - مع من تلمذ عليهم محمد بن سلام ،  
وأخذ عنهم علمه وأخباره ، ولزمهم طويلاً طويلاً حتى ولا غنى لدارسهم  
من العودة الى تلميذهم .

ونعود الى بشار الذي عده الشيخ محمود محمد شاكر من شيوخ  
محمد بن سلام ( ط ١ ، ص ١٢ : ط ٢ ، ص ٣٥ ) فلا نرى لابن سلام  
عنه إلا سؤالاً واحداً جاء فيه : « أخبرنا أبو خليفة ، أنبانا ابن سلام  
قال : سألت بشاراً العقيلي عن الثلاثة فقال ... » .

يريد بالثلاثة الأخطل وجريراً والفرزق ، والرواية نقلاً عن كتاب  
« الأغاني » - فهل يكفي هذا لأن نعد بشاراً في شيوخ محمد بن سلام ؟  
وهل كان بشاراً شيخاً من الشيوخ له مكانه من المسجد وتلامذته الذين  
يصنعون حلقة درسه ؟

ويمكن لكاتب مقالة المورد أن يصر على ما في إطلاق « شيخ » على  
من روى امرؤ عنه بيتاً واحداً أو خبراً واحداً .. من توسع ، التوسع حاصل  
كما في نظرة الى بشار في شيوخ محمد بن سلام - مثلاً - يمكن ، وينظر  
في حجة للأستاذ محمود محمد شاكر تقول : « والذين يتكلمون في  
أسانيد الاخبار والاحاديث يقولون مثلاً : « روى هذا الخبر ( الخبر من  
الاخبار ) محمد بن جرير الطبري عن شيخه فلان بن فلان ، ولم يرو عنه  
غير هذا الحديث المفرد » .

ينظر - كاتب مقالة المورد - في هذه الحجة ويقول : ان « شيخية »  
فلان بن فلان لم تحصل للطبري لانه « لم يرو عنه غير هذا الحديث  
المفرد » وإنما حصلت لأن فلان بن فلان كان « شيخاً » للطبري ، وان  
الطبري كان تلميذه ، وكل ما في الامر ان التلميذ ( الطبري ) لم يرو عن  
شيخه ( فلان بن فلان ) « غير هذا الحديث المفرد » ولا تدل على أن  
الطبري « لقي فلان بن فلان مرة واحدة ، وانه سمع منه خبراً واحداً » .  
كان فلان بن فلان شيخاً ، وكان الطبري تلميذاً ، ولكن التلميذ لم يرو عن

الشيخ غير أخير واحد أو حديث واحد . فلان بن فلان - هنا - شيخ لأنه شيخ بمعنى الكلمة ، والطبري تلميذ بمعنى الكلمة أيضاً .

٤ - قال صاحب مقالة المورد : « وثبت - الأستاذ محمود محمد شاکر - بين مؤلفات محمد بن سلام كتاب « غريب القرآن » معتمداً على ياقوت في ذلك . وليس « غريب القرآن » لأبي عبد الله محمد بن سلام وإنما هو [ لأبي عبيد ] القاسم بن سلام . وكان الخطأ في النسبة ( قديماً ) نبه عليه القدماء » .

وقال الأستاذ محمود محمد شاکر ( ص ١١٥ ) - بعد ما أصلح ما ورد في الجملة الأخيرة من خطأ نحوي جاء فيه خبر كان مرفوعاً - « ... أنا لا أستطيع أن أجزم بأن ياقوتاً قد وهم ، بمثل هذه القوة التي أنكر عليه من أنكر ، وليس بعيداً أن يكون لابن سلام كتاب صغير في « غريب القرآن » اطلع عليه ياقوت أو غيره ، ولم يصل إلينا بعد ، كسائر ما لم يصل إلينا من كتب المؤلفين ... » أخذاً عليه - على كاتب مقالة المورد - أنه لم يبين لنا من هم هؤلاء « القدماء » الذين نهبوا على خطأ ياقوت ؟ ... . والتعليق على هذا :

ان كاتب مقالة المورد كان - وما زال - غير مقتنع بأن يكون بين مؤلفات محمد بن سلام كتاب في « غريب القرآن » . ولكاتب المقالة لذلك أسباب ، فإذا ترك دواعي التضخيم التي يراها في ياقوت لتأخره زمناً ( ت ٦٢٦ هـ ) ، ولأنه غير متخصص ، وترك دواعي التضخيم التي يراها في ابن النديم لأنه كان « وراقاً » أكثر منه عالماً ولأنه لم يذكر « غريب القرآن » علماً خصص كلامه بمحمد بن سلام ويتعداد كتبه ، بل انه في الصورة التي ورد إلينا عليها كتابه جعل « طبقات الشعراء » كتابين ، ونسب الكتاب الواحد مرة لمحمد بن سلام ومرة لابن أخته الفضل بن الحباب ؟! اذا ترك كاتب مقالة المورد هذا وذاك ، فإنه يرجع الى محمد بن سلام نفسه فيراه رجل أدب وعلم بالشعر ورواية لغة وأخبار ، أما الذي هو رجل قرآن وحديث فهو القاسم بن سلام ، ويكفي أن يكون له : الغريب المصنف ، وغريب الحديث ، وغريب القرآن ، ومعاني القرآن ، وعدد آي القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وفوائد القرآن . ولم نر لمحمد بن سلام شيئاً - شيئاً فقط - من هذا .

هذه هي قناعة كاتب مقالة المورد ، وقد وقع اقتراب منها في رأي الأستاذ محمود محمد شاکر حين ناقش القوة في الانكار وليس الانكار نفسه ، وانتهى بأنه « ... وليس بعيداً أن يكون لابن سلام كتاب صغير في « غريب القرآن » اطلع عليه ياقوت أو غيره ، ولم يصل إلينا بعد ، كسائر ما لم يصل إلينا من كتب المؤلفين » . فالمسألة مسألة ليست بعيداً ، وليست مسألة جزم .

ثم يأتي الشطر الثاني من كلام الأستاذ محمود محمد شاکر ، وهنا يوضح كاتب مقالة المورد الموقف فيقول من حق الأستاذ محمود محمد شاکر أن يطالب بذكر القدماء الذين نهبوا على خطأ ياقوت ، لأن تنبيه القدماء لم يقع تخصيصاً على ياقوت وإنما على الخلط بين أبي عبيد القاسم بن سلام وأبي عبد الله محمد بن سلام . فهذا الخلط أقدم من

ياقوت ، والتنبيه له كذلك قديم ، أقدم منه بنحو من ثلاثة قرون أو أكثر . وقد أورد كاتب مقالة المورد ذلك في ترجمته لمحمد بن سلام في « مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق » كانون الثاني ١٩٦٦ / رمضان ١٣٨٥ ( ص ٦٠ ) بصدد « خبر أورده أبو الطيب اللغوي ( المتوفى عام ٣٥١ هـ ) وهو يتحدث عن دواعي تأليف كتاب « مراتب النحويين » ، ويبين جهل الناس وتخليطهم : « حتى يظن قوم أن القاسم بن سلام البغدادي ومحمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات أخوان ! ولقد رأيت نسخة من كتاب « الغريب المصنف » على ترجمته : تأليف أبي عبيد القاسم بن سلام الجمحي ، وليس أبو عبيد بجمحي ولا عربي ؛ وإنما الجمحي محمد ، مؤلف كتاب طبقات الشعراء » وفاة « اللغوي » سابقة على وفاة « ابن النديم » بأكثر من ثلاثين عاماً في تقدير ، وبأكثر من نصف قرن في تقدير آخر !

وقال كاتب مقالة المورد في الحاشية على ما ذكره أبو الطيب اللغوي : « ويبدو أن هذا الوهم بقي على الزمن فقد ورد في سماع ( من القرن السادس ) في آخر النسخة الممشقية لكتاب الاموال » ... عن ، عن ... أبي عبيد القاسم بن سلام الجمحي ... وأبو عبيد القاسم بن سلام ... من كتبه الغريب المصنف ، وغريب الحديث ، وغريب القرآن ... والاموال ... » فكان القاسم بن سلام جمحي كمحمد بن سلام .

٥ - أما مسألة « يوسف هل » ناشر كتاب « طبقات الشعراء » لأول مرة ١٩١٤ - ١٩١٨ وأوربة في اتون الحرب العالمية الكبرى .. فلم يطلب كاتب مقالة المورد من الأستاذ محمود محمد شاکر أن يلبسه « سراويل الثناء والتمجيد والحمد » ولا أن يتقاضى عن خطأ في رأيه أو تصوره - ولا أقول في سقه ووضفنه - وإنما طلب أن يقال فيه الذي له والذي عليه ، ويكتفي من الذين له بما قاله الأستاذ محمود محمد شاکر ( ص ١١٦ ) : « والذي لا شك فيه عندي ان الرجل مشكور كل الشكر لما فعل ، ومذكور بالخير لفضله وسابقته » .

فالرجل جد واجتهد وليس مناسباً ألا ننوه بجهده وجهده ونحن نبين أغلاطاً له ، يدفعنا إيماننا بأنفسنا وسوء ظننا بغيرنا ، الى أن نقف عندها وحدها فضلاً عما نكون حملناها ما لا تحتل .

الخلاصة : نشكر يوسف هل على جهده ، ونبين أغلاطه على الوجه العلمي .

أما تعريج الأستاذ محمود محمد شاکر على المستشرقين عموماً وعلى « الاعمجي فرانز رورنتال المسكين » ص ١١٧ - ١٢٧ فهي - شأن وقفات أخرى - استطراد ، خارج الصدد . وللاستاذ محمود محمد شاکر أن يقول في هذه الوقفات ما يقول .

٦ - قال صاحب مقالة المورد : « ولم يستغرب الأستاذ المحقق محمود محمد شاکر وجود بشامة بن الفديري ص ٥٦١ في الاسلاميين مع ما تذكره المصادر من جاهليته » .

وروى الأستاذ محمود محمد شاکر هذا الخبر ص ١٠٧ وقال انه « يقابل ص ٧١٨ في الطبعة الثانية » وزاد ( ص ١٠٧ - ١٠٨ )

« وصنيع ابن سلام في الطبقات دالٌّ على أنه يُعدُّ المخضرمين في الجاهليين تارةً، وفي الاسلاميين تارةً ... وابن سلام لم يُعدِّ في مقدمة كتابه بأن ينكر طبقات الجاهليين، ثم طبقات المخضرمين، ثم طبقات الاسلام، بل كل ما قاله [ ص : ٢١ ] : « ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين، فنزلناهم منازلهم، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة وما قال فيه العلماء ... »، فهذا كلام مطلق لا حذ فيه ولا تعيين. والذي بأيدينا من كتاب الطبقات، وما نقل عنه الناقلون، يدل على أن ابن سلام فرق المخضرمين بين طبقات شعراء الجاهلية وطبقات شعراء الاسلام، فذكر في الثالثة من الاسلاميين كعب بن جعيل، ويقال انه شهد الجاهلية، وعمرو بن أحمد، وهو مخضرم لا شك فيه، وسحيم بن وثيل الرياحي، وهو مخضرم أيضاً .. وفي السادسة من الاسلاميين، ذكر بشامة بن الغدير وقراد بن حنش وهما جاهليان فيما تعرف فلعلَّ ابن سلام عدَّهما من المخضرمين، لخبر بلغه عن ادراكهما الاسلام، وإن لم يسلمَا . »

« وهذا موجود بنصه أيضاً في مقدمة الطبعة الثانية ( ص ٦٤ ، ص ٦٥ ) ، والامر لا يحتاج الى بيان ، ولا حيلة لي إذا غلبني الشك في أن الدكتور علي جواد الطاهر ، لم يقرأ الكتاب في طبعتيه جميعاً ، بل تصفحهما تصفحاً على عجل ، متمسكاً بالخطأ ، أو لما يتوهم أنه خطأ » .

والخلاصة في التعليق على هذا :

أ - لم يرد في مقالة المورد استغراب لرأي الأستاذ محمود محمد شاكر فيما رأى أن ابن سلام عذ شعراء مخضرمين في الجاهليين تارة ، وعذ شعراء مخضرمين آخرين في الاسلاميين تارة .

ب - إنما كان كاتب مقالة المورد يود لو أن الأستاذ محمود محمد شاعر « استغرب » وجود بشامة بن الغدير في الإسلاميين مع ما تذكره المصادر من جاهليته » .

فالاجماع قائم على أن بشامة بن الغدير جاهلي ، وانه لم يدرك الاسلام ، أو يقترب كثيراً من عصره ، وانه لم يكن بأي حال من الاحوال وأي تصور مخضراً ، فكيف يكون مخضراً وقد مات - باجماع الاخبار - في الجاهلية والاستاذ محمود محمد شاکر نفسه يعرف أنه جاهلي . ج - وهل يكفي في حجة الدفاع عن ورود بشامة بن الغدير الجاهلي المتوفى قبل الاسلام أن نقول : « فقل ابن سلام عده من المخضرمين لخبر بلغه عن إدراكه الاسلام . ما الموجب للترجي بعد نضاعة الدليل ؟

د- ان ابن سلام يعلم تماماً - وكما هو اللازم - ان بشامة بن الغدير جاهلي، وانه مات قبل الاسلام فلا يمكن أن يعد مخضرمًا، ولو كان

-جداً - مخضرمأ على هذه الدرجة من الضعف والتزجي لكان الاولى بدفعه الى الجاهليين مع ذكر ما بلغ ابن سلام عن ابراهيم الاسلام .  
هـ- ونرجع الى « طبقات الشعراء » الذي بايدينا لمحمد بن سلام نفسه فنقرأ : الطبقة الثامنة من الاسلاميين .

عقيل بن علفة ، بشامة بن الغدير ، شبيب بن البرصاء ، قراد بن حفش . ونقرأ على ص ص ٥٦٣ - ٤٦٤ من الطبعة الاولى ( شرح الاستاذ محمود محمد شاكر ) :

أخبرنا أبو خليفة ، أخبرنا ابن سلام قال : حدثني أبو عبيدة أن  
بشامة بن الغدير كان كثير المال ، وكان ممن فقا عينٍ بعير في الجاهلية ،  
وكان الرجل إذا ملك ألف بعير فقا عينٍ فحلها .

وكان قد أقعد ، فلما حضرته الوفاة لم يكن له ولد فقسم ماله بين  
 اخوته وبني أخيه وأقاربه ، فقال له زهير بن أبي سلمى - وهو ابن اخته :  
 ماذا قسمت لي يا خاله ؟ فقال : أفضل ذلك كله ! قال : ما هو ؟ قال :  
 شعري .

فَيُزَعَمُ مَنْ يَزَعُمُ أَنَّ زَهِيْرًا جَاءَهُ الشَّعْرُ مِنْ قَبْلِ بَشَامَةَ .

وفي حاشية الكتاب من هذه الطبعة : « إقرأ مثل هذا الخبر في الأغاني ١٠ / ٣١٢ ، وديوان زهير : ٣٢٥ » .  
هذا ما جاء في الطبعة الأولى .

ونعود الى الطبعة الثانية : الطبقة الثامنة - من الاسلاميين ،  
والشعراء الاربعة هم هم وفي ص ص ٧١٨ - ٧١٩ ، صميم الخبر  
هو هو .

فإذا كان زهير نفسه جاهلياً جاهلياً مات قبل الاسلام فما أولى أن يكون خاله بشامة بن الغدير أعرق منه في الجاهلية وأبعد عهداً عن الاسلام .

٧- يأمل كاتب مقالة المورد أن يعود ثانية الى الطبعة الثانية التي قراها وشرحها الاستاذ محمود محمد شاكر ليسجل ملاحظاته الاخرى خدمة للكتاب .

وهو هنا ، يسأل ، لهذه المناسبة ، عن السر العلمي الذي جعل الشيخ محمود محمد شاكر يضبط الحاء من « ابن حزم » بالكسر ، والمعلوم ان حزام بفتح الحاء - وقد كسر الشيخ الحاء في الطبعيتين ( ط ١ ، ص ٣٣ ؛ ط ٢ ، ص ٣٩ ) .

ثم اننا نعلم جيداً ان كتاب « طبقات الشعراء » مجلد واحد في النسختين المخطوطتين المعتمد عليهما ، ولكن القارئ يراه لديه عند طبعته الثانية في « سفرين » وهذا من عمل المحقق في استجابة لدواعي الطباعة والنشر ، ويقتضي الموقف أن يشرح المحقق ذلك للقارئ ، وهو يحدثه ( ص ٧١ ) عن « سيرتي في العمل .. » ..

ففي كتاب الاستاذ محمود محمد شاكر « برنامج طبقات فحول الشعراء » أشياء أخرى ، يمكن لقارئ أن يقف عندها ، ولكاتب مقالة « المورد » أن يداريها . ولكن كاتب المقالة هذا لا يريد أن يبذل من الوقت

أكثر مما بذل . ولا يريد أن ينتهي بون أن يبين أن كاتب المقالة حين كان يضع - في المورد - كلمات معينة من كلام الأستاذ محمود محمد شاكر - في الطبقات - بين أهله ( قوسين ) ، وحسب ذلك الأستاذ محمود محمد شاكر غمراً وهمزاً ولمزاً ( ص ١٦٩ ، ١٧١ ) فإن للأستاذ محمود محمد شاكر أن يعدها كما يشاء وكما صور له ذلك الذي أوصل إليه « مجلة المورد » . أما كاتب المقالة نفسه ، فقد كان على أعلى درجات حسن الظن والتقدير والاحترام ، وكانت الأهلة لديه تقول : انظروا التواضع ، تأملوا العلم ، لاحظوا الثقة بالنفس ، أكبروا - معنا - الشيخ الذي يدعو الى « نقد » عمله ، ويعلم « البراءة » مما صدر عنه وظهر له أنه غير جدير به ، لقد كان في « صراحته » أبين مما يود أن يوصله اليه محب معجب فيرده « الحياء » ..

ثم ..  
أكد للقارئ أن كاتب مقالة المورد ما زال هو هو من تقدير علم الأستاذ محمود محمد شاكر كما كان قبلها وهو يدرُس « طبقات الشعراء » لطلبة الماجستير والدكتوراه - وهم أحياء شهود يتصدرون كراسي التدريس في الجامعات داخل العراق وخارجه ، هو هو كما كان قبل المقالة . وكما كان بعدها وقد أوصل اليه كتاب الأستاذ محمود محمد شاكر « برنامج طبقات فحول الشعراء » خلساً .  
ولولم يكن كاتب مقالة المورد بعد « البرنامج » كما كان قبله لما « دُجج » مقالة الإعجاب والإطراء والثناء على « الشيخ محمود محمد شاكر » في مجلة « الفيلسوف » - داعياً ، في كل حال ، الى استثمار

كنوزه ، والى انتفاع الجامعات بعلومه . وإذا كان الأستاذ محمود محمد شاكر قد فهم مقالة « الفيلسوف » على غير حقيقتها فله ذلك ، ويكفي كاتبها أنه قال ما في نفسه من تقدير كما كان يريد ، ويكفيه - بعد ذلك - أن يفهمها القراء على أنها ضرب من الشجاعة .  
ويقرر - هنا - كاتب المقاليتين في « المورد » و « الفيلسوف » - أن كل ما أمكن أن يكون « لبرنامج طبقات فحول الشعراء » من صدق في نفسه ، هو ما شرعت تردده هذه النفس للنفس - بين حين وحين « من كلمات الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تُصيبيوا قوماً ... » أجل . وقتما أكمل الآية حتى آخرها .  
وملاحظة أخرى - للذين لم يحصلوا على نسخة من « برنامج طبقات فحول الشعراء » ، نقول إن حرص الأستاذ محمود محمد شاكر على هذا الكتاب حُبب اليه أن يقدمه بين مؤلفاته وتحقيقاته لدى الترشيح لعضوية « مجمع اللغة العربية » بالقاهرة . وزاد هذا فيه ، فعزم على أن « يجلد » « سفرى » كتاب الطبقات ( الصادر عام ١٩٧٤ ) ليتمكن لكتاب « البرنامج » أن يتصدر الجزء الأول بعد « الجلد » الأول مباشرة وقبل مقدمة الطبقات لينزل الكتابان الى السوق - على هذه الصورة - كتاباً واحداً . عزم الأستاذ محمود محمد شاكر ، ونفذ العزم ، وذلك حق ، وهكذا وصل الطبقات الى السوق العراقية ( عام ١٩٨٠ / ١٩٨٩ ) وأول ما يطل على الناس من كتاب محمد بن سلام كتاب الأستاذ محمود محمد شاكر : « برنامج طبقات فحول الشعراء » .

## المصادر والمراجع

- ابن سلام وطبقات الشعراء - دكتور منير سلطان . الاسكندرية ، منشأة المعارف ١٩٧٧ .  
الانجاني - أبو الفرج الاصبهاني ( ت ٣٥٦ ) . القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٣٦ .  
الاموال - أبو عبيد القاسم بن سلام ( ت ٢٢٤ ) القاهرة ١٣٥٣ .  
برنامج طبقات فحول الشعراء - أبو فهر محمود محمد شاكر . القاهرة ، مطبعة المدني ، د.ت ( ١٤٠٠ / ١٩٨٠ ) .  
تاريخ ابن حنبل - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ( ت ٥٩٧ ) ، القاهرة ، نشر محمد أمين الخانجي ١٣٤٩ .  
طبقات الشعراء - محمد بن سلام - مخطوطة المدينة المنورة ( مكتبة شيخ الاسلام ) مصورة . معهد المخطوطات العربية في القاهرة .  
مخطوطة مكتبة جاسترني - دبلن ، إيرلندا ( مصورة عنها ) .  
ط . ط . بريل ١٩١٣ - ١٩١٨ بتحقيق يوسف هل .  
أعاد بيروت طبعتها تصويراً ، دار النهضة العربية د.ت .  
- ينظر في أدناه : طبقات فحول الشعراء ..  
طبقات الشعراء مخطوطة ومطبوعة - علي جواد الطاهر . بغداد ، مجلة المورد ، العدد الثالث ، المجلد الثامن ، خريف ١٣٩٩ / ١٩٧٩ .  
طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام ، شرحه محمود محمد شاكر . القاهرة ، دار المعارف للطباعة والنشر ، ١٩٥٢ . الطبعة الاولى في جزء واحد .  
طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام ، قراء وشرحه محمود محمد شاكر . القاهرة ، مطبعة المدني ١٩٧ ( الطبعة الثانية في سفيرين ) - ينظر أدناه : طبقات الشعراء .
- الفهرست - محمد بن اسحاق ابن الخديم . القاهرة ، مط . الاستقامة د.ت ، الرحمانية ١٣٤٨ .  
محمد بن سلام - علي جواد الطاهر ، دمشق ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد الحادي والأربعون .  
١ - حياته ، الجزء الاول ، كانون الثاني ( يناير ) ١٩٦٦ / رمضان ١٣٨٥ .  
٢ - فنون علمه ومؤلفاته ، الجزء الثاني نيسان ( ابريل ) ١٩٦٦ / ذو الحجة ١٣٨٥ .  
محمود محمد شاكر - علي جواد الطاهر - الرياض ، مجلة الفيلسوف ، العدد ٩٩ المجلد الثامن ، جمادى الآخرة ١٤٠٥ / آذار ( مارس ) ١٩٨٥ ، باب « وأنت تقرأ » .  
مراتب النحويين - أبو الطيب عبد الواحد ، اللغوي ، الواحدي ، الحلبي ( ت ٣٥١ ) . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٥٥ ( ت ٦٦٦ ) .  
مجمع الادباء - ياقوت الحموي ( ت ٦٢٦ ) . القاهرة ، دار المأمون ، إشراف أحمد فريد رفاعي ١٩٣٦ / ١٣٥٥ .  
مقالة المورد - ينظر في أعلاه : طبقات الشعراء مخطوطة ومطبوعة .  
الموشح في ماخذ العلماء على الشعراء - المرزباني ، أبو عبيد الله محمد بن عمران ( ت ٣٨٤ ) . تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، دار نهضة مصر ١٩٦٥ .  
نزهة الالباء في طبقات الادباء - الانباري كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ( ت ٥٧٧ ) ، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٥٩ ( أعيد طبعه في بيروت ١٩٧٠ ) .  
نكت الهميان في نكت الهميان - الصفدي ، الصلاح الصفدي خليل بن أبيه ، المتوفى سنة ٧٦٤ ) ، القاهرة ١٩١١ ( أعيد طبعه تصويراً ) .

# علل الأعراب والحركات الاعرابية في العربية

دراسة

د. قيس اسماعيل الاوسي

جامعة صدام للعلوم الاسلامية

فهارس تشير الى وجودها ، فلم يكن من سبيل للكشف عنها إلا أن أصبر نفسي مع هذه الكتب ، أتوغل فيما احتشد من سطورها وكلماتها ، وأنا أتصفح وجوها وأطلع فيها ، باحثاً عن كل ما له علاقة بها .

( الإعراب ) لغة :

يجيء ( الإعراب ) في اللغة لمعانٍ منها : ( الإبانة ) ، يُقال : « أعرب عن حاجته » : إذا أبان عنها . و ( التحسين ) ، يُقال ( أعربت الشيء ) أي : حسنته . و ( التغيير ) ، يُقال ( عَرَبْتُ مَعِدَةَ الرَّجُلِ ) إذا تَغَيَّرَتْ . و ( الانتقال ) ، يُقال ( عَرَبْتُ الدَّابَّةَ فِي مَرَعَاهَا ) أي : جَالَتْ<sup>(١)</sup> .

وكلمة ( الإعراب ) في ( علم النحو ) قد تكون منقولة من قولهم ( عَرَبْتُ مَعِدَتَهُ ) إذا فَسَدَتْ ، فكأن المعنى في ( الإعراب ) : إزالة الفساد ورفع الإبهام ، ألا ترى أنك لو قلت : ( هذا زيد ) و ( رأيت زيد ) و ( مررت بزيد ) ، فلم تُغَيِّرْ آخر الكلمة ، لكان لك لبساً وإفساداً . فإذا خالفت بين الحركات في آخر الاسم ، وبللت بكل واحدة على معنى ، اتضح المقصود وزال اللبس والفساد ، فـ ( أعربت ) على هذا القول مثل ( أعجمت ) بمعنى : أزلت عجمته ، و ( أشكيت الرجل ) بمعنى : أرضيته وأزلت شكايته . فهذه ( الهمزة ) تُسمى ( همزة السلب )<sup>(٢)</sup> .

والانسب لكلمة ( الإعراب ) أن تكون مأخوذة من ( الإبانة )<sup>(٣)</sup> ، يُقال : ( أعرب عن نفسه ) إذا بيّن ما في ضميره وأوضحه ، و ( رجلٌ مُعَرَّب ) أي : فصيح يكشف عن مقاصده ويوضحها ، و ( أعرب عنه لسانه ) أي : أبان وأفصح ، و ( أعرب عن الرجل ) أي : بيّن عنه وتكلم بحجته ، ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « الثَّيِّبُ تُعَرَّبُ عَنْ نَفْسِهِ » أي : تُفَصِّحُ ، ومنه الحديث الآخر : « فَإِذَا كَانَ يُعَرَّبُ عَقَا فِي قَلْبِهِ لِسَانُهُ » ، ومن هذا أن يُقال للرجل الذي أفصح بالكلام : ( أعرب )<sup>(٤)</sup> .

وهو مُشْتَقٌّ من لفظ ( العرب ) ومعناه ، وذلك لما يُعْرَى اليهم من الفصاحة ، يُقال : ( أعرب ) و ( تُعَرَّب ) إذا تَخَلَّقَ بِخُلُقِي الْعَرَبِ فِي الْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ ، كما يُقال ( تَمَفَّدَ ) إذا تكلم بكلام مَعَدَّ<sup>(٥)</sup> . وإنما سُمِّيَ ( الإعراب ) إعراباً لتبيينه وإيضاحه ،

بسم الله الرحمن الرحيم

إن المشتغلين بعلم النحو ، ولا سيما المتأخرين منهم ، كانوا غير مبشرين عن علم الكلام ، إن لم يكونوا من المشتغلين به ، لذلك جاءت عيّنهم أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين : « أعلم أن علل النحويين - وأعني بذلك حذاقهم المتقنين ، لا ألفافهم المستضعفين - أقرب الى علل المتكلمين ، منها الى علل المتفقهين ، وذلك أنهم إنما يُحِيلُونَ عَلَى الْحَسِّ ، ويحتجون فيه بنقل الحال أو خفقتها على النفس ، وليس كذلك حديث علل الفقه ، وذلك أنها إنما هي أعلامٌ وأماراتٌ لوقوع الأحكام ، ووجوه الحكمة فيها خفية عنا ، غير يادية الصفحة لنا ... »<sup>(١)</sup> .

وعِلل النحو وإن كانت ترجع بعلل الفقه ، وتلحق بعلل الكلام ، إلا أنها لا تبلغ علل المتكلمين وبراهين المهندسين : « وأعلم أنا مع ما شرحناه وعُنيّا به فإوضحناه من ترجيح علل النحو على علل الفقه ، وإحقاقها بعلل الكلام ، لا نَدْعِي أَنَّهَا تَبْلُغُ قَدْرَ عِلَلِ الْمُتَكَلِّمِينَ ، ولا عليها براهين المهندسين »<sup>(٢)</sup> .

وكان غرض النحاة من دراسة علل النحو هو البحث عن الاسباب والاسرار التي تحكمت في التزام العرب ما التزموه من قوانين النحو وأحكام الإعراب في كلامهم : « إنا لسنا ندعي أن علل أهل العربية في سَمَتِ الْجِلَلِ الْكَلَامِيَةِ الْبَتَّةِ ، بل ندعي أنها أقرب اليها من الجِلَلِ الْفَقْهِيَةِ ، وإذا حَكَمْنَا بِدِيَةِ الْعَقْلِ ، وترافعنا الى الطبيعة والحس ، فقد وفينا الصنعة حقها ، وربانا بها أفرع مشارفها . وقد قال سيدي : « وليس شيء مما يُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ ، إِلَّا وَهْمٌ يَحَاوِلُونَ بِهِ وَجْهًا »<sup>(٣)</sup> . وهذا أصل يدعو الى البحث عن علل ما استكروهوا عليه ، نَعَمْ ويأخذ بيدك الى ما وراء ذلك ، فتستضيء به وتستمد التنبه على الاسباب المطلوبة منه ... »<sup>(٤)</sup> .

وينفرد هذا البحث بدراسة ( علل الإعراب والحركات الاعرابية في العربية ) ، وكان الرُّجَاجِي قد سجل جانباً منها في كتابه « الإيضاح في علل النحو » ، وجاء هذا البحث ليدرس الجلل التي فاتت الرُّجَاجِي ، أو التي كان الرُّجَاجِي قد أغفلها ، كما يدرس علل النحاة المتأخرين ، وهي كثيرة ، لكنها متناثرة ومبعثرة في كثير من كتب النحو ، ولا تتوفر لها



فـ ( الإعراب ) الذي هو من موضوعات ( النحو ) إنما هو : الإبانة عن المعاني وإيضاحها بالالفاظ ، و ( أعرب كلمة ) : إذا لم يُلْحَق في الإعراب<sup>(١١)</sup> .

ونلك أن النحويين لما رأوا في أواخر الاسماء والافعال حركات تمل على المعاني ، وتبين عنها ، سموها ( إعراباً ) ، أي : بياناً ، وكان البيان بها يكون ، كما يُسمى الشيء باسم الشيء إذا كان يشبهه أو مجاوراً له<sup>(١٢)</sup> .

ويؤكد هذا أن ( المبني ) إنما سُمي مبنياً لبقائه على حالة واحدة كالبناء المرصوص<sup>(١٣)</sup> .

فـ ( الإعراب ) هو : الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم ، ألا ترى أنك لو قلت : ( ضرب زيد عمرو ) ، بالسكون من غير اعراب ، لم يُعلم الفاعل من المفعول ، فلما كانت الاسماء تعتورها المعاني ، فتكون فاعلةً ، ومفعولةً ، ومضافاً اليها ، ولم تكن في صورتها وأبنيتهما أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة ، جُعِلَت حركات الإعراب فيها تدبئة عن هذه المعاني ، فقالوا : ( ضرب زيد عمرو ) ، فدلوا برفع ( زيد ) على أن الفعل له ، وينصب ( عمرو ) على أن الفعل واقع به . وقالوا : ( ضرب زيد ) ، فدلوا بتغيير أول الفعل ورفع ( زيد ) على أن الفعل ما لم يُسم فاعله ، وأن المفعول قد ناب منابه . وقالوا : ( هذا غلام زيد ) ، فدلوا بخفض ( زيد ) على اضافة ( الغلام ) اليه ، وكذلك سائر المعاني ، جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليُسموا في كلامهم ، ويُقدِّموا الفاعل إن أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة الى تقديمه ، وتكون الحركات دالة على المعاني<sup>(١٤)</sup> .

وفي هذا يقول ابن فارس : « إن الإعراب هو الفارق بين المعاني ، ألا ترى أن القائل إذا قال : ( ما أحسن زيد ) لم يُفَرِّق بين التعجب والاستفهام والنم إلا بالإعراب »<sup>(١٥)</sup> .

ويقول في ( باب ذكر ما اُختصت به العرب ) : « من العلوم الجليلة التي اُختصت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يُعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ، ولولاه ما مُيز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعموت ، ولا تَعَجُّب من استفهام ، ولا صَدْر من مصدر ، ولا نَعْت من تأكيد . ونكز بعض أصحابنا أن الإعراب يختص بالإخبار ، وقد يكون الإعراب في غير الخبر أيضاً ، لأننا نقول : ( أزيد عنك ؟ ) و ( أزيداً صرّيت ؟ ) ، فقد عجل الإعراب وليس هو من باب الخير »<sup>(١٦)</sup> .

ويقول أيضاً : « فاما الإعراب فبه تُمَيِّز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين ، ونلك أن قائلًا لو قال : ( ما أحسن زيد ) غير مُعرب ، أو : ( ضرب عمرو زيد ) غير مُعرب ، لم يوقف على مراده ، فإذا قال : ( ما أحسن زيداً ! ) أو ( ما أحسن زيد ) أو ( ما أحسن زيد ؟ ) ، أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراد . وللغزب في نلك ما ليس لغيرها ، فهم يُفَرِّقون بالحركات وغيرها بين المعاني .. يقولون : ( هذا

غلاماً أحسن منه زجلاً ) يريدون به الحال في شخص واحد ، ويقولون : ( هذا غلام أحسن منه زجل ) فهما إذن شخصان ، وتقول : ( كم زجل رأيت ؟ ) في الاستخبار ، و ( كم زجل رأيت ! ) في الخبر يُراد به التكثير ، و ( هُنْ حواج بيت الله ) إذا كن قد حَجَجْن ، و ( حواج بيت الله ) إذا أردن الحج ، ومن نلك : ( جاء الشتاء والخطب ) لم يُدْ أن الخطب جاء إنما أراد الحاجة اليه ، فإن أراد مجيئها قال : ( والخطب ) . وهذا دليل يدل على ما وراءه »<sup>(١٧)</sup> .

ويقول ابن الخشاب في فائدة ( الإعراب ) : « وفائدته أنه يُفَرِّق بين المعاني المختلفة التي لو لم يدخل الإعراب الكلمة التي تتعاقب عليها تلك المعاني التبيست . والمثال في نلك المسألة المذكورة ، وهي قولهم : ( ما أحسن زيداً ) و ( ما أحسن زيد ) و ( ما أحسن زيد ) ، صيغة الكلام واحدة ، ومعانيه مختلفة ، فإذا نصبت ( زيداً ) وفتحت النون من ( أحسن ) كان الكلام تعجبياً ، وإذا رفعت زيداً مع فتح النون كان الكلام نغياً للإحسان عنه ، وإذا رفعت النون وجزّت زيداً كان الكلام استفهاماً عن الشيء الذي هو أحسن ما في زيد ، كانك سألت : أعين زيد أحسن ما فيه أم أنفه أم ففه ؟ الى غير نلك مما يصح الاستفهام عنه منه ، فلولا اختلاف الحركات ، التي هي الرفع والنصب والجر المتعاقبة على دال ( زيد ) ، التبيست هذه المعاني ، فلم يكن بين بعضها وبعض فرق في اللفظ ، الى غير نلك من المسائل التي تتبين فيها فائدة الإعراب »<sup>(١٨)</sup> .

ولو اقتصر في البيان على حفظ المرتبة ، فَيُعْلَمُ الفاعل بتقدمه والمفعول بتأخره ، لَضَاقَ المذهب ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب ، ألا ترى أنك تقول : ( ضرب زيد عمرو ) و ( أكرم أخاك أبوك ) ، فَيُعْلَمُ الفاعل برفعه والمفعول بنصبه سواء تقدم أم تأخر<sup>(١٩)</sup> .

ان المعنى هو موجب الإعراب في الأصل ، نحو : ( الفاعلية ) و ( المفعولية ) و ( الإضافة )<sup>(٢٠)</sup> ، هذا قول جميع النحويين إلا قَطْرِيّاً ، فإنه عاب عليهم هذا الاعتلال ، وقال : لم يُعَرَّبِ الكلام للدلالة على المعاني والفرق بين بعضها وبعض ، لأننا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب مختلفة المعاني ، كقولهم : ( إن زيداً أخوك ) و ( لعل زيداً أخوك ) و ( كان زيداً أخوك ) ، كما توجد في كلامهم أسماء مختلفة الإعراب مُتَّفَقة المعاني ، كقولهم : ( ما زيد قائماً ) و ( ما زيد قائم ) ، فلو كان الإعراب إنما نخل الكلام للفرق بين المعاني ، لوجب أن يكون لكل معنى إعراب يدل عليه ، لا يزول إلا بزواله .

قال قَطْرِيٌّ : وإنما أعزبت العرب كلامها لان الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وَضْلَهُ بالسكون أيضاً للزهم الإسكان في الوقف والوصل ، وللَزَمَهُمُ الإبطاء عند الإبراج ، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك مُعَاقِباً للإسكان ، ليمتثل الكلام ، ألا تراه بنوا كلامهم على متحرك وساكن ، ومتحركين وساكن ، ولم يجمعوا بين

الذي قال في البرهنة على هذا الرأي : « إن ( الإعراب ) في الحقيقة ( معنى ) لا ( لفظ ) ، ولهذا قال (٢١) » : « الإعراب : أن تختلف أواخر الكلم لاختلاف الموامل » ، وقوله « أن تختلف » بمعنى : الاختلاف ، وليس الاختلاف بلفظ ، وإنما هو معنى .. فإذا قلت : ( جاءني زيد ) و ( رأيت زيدا ) و ( مررت بزيد ) فإن اختلاف الحركة ، وكونها مرة ضمة واخرى فتحة وثالثة كسرة ، ليئُل هذا الاختلاف على معانٍ مختلفة ، إعرابٌ ، وليس نفس الحركة بإعرابٍ ، ألا ترى أنها إذا وُجِدَتْ ولم يوجد الاختلاف لم تكن الكلمة مُعرِبةً ، وذلك ( أين ) و ( كيف ) ، ألا ترى أنهم مُتحرِّكان ، ولا يقول أحدٌ إنهما مُعرَّبان ، لاجل أنَّ الاختلاف غير موجودٍ في آخرهما . فإذا قيل لك في قولك ( جاءني زيد ) : ما الإعراب ؟ ، فقل : اختصاص الضمة بهذه الحال ، ومعنى الاختصاص أنها تزول في قولك : ( رأيت زيدا ) ، وكذا الفتحة تزول في قولك : ( مررت بزيد ) ، فكل واحدةٍ منها خُصَّتْ بدلالةٍ على معنى ، فهي تزول بزوال ذلك المعنى ، وتأتي صاحبُها الموضوع للمعنى الثاني ، وكذلك تأتي الثالثة للمعنى الثالث .

فالحركة إذن آلة الإعراب ، لأنَّ الاختلاف يحصل بها ، ولو كانت الحركة إعراباً لوجب أن لا يُقال : ( حركات الإعراب ) ، إذ الشيء لا يُضاف إلى نفسه ... فهذه الإضافة بمنزلة قولهم : ( مطيئة حرب ) ، إذ المعنى : أنَّ هذه الحركات بها يحصل الاختلاف في آخر الكلمة ، كما أنَّ المطيئة عليها يكون الحرب .. (٢٢) .

ومن هؤلاء أيضاً ابنٌ يعيش الذي يقول : « والظاهر المذهب الأول لاتفاقهم على أنهم قالوا : ( حركات الإعراب ) ، ولو كان الإعراب نفس الحركات لكان من إضافة الشيء إلى نفسه ، وذلك مُمتنع » (٢٣) .

### الإعراب أصل في الاسماء أم في الأفعال ؟

الإعراب عند البصريين أصل في الاسماء فرغ في الأفعال ، وعند الكوفيين أصل في الاسماء والأفعال ، وعند بعض المتأخرين أنَّ الفعل أحقُّ بالإعراب من الاسم . وهذا من الخلاف الذي لا يكون فيه كبير منفعة (٢٤) .

ويبقى ما ذهب إليه البصريون من أنَّ أصل الاسماء الإعراب ، وأصل الأفعال والحروف البناء ، هو الأولى بالقبول ، لاجل أنَّ الاسم تكون فيه معانٍ توجب الاختلاف ، كالفاعلية والمفعولية والإضافة ، فلو لم تات بالاختلاف لم يُفصل بين المقاصد ، وليس كذلك الأفعال والحروف ، لأنها تنلُ صيغها على معانيها ، ألا ترى أنَّ ( ضرب ) للماضي و ( سيضرب ) للمستقبل ، وكذا ( من ) لابتداء الغاية ، وليس فيها شيء من المعاني التي توجب اختلاف اللفظ ، فلو قيل : ( ضرب ، ضرب ، ضرب ) أو ( سوف ، سوف ، سوف ) لم يُفد هذا الاختلاف شيئاً ، ومن المُحال أن يُغيَّر اللفظ لغير معنى . فلهذا قالوا : إنَّ أصل الفعل والحرف البناء ، وأصل الاسم الإعراب (٢٥) .

ساكنين في حشو كلمة ولا في حشو بيت ، لأنهم في اجتماع الساكنين يُبطلون ، كما لم يجمعوا بين أربعة أحرف متحركة ، لأنهم في كثرة الحروف المتحركة يستعملون وتنهب المهلة في كلامهم ، لذلك جعلوا الحركة عَقَبَ الإسكان .

وقيل لِقَطْرُب : فهلاً لزموها حركة واحدة لأنها مُجزئة لهم ، إذ كان الفرض إنما هو حركة تعقب سكوناً ؟ ، فقال : لو فعلوا ذلك لضيقوا على أنفسهم ، فأرادوا الاتساع في الحركات وأن لا يحظروا على المتكلم الكلام إلا بحركة واحدة .

والفساد واضح في مذهب قَطْرُب واحتجاجة ، فلو كان سبب الإعراب - كما زعم قَطْرُب - هو جعل التحريك مُعاقباً للإسكان ، لجاز خفض الفاعل مرة ، ورفع أو نصبه أخرى ، وجاز نصب المضاف إليه ، ما دام القصد في هذا إنما هو جعل الحركة مُعاقبَ السكون حتى يعتدل بهما الكلام ، وأي حركة أتى بها المتكلم أجزائه فهو مُخَيَّرٌ في ذلك . وفي هذا فسادٌ للكلام ، وخروجٌ عن أوضاع العرب وحكمة نظام كلامهم (٢٦) .

### ( الإعراب ) اصطلاحاً :

لا يختلف ( الإعراب ) في اصطلاح النحاة المتقدمين عن معناه اللغوي ، فقد خدَّ الرَجَاجي بقوله : « الإعراب : الحركات المبينة عن معاني اللغة » (٢٧) ، وخدَّ ابن جني بقوله : « الإعراب : هو الإبانة عن المعاني بالالفاظ ، ألا ترى أنك إذا سمعت ( أكرم سعيد أباه ) و ( شكَّر سعيداً أبوه ) ، غلبت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شرجاً (٢٨) واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه » (٢٩) ، ويقول فيه أيضاً : « موضوع ( الإعراب ) على مُخالفة بعضه بعضاً ، من حيث كان إنما جاء به دالاً على اختلاف المعاني » (٣٠) .

ويُندَّ خدَّ ( الإعراب ) عند المتأخرين عن المعنى اللغوي للكلمة ، وذلك بسبب خضوعهم لفكرة العامل ، فقال الشريف الجرجاني في خدِّه : « هو اختلاف آخر الكلمة باختلاف الموامل لفظاً أو تقديرأ » (٣١) ، وقال الفاكهي : « خدَّ ( الإعراب ) : أثر ظاهر أو مُقدَّر يجلبه العامل في آخر الكلمة ، حقيقة أو مجازاً » (٣٢) ، كما عرّفه الأشموني بقوله : « ما جاء به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون أو حذف » (٣٣) .

وقد اختلفت النحاة في ( الإعراب ) ما هو ؟ ، فنهب طائفة منهم إلى أنه ( معنوي ) ، قالوا : وذلك لأنه تغيير أو اختلاف في أواخر الكلم لاختلاف الموامل في أولها ، نحو : ( هذا زيد ) و ( رأيت زيدا ) و ( مررت بزيد ) ، والاختلاف معنى لا محالة ، أمّا نفس الحركات فليست بأعراب ، وإنما هي علامات الإعراب ودلائل عليه . ونهب آخرون إلى أنَّه ( لفظي ) ، فهو عندهم لفظ لا معنى ، قالوا : لانه نفس حركات الإعراب ، فهو عبارة عن كل حركة أو سكون يطرى على آخر الكلمة في اللفظ ، يحدثُ بعامل ، ويبطلُ ببطلانه (٣٤) .

ومن الذين قالوا بأنَّ الإعراب ( معنوي ) عبد القاهر الجرجاني ،

مرفوع أو منصوب أو مجرور، عَلِمَ بهذه الألقاب أَنَّ عاملاً عمل فيه، يجوز زواله ودخول عاملٍ آخر يُحْدِثُ عمله، ووقَّعت الكفاية في الفرق بهذا اللفظ، وأغنى عن أن يُقال: ضمة حدثت بمامل، أو فتحة حدثت بمامل، أو كسرة حدثت بمامل، فكان في التسمية فائدة الإيجاز والاختصار. وقد خالفه الكوفيون وسَمُّوا ( الضمة ) اللازمة: رفعا، و ( الفتحة ) اللازمة: نصبا، و ( الكسرة ) اللازمة: جزأ. والصواب مذهب سيبويه لما فيه من الفائدة<sup>(١٠)</sup>.

علامات الإعراب:

أصل الإعراب أن يكون بالحركات، بالضمة رفعا، وبالفتحة نصبا، وبالكسرة جزأ، وبالسكون جزما، وإنما يُعْزَلُ عنها الى الحروف لسبب، ففي قولهم: ( جاعني أبوه ) و ( رأيت أباه ) و ( مررت بابيه )، جعلوا اختلاف الحروف قائما مقام اختلاف الحركات، فنابت ( الواو ) عن ( الضمة )، و ( الألف ) عن ( الفتحة )، و ( الياء ) عن ( الكسرة )، والذي دعاهم الى ذلك استتقالهم الحركة على حرف اللين، ألا ترى أنهم لو لم يتركوا الحركة لَلَزِمَهُمْ أن يقولوا: ( جاعني أبوه ) و ( رأيت أبوه ) و ( مررت بأبوه )، وذلك مُسْتَقْتَلٌ جداً، فلما كان كذلك جعلوا كل واحد من هذه الحروف قائما مقام نظيره من الحركة، فصار ( الواو ) بمنزلة الرفع، فقالوا: ( جاعني أبوه ) كما يقولون: ( جاعني أب )، و صار ( الألف ) بمنزلة النصب، فكان قولهم: ( رأيت أباه ) بمنزلة قولهم: ( رأيت أباً )، و صار ( الياء ) بمنزلة الجز، فكان قولهم: ( مررت بابيه ) بمنزلة قولهم: ( مررت بأب )، وعلى هذا يجري ما شاذة<sup>(١١)</sup>.

ونهب بعض النحاة الى أن هذه الحروف ليست نائبة عن الحركات، وإنما الإعراب يكون بالحركات مُقْتَرَنَةً على هذه الحروف، فالرفع في الاسماء الستة بضمة مُقْتَرَنَةً على الواو، والنصب بفتحة مُقْتَرَنَةً على الألف، والجز بكسرة مُقْتَرَنَةً على الياء. وكذلك القول في إعراب المثني والمُحْلَق به: إن الإعراب بحركة مُقْتَرَنَةً على الألف رفعا وعلى الياء نصبا وجزأ. وعلى هذا الرأي لم تُنَبِّ الحروف عن الحركات<sup>(١٢)</sup>.

شروط الإعراب:

يفتقر الإعراب الى ثلاث شرائط: ( الأولى ): الاختلاف. ( والثانية ): أن يكون ذلك الاختلاف في آخر الكلمة، وإنما جُعِلَ الإعراب في آخر الكلمة لانه دالٌّ على وصف الاسم، أي: كونه غمداً أو فضلا أو مُضافاً اليه، والدالُّ على الوصف يأتي بعد الموصوف. ( والثالثة ): أن يكون باختلاف العوامل، كقولك: ( جاعني زيد ) و ( رأيت زيدا ) و ( مررت بزيد )، فعامل النصب غير عامل الرفع، و عامل الجز غير عاملهما، فكل اختلاف وجد بهذه الصفة فهو إعراب<sup>(١٣)</sup>.

العامل في الإعراب:

نهب النحاة الى أن الذي يقبل الإعراب هو قبل تركيبه مع العامل

وقد لَخَصَ الرَّجَاجِي رأي البصريين بقوله: « أجمع الجميع على أن الإعراب إنما دخل الكلام ليفصل بين المعاني المُشَكِّكة، ويُزَلُّ به على الفاعل والمفعول والمضاف اليه وسائر تلك من المعاني التي تعتور الاسماء.. قالوا: وهذه المعاني موجودة في الاسماء دون الأفعال والحروف، فوجب لذلك أن يكون أصل الإعراب للاسماء، وأصل البناء للأفعال والحروف<sup>(١٤)</sup> ».

وقالوا: إنما كان أصل دخول الإعراب في الاسماء التي تُنْكَرُ بعد الأفعال، لانه يُنْكَرُ بعدها اسمان، أحدهما فاعلٌ والآخر مفعول، فمعناها مختلف، فوجب الفرق بينهما، ثم جُعِلَ سائر الكلام على ذلك<sup>(١٥)</sup>.

وقال البصريون: إن الإعراب فرع في المضارع، لانه أشبه الاسم في الإيهام والاختصاص فأعرب، وإيهامه أنه يحتمل الحال والاستقبال، واختصاصه بدخول ما يُخْلَصُ لاحدهما، كإيهام ( رجل ) في صلاحيته لكل فرد من الرجال، واختصاصه بواحد بدخول ( آل ) المعهية عليه. وظاهر كلام سيبويه أن دخول لام التوكيد من وجوه الشبه، نحو: ( إن زيدا لَيَقُومُ ) كما تقول ( إن زيدا لقائم )، وبه قال أبو علي، وقيل: ليست من وجوه الشبه، إذ هي دخلت عليه بعد استحقاقه الإعراب لتخصيصه بالحال، كما خصصته ( السنين ) و ( سوف ) بالاستقبال<sup>(١٦)</sup>.

أنواع الإعراب:

وهي: الرفع، والنصب، والجر. وأما الجزم فاختلِفَ فيه، فعمد قوم من أنواعه، وقال آخرون: ليس الجزم بإعراب. فالرفع بالضمة، والنصب بالفتحة، والجر بالكسرة، والجزم - عند من أثبت إعراباً - بالجنف، لأن الجزم قطع الحركة أو ما قام مقامها<sup>(١٧)</sup>.

فتسمية ( وجوه الإعراب ) يُريد به النحاة أنواع إعراب الاسماء، التي هي: ( الرفع ) و ( النصب ) و ( الجر )، لانه لما كانت معاني الاسماء مختلفة، تارة تكون فاعلة، وتارة تكون مفعولة، وتارة تكون مضافاً اليها، كان الاعراب المضاف اليها مختلفاً، ليكون الدليل على حسب المنلول عليه<sup>(١٨)</sup>.

وذلك أن الإعراب عبارة عن معنى يحصل بالحركات أو بالحروف، ولما وَجَدَ النحاة هذه الحركات قد أتت دالة على معانٍ، وصار اختلافها علماً لاختلاف المعاني، كالفاعلية والمفعولية والاضافة، جعلوا لها في هذا الحد أسماء منفردة، فـ ( الرفع ) اسم للضمة المختصة بحال معلومة ودلالة مخصوصة، وكذا ( النصب ) و ( الجر ) اسمان للفتحة والكسرة الذاليتين على المعنيين المخصوصين<sup>(١٩)</sup>.

وفصل سيبويه بين ألقاب حركات الإعراب وألقاب حركات البناء، فسمى ( حركات الإعراب ) : رفعا ونصبا وجزأ وجزما، و ( حركات البناء ) : ضما وفتحاً وكسراً ووقفاً، للفرق بينهما، فإذا قيل: هذا الاسم

وقف ، فإذا دخل العامل أثر ، والاصل في العامل أن يكون من الفعل ، ثم من الحرف ، ثم من الإسم<sup>(١١)</sup>.

وقسم النحويون العوامل الى : ( عوامل لفظية ) و ( عوامل معنوية ) ، ويرى ابن جني أن « العوامل اللفظية راجعة في الحقيقة الى أنها معنوية ، ألا تراك إذا قلت : ( ضَرَبَ سعيداً جعفرأ ) ، فإن ( ضَرَبَ ) لم تعمل في الحقيقة شيئاً ، وهل تحصل من قولك ( ضَرَبَ ) إلا على اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة ( قَلَّ ) ؟ ، فهذا هو الصوت ، والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوباً الى الفعل<sup>(١٢)</sup>.

والحركات الإعرابية عند ابن جني ليست نتيجة عمل عامل ، وإنما الذي يرفع وينصب ويخفض ويجزم هو المتكلم نفسه ، إذ هو بذلك يبين عن المعاني التي يريد بها بالالفاظ ، ففي قوله ( أكرم سعيداً أبوه ) تعرف برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، يقول في « باب في مقاييس اللغة » : « وإنما قال النحويون ( عامل لفظي ) و ( عامل معنوي ) ليؤكد أن بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه ، كـ ( مَزَتْ بزيد ) و ( ليث عمراً قائم ) ، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به ، كرفع المبتدأ بالابتداء ، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم ، هذا ظاهر الأمر ، وعليه صفحة القول ، فاما في الحقيقة ومحصل الحديث ، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره ، وإنما قالوا ( لفظي ) و ( معنوي ) لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضائة اللفظ للفظ ، أو باشتغال المعنى على اللفظ ، وهذا واضح<sup>(١٣)</sup>.

ويرى ابن جني أن المتكلم حين يرفع أو ينصب أو يجر ، إنما يتأمل مواقع الكلام ، ويعطيه في كل موضع حقه وحصته من الإعراب ، على بصيرة منه ، وليس استرسالاً ولا ترجيحاً ، يقول : « وسألت يوماً أبا عبدالله محمد بن العساف العقيلي الجوثي التميمي فقلت له : كيف تقول ( ضَرَبْتُ أخوك ) ؟ ، فقال : أقول ( ضَرَبْتُ أخاك ) ، فأنزته على الرفع فابى وقال : لا أقول ( أخوك ) أبداً . قلت : فكيف تقول ( ضَرَبَنِي أخوك ) ؟ ، فرفع ، فقلت : ألسنت زعمت أنك لا تقول ( أخوك ) أبداً ؟ ، فقال : أثبت هذا ! ، اختلفت جهتا الكلام . فهل هذا إلا أمل شيء على تأملهم مواقع الكلام ، وإعطائهم إياه في كل موضع حقه وحصته من الإعراب ، عن ميزة ، وعلى بصيرة ، وأنه ليس استرسالاً ولا ترجيحاً ، ولو كان كما توهمه هذا السائل لكثير اختلافه ، وانتشرت جهاته ، ولم تنقذ مقاييسه<sup>(١٤)</sup>.

ويرى الاستريادي ما رآه ابن جني من كون المتكلم هو المُحدث للمعاني الإعرابية ولعلاماتها ، ولكن النحاة نسبوا إحداث هذه العلامات الى اللفظ الذي بواسطته قامت هذه المعاني بالاسم ، فسئوه عاملاً لكونه كالسبب للعلامة كما انه كالسبب للمعنى ، يقول : « اعلم ان مُحِثَ هذه المعاني في كل اسم هو المتكلم ، وكذا مُحِثَ علاماتها ، لكنه نُسِبَ إحداث هذه العلامات الى اللفظ الذي بواسطته قامت هذه المعاني

بالاسم ، فسُمِّيَ عاملاً لكونه كالسبب للعلامة كما انه كالسبب للمعنى المُعَلَّم ، فقيل : العامل في الفاعل هو الفعل لانه به صار أحد جزئي الكلام<sup>(١٥)</sup> ، ويقول في ذلك أيضاً : « ان معنى ( الفاعلية ) و ( المفعولية ) و ( الإضافة ) : كون الكلمة عمدة ، أو فضلة ، أو مضافاً اليها ، وهي كالأعراض القائمة بالممدة والفضلة والمضاف اليه بسبب توسط العامل ، فالوجود كما نكرنا لهذه المعاني هو المتكلم ، والآلة العامل ، ومحلها الاسم ، وكذا الوجود لعلامات هذه المعاني هو المتكلم ، لكن النحاة جعلوا الآلة كأنها هي المُوجِدة للمعاني ولعلاماتها كما تتقدم ، فلهذا سُمِّيت الآلات عوامل<sup>(١٦)</sup>.

وابن مضاء القرطبي يُنكر أن يكون الإعراب بفعل العوامل ، كما يُنكر أن يكون بفعل المتكلم ، ويرى انه من فعل الله ، يقول : « قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستقني النحوي عنه ، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه ، فمن ذلك ادّعاؤهم أن ( النصب ) و ( الخفض ) و ( الجزم ) لا يكون إلا بعامل لفظي ، وأن ( الرفع ) منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي ، وعبروا عن ذلك بعبارات تُوهِم في قولنا ( ضَرَبَ زيدٌ عمراً ) أن الرفع الذي في ( زيد ) والنصب في ( عمرو ) إنما أحدثه ( ضَرَبَ ) .. فظاهر هذا أن العامل أحدث الإعراب ، وذلك بئس الفساد .

وقد صرح بخلاف ذلك أبو الفتح بن جني وغيره ، قال أبو الفتح في « خصائصه » بعد كلام في العوامل اللفظية والعوامل المعنوية : « وأما في الحقيقة ومحصل الحديث ، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره » ، فأكّد « المتكلم » بـ « نفسه » ليرفع الاحتمال ، ثم زاد تأكيداً بقوله « لا لشيء غيره » ، وهذا قول المعتزلة ، وأما منعب أهل الحق فإن هذه الأصوات إنما هي من فعل الله تعالى ، وإنما تُنسب الى الانسان كما يُنسب اليه سائر أفعاله الاختيارية<sup>(١٧)</sup>.

معنى ( الرفع ) و ( النصب ) و ( الجر ) من طريق اللغة : إن أصل الإعراب أن يكون في الكلام بالحركة ، والحركة لا تقوم بنفسها ولا توجد إلا في حرف ، ومع أن الرفع والنصب والجر قد يكون في الكلام بأشياء سوى الحركة ، إلا أنهم نسبوا ذلك كله الى الحركة ، لأن أصل الإعراب - كما تتقدم - أن يكون بالحركة ، وهو الاعم الأكثر . لقد نسبوا ( الرفع ) كله الى حركة الرفع ( الضمة ) ، لأن المتكلم بالكلمة المضمومة يرفع حنكته الأسفل الى الأعلى ويجمع بين شفثيه ، فأنث إذا ضممت الشفتين لإخراج هذه الحركة ارتفعتا من مكانهما ، فالرفع من لوازم مثل هذا الضم وتوابعه . وسُمِّيت حركة البناء ضماً وحركة الإعراب رفعاً لأن دلالة الحركة على المعنى تابعة لثبوت نفس الحركة أولاً . وجبيل ما كان منه بغير حركة موسوماً أيضاً بسمية الحركة لأنها هي الاصل .

المبتدأ هو الاسم المرفوع، والابتداء هو العامل، وذلك لأن المبتدأ يكون ممرى من العوامل اللفظية، ويعرَى الاسم عن غيره في التقدير قبل أن يقرن به غيره<sup>(٤٤)</sup>.

ونهب آخرون، منهم الجرجاني والزمخشري، إلى أن الرفع علم الفاعلية، فقدموا الكلام على الفاعل من بين المرفوعات ولا سيما المبتدأ لمشاركة في الإخبار عنه، وذلك لأن الفاعل تظهر برفعه فائدة دخول الإعراب الكلام، من حيث كان تكلف زيادة الإعراب إنما احتجّل للفرق بين المعاني التي لولاهما وقع لبس، فالرفع إنما هو للفرق بين الفاعل والمفعول اللذين يجوز أن يكون كل واحد منهما فاعلاً ومفعولاً، ورفع المبتدأ والخبر لم يكن لأمير يُخشى التباسه، بل لضرب من الاستحسان والتشبيه بالفاعل، من حيث كان كل واحد منهما مخبراً عنه، واقتضاه المبتدأ إلى الخبر الذي بعده كافتقار الفاعل إلى الخبر الذي قبله، ولذلك رُفِعَ المبتدأ والخبر، فالذين جعلوا الرفع علم الفاعلية أحقوا بالفاعل على سبيل التشبيه والتقريب المبتدأ والخبر، واسم (كان) وأخواتها، وخبر (إن) وأخواتها، وخبر (لا) التي لنفي الجنس، واسم (ما) و(لا) المشبهتين بـ (ليس) (٤٥)، وفي هذا يقول الجرجاني: «واعلم أن الرفع للفاعل في الأصل، وكونه في الابتداء فرع على ذلك، لأن أصول الكلام على ثلاثة معانٍ: الفاعلية والمفعولية والاضافة، فالرفع للفاعل، والنصب للمفعول، والجور للمضاف إليه، فالمبتدأ والخبر داخلان على الفاعل، ويدلّك على ذلك أن المبتدأ إنما يُؤتى به ليُخبر عنه، والفعل هو الأصل في الإخبار، وإذا كان كذلك كان الفاعل قبل المبتدأ في المرتبة، كما أن الفعل قبل الاسم في الإخبار، يدلّك على ذلك أنه لا يكون خبر المبتدأ إلا النكرة أو ما يتضمّن ضرباً من التنكير، ألا تراهم قالوا: إن الأصل أن يكون الخبر نكرة كقولك: (زيد منطلق)، وأما (زيد أخوك) وما أشبهه فلا يمرّ من ذلك على كل حال، وهو المراد بقولي «ما يتضمّن ضرباً من التنكير» وسببونه. وإذا كان المبتدأ يُؤتى به لأجل الإخبار، وكان الفعل هو المُقَدَّم والأصل فيه، كان ما يُخبر به عنه مقدّمًا في الرتبة، فقد علمت أن أصل الرفع أن يكون للفاعل. وقال أصحابنا: إن المبتدأ شُبّه به من حيث كان مُخبراً عنه، فجعل علامته الرفع، وخبر المبتدأ شُبّه به من حيث كان الجزء الثاني من الجملة كما أن الفاعل كذلك. ولعلّ من يقول: «إن الرفع للمبتدأ في الأصل» ينظر إلى اللفظ، فيُقدّر أنهم لما سمّوه مبتدأ كان هو المُقَدَّم، وذلك من سلامة الجانب» (٤٦).

ونهب آخرون، منهم الاستريادي والسيوطي، إلى أن (الرفع) علم كون الاسم عمدة الكلام، يقول الاستريادي: «قوله «الرفع علم الفاعلية» أي: علامتها، والاولى كما بينا أن يقال: الرفع علم كون الاسم عمدة الكلام، ولا يكون في غير العمدة» (٤٧). فعلى مذهب من قال: «الإعراب: الاختلاف» يكون (الرفع): انتقال الآخر إلى علامة العمدة (٤٨)، و(العمدة) عبارة عما لا يسوغ حذفه من أجزاء الكلام إلا

والمتكلم بالكلمة المنصوبة يفتح فاء، فيبين خنك الأسفل من الأعلى، فيبين للناظر إليه كأنه قد نصبه لإبانة أحدهما عن صاحبه، فنصب الفم تابع لفتح، كان الفم كان شيئاً ساقطاً فنصبته، أي: أقمته بفتحك إياه، فسُميت حركة البناء فتحاً، وحركة الإعراب نصباً. وفي النطق بالكلمة المجروزة تجرّ الفك إلى أسفل وتخفضه، فهو ككسر الشيء، إذ المكسور يسقط ويهوي إلى أسفل، وسُميت حركة الإعراب جرّاً وخفضاً وحركة البناء كسراً، لأن الأولين أوضح وأظهر في المعنى المقصود من صورة الفم من الثالث.

وقد يكون الجرّ إنما سُمي بذلك لأن معنى (الجر): الإضافة، وذلك لأن الحروف الجارة تجرّ ما قبلها فتوصله إلى ما بعدها، كقولك: (مررت بزيد)، فالباء أوصلت مروّك إلى زيد، وكذلك (المال لعبدالله) و(هذا غلام زيد).

وأما (الجزم) فاصله القطع، يقال: (جزمت الشيء، وجزمته، وجزمته، وجزمته، وصلمته، وفصلته، وقطعته) بمعنى واحد، فكان معنى (الجزم): قطع الحركة عن الكلمة، هذا أصله، ثم جُعل منه ما كان بحذف حرف على هذا، لأن حذف الحركة وحذف الحرف جميعاً يجمعهما الحذف، فالحرف الجازم كالشيء القاطع للحركة أو الحرف. والجزم - بمعنى القطع - الوقف والسكون بمعنى واحد، لذلك سُمي الإعراب جزماً والبناء وقفاً وسكوناً (٤٩).

وكان المازني يرى أن الجزم ليس قطعاً للحركة، وإنما هو قطع للإعراب، وهذا يعني أن يرجع الفعل المضارع إلى أصله وهو البناء، فمعنى (جزم الفعل المضارع): قطع الإعراب عنه، وذلك أن الفعل المضارع، عنده وعند جميع البصريين، إنما يُعرّب إذا وقع موقع اسم، فقولك (مررت برجل يقوم) تقديره: مررت برجل قائم، وكذلك (محمد ينطلق) تقديره: محمد منطلق. قال المازني: فإذا قلت (زيد لم يقم) فقد وقع الفعل موقعاً لا يقع فيه الاسم، فرجع إلى أصله وهو البناء. وهذا الرأي غير صحيح عند الزجاجي، وذلك أنه يجب من هذا الرأي أن تكون الأفعال في حال النصب أيضاً غير معربة في قولك (لن يقوم زيد) وما أشبه ذلك، لأنها قد وقعت أيضاً موقعاً لا تقع فيه الأسماء، والمازني يقول فيها: هي معربة. يُضاف إلى ذلك أن المبني لا يتغير عن حاله، وهذه الأفعال تغيّرُها العوامل (٥٠).

معنى (الرفع) و(النصب) و(الجر) من طريق الدلالة:

(الرفع) و(النصب) و(الجر) كل واحد منها علم على معنى من معاني الاسم، ولولا إرادة جعل كل واحدة منها علماً على معنى من هذه المعاني لم تكن حاجة إلى كثرتها وتعددها (٥١).

وقد اختلف النحاة فيما يستحق الرفع (٥٢)، فذهب سيويوه وابن السراج إلى أن الرفع علم الابتداء، فالمبتدأ والخبر هما الأول والأصل في استحقاق الرفع، وغيرهما من المرفوعات محمول عليهما، لأن



ببليلى يقوم مقام اللفظ به<sup>(٦٦)</sup>.

فالمبتدأ والخبر أصلان في الرفع كالفاعل ، وليسوا بمحمولين في الرفع عليه<sup>(٦٧)</sup> : « الأولى - على ما اخترناه قبل - أن يقال : ( المرفوعات ) : ما اشتمل على علم العمدة ، لأن الرفع في المبتدأ والخبر وغيرهما من العمدة ليس بمحمول على رفع الفاعل كما بيئنا ، بل هو أصل في جميع العمدة على ما تقرّر قبل<sup>(٦٨)</sup> .

وفي رأي الاستريادي لا يوجد لبيل على ما يخالف هذا الرأي : « فالمبتدأ والخبر - على هذا التقدير - أصلان في الرفع كالفاعل ، وليسوا بمحمولين في الرفع عليه ، وهو مذهب الاخفش وابن السراج . ولا لبيل على ما يعزى الى الخليل من كونهما فرعين على الفاعل ، ولا على ما يعزى الى سيبويه من كون المبتدأ أصل الفاعل في الرفع<sup>(٦٩)</sup> . وأرى القول « إن ( الرفع ) في حقيقته علّم ( الإسناد ) ، ولبيل على أن الكلمة بُرأ أن يُسند اليها ، ويُتحدّث عنها » هو أنقّ تعبيراً وأصقّ معنى ، لأنه يخلّصنا من الاشكالات التي توقّنا فيها الآراء الاخرى ، يقول ابن جني في « باب الردّ على من اعتقد فساد علل النحويين لضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة<sup>(٧٠)</sup> : « اعلم أن هذا الموضع هو الذي يتعسف باكثر من ترى ، وذلك أنه لا يعرف أغراض القوم ، فيرى لذلك أن ما أوربوه من العلة ضعيف وإسقاط غير متعالي ، وهذا كقولهم : يقول النحويون : « إن الفاعل رفع ، والمفعول به نصب » ، وقد ترى الأمر بضدّ ذلك ، ألا ترائنا نقول : ( ضرب زيد ) ، فترفعه وإن كان مفعولاً به ، ونقول : ( إن زيدا قام ) فننصبه وإن كان فاعلاً ، ونقول : ( عجب من قيام زيد ) فندجّره وإن كان فاعلاً<sup>(٧١)</sup> .

ومثل هذا يتعب مع هذه الطائفة ، لا سيما إذا كان السائل عنه من يلزم الصبر عليه ، ولو بدأ الأمر بإحكام الأصل لسقط عنه هذا الهوس وهذا اللغو ، ألا ترى أنه لو عرف أن الفاعل عند أهل العربية ليس كل من كان فاعلاً في المعنى ، وأن الفاعل عندهم إنما هو كل اسم ذكرته بعد الفعل ، واستندت ونسبت ذلك الفعل الى ذلك الاسم ، وأن الفعل الواجب وغير الواجب في ذلك سواء ، لسقط ضداً هذا المضموع السؤال<sup>(٧٢)</sup> . وفي هذا المعنى يقول الجرجاني : « ينبغي أن تعلم أن وصف ( الفاعل ) عند النحويين : أن يُسند الفعل اليه مُقنماً عليه ، نحو : ( خرج زيد ) و ( طاب الخبز ) ، وليس الشريطة أن يكون أحدث شيئاً ، ألا ترى أنك تقول : ( طاب الخبز ) ، وليس للخبر فعل كما يكون لزيد في قولك : ( قام زيد ) ، وكذا تقول : ( لم يَمُ زيد ) فترفعه وقد نفيت عنه الفعل ، كما ترفع إذا قلت : ( يقوم زيد ) ، فلو كان الفاعل من شرطه أن يكون أحدث شيئاً ، لما جاز رفع ( زيد ) في قولك : ( لم يَمُ زيد ) ، لأنك قد نفيت عنه الفعل ، وكذا إذا قلت : ( أيقوم زيد ؟ ) ، لأنك لم تثبت القيام له وإنما استنهمت المخاطب . وإذا كان الأمر على هذا تقرّر ما ذكرناه من ان الاعتبار في الفاعل : أن يكون الفعل مُسنداً اليه مُقنماً عليه كان أحدث شيئاً أو لم يُحدثه . وهذا التلخيص مما لم يُسبق اليه

الشَّيخُ أَبُو عَلِيٍّ<sup>(٦٦)</sup>.

أما ( النصب ) فقد ذهبت طائفة من النحاة ، منهم الزمخشري ، الى انه علّم ( المفعولية ) ، وأن المفعول خمسة أضرب : ( المفعول المطلق ) و ( المفعول به ) و ( المفعول فيه ) و ( المفعول معه ) و ( المفعول له ) ، ويلحق بالمفعول : ( الحال ) و ( التمييز ) و ( المستثنى ) المنصوب<sup>(٦٧)</sup> ، وقال الاستريادي : هي أصول في النصب كالمفعول ، وليست بمحمولة عليه كما هو مذهب النحاة<sup>(٦٨)</sup> .

وذهب آخرون الى أن ( النصب ) علّم على كون الكلمة ( فضلة ) ، يقول ابن جني : « وكذا القول على ( المفعول ) : إنه إنما يُنصب إذا أسند الفعل الى الفاعل فجاء هو فضلة<sup>(٦٩)</sup> ، ويقول الاستريادي : « الحق إن ( الرفع ) علامة ( المُعَدِّ ) فاعلة كانت أو لا ، و ( النصب ) علامة ( الفضلات ) مفعولة كانت أو لا<sup>(٧٠)</sup> .

فعلى مذهب من قال : « الإعراب : الاختلاف » ، يكون ( النصب ) : انتقال الآخر الى علامة الفضلة<sup>(٧١)</sup> ، وهؤلاء يرون أن المنصوب في الأصل فضلة ، لكن يُشبه بها بعض العمدة ، ك ( اسم إن وأخواتها ) و ( خبر كان وأخواتها )<sup>(٧٢)</sup> ، فإنها عمد ، لأنها في الأصل المبتدأ أو الخبر ونُصبت<sup>(٧٣)</sup> : « ( النصب ) : علّم الفضلية في الأصل ، ثم يدخل في المُعَدِّ تشبيهاً بالفضلات<sup>(٧٤)</sup> ، وقد علّل الاستريادي ذلك بضعف عمل المبتدأ والخبر : « ولما كان مستنكراً في ظاهر الأمر ترفع المبتدأ والخبر لما تقرّر في الأذهان من تقدم المؤثر على الاثر ، واستحالة تقم الشيء على مؤثره ، ضعف عملهما ، فنشخ عملهما كثير مما دخل عليهما مؤثراً فيهما معنى ، ك ( كان ) و ( ظن ) و ( كاد ) و ( إن ) وأخواتها ، و ( ما ) و ( لا ) التبرئة ، على ما يجيء في أبوابها ، فصارت العمدة في صورة الفضلة منتصبية ، وهي : اسم ( إن ) و ( لا ) التبرئة ، وخبر ( كان ) و ( كاد ) ، ومفعول ( ظن ) ، ووجه مشابهتهما<sup>(٧٥)</sup> للفضلة يجيء في أبوابها<sup>(٧٦)</sup> .

والتعليل الصحيح للنصب اسم ( إن ) وأخواتها ، أن معاني هذه الأدوات تنحصر في أخبارها ، لذلك أعطي ( الخبر ) ما للمُعَدِّ من إعراب ( الرفع ) ، وأعطي ( الاسم ) ما للفضلات من إعراب ( النصب ) ، وقد نصّ على هذا بعض النحاة ، يقول ابن عصفور : « ولما كانت معاني هذه الحروف في أخبارها ، أشبهت الاخبار المُعَدِّ فُرِفَتْ ، وأشبهت الاسماء الفضلات فنُصبت<sup>(٧٧)</sup> ، ويقول السيوطي في ( إن ) وأخواتها : « ولأن معانيها في الاخبار فكانت كالمُعَدِّ ، والاسماء كالفضلات ، فأعطي إعرابيها<sup>(٧٨)</sup> .

وكذلك القول في ( كان ) وأخواتها : إن معاني هذه الافعال تنحصر في أسمائها ، لذلك أعطي ( الاسم ) ما للمُعَدِّ من إعراب ( الرفع ) ، وأعطي ( الخبر ) ما للفضلات من إعراب ( النصب ) . ويرى ابن جني أن القول : إن ( النصب ) في ( زيد ) من قولك ( ضربت زيداً ) علامة على كون الكلمة ( فضلة ) ، يكفي ، وأن تسميتها

بـ ( المفعول به ) زيادة لا ضرورة بك اليها إلا لتمييزها عن غيرها من الفضلات ، يقول في « باب في الزيادة في صفة العلة لضرب من الاحتياط » : « ومن ذلك قولك في جواب من سالك عن علة انتصاب ( زيد ) من قولك ( ضربتُ زيداً ) : إنه إنما انتصب لانه ( فضلة ومفعول به ) ، فالجواب قد استقل بقولك : ( لانه فضلة ) ، وقولك من بعد : ( ومفعول به ) تأنيس وتأييد لا ضرورة بك اليه ، ألا ترى أنك تقول في نصب ( نفس ) من قولك ( طلبتُ به نفساً ) : إنما انتصب لانه فضلة ، وإن كانت ( النفس ) هنا فاعلة في المعنى . فقد علمت بذلك أن قولك ( ومفعول به ) زيادة على العلة تطوَّعت بها ، غير أنه في نكرك كونه ( مفعولاً ) معنى ما وإن كان صغيراً ، وذلك أنه قد ثبت وشاع في الكلام أن الفاعل رُفِعَ ، والمفعول به نُصِبَ ، وكأنك أنشئت بذلك شيئاً ، وأيضاً فإن فيه ضرباً من الشرح ، وذلك أن كون الشيء فضلة لا يدل على أنه لا بد من أن يكون مفعولاً به ، ألا ترى أن الفضلات كثيرة ، كالمفعول به ، والظرف ، والمفعول له ، والمفعول معه ، والمصدر ، والحال ، والتمييز ، والاستثناء ، فلما قلت : ( ومفعول به ) ميَّزت أي الفضلات هو . فاعرف ذلك وقته »<sup>(٨٦)</sup>.

ونهب ابن جني إلى أن المتكلمين قد يتجاوزون بالكلمة حد كونها فضلة ، فيعطونها ( الرفع ) ويعقدونها على أنها صاحبة الجملة ، يقول : « إن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل ، كـ ( ضربتُ زيداً عمراً ) ، فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا : ( ضربتُ عمراً زيداً ) ، فإذا ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصب فقالوا : ( عمراً ضربتُ زيداً ) ، فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنه ربُّ الجملة ، وتجاوزوا به حد كونه فضلة ، فقالوا : ( عمرو ضربتُ زيداً ) ، فجاءوا به مجيئاً يُنافي كونه فضلة ، ثم زابوه على هذه الرتبة فقالوا : ( عمرو ضربتُ زيداً ) ، فحذفوا ضميره ، ونووه ، ولم ينصبوه على ظاهر أمره ، رغبة به عن صورة الفضلة ، وتحامياً لنصبه الدال على كون غيره صاحب الجملة ، ثم إنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له ، وبنوه على أنه مخصوص به ، وألفوا ذكر الفاعل مُظْهِراً أو مضمراً ، فقالوا : ( ضربتُ عمرو ) ، فأطرح ذكر الفاعل البتة . نعم ، وأسندوا بعض الافعال إلى المفعول بكون الفاعل البتة ، وهو قولهم : ( أولفتُ بالشيء ) ، ولا يقولون : ( أولفتُني به كذا ) ، وقالوا : ( تلجُ فؤادُ الرجل ) ، ولم يقولوا : ( تلجُ كذا ) ، وقالوا : ( اُمتَقَّعَ لونه ) ، ولم يقولوا : ( اُمتَقَّعَ كذا ) ، ولهذا نظائر ، فرفض الفاعل هنا البتة واعتماد المفعول به البتة دليل على ما قلناه فاعرفه »<sup>(٨٧)</sup>.

وأما ( الجر ) فهو غلَمٌ ( الإضافة )<sup>(٨٨)</sup> أي : كون الاسم مضافاً إليه معنى أو لفظاً ، كما في : ( غلامُ زيد ) و ( حسنُ الوجه ) . فعلى مذهب من قال : « الإعراب : الاختلاف » ، يكون ( الجر ) : انتقال الأخير إلى علامة الإضافة<sup>(٨٩)</sup>.

والمجرور في الأصل منصوب المحل<sup>(٩٠)</sup> ، فـ ( زيد ) في ( رأيتُ

زيداً ) و ( مرَّرتُ بزيد ) : ( مفعول به ) في كليهما ، وقد نُصِبَ في أحدهما وجُزَّ في الآخر<sup>(٩١)</sup> ، فالمجرور : فضلة قد أُضيفَ اليها معنى الفعل بواسطة حرف ، وقد أُريد أن يُعَيَّرَ بعلامة ما هو فضلة بواسطة حرف ، ولم يكن بقي من الحركات غير الكسر ، فُعَيِّرَ به مع كونه منصوب المحل لانه فضلة ، فصارت ( الإضافة ) - معنى كون الاسم مضافاً إليه معنى الفعل بواسطة حرف - معنى آخر علامته الجر ، منضماً إلى المعنيين الآخرين : ( العمدة ) و ( الفضلة ) .

وجعل الحرف الموصل لمعنى الفعل إلى الفضلة عاملاً للجر في ظاهر الفضلة ، إذ بسببه حصل كون ذلك الاسم مضافاً إليه معنى الفعل .

فإن سقط الحرف ظهر الإعراب المحلي في هذه الفضلة ، نحو : ( الله لافعلٌ ) . وإذا عُطِفَ على المجرور فالحمل على الجر الظاهر أولى من الحمل على النصب المقدر ، وقد يُحمل على المحل كما في قول تعالى « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم » - بالنصب<sup>(٩٢)</sup>.

فإن سقط الجازم مع الفعل لزوماً في الإضافة زال النصب المقدر ، فقد يُحذف حرف الجر لزوماً مع الفعل الذي أوصله الحرف إلى الفضلة ، لغرض التخصيص أو التعريف في الاسم ، فيزول النصب المحلي عن المجرور لفظاً ، لكون الناصب<sup>(٩٣)</sup> محذوفاً نسبياً منسياً مع حرف الجر الدال عليه ، فكان أصل ( غلامُ زيد ) : غلامٌ حصل لزيد ، فإذا حُذِفَ الجازم قام الاسم المراد تخصيصه أو تعريفه مقام الحرف الجار ( لفظاً ) فلا يُفصل بينهما كما لم يُفصل بين الحرف ومجروره ، و ( معنى ) أيضاً لدلالته على معنى ( اللام ) في نحو ( غلامُ زيد ) إذ هو مختص بالتاني ، وعلى معنى ( من ) في نحو ( خاتمُ فضة ) إذ هو مبين بالتاني ، فيُحال عمل الجر على هذا الاسم كما أُحيل على حرف الجر ، فاصل ( الجر ) أن يكون غلَمٌ الفضلة التي تكون بواسطة ، ثم يخرج في موضعين عن كونه غلَمٌ الفضلة ويبقى غلَماً للمضاف إليه فقط ، ( أحدهما ) : فيما أُضيف إليه الاسم : ( والتاني ) : في المجرور المُسند إليه ، نحو : ( مرَّ بزيد ) ، والأصل فيهما أيضاً ذلك كما تبيَّن<sup>(٩٤)</sup>.

#### الحركات الاعرابية من حيث الثقل والخفة :

يُجمَعُ النحاة على أن أثقل الحركات وأقواها ( الضمة ) ، وأن أضعف الحركات وأخفها ( الفتحة ) ، وأن ( الكسرة ) في رتبة بين الضمة والفتحة ، لانه أخف من الضمة وأثقل من الفتحة<sup>(٩٥)</sup> ، وفي ذلك يقول الزجاجي : « إن المفتوح إلى المخفوض أقرب منه إلى المرفوع ، لأن الضمة أثقل الحركات ، والفتحة أخفها ، فهي إلى الكسرة أقرب »<sup>(٩٦)</sup> ، ويقول الجرجاني : « إن الفتحة كما لا يخفى أخف من كل واحدة من الضمة والكسرة »<sup>(٩٧)</sup> ، ويقول السيوطي في ( الجر ) : « هو إما بين العمدة والفضلة ، لانه أخف من الرفع وأثقل من النصب »<sup>(٩٨)</sup> ، ونقل السيوطي عن كتاب ( البسيط ) : « لا خلاف أن الفتح أخف عندهم من الكسر ... والفتحة أقرب إلى الكسرة من الضمة ، ولذا جعل الجر على

النصب في ما لا ينصرف ، والنصب على الجز في جمع المؤنث السالم ، حملاً على القرب «<sup>(٩٢)</sup>» .

وفي « كتاب الآلات » آخى الزجاجي بين ( الكسرة ) و ( الفتحة ) ، فقال في ( تأخي الكسرة والفتحة ويُعد الضمة منهما ) : « إِنَّ الضمَّ أَثْقَلَ الحركات ، والفتح والكسر مؤخيان ، ولذلك اشتركا في المفعول في قولك : ( رأيتُ زيداً ) و ( مررتُ بزيد ) ، وكلاهما مفعول به ، وقد خَفِضَ أحدهما ونُصِبَ الآخرُ ، وكذلك استوى مكْنِي المخفض والمنصوب في قولك : ( رأيتُكَ ) و ( مررتُ بك ) ، وضُمتُ تنبيهاً المنصوب وجمعه إلى المخفض في قولك : ( مررتُ بالزيدين والزيدين ) و ( رأيتُ الزيدَين والزيدَين ) »<sup>(٩٣)</sup> .

وثقل ( الضمة ) تأتي لها من قوتها : « إِنَّ ( الضمة ) وإن كانت أثقل من الكسرة ، فإنها أقوى منها ، وقد يُحتمل للقوة ما لا يُحتمل للضعف »<sup>(٩٤)</sup> .

وإنما كانت ( الضمة ) قويةً ثقيلةً لأن النطق بها يعمل فيه عضوان ، وكانت ( الفتحة ) ضعيفةً خفيفةً لأن النطق بها يعمل فيه عضو واحد : « قال رجلٌ للخليل : لا أجد بين الحركات فرقاً ، فقال له الخليل : ما أقل من يميز أفعاله ، أخبرني بأخف الأفعال عليك ، فقال : لا أبري ، قال : أخف الأفعال عليك السمعُ ، لأنك لا تحتاج فيه إلى استعمال جارحة ، إنما تسمعه من الصوت ، وأنت تتكلف في إخراج الضمة إلى تحريك الشفتين مع إخراج الصوت ، وفي إخراج الفتحة إلى تحريك وسط الفم مع إخراج الصوت ، فما عمل فيه عضوان أثقل مما عمل فيه عضو واحد . هكذا نقله الزجاجي في كتاب ( الإيضاح في أسرار النحو ) »<sup>(٩٥)</sup> .

والعرب تفر من الثقيل إلى الخفيف ، ومن ذلك أنها تفر من الضمة والكسرة إلى الفتحة ، كما تفر إلى السكون ، يقول ابن جني : « ألا ترى إلى مضارعة الفتحة للسكون في أشياء ، منها أن كل واحدٍ منهما يُهْرَبُ إليه مما هو أثقل منه ، نحو قولك في جمع ( فُعْلَةٌ ) و ( فُعْلَةٌ ) : ( فُعْلَاتٌ ) - بضم العين - نحو : غُرَفَاتٌ ، و ( فِعْلَاتٌ ) - بكسرها - نحو : كِيسِرَاتٌ ، ثم يُسْتَقَلُّ توالي الضمتين والكسرتين ، فيُهْرَبُ عنهما تارة إلى الفتح فتقول : ( غُرَفَاتٌ ) و ( كِيسِرَاتٌ ) ، وأخرى إلى السكون فتقول : ( غُرَفَاتٌ ) و ( كِيسِرَاتٌ ) . أفلا تراه كيف سَوَّاهُ بين الفتحة والسكون في العدول عن الضمة والكسرة إليهما »<sup>(٩٦)</sup> . ونقل السيوطي قول ابن الدهان في كتاب ( الفرة ) : « الضمة والكسرة مستثقلتان مبادئتان للسكون ، والفتحة قريبة من السكون ، بدلالة أن العرب تفر إلى الفتحة كما تفر إلى السكون من الضمة والكسرة ... »<sup>(٩٧)</sup> .

ومنه أن العرب تخفف الكسرة في نحو ( فَجَذٌ ) ، والضمة في نحو ( غَضْدٌ ) ، ولا تُخَفَّفُ الفتحة في نحو ( جَمَلٌ ) ، يقول ابن جني : « ومنه اسكأنهم نحو ( رُسُلٌ ) و ( عَجْزٌ ) و ( غَضْدٌ ) و ( ظَرْفٌ ) و ( كَيْفٌ ) و ( كَيْدٌ ) ، واستمرار ذلك في المضموم والمكسور ، ونون

المفتوح ، أول دليل - بفصلهم بين الفتحة وأختيتها - على نونهم الحركات ، واستثقالهم بعضها ، واستخفافهم الآخر «<sup>(٩٨)</sup>» .

ومن ذلك أن عامة الادوات والحروف يأتي أولها مفتوحاً أو مكسوراً ، وقليلها يُضَمُّ أوله ، يقول ابن جني : « ومن حديث الاستثقال والاستخفاف أنك لا تجد في الثاني - على قلة حروفه - ما أوله مضموم ، إلا القليل ، وإنما عاظمته على ( الفتح ) نحو : ( هَلْ ) و ( بَلْ ) و ( قَدْ ) و ( أُنْ ) و ( غَنْ ) و ( كَمْ ) و ( مَنْ ) ، وفي المعتل : ( أَوْ ) و ( لَوْ ) و ( كَيْ ) و ( أَيْ ) . أو على ( الكسر ) نحو : ( إِنْ ) و ( مِنْ ) و ( إِذْ ) ، وفي المعتل : ( إِي ) و ( فِي ) و ( هِي ) . ولا يُغَرِّقُ ( الضم ) في هذا النحو إلا قليلاً ، قالوا : ( هُوَ ) .. وكذلك ما جاء من الكلم على حرف واحد ، عاظمته على الفتح ، إلا الأقل ، وذلك نحو : همزة الاستفهام ، وواو العطف ، وفائه ، وكاف التشبيه ، وغير ذلك . وقليل منه مكسور ، كباء الإضافة ، ولامها ، ولام الأمر ، ولو عري ذلك من المعنى الذي اضطره إلى الكسر لما كان إلا مفتوحاً . ولا نجد في الحروف المنفردة نوات المعاني ما جاء مضموماً ، هرباً من ثقل الضمة »<sup>(٩٩)</sup> .

ومنه أيضاً أن المبني على الفتح أكثر من المبني على الكسر ، والمبني على الضم أقل من المبني على الكسر ، يقول السيوطي : « إن المبني على الفتح أكثر من المبني على الكسر ، ومنه ما كان بجوار ياء ، نحو : ( أَيْنَ ) و ( كَيْفَ ) ، فزاد بُعداً عن الكسرة طلباً للخفة ، إذ هو مع الياء أثقل منه وحده . والمبني على الضم أقل من المبني على الكسر ، إذ لم يُبَيَّنْ عليه إلا ( حيث ) و ( الظروف الستة ) و ( غير ) و ( أي ) في بعض أحوالها و ( المنادى ) و ( بعض الضمانات ) »<sup>(١٠٠)</sup> .

فالعرب كانوا يتجنبون الضمة والكسرة لثقلهما ، ويستريحون إلى الفتحة لخفتها ، يقول ابن جني : « ثم مِيلُوا بين الحركات ، فأنحوا على الضمة والكسرة لثقلهما ، وأجموا الفتحة في غالب الأمر لخفتها ، فهل هذا إلا لقوة نظرهم ولطف استشفافهم وتصفحهم .. وسألت غلاماً من آل المهدي فصيحاً عن لفظة من كلامه ، لا يحضرني الآن نكزها ، فقلت : أكذا أم كذا ؟ ، فقال : « كذا - بالنصب - لأنه أخف » ، فجنح إلى الخفة »<sup>(١٠١)</sup> .

#### لماذا كان ( الرفع ) أسبق الحركات في الرتبة ؟

ذهب النحاة إلى أن أسبق الحركات في الرتبة هو الرفع ، وذلك لأنه علامة ( العمدة )<sup>(١٠٢)</sup> ، فالرفوع يتقدم على المنصوب والمجرور لأنه عمدة الكلام ، كالفاعل والمبتدأ والخبر<sup>(١٠٣)</sup> ، وذلك لأجل أنه يستغني عن صاحبيه ، وهما يفتقران إليه ، تقول : ( قامَ زيدٌ ) و ( عمروٌ منطلقٌ ) ، فتجد الكلام صحيحاً من غير النصب والجز ، إذ لا يجب أن تقول : ( قامَ زيدٌ قياماً ) ولا ( عمروٌ منطلقٌ اليوم ) ، ولا أن تقول : ( قامَ زيدٌ إلى عمرو ) ، وإنما يكون للمنصوب والمجرور فائدة لا يبطل بغيرهما أصل

ويقول السيوطي في ذلك أيضاً : « ( الرفع ) : وهو اعرابُ الفِعْدِ ، و ( النصب ) : وهو اعرابُ الفضلات . قيل : ووجهُ التخصيص أن الرفع ثَقِيلٌ ، فحُصِيَ به الفِعْدُ لأنها أَثْقَلُ ، إذ هي راجعةٌ إلى الفاعل والمبتدأ والخبر ، والفضلات كثيرةٌ ، إذ هي المفاعيلُ الخمسة والمستثنى والحال والتمييز ، وقد يتمدُّ المفعولُ به إلى اثنين وثلاثة ، وكذلك المستثنى والحال إلى ما لا نهاية له ، وما كَثُرَ تداولُهُ فالأخفُ أولى به . و ( الجَزْ ) : وهو لما بين العمدة والفضلة ، لأنه أخفُ من الرفع وأثقلُ من النصب »<sup>(١٠٨)</sup>.

والعلةُ في أن الفعل لا يكون له إلا فاعلٌ واحد : « أن الفعلَ حديثٌ وخير ، فلا بُدَّ له من مُحدثٍ عنه يُسندُ ذلك الحديث إليه ويُنسبُ إليه وإلا غُيِبَت فائدته ، فإذا ذُكِرَتْ بعده اسماً وأسندت ذلك الفعل إليه اشتغل به وصار حديثاً عنه ، وإن جُثَّت بعده باسم آخر وَقَعَ فضلةٌ ، فينتصب انتصابُ الفضلات ، وهو المفعول به »<sup>(١٠٩)</sup>.

وفي رأي الاستريادي ( الرفع ) الذي هو أقوى الحركات وأثقلها قد جُعِلَ للفِعْدِ ، وأن ( النصب ) الذي هو أضعفُ الحركات وأخفها قد جُعِلَ للفضلات ، وذلك لكون الفضلات أضعفَ من الفِعْدِ وأكثر منها<sup>(١١٠)</sup>. وغُلِّلَ آخرونَ رُفَعَ الفاعل ونُصِبَ المفعول به ( الموازنة ) أو ( التعادل ) ، فقال الجرجاني : « إنما حُصِيَ الفاعلُ بالرفع دون النصب ، لأجل أن الرفع أثقلُ من النصب ، والفاعل أقلُ من المفعول ، ألا ترى أن فعلاً واحداً يكون له عدَّةُ مفعولات ، ولا يكون له إلا فاعلٌ واحد ، وذلك قولك : ( أَغْلَشْتُ زَيْداً عمراً خَيْرَ الناسِ ) ، وتأتي في كُلِّ فعلٍ بالمصنوع والحال والظرف نحو : ( قُمْتُ قِياماً يوم الجمعة عند عمري لابساً كذا ) ، وعلى هذا يجري الباب . وإذا كان المفعول يكثر هذه الكثرة ، والفاعل يقل ، كان الأولى أن يُحْصِيَ الفاعل بالانقل الذي هو الرفع ، والمفعول بالأخف الذي هو النصب ، لتكون قلةُ الفاعل موازنةً لثقل الرفع ، وخفةُ النصب موازنةً لكثرة المفعول ، ومثَّلَ هذا مثَلُ رَجُلٍ تَنَصَّبَ بين يديه خَجَرَيْنِ ، أحدهما خمسةُ أربطال والآخر عشرة أربطال ، فتقول له : أحمل الخفيف عشر مرات والثقل خمس مرات ، فتجمل كثرة الممارسة بازاء خفة الوزن ، وقلة الممارسة بازاء ثقله ، فتكون ثابتاً على الحكمة . فإن أمرته بحمل الثقيل عشر مرات ناقضت ، لجمعك عليه ثَقُلُ الوزن وكثرة العمل في حالة واحدة ، وخَفَّتْهُما في حالة أخرى ، وترك الاقتصاد واعتبار التعادل في الموضعين . وهذا تمثيل ذكره شيخنا أبو الحسين - رحمه الله - حكايةً عن الخليل .

ومن قال : إن الفاعل كان يجب أن يُنصَبَ ، والمفعول أن يُرْفَعَ ، دخل قوله في هذا النوع من ترك الحكمة كما وصفنا . وما هنا طريقةٌ أخرى ، وهي أن يرفع السؤال من أصله ، وذلك أنهم لو كانوا قد نصبوا الفاعل ورفعوا المفعول على ما يقترحه هذا السائل ، لكانَ لآخر أن يقول : كيف لم يُبَيِّنْ الأمر على العكس ؟ ، وكلُّ سؤالٍ انقلب فهو باطلٌ . فالإلام إذن اختصاصٌ كُلِّ واحدٍ منهما بعلامةٍ لا تكون لصاحبه ، وما عدا

الكلام . ولو قلت : ( زيداً ) أو ( بعمرو ) لم يكن كلاماً حتى يتقدَّم الرفع فتقول : ( ضرب زيدُ عمراً ) و ( مرَّرتُ بعمرو ) ، قال النحاة : فإذا كان حال الرفع مع صاحبيه على ما وصفنا من استغنائه عنهما ، وافتقارهما إليه ، وجِبَ الحكمُ بتقدُّمه في الرتبة<sup>(١١١)</sup>.

فالمرفوعات تتقدم لأنها اللوازم للجملة ، والعمدة فيها ، وما عداها فضلة يستقلُّ الكلام دونها .

وغُلِّلَ ابنُ جنِّي تقديم المرفوع على المنصوب بقوله : « لما اعتزموا النطق بهما قَدَّمُوا أقواهما لأميرين : ( أحدهما ) : أن رتبةً الأقوى أبدأً أسبق وأعلى . ( والآخر ) : أنهم إنما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبَل أن المتكلم في أول نطقه أقوى نفساً ، وأظهر نشاطاً ، فَيَقْدِمُ أَثْقَلَ الحرفين ، وهو على أجمل الحالين ، كما رفعوا المبتدأ لتقدُّمه ، فأعربوه بإثقل الحركات وهي الضمة ، وكما رفعوا الفاعل لتقدُّمه ، ونصبوا المفعول لتأخره ، فإنَّ هذا أحد ما يُحتجُّ به في ( المبتدأ ) و ( الفاعل ) ، فهذا واضح كما تراه »<sup>(١١٢)</sup>.

لماذا اختُصَّت الأسماء بما اختُصَّت به من علامات الإعراب : نَعَبَ أبو اسحق الزجاج إلى أن العرب أعطوا الفاعل الرفع لثقلته ، وأعطوا المفعول النصب لكثرتِه ، وذلك ليقُلَّ في كلامهم ما يستقلُّون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفُّون ، فقد نقل ابنُ جنِّي قوله « قال أبو اسحق في رفع الفاعل ونصب المفعول : إنما فُعِلَ ذلك للفرق بينهما . ثُمَّ سأل نفسه فقال : فإن قيل : فَهَلَّا عَكِستَ الحالَ فكانت فرقاً أيضاً ؟ ، قيل : الذي فعلوه أحزم ، وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد ، وقد يكون له مفعولات كثيرة ، فَرَفَعَ الفاعل لثقلته ، ونُصِبَ المفعول لكثرتِه ، وذلك ليقُلَّ في كلامهم ما يستقلُّون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفُّون »<sup>(١١٣)</sup>.

وهكذا جُعِلَ الأثقلُ للأقلِّ لثقله دورانه ، والأخفُ للكثير لكثرة دورانه ، لِيَسْهُلَ الكلامُ ويعتدل بتخفيف ما يكثر وتثقل ما يقلُّ ، ولما كانت المجرورات أكثر من المرفوعات ، وأقلُّ من المنصوبات ، أعطيت الحركة الوسطى في الثَقَلِ والخَفَةِ ، يقول السيوطي في عِلَّةِ ( اختصاص الرفع بما اختص به والنصب والكسر بما اختص به ) : « وذلك أن المرفوعات قليلةٌ بالنسبة إلى المنصوبات ، إذ هي : ( الفاعل ) و ( المبتدأ ) والخبر ( وما ألحقَ بهما من ( نائب الفاعل ) و ( اسم كان ) و ( خبر إن ) ، بخلاف المنصوبات فإنها أكثر من عشرة ، فُجِعِلَ الأثقلُ للأقلِّ لثقله دورانه ، والأخفُ للكثير ، لِيَسْهُلَ ويمتثل الكلام بتخفيف ما يكثر وتثقل ما يقلُّ . وأيضاً فالمرفوع لا يتمدُّ منه سوى الخبر على خلاف ، والفرع الواحد من المنصوبات يتمدُّ ، كالمفعول به والظرف والحال والمستثنى ، قال الزجاجي : الفعل ليس له إلا مرفوعٌ واحد ، وينصبُ عشرة أشياء . ولما كانت المجرورات أكثر من المرفوعات وأقلُّ من المنصوبات ، أعطيت الحركة الوسطى في الثَقَلِ والخَفَةِ »<sup>(١١٤)</sup>.

ذلك من القول فاقترأ وتَحَكَّم فاعرفه»<sup>(١١١)</sup>.

ونقل السيوطي قول ابن النحاس في كتاب ( التعليلة ) : « إنما رُفِعَ الفاعل ونُصِبَ المفعول ، لقلة الفاعل لكونه لا يكون إلا لفظاً واحداً ، وتثنية المفعول لكونه متعدداً ، والرفع أثقل من النصب ، فأعطي الثقيل للواحد والخفيف للمتعذر ليعتدلاً »<sup>(١١٢)</sup>.

وعُله غيرهم بـ ( المشاكلة ) ، فقد نقل السيوطي قول السخاوي في كتاب ( شرح المفصل ) : « قال الخليل : أول الحركات النحوية لأنها من الشَّعة ، وأول ما يقع في الكلام الفاعل ، فكان حقُّ الكلام إذا حُمِلَ

على المشاكلة أن يُقسَم أول الحركات لأول الأشياء »<sup>(١١٣)</sup>.

ونقل الرَّجَاجِي قول الفراء في علَّة جزم الافعال : « إنَّ الاسماء أخف من الافعال ، وإن الافعال أثقل من الاسماء ، وإنَّه إنما جُزِمَت الافعال لثقلها ، فحُفَّت بالجزم لأنه خفيف ، وإنَّ الاسماء كانت أحمل للخفض لثقلها ، ليعتدل الكلام بتخفيف الثقيل والزام بعض الثقيل للخطيف ، وهذا هو قول الفراء . وأكثر الكوفيين قالوا : لم تُخَفَضِ الافعال لثقلها ، ولم تُجَزَم الاسماء لثقلها ، ليعتدل الكلام »<sup>(١١٤)</sup>.

## الهوامش والمصادر

- ( ١٧ ) المرتجل ، لابي محمد بن الخشاب ، تحف : علي حيدر ، دمشق ١٩٧٢ ، ص ٣٤ - ٣٥ .
- ( ١٨ ) ينظر : شرح المفصل ، لموفق الدين بن يعيش ، عالم الكتب - بيروت ، ج ١ ص ٧٢ .
- ( ١٩ ) ينظر : كتاب المقتصد في شرح الايضاح ، ج ١ ص ٣٢٩ .
- ( ٢٠ ) ينظر : الايضاح في علل النحو ، ص ٧٠ - ٧١ .
- ( ٢١ ) الايضاح في علل النحو ، ص ٩١ .
- ( ٢٢ ) أي : نوعاً .
- ( ٢٣ ) الخصائص ، ج ١ ص ٣٥ .
- ( ٢٤ ) المصدر نفسه ، ج ١ ص ١٧٥ .
- ( ٢٥ ) التبريفات ، لملي بن محمد الشريف الجرجاني ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٥٣ .
- ( ٢٦ ) شرح الحدود النحوية ، ص ٧٧ .
- ( ٢٧ ) شرح الاشموني ، تحف : محبي الدين عبد الحميد ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥٥ ، ج ١ ص ١٩ .
- ( ٢٨ ) ينظر : شرح المفصل ، ج ١ ص ٧٢ ، وارتشاف الضرب ، ج ١ ص ٤١٣ ، وشرح الحدود النحوية ، ص ٧٧ .
- ( ٢٩ ) أبو علي النحوي .
- ( ٣٠ ) كتاب المقتصد في شرح الايضاح ، ج ١ ص ٩٨ - ٩٩ .
- ( ٣١ ) شرح المفصل ، ج ١ ص ٧٢ .
- ( ٣٢ ) ارتشاف الضرب ، ج ١ ص ٤١٤ .
- ( ٣٣ ) ينظر : كتاب المقتصد في شرح الايضاح ، ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨ ، والمرتجل ، ص ٣٥ .
- ( ٣٤ ) الايضاح ، ص ٧٧ .
- ( ٣٥ ) ينظر : الايضاح ، ص ٧١ .
- ( ٣٦ ) ينظر : الكتاب ، لسيبويه ، تحف : عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٦ ، ج ٢ ص ٩٧ ، ج ٣ ص ٣٢٥ ، ج ٤ ص ٢٢٦ ، وارتشاف الضرب ، ج ١ ص ٤١٤ ، والمرتجل ، ص ٣٥ .
- ( ٣٧ ) ينظر : ارتشاف الضرب ، ج ١ ص ٤١٣ - ٤١٥ ، وجمع الهوامع ، ج ١ ص ٢١ .
- ( ٣٨ ) ينظر : شرح المفصل ، ج ١ ص ٧٢ .
- ( ٣٩ ) ينظر : كتاب المقتصد ، ج ١ ص ١٠١ .
- ( ٤٠ ) ينظر : شرح المفصل ، ج ١ ص ٧٢ - ٧٣ .

- ( ١ ) الخصائص ، لابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، الطبعة الثانية ، دار الهدى - بيروت ، ج ١ ص ٤٨ .
- ( ٢ ) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٨٧ - ٨٨ .
- ( ٣ ) عبارة سيبويه في الكتاب ج ١ ص ٢٢ : « وليس شيء يُضْطَرُّون اليه إلا وهم يحاولون به وجهاً » .
- ( ٤ ) الخصائص ، ج ١ ص ٥٣ - ٥٤ .
- ( ٥ ) ينظر : ارتشاف الضرب ، لابي حيان الاندلسي ، تحف : د. مصطفى أحمد النحاس ، ط ١ ، ١٩٨٤ ، ج ١ ص ٤٣١ .
- ( ٦ ) ينظر : كتاب المقتصد في شرح الايضاح ، لمبد القاهر الجرجاني ، تحف : د. كاظم بحر المرجان ، بغداد ١٩٨٢ ، ج ١ ص ٩٨ .
- ( ٧ ) ينظر : شرح الحدود النحوية ، لمبد الله بن أحمد الفاكهي ، تحف : د. زكي فهمي الالوسي ، بغداد ١٩٨٨ ، ص ٧٦ .
- ( ٨ ) ينظر : لسان العرب ( عرب ) ، لابن منظور ، بيروت ١٩٥٦ ، وكتاب المقتصد في شرح الايضاح ، ج ١ ص ٩٧ - ٩٨ .
- ( ٩ ) ينظر : الخصائص ، ج ١ ص ٣٥ - ٣٦ ، وشرح المفصل ، ج ١ ص ٧٢ .
- ( ١٠ ) ينظر : لسان العرب ( عرب ) .
- ( ١١ ) ينظر : الايضاح في علل النحو ، لابي القاسم الزجاجي ، تحف : مازن المبارك ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٩١ .
- ( ١٢ ) ينظر : شرح الكافية ، لرضي الدين الاستريادي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ج ١ ص ٢٤ .
- ( ١٣ ) ينظر : الايضاح في علل النحو ، ص ٦٩ - ٧٠ .
- ( ١٤ ) الصحابي في لغة اللغة ، لاحمد بن فارس ، تحف : مصطفى الشويهي ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٦٦ .
- ( ١٥ ) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .
- ( ١٦ ) المصدر نفسه ، ص ١٩٠ - ١٩١ ، وينظر : تاويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، تحف : احمد صقر ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١٤ - ١٥ ، والاشباه والنظائر في النحو ، لجلال الدين السيوطي ، تحف : طه عبدالرؤوف سمح ، القاهرة ١٩٥٩ ، ج ١ ص ١٠٣ - ١١٣ ، ج ٣ ص ٣١٥ ، ومسائل خلافية في النحو ، لابي البقاء المكي ، تحف : محمد خير الحلواني ، ص ٩٥ - ٩٦ ، والجمل ، لابي القاسم الزجاجي ، تحف : ابن ابي شنب ، ط ٢ ، باريس ١٩٥٧ ، ص ٢٦٠ - ٢٦٢ .



وشلبي، القاهرة ١٩٦٦-١٩٦٩، ج ١ ص ٦٥، وينظر:  
ص ١٧٩، ٣٦٢، ج ٢ ص ٢٨٤.

- (٨١) ينظر: المفصل، ص ١٨.  
(٨٢) ينظر: شرح الكافية، ج ١ ص ٢٤.  
(٨٣) ينظر: شرح الكافية، ج ١ ص ٧٠.  
(٨٤) ينظر: الآمات، لابي القاسم الزجاجي، تحف: د. مازن المبارك، دمشق ١٩٦٩، ص ٨٣.

(٨٥) سورة المائدة: الآية ٦، وينظر: مشكل إعراب القرآن، مكي بن ابي طالب القيسي، تحف: ياسين محمد السؤاس، دمشق ١٩٧٤، ج ١ ص ٢٢٠-٢٢١.

- (٨٦) أي: الفعل.  
(٨٧) ينظر: شرح الكافية، ج ١ ص ٢٠-٢١.  
(٨٨) ينظر: شرح الكافية، ج ١ ص ٢٠، وكتاب المقتصد في شرح الايضاح، ج ١ ص ٣٢٦.  
(٨٩) الايضاح في علل النحو، ص ١٢٨.  
(٩٠) دلائل الإعجاز، لمبدالقاهر الجرجاني، تحف: محمد عبدالمنعم خلفاني، ط ١، القاهرة ١٩٦٩، ص ٤٥٤.  
(٩١) همع الهوامع، ج ١ ص ٢١.  
(٩٢) الاشباه والنظائر، ج ١ ص ١٦١.  
(٩٣) كتاب اللامات، ص ٨٣.  
(٩٤) الخصائص، ج ١ ص ٦٩.  
(٩٥) الاشباه والنظائر، ج ١ ص ١٦٠.  
(٩٦) الخصائص، ج ١ ص ٥٩.  
(٩٧) الاشباه والنظائر، ج ١ ص ١٦١.  
(٩٨) الخصائص، ج ١ ص ٧٥، وينظر: الاشباه والنظائر، ج ١ ص ١٦١.

- (٩٩) الخصائص، ج ١ ص ٦٩-٧١.  
(١٠٠) الاشباه والنظائر، ج ١ ص ١٦١.  
(١٠١) الخصائص، ج ١ ص ٧٨.  
(١٠٢) ينظر: الايضاح في علل النحو، ص ١٢٤، وكتاب المقتصد في شرح الايضاح، ج ١ ص ٢٠٩.  
(١٠٣) ينظر: شرح الكافية، ج ١ ص ٧٠.  
(١٠٤) ينظر: كتاب المقتصد في شرح الايضاح، ج ١ ص ٢٠٩-٢١٠.  
(١٠٥) الخصائص، ج ١ ص ٥٥.  
(١٠٦) الخصائص، ج ١ ص ٤٩.  
(١٠٧) الاشباه والنظائر، ج ١ ص ١٦٠.  
(١٠٨) همع الهوامع، ج ١ ص ٢١.  
(١٠٩) شرح المفصل، ج ١ ص ٧٣.  
(١١٠) ينظر: شرح الكافية، ج ١ ص ٢٠.  
(١١١) كتاب المقتصد في شرح الايضاح، ج ١ ص ٣٢٦-٣٢٧.  
(١١٢) الاشباه والنظائر، ج ١ ص ١٠٦.  
(١١٣) الاشباه والنظائر، ج ١ ص ١٦١.  
(١١٤) الايضاح في علل النحو، ص ١٠٦.

- (٤١) ينظر: كتاب المقتصد، ج ١ ص ١٠٣.  
(٤٢) ينظر: شرح ابن عقيل، تحقيق: محيي الدين عبدالحاميد، القاهرة ١٩٦٢، ج ١ ص ٤٤، ٥٨.  
(٤٣) ينظر: كتاب المقتصد، ج ١ ص ١٠٠، وشرح الكافية، ج ١ ص ٢٥.  
(٤٤) ينظر: ارتشاف الضرب، ج ١ ص ٤١٣.  
(٤٥) الخصائص، ج ١ ص ١٠٩.  
(٤٦) المصدر نفسه، ج ١ ص ١٠٩-١١٠.  
(٤٧) المصدر نفسه، ج ١ ص ٧٦-٧٧.  
(٤٨) شرح الكافية، ج ١ ص ٢١.  
(٤٩) المصدر نفسه، ج ١ ص ٢٥، وينظر: ص ١٨.  
(٥٠) الرُّؤى على النحاة، لابن مضاء القرطبي، تحف: د. شوقي ضيف، ط ١، القاهرة ١٩٤٧، ص ٨٥-٨٧.  
(٥١) ينظر: الايضاح في علل النحو، ص ٩٣-٩٤، وشرح الكافية، ج ١ ص ٢٤.  
(٥٢) ينظر: الايضاح في علل النحو، ص ٩٤.  
(٥٣) ينظر: المفصل، للزمخشري، دار الجيل - بيروت، ص ١٨، وشرح المفصل، ج ١ ص ٧٣.  
(٥٤) ينظر: همع الهوامع، للسيوطي، دار المعرفة - بيروت، ج ١ ص ٩٣.  
(٥٥) ينظر: شرح المفصل، ج ١ ص ٧٣.  
(٥٦) ينظر: المفصل، ص ١٨، وشرح المفصل، ج ١ ص ٧٣-٧٤.  
(٥٧) كتاب المقتصد في شرح الايضاح، ج ١ ص ٢١٠.  
(٥٨) شرح الكافية، ج ١ ص ٢٤.  
(٥٩) ينظر: شرح الكافية، ج ١ ص ٢٤.  
(٦٠) همع الهوامع، ج ١ ص ٩٣.  
(٦١) شرح الكافية، ج ١ ص ٢٣.  
(٦٢) شرح الكافية، ج ١ ص ٧٠.  
(٦٣) شرح الكافية، ج ١ ص ٢٣.  
(٦٤) يعني (زيد) فاعل القيام المجزور به.  
(٦٥) الخصائص، ج ١ ص ١٨٤-١٨٥.  
(٦٦) كتاب المقتصد في شرح الايضاح، ج ١ ص ٣٢٧.  
(٦٧) ينظر: المفصل، ص ١٨.  
(٦٨) ينظر: شرح الكافية، ج ١ ص ٢٣، وهمع الهوامع، ج ١ ص ٩٣.  
(٦٩) الخصائص، ج ١ ص ١٨٤-١٨٥.  
(٧٠) شرح الكافية، ج ١ ص ١٠٩.  
(٧١) ينظر: شرح الكافية، ج ١ ص ٢٤.  
(٧٢) ينظر: شرح الكافية، ج ١ ص ٧٠.  
(٧٣) ينظر: همع الهوامع، ج ١ ص ٩٣.  
(٧٤) شرح الكافية، ج ١ ص ٢٤.  
(٧٥) أي: المبتدأ المنصوب والخبر المنصوب.  
(٧٦) شرح الكافية، ج ١ ص ٢٣، وينظر: ص ١٠٩-١١٠.  
(٧٧) المقرب، لابن عصفور، تحف: احمد عبدالستار الجواري وعبدالله الجبوري، ط ١، بغداد ١٩٧١-١٩٧٢، ج ١ ص ١٠٦.  
(٧٨) همع الهوامع، ج ١ ص ١٣٤.  
(٧٩) الخصائص، ج ١ ص ١٩٦-١٩٧.  
(٨٠) المحتسب، لابن جني، تحف: علي النجدي ناصف والنجار

## في الشعرية العربية

# العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده

لابن رشيق

بقلم  
طراد الكبيسي

رئيس تحرير مجلة آفاق عربية

مقدمة :

وقد حلّ ابن رشيق هذا الإشكال - حسب رأيه - كما يلي :  
أولاً : ان نسبتهم القرآن الى الشعر ، بسبب ما تدين عجزهم ان  
ياتوا بمثله ، يرجع ( لما في قلوبهم من هبة الشعر وفخامته ، وانه يقع  
منه ما لا يلحق . والمنثور ليس كذلك ) .

ثانياً : ان معنى قوله تعالى : ﴿ وما علّفناه الشعر ، وما ينبغي  
له ﴾ وحسب رواية يونس عن الزهري قال : معناه ما الذي علّمناه شعراً .  
وما ينبغي له ان يبلغ عنا شعراً . اي : ما دام القرآن لم يبلغ الى  
الرسول ( ﷺ ) شعراً ، فما كان ينبغي له ان يبلغه شعراً . بل كما جاء  
منتوراً . ( ٢١ / ١ ) .

وهكذا يمكن القول ، اخيراً ان ( العمدة ) دفاع مجيد عن الشعر  
ومكانته : ( فقد وجدت الشعر اكبر علوم العرب ، واوفر حظوظ  
الادب ) ( ١٦ / ١ ) بساعته ( ابلغ البيانين عند العلماء  
بلا مدافعة ) ( ٢٧ / ١ ) .

مبتدأ الشعر عند العرب :

( كلام العرب نوعان : منظوم ومنثور : « وكان الكلام كله منتوراً  
فاحتاجت العرب الى الفناء بمكارم اخلاقها ، وطيب اعراقها ، ونكر  
ايامها الصالحة ، واطنانها النازحة ، وفرسانها الانجاد ، وسمحاتها  
الاجواد ، لتَهْزُ انفسها الى الكرم ، وتَلْ ابناءها على حسن الشيم ،  
فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً ،  
لانهم شعروا به ، اي : فطنوا » ) ( ٢٠ / ١ ) .

وابن رشيق ، هنا ، يتفق مع الرأي القائل باسبقية النثر على  
الشعر ، وان الشعر ، او الكلام المثزن ، جاء ، بداءة ، في تضاعيف الكلام  
( المنثور ) (٢) الذي تطور الى الكلام المسجع ، حيث تطور هذا فخرج  
الرجز منه ، ثم القصيد او القريض الذي تطور عن الرجز . ومعنى القرض :  
القطع . فكان الشاعر قطع الرجز وخرج الى القريض ( ١٨٤ / ١ ) .  
والاصل في هذا كله ، هو الفناء او ( حاجة العرب الى الفناء  
بمكارم اخلاقها .. ) فالفناء ، عند العرب ، بالاتفاق ، يفصل بين الشعر

نص ( العمدة ) : هل نقول ان ابن رشيق صاحب النص ، ام انه  
جامع النص !

قراءة ( العمدة ) تشي بان ابن رشيق ، جامع النص : ( فجمعت  
احسن ما قاله كل واحد منهم في كتابه - اي علماء الشعر ونقادهم )  
( ١٦ / ١ ) . ولكن ، مع ذلك ، فابن رشيق كثيراً ما يطرح رأيه ، موافقاً  
او مخالفاً رأي هذا او ذاك : ( وعولت في اكثره على قريحة نفسي ،  
ونتيجة خاطري ، خوف التكرار ، ورجاء الاختصار ، إلا ما تعلق بالخبر ،  
وضبطته الرواية ، فانه لا سبيل الى تغيير شيء من لفظه ولا معناه ،  
ليؤتى بالامر على وجهه ، فكل ما لم اسنده الى رجل معروف باسمه ،  
ولا احلث فيه على كتاب بعينه ، فهو من ذلك ، إلا ان يكون متداولاً بين  
العلماء ، لا يختص به واحد منهم بون الآخر ) ( ١٧ / ١ ) .

ومهما يكن .. وباعتبار ابن رشيق جامع النص ، والموجه له ، فليس  
لنا إلا ان نعتبر ( العمدة ) نصاً متكاملأ في الشعرية العربية ، وقد كان  
لهذا النص فعل مؤثر في زمانه وفي مؤلفات كثيرة تالية .

واذا كان لا بد من ملاحظة ، وكما يلاحظ من الاحالات الكثيرة لابن  
رشيق ، الى عبدالكريم النهشلي ، وكما لا حظ ذلك ، د. احسان عباس ،  
ان عبدالكريم هذا ( من ابعد الشخصيات تأثيراً في ابن رشيق ) (٣) ويبدو  
هذا واضحاً في دفاع الاثنين عن الشعر واعتباره خير بيان العرب .. ولكن  
الذي لا شك فيه ، ان ابن رشيق ، عرف كيف يصهر آراء الآخرين  
واستخراج حكم جديد يمثل شخصيته التي لم تضع بين آراء النهشلي او  
الجمحي والمبرد والجاحظ والرقاني والجرجاني وقدامة والمرزوقي  
والناسخ وابن وكيع .. وغيرهم من النقاد الذين صرح باسمائهم او لم  
يصرح . وبذلك احتل ابن رشيق مكانته كناقذ عن طريق شخصيته اكثر  
منه عن طريق الجدة في الرأي (٤) .

ومثال ذلك معالجتة لأفضلية الشعر على النثر ، وحجة المنتصرين  
للنثر بان القرآن ، منتور . من جهة . وقوله تعالى عن الرسول :  
﴿ وما علّفناه الشعر وما ينبغي له ﴾ واتهام مشركي قريش ، الرسول  
بانه : شاعر . وما جاء به من الاي القرآني ، نسبوه الى الشعر ، من جهة  
ثانية .

والكلام المنثور. فإذا شأوا الترنم ومدّ الصوت في الغناء والحداء ، أتبعوا القافية المطلقة ، مثلها من حروف المد واللين في حال الرفع والنصب والخفض . وإذا لم يقصدوا الغناء والترنم . فهم احرار في ذلك ( ٣١١ / ٢ ) .

ولهذا أيضاً ، ( يقولون : فلان يتقنّ بفلان او بفلانة اذا صنع فيه شعراً ) او يقولون : ( حدا به ، اذا عمل فيه شعراً ) . وقال الشاعر :  
تغنّ بالشعر إنا أنت قائله

إن الغناء لهذا الشعر مضمّارٌ ومن هنا قيل : ان الاوزان قواعد الالكان ، والاشعار معايير الاوتار لا محالة .. ( ٢٦ / ١ ) وكانت العرب - كما قال الجاحظ - تقطع الالكان الموزونة على الاشعار الموزونة ، بينما المعجم تنطط الالفاظ فتقبض وتبسط حتى تُدخل في وزن اللحن ، فتضع موزوناً على غير موزون ( ٣١٤ / ٢ ) .

#### حدّ الشعر وبنيته :

يحدّ ابن رشيقي الشعر ، بأنه يقوم ، بعد النية ، من اربعة اشياء ، هي : اللفظ ، والوزن ، والمعنى ، والقافية . اما اشتراط النية او القصد ، فهو : لان من الكلام موزوناً مُقَفًى وليس بشعر ، كاشياء اتزنت من القرآن ، ومن كلام النبي ( ﷺ ) ، وغير ذلك مما يمكن ان يرد في تضاعيف الكلام المنثور ، لكنه لا يعدّ شعراً . لعلم القصد والنية ( ١١٩ / ١ ) .

ويتوخى من القصد ، غرضان :

الاول : توفر الحافظ لقول الشعر ؛ ولهذا قالوا : اركان او قواعد الشعر اربعة : الرغبة ، والرغبة ، والطرب ، والغضب . فمع الرغبة يكون المدح ، ومع الرغبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ، ومع الغضب يكون الهجاء والتواعد والعتاب الموجع ( ١٢٠ / ١ ) .

الثاني : تجنيس النوع ( الشعر ) وتمييزه عن غيره من اجناس الكلام الاخرى . ولهذا شبهوا البيت من الشعر بالبيت من الابنية . قال : ( والبيت من الشعر كالبيت من الابنية : قراره الطبع ، وسمكه الرواية ، ودعائمه العلم ، وبابه الدرية ، وساكنه المعنى . ولا خير في بيت غير مسكون ، وصارت الاعاريض والقوافي كالموازين والامثلة للابنية ، او كالواخي والاولاد للاخبية ، فاما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فانما هي زينة مستانفة ولو لم تكن لاستغنى عنها ( ١٢١ / ١ ) .

هذا ويستفاد من آراء اكثر من واحد من العلماء : « ان الشعر ما اشتمل على المثل السائر ، والاستعارة الرائعة ، والتشبيه الواقع » او : « ما لم يحجبه عن القلب شيء » . وما لم يتوفر فيه شيء من هذا

( فانما لقائله فضل الوزن » وحسب ( ١ / ١٢٢ - ١٢٣ ) . هذا لان الشاعر ، « انما سقي شاعراً ، لانه يشعر بما لا يشعر به غيره . فاذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه ، او استظراف لفظ وابتداعه ، او زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني ، او نقص مما اطاله سواء من الالفاظ ، او صرف معنى الى وجه دون وجه آخر ، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة . ولم يكن له إلا فضل الوزن ، وليس بفضل عندي مع التقصير » ( ١ / ١١٦ ) .

#### الوزن :

وهذا يعني ، مع ان « الوزن اعظم اركان حدّ الشعر ، واولاها به خصوصية ، وهو مشتمل على القافية ، وجالب لها ضرورة » ( ١ / ١٣٤ ) إلا انه وحده ، لا يخلق شعراً ، خاصة وان الشاعر « المطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الاوزان واسماؤها ، وعللها ، لنبو نوقه عن المزاحف والمستكره » ( ١ / ١٣٤ ) . فكان « عمل الشعر بالطبع دون العروض اجود ، لما في العروض من المسامحة في الزحاف ، وهو مما يُهجن الشعر ، ويذهب برونقه » ( ١ / ١٥١ ) . وهذا يعني ، ان ابن رشيقي يرى ، شان الكثير من علماء الشعر ونقده ، ان اجود الشعر ما جاء وزنه على السجية .

#### القافية :

« القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية » ( ١ / ١٥١ ) وشرط هذا ايضاً ، ان يكون الشعر اكثر من بيت متفقة في الوزن والقافية ، لان تكرار القافية هو ما يميزها كقافية . ولهذا قيل : « القافية ما لزم الشاعر تكراره في آخر كل بيت » ( ١ / ١٥٣ ) . وما يلزم تكراره حسب تعريف الخليل للقافية ، هو : ( من آخر حرف في البيت الى أول ساكن يليه من قبله ، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن . فالقافية في قول امرئ القيس :  
« كجلمود صخر حطه السيل من غل »

من الياء التي بعد حرف الروي في اللفظ الى نون « مِن » مع حركة الميم . اي القافية هي : « مِن غل » ( ١ / ١٥١ ) .

على اية حال .. ومهما تعددت الآراء في تعريف القافية ، فقد سميت القافية ، قافية لانها تقفو إثر كل بيت ( ١ / ١٥٤ ) . اي : شرطها : التكرار ، وظهور الاعراب او السكون على حرف الروي الذي تبني عليه القصيدة .

وتلحق بالقافية ، ظاهرتان ؛ هما : التقفية والتصريع . اما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه : تنقص بنقصه ، وتزيد بزيادته » . اما التقفية ، فهي : ان يتساوى الجزءان من غير نقص

### اللفظ والمعنى :

« اللفظ جسم ، وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم : يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته . فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجته عليه .. ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ ، وجريه فيه على غير الواجب .. » ( ١ / ١٢٤ ) .

ومع ان ابن رشيق ، مثل استاذنا عبدالكريم النهشلي ، ومثل أكثر الناس ممن يؤثرون اللفظ على المعنى : ( قال العلماء ، اللفظ أغلى من المعنى ثمناً ، وأعظم قيمة ، وأعز مطلباً . فان المعاني موجودة في طباع الناس ، يستوي الجاهل فيها والحاتق ، ولكن العمل على جودة الالفاظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف .. ) ( ١ / ١٢٧ ) إلا انه يرى مثل من يرى وحدة التأليف . قال الثعالبي : ( البليغ من يحوك الكلام على حسب الاماني ، ويخطط الالفاظ على قنود المعاني ) .. او قول غيره : ( الالفاظ في الاسماع كالصور في الابصار ) ( ١ / ١٢٨ ) اي انها تترك في السمع ، ما تراه العين في الصورة . ولهذا مثل - واطنه ابن وكيع - المعنى بالصورة ، واللفظ بالكسوة ، فان لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها ، وتضاعلت في عين مبصرها ) ( ١ / ١٢٧ ) .

وهذا هو المعنى نفسه الذي ذهب اليه البعض ، برواية عبدالكريم ، عندما قال : ( المعنى مثال ، واللفظ حنو . والحنو يتبع المثال . فيتغير بتغيره ، ويثبت بثباته ) ( ١ / ١٢٧ ) .  
وبعبارة اخرى ، في العلاقة التوليدية بين اللفظ والمعنى : تأليفاً وتركيباً ونحواً وعلامة ، عندما يقال ، مثلاً ، في وصف بليغ : ( معانيه قوالب لالفاظه ) ( والفاظه قوالب لمعانيه ) .

### الشعر : صنعة :

للشعر - كما ينقل عن الجمحي - صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم كسائر اصناف العلم والصناعات .. ( ١ / ١١٨ ) ولا يشترط ان يكون الشاعر منهم : ( وقد يميز الشعر من لا يقوله ، كالبرزاز يميز من الثياب ما لم ينسجه ، والصيرفي يخبر من الحنانير ما لم يسبكه ولا ضربه ) ( ١ / ١١٧ ) . ورغم قول البعض : ( ليس للجودة في الشعر ، صفة . انما هو شيء واقع في النفس عند المميز . كالفرند في السيف ، والملاح في الوجه .. ) ( ١ / ١١٩ ) . إلا ان الذي لا شك فيه ، ان للشعر ، علماً ، يعرفه اهل العلم به ، من ذوي الثقافة المتسعة ، مثلاً يعرفه اهل صناعة الشعر انفسهم ، لانهم من يكابده ويعرف مضايقه ومخارجه ، وذلك بالنظر ( لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل : من نحو ، ولغة ، وفقه ، وخبر ، وحساب ، وفريضة ، واحتياج أكثر هذه

ولا زيادة ، فلا يتبع العروض الضرب في شيء إلا في السجع خاصة . مثال ذلك قول امرئ القيس :

فما نبتك من نكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحول

( ١٧٣ / ١ )

### بنية المكان :

والذي يهمنا من ظاهرة التصريح ، اشتقاق التصريح ، لدلالته . قال : ( واشتقاق التصريح من مصراعي الباب . ولذلك قيل لنصف البيت « مصراع » كانه باب القصيدة ومخلها . وقيل : بل هو من الصرعين ، وهما طرفا النهار ، قال ابو اسحاق الزجاج : الاول من طلوع الشمس الى استواء النهار ، والآخر من ميل الشمس عن كبد السماء الى وقت غروبها . وسبب التصريح مبادرة الشاعر ، القافية ليعلم في اول وهلة انه اخذ في كلام موزون غير منثور » ( ١ / ١٧٤ ) .

والدلالة ، هنا ، في مجال الممارسة الاستعارية للغة ، ان القصيدة العربية في بنيتها الشكلية النمونجية ، علامة ايقونية . فهي اشبه ما تكون بالباب او البيت او دورة الشمس في النهار . فمن حيث ان البيت الشعري المكون من شطرين ، يساوي باباً من مصراعين . يستحضر صورة باب البيت الطبيعي ، اي ان البنية الشكلية المسموعة ، قد بنيت على صورة شكلية منظورة . اي مجرى المسموعات مجرى المنظورات ، كما قال حازم القرطاجني .

اما من حيث البيت الشعري في شطريه ، شبيهاً بطرفي النهار ، فهو تجسيد لحركة الزمن ، سواء بالنسبة للبيت الواحد ، او بالنسبة للقصيدة المكونة من « مجموعة ابيات من بحر واحد وقافية واحدة » حيث تتقدم الحركة : افقياً من اليمين الى اليسار : صعوداً في الشطر الاول ، ونزولاً في الشطر الثاني حيث تعلن القافية انتهاء البيت ، كما تعلن الشمس غروبها عند اقصى نقطة انحدارها في الافق . كما تتقدم الحركة : عمودياً مع توالي ابيات القصيدة ، مثلما تتتالي النهارات الى ما لا نهاية .

وهكذا ، فضلاً عن ان التصريح ، الذي هو مباشرة القافية ، حيث تلعب القافية دور المنبه الى ان الكلام هو شعر ، وليس نثراً . فانه ، اي التصريح ، يبين الشعر هذا ، مكانياً ، بنية الخياء ، او دورة الشمس في النهار .

وبعبارة اخرى ، ان الطابع الاستعاري للغة الواصفة للقصيدة العربية ، والقائم على شروط المماثلة والمشابهة ، هو ما يسمح بتفخيز الاشتغال الفضائي للنص ، باعتباره علامة مفردة ايقونية<sup>(١)</sup> .

ما هو مخترع مبتدع<sup>(\*)</sup> اختص به الشاعر قبل ، وبدون غيره .. وهذا يجب التمييز بين حالات ثلاث من الاخذ او التناقص او-التناقص .

- ١ - السرقة : وهو أخذ المعنى بلفظه .
  - ٢ - السلب : أخذ المعنى مع تغيير بعض اللفظ .
  - ٣ - التوليد : وهو تغيير المعنى مع تغيير اللفظ ( ٢ / ٢٨١ ) .
- ومع هذا يظل السؤال - بالنسبة للحالتين الثانية والثالثة خاصة - : اين السرقة من التناقص ؟ ما معنا نرى : ( ان المعاني ابدأ تتولد وتتولد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً ) فالمرء مهما اخذ المعنى وولد فيه ، حتى يظن انه لم يترك فيه زيادة لمستزيد ، كابن الرومي مثلاً ، فان احداً قد يجيء من بعده ، فيولد فيه زيادة .. وهكذا ( ٢ / ٢٣٨ )
- تساعده في هذا جملة امور منها :

- ١ - تقدم الزمان .
  - ٢ - اتساع حال الناس والدنيا .
  - ٣ - اختلاف البيئة .
  - ٤ - اختلاف احوال المعاش .
  - ٥ - اختلاف مصادر الثقافة بأنواعها .
  - ٦ - اختلاف الموهبة والقدرة على الاستخراج والابتداع .
- وبهذا : ( ليس احداً احق بالكلام من احد ، وانما السبق والشرف في المعنى على شرائط ) ( ١ / ٩١ ) فربما ابتدع شاعر ، معنى ، ثم جاء شاعر تالي ففزع او ولد منه معنى او صورة ، او اعاد تركيبه بلفظ اسلس اداء ، وتعبير اعمق بعداً ، فنسي الشاعر الاول ، بينما فرض الثاني ، احداثه الابداعي . ومن هنا ، قيل : كل قديم ، مُحدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله . وبذلك تتغير صيغة السؤال : هل غابر الشعراء من مُترثم ؟ الى السؤال : ما ترك الاول للآخر ؟ وهو كثير ( ١ / ٢٦٥ ) .

#### الاستخدام الخاص للغة :

يميز ابن رشيق - كما قلنا - بين الاختراع والابداع . فالاختراع : خلق المعاني التي لم يسبق اليها ، والاتيان بما لم يكن منها قط . اما الابداع فهو اتيان الشاعر بالمعنى المستظرف والذي لم تجر العادة بمثله . ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وان كثر وتكرر . فصار الاختراع للمعنى . والابداع للفظ . فاذا تم للشاعر ان يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع ، فقد استولى على الامد ، وحاز قصب السبق ( ١ / ٢٦٥ ) .

اذن ، فالبيدع ما لم تجر العادة بمثله . اي : ما خرق العادة ، واخرج على غير المؤلف . ورأس ذلك كله هو المجاز : فانه لبيل الفصاحة ، ورأس البلاغة ، وبه يانت لغة العرب عن سائر اللغات ( ١ / ٢٦٥ ) بل ان كلام العرب يكاد يكون كله مجازاً . قال ابن قتيبة : ( لو كان المجاز

المعسوم الى شهادته .. ولانه قيد للاخبار ، وتجديد للآثار ) ( ١ / ١٩٦ ) ، اي انه : ( علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه ) ( ١ / ٢٧ ) . هذا من جهة . ولتكثر المعاني كلما تقدم العصر : ( فاذا تأملت ما في اشعار الصدر الاول الاسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين ، ثم ما في اشعار طبقة جرير والفرزدق واصحابها من التوليدات والابداعات المجبية التي لا يقع مثلها للقدماء ، إلا في الندرة القليلة ، والقليلة المفردة ، ثم اتى بشار بن برد واصحابه فزادوا معاني ما مزلت قط بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا اسلامي ، والمعاني ابدأ تتولد وتتولد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً ) ( ٢ / ٢٣٨ ) من جهة ثانية . ( وهذا باب يقود الى السرقة او التناقص سنأتي عليه ) .

على اية حال .. فما لم يعد ثمة شك فيه ، كما تؤكد الوقائع الشعرية ذلك ، ان الشعر صناعة . او في الشعر ، صناعة . ورغم التمييز بين مطبوع ومصنوع ، فحتى المطبوع ( وقع فيه هذا النوع الذي سقوه صنعة من غير قصد ولا تعفل ) اي ( بطباع القوم ، عفواً ، فاستحسنوه ومالوا اليه بعض الميل ، بعد ان عرفوا وجه اختياره على غيره ) ( ١ / ١٢٩ ) اي تميزه عن غيره من اساليب الكلام الاخرى . خاصة وان الشعر محكوم بـ ( النية ) ومرتبطة مباشرة بالفناء والقرم ، حيث تفصل الخاصية هذه بين الشعر والكلام المنتور ( ٢ / ٣١١ ) . ومتصل ، ايضاً ، بالحافظ الذي لا بد منه لقول الشعر .

#### سرقة ام تناقص ؟

ذكر ابن رشيق في باب المعاني المحدث ، انه كلما تقدم الزمن ، كلما تكثر المعاني . فلما اتى بشار بن برد واصحابه ، مثلاً ، زادوا معاني ما مزلت قط بخاطر جاهلي ، ولا مخضرم ، ولا اسلامي ، لكن هذا لم يات من فراغ او ابتداء وحسب ، بل من معان سبق قولها او الاشارة اليها ، اي من كلام سبق ترديده ( فالمعاني ابدأ تتولد وتتولد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً ) ( ٢ / ٢٣٨ ) .

وهذا يفتح بدوره ، ( باباً متسماً جداً لا يقدر احد من الشعراء ان يزعم السلامة منه ) ( ٢ / ٢٨٠ ) اعني باب السرقة ، او ما يسمى حديثاً بالتناقص . وخلاصة الامر فيه : قد يجيء التناقص ، عفواً ، او ( مواردة ) كما قال المتنبي : ( الشعر جادة ، وربما وقع الحافر على الحافر ) او كما قال المعري عندما سئل : رأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ ولم يلق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره ؟ قال : تلك عقول رجال توافقت على ألسنتها ( ٢ / ٢٨٩ ) . لكن في مجال الثقافة والتناقص ، الامر يختلف . فهناك من المعاني والالفاظ ما هو عام مشترك ( لا يجوز ادعاء السرقة فيه .. وليس واحد احق به من الآخر ) كما قال الجرجاني في ( الوساطة ) . وهناك



كذباً لكان أكثر كلامنا باطلاً ( فمعنى المجاز : ( طريق القول وماخذه )  
والعرب انما تأخذ طريق الجاز في التعبير ، لأنه ابلغ من الحقيقة ،  
واحسن موقعاً في القلوب والاسماع ، وأدعى الى التحميل والتأويل . اي  
مشاركة القارئ او السامع صاحب النص ، قراءة المحمول وتوسيعه ،  
لان في النص المجازي ، اتساعاً . اي انه : نص مفتوح .  
وادخل اصناف البديع في باب المجاز : الاستعارة ، والتشبيه ،  
والتمثيل ، والكناية .

( والاستعارة : افضل المجاز ، وليس في حلى الشعر اعجب منها ،  
وهي من محاسن الكلام اذا وقعت موقعها ، ونزلت  
موضعها ) ( ٢٦٨ / ١ ) . وهي - حسب ابي الحسن الرقاني - :  
( استعمال العبارة على غير ما وضعت له في اصل اللغة . كقول  
الحجاج : « اني ارى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها » ( ٢٧١ / ١ )  
ويتعبير آخر للرماني نفسه : ( الاستعارة الحسنة ما اوجب بلاغة ،  
ببيان لا تنوب منابه الحقيقة ، كقول امرئ القيس : ( قيد الاوابد ) في  
قوله :

وقد أغتدي والطير في وكناتها

بمنجرب قِيدِ الاوابد هيكل

( ٢٧٢ / ١ )

يعني بمجازة أخرى . اذا كانت الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم  
الاستعار عن الاصل - كما قال القاضي الجرجاني ، فان الشرط هو :  
أن تعمر الاستعارة عن علاقة الاصل ، وهذا معنى قولهم : ( مناسبة  
المستعار للمستعار له ) اي : ألا يبعد الشاعر ، الاستعارة جداً حتى  
ينافر ، فيفقد ملاحظة الاصل ، ولا أن يقربها كثيراً حتى يحقق ، اي يبلغ  
الاصل ( ٢٧١ / ١ ) .

على اية حال .. الاستعارة - عند العرب حسب رأي ابن رشيق -  
( انما هي من اتساعهم في الكلام اقتداراً ودالة ، وليس ضرورة ، لان  
ألفاظ العرب اكثر من معانيهم ، وانما استعاروا ، مجازاً او  
اتساعاً .. ) ( ٢٧٤ / ١ ) ومعنى هذا ، في رأينا ، ان الاستعارة :  
اسلوب في التعبير ، وليست ضرورة يلجىء اليها ، نقص في انوات  
التعبير ( الالفاظ ) . ولليل ذلك ان للشيء عند العرب ، اسماء كثيرة ،  
ومع ذلك فهم يستعملون له . وبالمقابل ، نجد ايضاً ، اللفظة الواحدة يعبر  
بها عن معان كثيرة نحو « العين » التي تكون جارحة ، وتكون الماء ،  
وتكون الميزان ، وتكون المطر الدائم الغزير ، وتكون نفس الشيء وذاته ،  
وتكون الديار ، وما اشبه ذلك كثير ( ٢٧٤ / ١ ) وهذا ايضاً ، اسلوب  
في التعبير ، وليس من قبيل ضيق اللفظ عليهم .

ثم ان الاستعارة تمنح اتساعاً في المعنى غير ما تمنحه الحقيقة .  
فلحقيقة معنى واحد ، بينما للاستعارة اكثر من معنى ودلالة ، بفضل  
ما ترسمه من صورة او تحيل اليه من رمز .

ثم ان للحقيقة اسلوباً واحداً ، وهو مطابقة الالفاظ لما وضعت له  
اصلاً . بينما للاستعارة اكثر من اسلوب ، يتعدد ويتنوع لدى الشاعر  
الواحد ، ولدى الشعراء المتعمدين .

فعلى سبيل المثال ، هذه الاستعارة للطفيل الغنوي :

فوضعتُ رحلي فوق ناجية

يقتات شحم سنامها الرخل<sup>(١)</sup>

حيث جعل شحم سنامها قوتاً للرحل . وقد تناولها جماعة منهم

كلثوم بن عمرو العتابي ، قال :

ومن فوق اكوار المهاري لبانة

أحل لها أكل الذرى والفوارب

ثم اتاه ابو تمام فزاد المعنى زيادة لطيفة ، قال :

وقد أكلوا منها الفوارب بالسرى

فصارت لهم أشباحهم كالـفوارب

( ٢٧٤ - ٢٧٥ / ١ )

وهكذا يتبين ، ان الاستعارة ، طريق خاص في التعبير واستعمال  
اللغة ، يخرج به الشاعر او المتكلم عن الجاري المألوف . وعن طريق غيره  
من الشعراء بحيث حتى لو « وقع الحافر على الحافر » - كما قال  
المتنبي - فانه يظل دائماً ، هناك ، ما يميز حافراً عن حافر : سعة ، او  
شكلاً ، او عمقاً .

وهكذا بالنسبة للتمثيل والكناية والتشبيه والاشارة والرمز والتبعية  
والتورية .. الخ ، فكلها ضروب من الاستعارة . اي التعبير عن الشيء  
بالعدل انى ما لم يوضح له اصلاً . كما يتبين من التعريفات التالية :  
التمثيل : هو ان تمثل شيئاً بشيء فيه اشارة او  
استعارة ( ٢٧٧ / ١ ) . والتشبيه والاستعارة من التشبيه ، إلا انها  
بغير اداته ، وعلى غير اسلوبه ( ٢٨٠ / ١ ) .

التشبيه : وهو صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة او  
جهات كثيرة ، لا من جهاته كلها . لانه لو ناسبه كناية لكان إياه .  
والاساس في التشبيه هو تشبيه غير المحسوس بالمحسوس ، والبعيد  
بالقريب .. وقد يجيء العكس نحو قوله تعالى : ﴿ طَلَّهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ  
الشَّيَاطِينِ ﴾ اي تشبه المحسوس بصورة قائنة في  
النفس ( ٢٨٦ - ٢٨٦ / ١ ) .

الاشارة : وهي في كل نوع من الكلام ، لمحة دالة ، ومختصار  
وتلويح يعرف مجعلاً ومعناه بعيد من مظاهر لفظه . من ذلك قول زهير :

فإنني لو لقيتك وأنجتها

لكان لكل منكورة كفاء

فقد اشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه ( ٣٠٢ / ١ ) .

التورية : وجاء ذكرها عند ابن رشيق ضمن الاشارة كقول غلطة

او مثل قوله تعالى : ﴿ وقالوا لجلوبهم لم شهدتم علينا ﴾ ذكر الجلود ، كناية عن الفروج ، وعدولاً عن اللفظ الخسيس ( ١ / ٣١٣ ) . اما التتبع ، وهو من انواع الاشارة ، وقوم يسمونه التجاوز ، فهو : ان يريد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه ، ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه . مثل قول عمر بن أبي ربيعة :

بعيدة مهوى القرط إنا لنوفل  
أبوها وإنا عبد شمس وهاشم  
حيث اراد وصف طول العنق ، فلم يذكره بلفظه بل عدل الى ما يتبعه في الصفة ، وينوب عنه في الدلالة عليه . فقال : « بعيدة مهوى القرط » .

ومثل هذا قول امرئ القيس يصف امرأة :  
ويضحى فتيت المسك فوق فراشها  
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فقوله : « يضحى فتيت المسك » تتبع . وقوله : « نؤوم الضحى » تتبع ثان . وقوله : « لم تنتطق عن تفضل » تتبع ثالث . وانما اراد ان يصفها بالترفة ، والنعمة ، وقلة الامتهان في الخدمة .. ( ١ / ٣١٣ - ٣١٤ ) .

#### الاشارات :

- ( ١ ) د. احسان عباس : تاريخ النقد الادبي عند العرب : ص ٤٤٠ .  
( ٢ ) نفسه ص ٤٤٦ .  
( ٣ ) الباقلائي : إعجاز القرآن ص ٥٤ - ٥٥ .  
( ٤ ) محمد الماجري : الاشتغال الفصائي في النص الشعري - رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا - الرباط ٨٧ - ١٩٨٨ .  
( ٥ ) يميز ابن رشيق بين المخترع والمبتدع كما يلي : المخترع هو ما لم يسبق اليه قائله ، ولا عمل احد من الشعراء قبله نظيره او ما يقرب منه . اما الابداع فهو : إتيان الشاعر بالمعنى المستطرف والذي لم تجر
- المادة بمثله . ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع . فصار الاختراع للمعنى ، والابداع للفظ ( ١ / ٢٦٢ - ٢٦٥ ) .
- ( ٦ ) الناجية : الناقة السريعة . والرجل ما يقتعد عليه الراكب . يريد : ان ارجل فوقها دائماً ، كناية عن طول ما يسافر عليها ، فينتقص شحم سنامها .
- ( ٧ ) السدر : شجر النبق . والاثاب : ضرب من التين .
- ( ٨ ) د. احمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢ / ٣٨٥ .

مهدى في « ظل » الخادم :

أيا سرحة البستان طال تشوقي

فهل لي الى ظل اليك سبيل

فوزت بـ « ظل » عن « ظل » .

والتورية في اشعار العرب - كما يراها ابن رشيق - مثل الكناية حيث تكفى عن الشيء بشجرة او شاة او بيضة او ناقة او مهرة .. كقول المسيب بن علس :

دعنا شجر الارض داعيهم

لينصروه السدر والاثاب

فكفى بالشجر عن الناس . وهم يقولون في الكلام المنثور : جاء فلان بالشوك والشجر ، اذا جاء بجيش عظيم ( ١ / ٣١١ ) .

وهكذا . فالتورية ضرب من الإيهام . ( وهي ان يطلق لفظ له معنيان قريب ويعيد ويورد بها البعيد ) ( ٨ ) .

ومثلها الكناية ان تتكلم بشيء وتريد غيره ، مثل قول امرئ القيس :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها

تعتث من لهو بها غير مُجمل

كناية بالبيضة عن المرأة .

## العمارة الإسلامية

### عمارة التوحيد (\*)

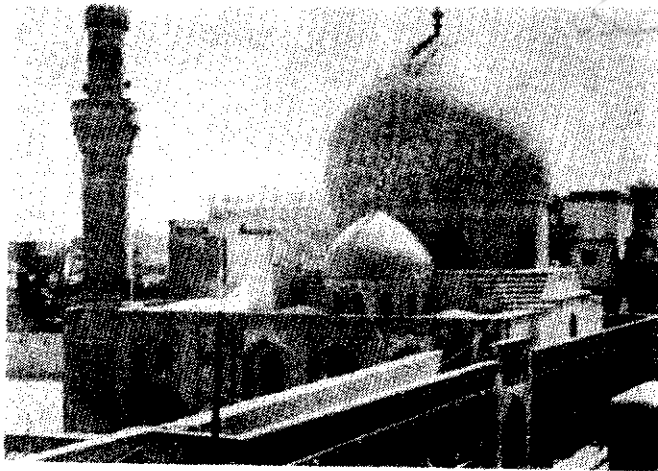
ترجمة : المهندس المعماري محمود حمندي

ص . ب ( ٦٠٠٥ ) - المنصور - بغداد

مختلفاً . اضافة لذلك فاننا نعرفها عندما نكون في مدينة اوروبية أكثر مما لو كنا في مدينة هندية أو صينية ، واننا نعرفها قبل أن نواجه أي كائن بشري أو نرى لافتة مكتوبة . مع ذلك فإن كل هذه العوالم المختلفة تكون بالاساس متشابهة : إذ هي مؤلفة من مدينتات وشوارع ومباني وأشياء وأناس .

فيم إذن يكمن الاختلاف ؟ وكيف نعرف أين نحن ؟ اننا نعرف أين نكون لان حياة البشر تجري في أمكنة تحددها العناصر الطبيعية والعمارات التي تتضمن سمة مميزة . من الواضح ان مثل هذه « السمات » تكون عامة في كثير أو قليل . وعندما أقول اننا نعرف ذلك العالم عندما نكون في مجتمع اوروبي ، اضيف فأقول اننا نعرف أيضاً بأننا ، مثلاً ، في مدينة انكليزية وليس في أخرى المانية . نعم يمكننا أن نميز بين عالم توساني وآخر صقلي ، ولكن ذلك يتطلب مستوى معيناً من المعرفة من جانب الزائر .

شارع في مدينة اسلامية جامع الحيدرخانة - شارع الرشيد - بغداد



بحث : البروفيسور كريستيان نوربيرغ شولز(\*\*)

يجتاز التعليم المعماري في حضارتنا المعاصرة حالة تازم . ان في حوزتنا اليوم معرفة في اغلب الحقول تفوق ما كانت لدينا في أي وقت مضى ، ولدينا وسائل تقنية تخدمنا بشكل أفضل مما كان سابقاً ، ولكن البيئة المشيدة في أغلب بقاع العالم ما زالت تتهرى بسبب الإنشاء العشوائي . وعلى هذا فقد نتحدث عن أزمة بيئية عامة ، وبالتالي فهي أزمة التعليم المعماري . ولما كفت معماراً ومدرساً فقد أتيت لي أن أفكر ملياً باسباب هذه الحال .

ان استنتاجي بسيط وهو اننا قد نسينا لغة العمارة . فلقد نسينا أولاً أن نمارس العمارة كتغيير مفعم بالمعنى عن حياة البشر في مكان معين ، كما قد نسينا ثانياً كيفية استعمال لغة العمارة كوسيلة لتلبية متطلبات الانسان في المعنى والانتماء .

بكلمة ( اللغة ) أقصد ما يقي وينقل أنماط الانسان في وجوده في الدنيا . وان استعادة لغة العمارة عافيتها فهي هدف رئيسي للتعليم المعماري وقاعدته . أما غرض هذا البحث فهو تبين ما يعني ذلك مستعنيين بالعمارة الاسلامية للتوضيح .

انا لا أدعي القدرة على شرح العمارة الاسلامية ، بل أن رغبتي هي مجرد توضيح طريقة قد تساعدنا على تحقيق العودة الى العمارة المبتغاة . لاؤكد : قبل أن نتمكن من تدريس العمارة ، علينا أن نعرف ما هي العمارة . وفي صدد بحثنا هذا فان ذلك يعني السؤال الآتي : ما هي العمارة الاسلامية ؟ وفي هذا الاستفهام تمهيد لسؤال آخر أخير هو : هل يمكن خلق عمارة اسلامية اليوم ، وهل يجدينا ذلك نفعاً ؟ تمارس العمارة الاسلامية كواقع ايجابي فور زيارتنا بيئة اسلامية : من افغانستان الى البلاد العربية ، ومن مصر الى الاندلس ترى العمارة الاسلامية موجودة كحضور فوري معترف به . انها وجود كشيء يخبرنا بأننا لسنا في أوروبا الاغريقية أو الرومانية أو المسيحية . انها دنيا أخرى تتجلى ، دنيا تجعلنا نشعر بالتفاير وتتطلب منا ادراكاً حسيماً

( \*\*) المهندس المعماري كريستيان نوربيرغ شولز استاذ في النظريات المعمارية والتاريخ المعماري ورئيس مدرسة اوسلو للعمارة في النرويج .

( \* ) بحث ضمن محور « التوجه نحو التعليم المعماري » من ندوة « التعليم المعماري في العالم الاسلامي » التي عقدتها جائزة الاغا خان للعمارة في قصر الحمراء بقرطبة / اسبانيا في نيسان ١٩٨٦ .

الاسلامية . اضافة لذلك فان الحائط الاسلامي مغاير لجدار الشفاف للعمارة الغوطية . وبالتأكيد فان هذا الأخير يبدو نوعاً من شبكة من الاعمدة النحيلة . وبينما تكون الخطوط الاسلامية مجردة ومن غير وجود جسدي تُبرز الأضلاع الغوطية على شكل صفوف من التقويات التي تبدو وكأنها هيكل انشائي أكثر من كونها زينة .

على هذا فإن العلاقة الجلية بالأرض تكون في الجدار الاسلامي أضعف مما هي في الجدار الأوروبي . ان الحائط الاسلامي لا ينتصب ولا يشمخ بنفس الطريقة الانشائية المقررة للمبنى بل يبدو معبراً عن نوع من الكينونة في الفضاء أكثر عمومية . وهذا يتماشى مع تنظيمه الهندسي الخاص ، بينما تكون التخوم الأخرى للفضاء الاسلامي ذات سمات مناظرة .

على هذا تكون الأرضيات سطوحاً ممتدة شبيهة بالسجاد ، وتكون أرضيات الجوامع في الواقع مغطاة بفرض ذات نقوش هندسية . أما السقوف فتتم في نهاية المطاف عن سمات الحدود الاسلامية بطرائق واضحة للغاية . بهذا الاسلوب يتلاشى المستوى السطحي تماماً ليكون شبكة مضيئة وشفافة من الاشكال الرقيقة من غير أن تفقد استمراريتها العامة .

مع ذلك هنالك وجود لمفارقة واضحة بين العلو والسفالة . فالسقف والجزء الأعلى من الجدار يكونان في الغالب ابيضين موشيين بزخرفة جد كثيفة . بينما يكتسب القسم الأسفل من الجدار والأرضية وجوداً أكثر ثباتاً بسبب استعمال الكاشي المزجج ذي الألوان المتعددة . وسمه اختلافية أخرى عن الجدار الأوروبي التقليدي هي خلوه من التمثيل الصوري . وحين تتجلى بعض « الأجساد » بوضوح تكون على النوام مبتلعة بالتزيينات المتشابهة لتكون جزءاً متمماً للكلية الشاملة . وكبدل عن الصورة الأوروبية ، تستعمل عناصر خطية تتضمن مقننسات من القرآن الكريم . ويسبب المميزات الزخرفية للكتابة الكوفية ، فانها تصبح أيضاً جزءاً من هذه الكلية الشاملة .

على العموم يمكن وصف التخوم المكانية للعمارة الاسلامية على انها سطوح غير اساسية مستمرة وذات بُنية زخرفية غير محددة يتجلى فيها صدى باهت من دنيا الأشياء ثم يتلاشى . هنالك أيضاً نورانية شاملة الوجود تعزز الشعور العام بالتكامل والوحدانية . وعلى هذا فإن الظاهرة الأساسية للعمارة الاسلامية هي انها تتضمن « سمة - character » أكثر من احتوائها مجموعة من العناصر الشكلية المميزة .

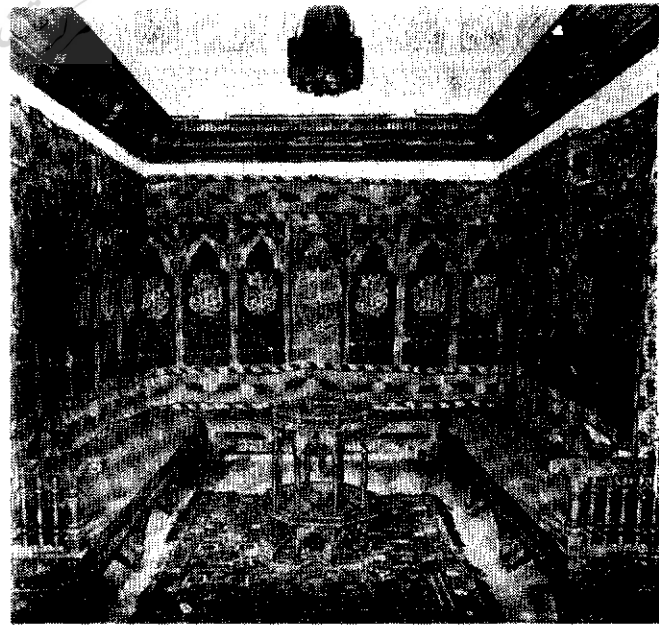
بيد أن هذا لا يعني ان العمارة الاسلامية تهمل الطرز البنائية والافكار الشكلية . ليس من هندسة معمارية تجري من غير ذلك ما دامت هنالك سمة تكتسب وجودها على النوام بصفة « شيء ما » . ان دراسة لتاريخ العمارة تبين أن طرز البناء في أية حضارة تستند على أنماط كتلية عامة مثل « المبنى المستدير - rotunda » و « الباسيليكا - basilica » ( الذي هو مبنى مستطيل ينتهي بجزء نصف دائري وأصله

ان الامكنة التي نحفل بها في رحلاتنا هي بالأساس أمكنة عامة وليست خاصة ، وقد تكون أحيحة حضرية بمثل ما تكون دواخل أبنية عامة . وعلى هذا فإن الفارق بين البيئات ينبع من اختلافات الممتلكات المكانية ، والتي يمكن درجها ضمن الاصناف الكثيرة من الانماط الكتلية والأنواع المختلفة من الأسوار ، سندرك على التو « سوق » مدينة اسلامية كنمط كتلوي مميز ، ويحدث نفس الشيء عندما ندخل مسجداً مشهوراً مثل جامع قرطبة . مع ذلك فإن تشخيص المدينة الاسلامية لا يتطلب بالضرورة زيارة أمكنة معينة ، لاننا نحس بالوجود الاسلامي أينما حللنا بسبب المعالجات السماتية لأسوار الفضاءات بمثل ما نشهده في المدن الأوروبية لنفس الأسباب . في البداية تتجلى العمارة الاسلامية في الحيطان التي يكون الحس الاسلامي بالبقاء الدنيوي أمراً فيها متواصلاً ومشهوداً . من المؤكد ان ليست كل الجدران في كل المدن الاسلامية مشيدة بنفس الاسلوب ، ولكن المميزات الأساسية والافكار تكون ذات وجود كلي omnipresent برغم تردداتها المختلفة . من نفس تلك الاهمية فان الصفات التي تميز المدن الأوروبية تكون ، كقاعدة عامة ، غير ذات وجود .

ما هي إذن هذه المميزات الأساسية ؟

الحائط الاسلامي يمكن على العموم أن يتسم بصفة « الجلد » المختلج بنيوياً dematerialised skin الذي يغطي في كثير أو قليل بتزيينات خطية معقدة . أما العناصر التشكيلية للأجسام البشرية التي تميز الجدار الأوروبي ذا الجذور الكلاسيكية فليس لها وجود في الاشكال

قصر المطر في تونس



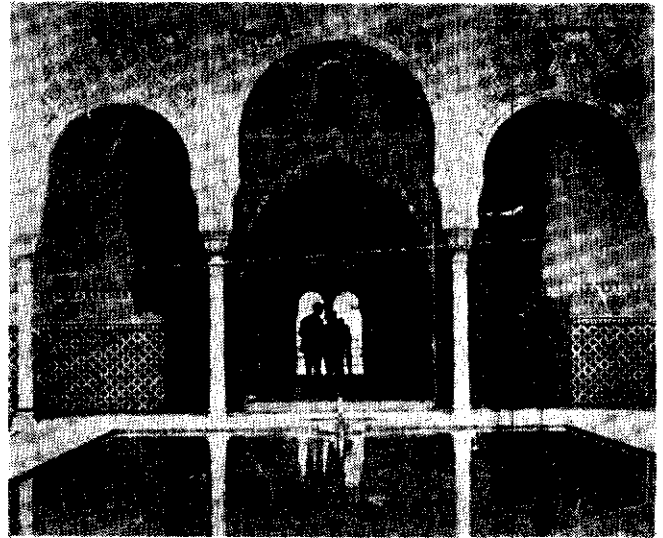
في البيئات التي هي من صنع الانسان ، لا بد حتى للواقع اللانهائي من أن يكون له حضور بصفته مجموعة من الامكنة المختلفة . من هذا المفهوم تكون المدينة الإسلامية متضمنة تبايرات مكانية ، اضافة الى الاختلافات الشكلية . المغايرة الاولى التي تدرك تلقائياً هي ملاحظتنا الفارق بين الفضاء الحضري للحياة اليومية ودواخل الجوامع والابنية الرئيسية الاخرى . فإذ يبدو الفضاء الحضري عموماً على شكل متاهات من الدروب والازقة « لا شكلية - informal » ومتنوعة ، ويغلب أن تكون ذات مظاهر متقوسة ، ورتة ، فان الدواخل تنم عن درجة عالية من النظام الشكلي - formal والارتباطات المفصلية والتي تكون على العموم بحالة جيدة من الصيانة المعتنى بها . من الواضح إذن أن الاسلام يعترف ان الوحدة المنظمة والتي هي السمة الأساسية لعمارته لا تنطبق مباشرة على الوقائع الدنيوية الموقته للانسان والتي هي عالم الحياة اليومية ، كنتيجة لذلك فان العمارة الإسلامية تكون انطوائية - introverted ويمسي معناها واضحاً وخاصة في الحقائق المسورة والافنية والدواخل . أما ما يعتبر حقيقة أزلية من الخارج فإن رؤيته تتجلى من الداخل .

ومع ان العمارة الإسلامية تنأى عن الاشكال الرمزية فانها ، مثل أي نمط معماري آخر ، تتطلب عناصر معترفاً بها . يمكن ذكر « قوس حدوة الحصان horse-shoe arch » على أنه أحد الافكار النمطية للعمارة الإسلامية . على خلاف القوس نصف الدائري للتحدارات الغربية western traditions فان مركز القوس الحدوي أعلى من قدامته ( foot ) مما يتيح له أن يبدو مرتفعاً ومتسعاً . بهذا يفقد قوس حدوة الحصان صفته الانشائية ليمسي شكلاً تزيينياً جامعاً بين الإسناد والخفة الاشعاعية . وعلى العموم فان القوس الحدوي ينم عن كيفية أن تصبح الفكرة « علامة » مميزة ممثلة نظاماً معمارياً شاملاً . وقد أمكن ذلك بتوجيه المميزات الأساسية للنظام بشكل مبسط . أما الأكثر تعقيداً وخصوصية ، ولكن باهمية مساوية فهي المقرنصات التي تستعمل في العمارة الإسلامية لتولي مهمة التحول من السطوح المستوية الى مثيلاتها المقوسة . ان المقرنصات تتعلق بالاساس بمتدليات - pendentives واسقنشييات - squinches العمارة الأوروبية ( الاسقنشييات أقواس تبني عبر زوايا الغرف لتدعيم ما فوقها / المترجم ) ولكنها توضح سطوح الانتقال بطرائق أساسية مختلفة . واذ تتضمن المقرنصات « خلايا » من المشكايات ( جمع مشكاة ) أو الكوات - niches المعقدة الى حد ما فإنها تتلافى كل نوع من التشكيلية - plasticity وتجعل المميزات الزخرفية والتنويرية للتخوم الإسلامية تشمخ صعوداً بطريقة أسرة جداً .

أن الضوء الذي يُرى بالمقرنصات مفعماً بالصور ومجسداً بالهندسة يتمحور بالمحراب الذي هو مشكاة كبيرة تعبر في كل جامع عن القبلة أو الاتجاه نحو مكة المكرمة . ومع ان المحراب فارغ وخالٍ من أية

روماني / المترجم ) وفضاء « المرتكز السقفي - hypostyle » ( الذي هو سقف مرتكز على صفوف من الأعمدة / المترجم ) وهي ثلاثة أشكال فضائية تتمتع بامتداد سرياني عام ، لأنها تنبع من انشاءات اساسية للوجود الفضائي : المركز ( الهدف ) والطريق والميدان - Centre ( goal, way, and domain ) . المسجد ، مثلاً ، هو بالاساس مرتكز سقفي تشيد فيه في بعض الاحيان قبة لتتم عن مركز معين أو ترمز اليه . غير أن الانماط الكتلية العامة في العمارة الإسلامية تفسر على غير ذلك ببلغة فائقة ثم تعتل وفقه . وكما هي الحال في الحوائط الزخرفية - فإن المدن والابنية تتضمن عناصر هي بالاحرى متوحدة أكثر من كونها منفصلة ، وغالباً ما تكون اضافات امتدادية غير مقررة مسبقاً . وعلى هذا يكون مسجد المرتكز السقفي من الناحية المبدئية شكلاً « مفتوحاً » يتيح اضافة أو حذف عناصر فضائية من غير تشويه لمضمون معناه . ( ليقارن هذا بالنسبة الى مقولة ألبرتي المشهورة بعدم امكانية اضافة أو حذف أي شيء من التركيبة الكلاسيكية إلا وتميل النتيجة نحو الأسوأ ) . ان العناصر الرمزية في العمارة الإسلامية مثل البرج والقبة والغناء الداخلي هي نقاط توجيه - orientation ضمن الجمع الشامل - Comprehensive totality بدلاً من كونها أهدافاً رمزية نهائية . انها تبني خارج المجموعة ولكنها منحت نوعاً من رهينة - priori ، أي انها لا تتألف ، بل هي عناصر يُخضع لها . بهذا ندرك الفارق الأساسي بين العمارة الإسلامية والعمارة الأوروبية . في الأوروبية يتشكل « المكان the place » بالابنية أو بـ « المؤسسات » ( باستعمال تعبير لويس كان - Louis Kahn في أن المكان في العمارة الأوروبية يحدد من الداخل - from within ) بينما يحدد المكان في العمارة الإسلامية من الخارج - from without ليكتسب واقعاً أزلياً غير ذي نهاية .

بركة الرياحين في قصر الحمراء بغرناطة / اسبانيا





المنارة . فبينما تمتد الابنية الاسلامية افقياً ، فان المنارة لا تعدو أن تكون محوراً عمودياً . انها بحد ذاتها نوع من « مركز » أيضاً ، ولكنها بدلاً من أن تكون غاية مثل « قبة الصخرة » و « الكعبة » فإنها تؤدي مهمة « التذكير » بالفردوس الاعلى . على هذا فان موقع المنارة بالنسبة الى المنشآت المجاورة يكون طليقاً الى حد ما بعكس برج الكنيسة الفوطية الذي لا ينتفض في الفضاء بل يظهر ببساطة كوجود يُعبر عن حلقة رهبانية بين الارض والسماء .

لقد كشف وصف العناصر والصفات الشكلية الاساسية للعمارة الاسلامية عن مفهوم انشائي للبيئة المنشأة موحد . فالاحيظة والمباني تتسم ، حيثما كانت ، بعائديتها الى نفس العالم الشامل من خلال زخرفية سطحية لا نهائية . ومع أنها لا تظهر في كل المجالات فان هذه الزخرفية كلية الوجود بشكل فاعل . كما أن الانواع المختلفة للاحيظة المنكفة على ذاتها - introverted - خاضعة الى شبكة فضائية مستمرة . في الجامع يكون النمط المكاني موحهاً نحو مكة المكرمة التي تتركز من حولها كل البيئة الاسلامية . اننا لا نجد في المركز صورة معينة ، ولكن تصوراً مركزياً لذلك النظام العام يكون موحى به في كل مكان من الدنيا . ما هي العمارة الاسلامية ؟ والسؤال في هذا الصدد يتضمن « الكيفية » و « السبب » . لقد كنا لحد الآن مهتمين بالكيفية . ولقد آن الاوان لنسأل عن سبب صيرورة العمارة الاسلامية بوضعها الراهن . كل المسلمين في مشارق الارض ومغاربها يستجيبون الى مراسيم دينهم خمس مرات باليوم معتبرين بذلك عن طاعتهم لمفهوم مشترك عن الدنيا . كلمة الاسلام بالذات تعني في الواقع « التسليم » ، وتبعاً لذلك فان المسجد يكون مكاناً لـ « السجود » أو « الخضوع » . تتضمن المعتقدات الاسلامية ان هنالك كينونة واحدة ، وان كل ما موجود يشاطر بهذه الكينونة الفريدة . ليست هنالك ألوهية إلا لله ( لا إله إلا الله ) . وعلى هذا يفهم الكون على أنه احياء ذاتي بالإله ، وقد ذكر النبي ( ﷺ ) عن الباري عز وجل انه كنز كامن معترف به خالقاً للكون . في ذات الوقت فان الله يسمو فوق الكون . ومع أن كل الاشياء تشاطر في الكينونة الإلهية ، فان لها طبيعة الزوال . ولما كانت موقفة وعابرة فإن من الخطأ أساساً اعطاها أهمية كبيرة . من هنا يجد اللانظام والتفري المتكرر للمشهد الحضري الاسلامي طريقه . ان وحدة التكوين ، بالمفهوم الاجتماعي ، تعني أن الكل متساوون بصفتهم مشاطرين في الامة أو مجتمع المؤمنين . وعلى هذا ندرك سبب أن المفهوم الاسلامي لـ « الشكل » لا يعني الإطار - outline أو البنية - figure بل انه طابع الوحدة الاساسية . وحين تظهر أشكال فردية في بعض الاحيان ، فانها تعامل على أساس انها طرز بدئية - archetypes بدلاً من كونها أشياء قائمة بذاتها . من المهم التاكيد على أن الوجدانية الاسلامية ليست نتيجة تجميع وتوليف ولكنها منح القدسية في كل مكان وفي كل الاوقات . وعلى هذا فان الإسلام يعتبر نفسه الدين الأساسي الذي يعود الى



محراب في مسجد

تمائيل صورية ، وبالتالي لا يمثل غاية رمزية ، فانه مكان ذو أهمية جوهريّة . وعلى هذا فان من الغالب تزيينه بزخرفة خاصة متقنة . ولما كان المحراب خالياً ولكنه في ذات الوقت ثري ، فانه يعبر عن مضمون العمارة الاسلامية بالذات .

هنالك في الضرائح الاسلامية معاني رئيسية تتجلى بطرائق أساسية . يتكون الضريح عادة من مكعب تعلوه قبة . وما دام القبر يمثل واقعاً يتعدى الحياة اليومية للانسان ، فإن هذه التشكيلية توفر بوضوح مفتاحاً للمفهوم الاسلامي عن الدنيا . في التركيبة الكتلية لقبة الصخرة في القدس تكون العلاقة بقيام قبة فوق أساس هيكلي مثنى . ولكن دراسة مستفيضة للهندسة الكامنة في الخطة تبين انها تمثل تطوراً معقداً لفكرة المكعب المققب . حين شيدت قبة الصخرة بين الاعوام ٦٨٨ و ٦٩٢ م لم يكن بمقدور الحجيج بلوغ مكة مما جعل القدس مركزاً مؤقتاً للعالم الاسلامي .

وعلى هذا يجب فهم المبنى على اساس انه تعبير عن الوظيفة أكثر من كونه مجرد صدقٍ للانماط البيزنطية ، كما يوحي عنه غالباً في أدبيات هذا الموضوع .

فكرة المكعب تظهر أيضاً في الكعبة بمكة المكرمة ، ان كلمة الكعبة بالذات تعني المكعب . ولما كان شكلها كذلك فإنها تنم عن الاتجاهات الرئيسية للفضاء : الا وهي النقطتان الاساسيتان ( الكارديناليتان ) والسمت العلوي - Zenith والنظير السفلي - nadir . هنا يتكامل المكعب مع القبة السماوية ذاتها بدلاً من إقامة رمز بنائي . بهذا يتجلى وجود الدائرة واضحاً في الافق الارضي المحيط . بتغطية الكعبة بقماش أسود هو الكسوة التي تبذل كل عام ، يتحول الشكل التجريدي الى جسد حي يرتدي قماشاً يحمي سر طوقسه القدسية .

لا بد من ذكر العنصر المقلّم الاخير للبيئة الاسلامية الا وهو

ابراهيم - وبكلمة اخرى الى البداية .

ان وحدانية تضم كل الصفات لا يمكن التعبير عنها إلا كنمط شامل أو زخرف ، أي كنسيج من الأفقيات والرأسيات . إن السجاد في حقيقته ، هو التعبير الأمثل للفن الإسلامي ، وهو الشيء الوهمي الذي يتضمن اتجاهات الأرض والسما . ولكن حين تظهر أشكال عفوية ، فانها تخضع لل نمط العام .

في الدنيا المعنية تتجلى وحدة الواقع بالنور الذي هو كينونة تشع في كل مكان ولكنها في ذات الوقت تكون غير مرئية . وعلى هذا ذكر في القرآن الكريم « الله نور السموات والأرض » . وبناء عليه يفهم النور على انه حضور روحي يمنح وجوده لكل شيء على وجه البسيطة . كتب الفيلسوف الاسباني المسلم ابن مسرّه « من غير اشعة الشمس الساقطة على ذرات الغبار الصغيرة السابحة في الهواء لن يكون بالمستطاع رؤيتها ، ومن غير ذرات الغبار لا تكون أشعة الشمس ذاتها بادية للعيان » . ان هذه الاستعارة تدل ضمناً على أن من غير حضور للروح ، لا تكون للعالم أية واقعية .

ما دام الضوء ينتشر بخطوط مستقيمة ، فإن بالإمكان تصويره بنمط يمثل نجمة هندسية من الأشعة المتناسجة . وعلى هذا فان حلية من النجوم المتداخلة والمنبعتة من بعضها هي التمثيل الاوضح للوجود الإلهي والوحدانية في ذات الوقت وما دام هذا النمط ممتداً الى ما لا نهاية له وبذلك لي فهو في سكون ، فانه أيضاً يتضمن ايقاعات تمنح العالم الذي يحويها حركة دينوية زمانية .

حين يقابل الضوء مواداً عضوية بالتعاقب مع مواد أخرى غير عضوية فسينجم عن ذلك « شكلان » : هياكل بلورية الشكل مثل المقرنصات ، وانماط من الزهور مستمرة مثل الزفوش العربي - arabesque . في كلتا الحالتين يكون « الشكل » هندسياً . أما نقطة الاقتراق فهي الدائرة التي هي شكل كامل ليست له بداية أو نهاية . ولكن حين تقسم الدائرة الى اربعة أجزاء أو خمسة أو ستة أو ثمانية فستنشأ انماط يمكن مدها الى ما لا نهاية . وما دام أول طقس في الاسلام هو التميز بالحكمة تجاه الوحدة الإلهية ، ولما كانت هذه الوحدة ظاهرة على شكل نمط هندسي من النور المرئي ، فان المعمار - architect هو الذي يهندس . ان وحدانية الإلهية موضحة بكلمات قرآنية . وعلى هذا تكون الزخرفة الاسلامية متضمنة عناصر الخط المذكورة آنفاً . بهذا تظهر الكلمة ضمن النمط الشامل لتجعله شكلاً ناطقاً .

ان الكتابة العربية أيضاً نوع من نسيج من الأفقيات والعموديات ، وعليه يكون من السهل دمجها بالنمط العام . وكما ذكرت آنفاً فان الكتابة العربية تعوض عن الأفكار الصنمية المسيحية . وما دام الخط العربي قد منح شكلاً صورياً ، فقد اعتبر اسمى الفنون شأناً .

لقد تبين ان الزخرفة الاسلامية لا بد أن تقتزن بأشكال كتلية معينة كي تكتسب وجودها الحقيقي . من بين تلك التكوينات تحظى

القبة والمكعب بأهمية اساسية . على هذا تمثل القبة الدائرية السماء المنتظمة ، بينما يكون المكعب الرباعي تصوراً عن ملكوت الأرض في الاختلافات والصراعات . من خلال الزخرف تتوحد القبة والمكعب ، ولكن تغيرات نمطية ولونية معينة تعمل في ذات الوقت على الحفاظ على هوية الاثنين . من المهم ملاحظة ان العلاقة بين السماء والأرض في العمارة الاسلامية تشع دائماً من الأعلى ، على خلاف العمارة الاوروبية الى تكون فيها سمات الاستقرار والنهوض التالي هي السائدة .

غير ان تفسيرات العمارة الاسلامية لا تستند بتوضيح أسسها الدينية . فما دام الدين الاسلامي قد نشأ في بيئة طبيعية ذات نوعية خاصة فان من المحتم أن يكون ذا علاقة بمميزات تلك البيئة . وعلى هذا فقد اعتبر الاسلام جواباً لمسألة جعل الإقامة البشرية في الصحراء ممكنة . من الحقائق المهمة المؤكدة هي أن الاسلام قد ولد في ارض شبه صحراوية وقد أصبح منتشر في مناطق ذات سمات مشابهة . ان استيطان الصحراء يضع الانسان وجهاً لوجه مع أشق ما يكون من الملمات ، بالمفهومين البنيوي والنفسي معاً . ففي الصحراء تتعلم النقاط الثابتة التي يمكن الاستدلال بها ، وانها تكون رتيبة وقاحلة وعديمة الحدود . تبعاً لذلك تعلق المصريون القدامى بالموت ، حتى أن كلمة الصحراء - desert اللاتينية مشتقة من كلمة - deserere التي تعني الاستسلام . وبما أن الصحراء لا توفر أي نوع من « الحماية » ، فانها تتنافى كلياً مع « المكان » . أما وجود الواحات فلا يغير من هذه الحقيقة شيئاً لان الواحة من الناحية النفسية تبقى حلاًماً ، أو فردوساً ينتسب الى عالم آخر . ان وصفاً ظاهرياً للصحراء يجسد هذه الملاحظات العامة . كما ينم أيضاً عن ايهاءات عن كيفية جعل الماوى في هذا النوع من البيئة ممكناً .

في الصحراء تتضاعل تعقيدات عالم حياتنا اليومية الى قلة من الظواهر البسيطة : الامتداد اللانهائي للاشكال الموحدة للأرض القاحلة ، والقبة الهائلة للسماء الصافية الحاضنة ، والشمس المحرقة التي تبعث بأشعة تكاد أن تكون من غير ظل ، والهواء الحار الجاف الذي يجعلنا نتنفس بيئة مختلفة . وعلى العموم فان الصحراء تبدو وكأنها تصنع ظاهرة نظامية مطلقة وسرمدية . غير أن هذا النظام يبقى بعيداً عنا لانه بالاحرى مسير من السماء لا من الأرض . وعلى هذا فان مسيرة الشمس ترسم معدلاً مناخياً يكاد أن يكون دقيقاً وتقسم الفضاء الى شرق وغرب ، والى منتصف الليل ومنتصف النهار ، أي انها ميادين نوعية تستعمل في الجنوب عادة كدلائل لنقاط رئيسة . أما مغيب الشمس ويزوغها فيريطان النهار والليل من غير تأثيرات ضوئية انتقالية ، ويخلقان إيقاعاً زمنياً بسيطاً . قلما يكون تبدل الفصول محسوساً وان البعد الزمني على العموم يسند الاحساس بالنظام الازلي .

ان الأرض في الصحراء ، على عكس السماء ، تتميز بتلبد فراغي ولا توفر للانسان موطئ قدم لتواجد وافي . انها لا تتضمن أية أمكنة

المرء صديقاً للبيئة وفق المفهوم المذكور اعلاه ، فإنه سيفهم الصنق . وهذا الصنق في الاسلام يسمى على المكانية التي استلهم منها . اضافة الى ذلك فان الصنق الذي تلهمه الصحراء ينم أيضاً عن صفات اساسية للعالم عموماً .

ان فهم الصحراء والتأقلم معها بصداقة حميمية لا ينطوي بداهة على أن يكرر المرء في العمارة الصحراوية سماتها البيئية . بدلاً من ذلك فإن أفنية العمارة الاسلامية ودواخلها تمثل إتماماً للبوادي . انها ، مثل الواحات المصطنعة اماكن محمية متميزة بالازرق والاخضر وهما لونا الماء والزرع ، وبالأبيض الذي هو لون النقاء والنور على العكس من الاصفر الذي هو لون الشمس الملهبة . وعلى هذا فان التخييل الاسلامي للجنة هو انها فردوس مسور يتضمن أربعة أنهار ترمز الى الاتجاهات الأساسية في نفس الوقت الذي تعكس فيه صورة السماء لتوحد بين الأعلى والأسفل .

ان وصفي للعمارة الاسلامية يتضمن العناصر الأساسية للغة العمارة : أي التركيب البنيني للمكان ( الطوبوغرافيا topography ) . ينطبق التركيب البنيني على فعاليات الانسان في الفضاء ، أي فيما يتعلق بتوجهاته الحركية - orientation . ان الفضاء في الاسلام أمر غير متناهي بدلاً من كونه اتجاهي الهدف ، برغم ان توجهاته هي نحو الكعبة . على هذا فان العمارة الاسلامية متحررة نسبياً من التضمينات الالتزامية المحلية بينما يكون الفضاء الاوربي متجلباً كمكان معين . أما التكون الشكلي فيتعلق بتطبع الانسان ببعض السمات البيئية المعينة المجسدة في الاشكال المقامة . غير ان العمارة الاسلامية ، وفق الرفض الاسلامي للتجسيد ، لا تمارس مفهوم التضمين الجسدي - embodiment . وقد فضلت استعمال لفظة « التجريد المادي » - dematerialisation في التعبير عن ذلك . مع ذلك فان انعدامية التضمين الجسدي في العمارة الاسلامية لا يعني اختفاء الاشياء . ان الاشياء موجودة في الدين الاسلامي بالتأكيد ، ولكن بوسمها بكيونة غير مادية . اننا نلمس في العمارة الاوربية استعمالها لأغلب العناصر الشكلية ، أما تفسيراتها فتكون مختلفة من خلال المعالجات الخاصة للحدود المكانية .

بقيت الرمزيات وهي التي تخص المقومات المكونة والتمتية من العمارة مثل القبة والمكعب والفناء والعمود والقوس . في هذه الحالة أيضاً تمنحنا العمارة الاسلامية عالماً مفهوماً مفسراً في ضوء المفهوم العام للوحدة . وعليه فان العناصر المعمارية لا تكون معروفة بصفة وجودات منفردة ، بل على اساس انها انعكاسات موقفة عن القدسية . ان التركيبات البنينية للمكان والتكوينات الشكلية والرمزيات هي التي تؤلف اللغة المعمارية ، وهي لغة تمتلك ، في الحالة الخاصة بالاسلام ، تماسكاً وعمومية لا تباريان .

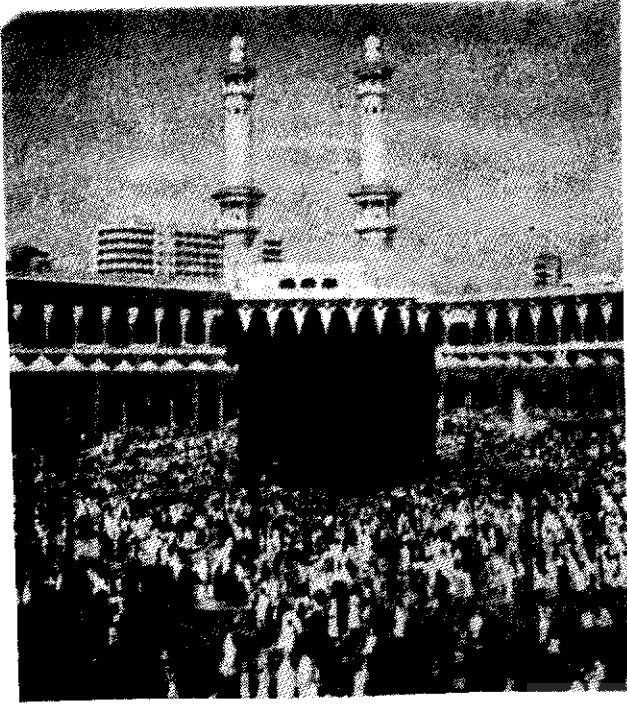
بهذا نصل الى التساؤل الأخير : هل يمكن خلق عمارة اسلامية

فردية بل تكون أرضية محايدة مستمرة . ولما لم تكن هنالك حدود ، لا تظهر الاشياء ، ولا تسود إلا العدمية . وعلى هذا فان الانسان في الصحراء لا يواجه القوى المتعددة للطبيعة ، ولكنه يمارس أعم خصائصها . وهذا هو الوضع الوجودي وراء المثل العربي : « كلما تعمقت في ولوج الصحراء ازدت قريباً من الله » . وفي الحقيقة فان « التوحيد » الذي هو الايمان بوجود إله واحد كان قد انبعت من الامصار الصحراوية في الشرق الاوسط . لقد ارتبطت الديانتان اليهودية والمسيحية بالصحراء . أما في الدين الاسلامي المرتبط بالصحراء أيضاً فقد أوجد للتوحيد أمثلاً تعبيري . ان مفهوم الإله الواحد بالنسبة للمسلم هو الايمان الفريد . وان يؤمن المسلم بوحدة الإله فانه يعزز وحدة العالم الذي له « بؤرة نبوغ » الصحراء بصفاتها مقتداه الطبيعي . أما بالنسبة الى قطنة الصحراء فان « بؤرة النبوغ » تسمي ظواهر الكمالية المطلقة .

ان الصحراء وجودياً هي في حالة خاصة جداً مما يتطلب أن يعرف تكوينها بهذا الشكل كي يكون السكن فيها ممكناً . لقد اقتضى الاسلام أن يكون البدوي صديقاً للصحراء ، والصحراء هي التي تقرر نزعت الأساسية تجاه العالم : إلا وهي التوحيد الذي هو الوعي بوحدة الإلهية . وعلى هذا لم تعد الصحراء مفهومة على أنها الموت بل اصبحت بالاسلام أساساً للحياة .

ان هذا لا يعني بالطبع ان البدوي يستوطن الصحراء الخالية لأن الاستيطان يعني الاحتياج الى مساحة منحبة أو فضاء محدداً ضمن البيئة اللامنتهية . وعليه فان حبس الفضاء هو العمل الاصيل لعمارة الصحراء . أما العمل التالي فهو هيكلة هذا الفضاء وفق البيئة الصحراوية المعلومة أو بكلمة أخرى وفق نظام سماء وأرض . وكما اشير في السابق فإن السماء توفر الشكل المجرد بينما تهيم الأرض بالاشياء والعناصر المادية والتي تؤدي الى منح النظام الكوني حضوراً وجودياً . وعلى هذا فان الجذوع النخيلة للأشجار البازغة من الامتداد الفسيح للأراضي في الواحات تبدو معززة للنظام العام للأفقيات والعموديات المكونة لظاهرة الفضاء الاسلامي . كان للمسجد الأول في المدينة جذوع نخيل تسند السقف ، وان لدواخل جامع أمية أثر لأخاديد نخلية ما زال محسوساً حتى الزمن الحاضر . ضمن النظام التجريدي للفضاء الصحراوي . لا يتوفر للأشياء التشكيلية وجود حقيقي ، كما ينعدم التلاعب الكلاسيكي للضوء والظل ، وتتضاءل كل الامور لتمسي سطوحاً وخطوطاً باهتة .

ان الاسلام بحد ذاته والعمارة الاسلامية أيضاً تنتسبان سوية كاستجابة واحدة لقضية جعل البادية مكاناً للتوطن بكل معنى المصطلح . فمن خلال الاسلام تكتسب حياة البدويين في الترحال بعداً جديداً . فنمطها التكراري الابدئي للحياة يصبح جزءاً من الواقع الروحي ، وهي حقيقة تتمثل دينياً بالحج الى مكة المكرمة . غير أن هذا لا يدل ضمناً على أن الاسلام يتضاءل الى نتيجة من القدر البيني . فإذا يكون



الكنبة المشرفة - قبله المسلمين

اننا اليوم نشهد ردة فعل ضد الحداثة تجريدية . فبدلاً من أن تواصل حركة « ما بعد الحداثة » القائمة حالياً خطى الاساليب العالمية ، فانها تنجح الى التعبير عن تعقيدات العالم المعاصر . وعليه فان عمارة التعددية architecture of pluralism أخذت بالظهور الى الوجود ممثلة كلاً من الجديد والقديم بهدف خلق بيئات ذات ملامح مختلفة . وفي رأيي فان هذا يجب أن يجري من غير أن نفقد المفهوم الاساسي في الانفتاح . في كل الأحوال ، وكنتيجة لذلك نشهد اليوم تباينات عظمى في الاشكال المعمارية حتى أمست مسألة المعنى أكثر أهمية من الحاجة الى الصلق الانشائي .

مقابل هذه الخلفية يبدو لنا ان عمارة اسلامية حديثة أو بالاحرى ما بعد الحداثة في العمارة الاسلامية قضية ممكنة أو حتى ضرورية . ان الاسلام هو احدى الطاقات الحضارية الجبارة للعالم الحاضر ، والتي لا بد لها من أن تجد ظواهر معمارية معاصرة هي في حقيقتها ترجمة جديدة للقيم الاسلامية التقليدية .

ان عمارة اسلامية جديدة لا يمكن ان تتطور إلا اذا عرفنا ماهية العمارة الاسلامية في مصداقيتها . ان الكثير من المنشآت المقامة في الاقطار الاسلامية اليوم تنم عن قصور في مثل هذا الفهم ، لأنها لا تعرض إلا مجرد أبنية عشوائية عن أفكار اسلامية . من حسن الحظ لا ينكر أن هنالك بعض الاستثناءات الايجابية المهمة .

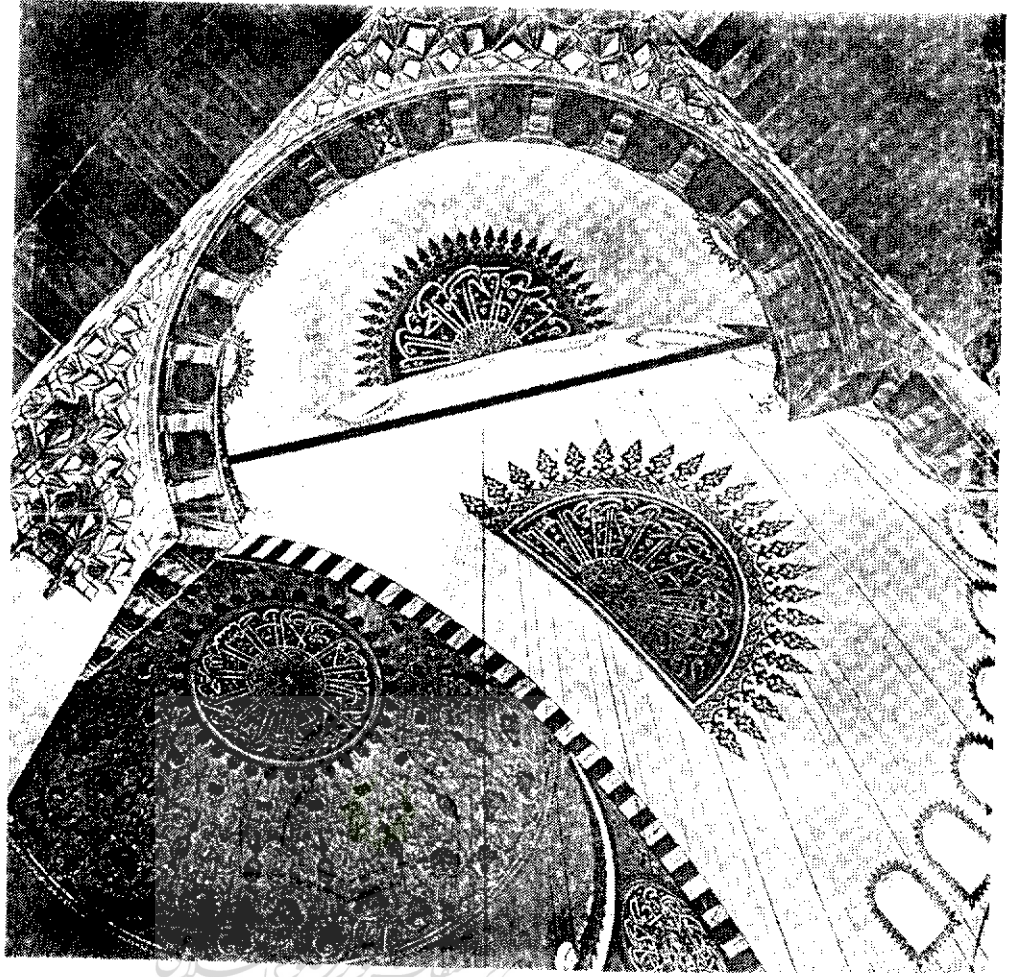
اليوم ؟ وهل يكون ذلك مجدياً ؟ ما دامت العمارة الاسلامية بالاساس ظاهرة ذات مفهوم ديني يخص العالم ، فان من الواضح انها تستند الى قوة اسسها الروحية وتكاملها . أما زماننا الحالي ، كما يعرف الجميع ، فقير محاب جداً للأبعاد الروحية ، ويستهدف على العموم اخضاع كل شيء الى ما يكون قابلاً للقياس . وعلى هذا فان الاسلام هو ، بالتأكيد ، في حالة خطر . غير انه من ناحية اخرى يمكن أن يساعد على توليد حركة تجديدية للقيم الروحية ، لأن الحاجة لمثل هذا التجديد باتت على العموم محسوسة . ان العمارة الاسلامية ، بسبب سماتها الازلية والعامية ، قد بقيت طوال قرون حياتها وفي تباين الامكنة وتحت مختلف الظروف المتبدلة ساعية تنبض بالحياة . كما انها بقيت مفتوحة تجاه التكيف وفق الظروف . انها ، ومن غير أن تتخلى عن مميزاتها العربية الاساسية ، لقادرة على الالتزام بالصفات المحلية الخاصة كالفارسية والمصرية والمغربية والهندية والتركية مما يحدو بي الى الاعتقاد بعدم وجود سبب لان لا تكون العمارة الاسلامية عمارة معاصرة .

ولغرض تجسيد هذا الموقف ، لا بد لي من ذكر شيء عن أهداف ووسائل العمارة الحديثة . لقد طورت العمارة الحديثة ، بصفتها تعبيراً عن العالم المعاصر الديناميكي ، مفهوم الخطة الطليقة - free plan . وتبعاً لمرامي الفن الحديث ، فانها مالت الى التخلص من أية مضامين أدبية . وعلى هذا كانت النتيجة في أن أمست العمارة الحديثة مطلقة التجريد أو غير رمزية ، وقد جعلها ذلك مناقضة للقيم التقليدية للعمارة الاوروبية . وفي هذا الصدد كان واضحاً أن العمارة الحديثة قد اقتربت مما يسمى بـ « التجريدية - abstraction » في العمارة الاسلامية . مع ذلك ما زالت هنالك أيضاً اختلافات اساسية . فالعمارة الحديثة لم تكن لتستند الى أية اسس روحية ، بل بالاحرى تبنت الامكانيات التي وفرتها التكنولوجيا الحديثة كنقطة لها للانطلاق . وعليه فان العمارة الحديثة في هذا الصدد تمثل استمرارية للتقاليد الانشائية الاوروبية . بمرور الاماد الطويلة ، وعندما انمحت كل ذكريات الماضي ، أدت المعالجات الاشكالية الى فراغ أو الى نزوات اعتباطية .

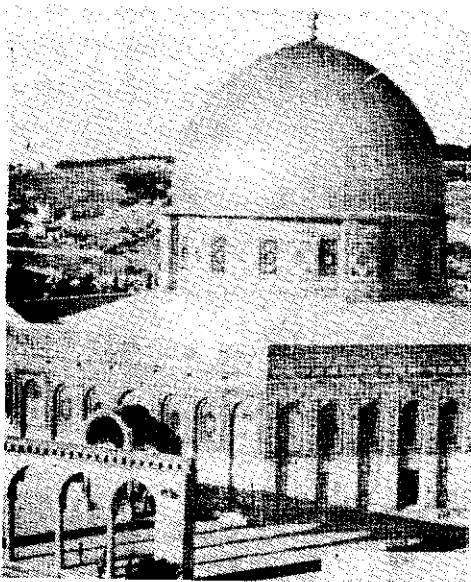
ان بعض الابنية الحديثة لا تربط التعبير عن الوحدة الاسلامية بقضايا البناء التقليدية لأن الوحدة مفهوم كوني لا زمني . وعليه فقد تتجلى الوحدة مرة واخرى في أي ظرف اذا ما عرفنا تضميناتها المعمارية . ان مفهوم الوحدة في العمارة الاسلامية متوفر للعمل الواقعي ، وعليه فان أية بناية اسلامية يمكن أن تكون شاخصاً يافعاً في اسمى معاني الكلمة . وحين تكون العمارة الاسلامية شواخص يافعة فانها توجد المعنى لطبيعة العمارة عموماً ، وبالتالي فانها تخترق في أهميتها حدود ما بعد البيئة التي ولد فيها الاسلام . كما ستقدم بذلك مساهمة اساسية لمفاهيمنا عن لغة العمارة ، ومن ثم زيادة في الثقافة المعمارية المعاصرة .



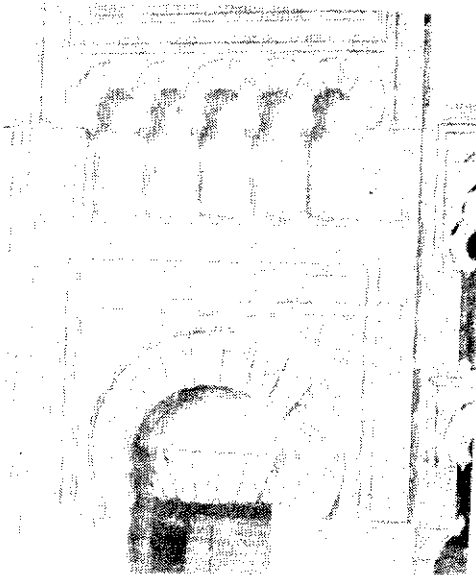
المقرنصات والخط العربي  
جامع سليمان - اسطنبول



مسجد قبة الصخرة  
في القدس  
قبة فوق هيكل مثنى



باب الغفران  
في جامع قرطبة  
الكبير وقوسها  
الحدوي





## الرياضة

# صحة وشفاء

دراسة عن الرياضة في كتاب ابن هبل : « المختار في الطب »

بقلم : ناجي محفوظ

بين : العلم والعمل<sup>(١)</sup>.

كان ابن هبل آخر من عرفت بغداد من عمالقة الطب<sup>(٢)</sup> - قبل نكبتها بالمغول - فيكون كتابه هذا خلاصة مبلورة للطب العربي في العراق ، ان لم يكن في الوطن العربي كله .. ولهذا آثرنا دراسة الرياضة فيه . وستكون هذه الدراسة في قسمين وخاتمة :  
الاول : عن دور الرياضة في المحافظة على الصحة موجودة ، وبيان اقسامها وأنواعها ، والانتفاع بها ، وآثارها .  
الثاني : عن دورها في العلاج ، ورد الصحة بعد فقدانها .  
الخاتمة : تضم وصايا رياضية ، وأدوية ، والتعريف ببعض الالاماب .

## القسم الأول

أهمية الرياضة في المحافظة على الصحة :

عدّ ابن هبل الرياضة : ركناً من اركان حفظ الصحة ، اذا اصيب منها المقدار المعتدل ، فهي تغني عن كثير من الادوية الاستفراغية . إذ أن بدن الانسان مضطرب الى الغذاء ، وليس كل غذاء يفتدي به يصير مادة لاعضائه بالفعل التام ، بل يبقى من كل غذاء فضلة لا تنصرف في التغذية ، فاذا بقيت واجتمعت تولد منها خلط ضار بكميته أو كميته ، واضطر الى اخراجه بالادوية المسهلة .

وكل دواء مسهل : فانه مع ما ينقى البدن ينكى في القوة ويوهن سطوح الاعضاء . أما الرياضة المعتدلة : فتحلل فضل كل طعام يتقدم ، وتعين الطبيعة على دفعه وتسييله واخراجه ، ونفضه من جوة منافذه المحسوسة ، بطريق البول والبراز ، ومن جهة المسام بالتحلل البخاري والعرق . وتنمّش الحرارة الغريزية ، وتعد الابدان لقبول الاغذية ، وتنبه الشهوة ، وتقوي الجوع . وتصلب المفاصل ، وتقوي الاعصاب .

وتبلغ الرياضة من تحليلها ما لا يبلغ بالدواء ، لان القوة الطبيعية تميز ما تستفرغه بالرياضة تمييزاً لا يمنحها ويجحفها مانع . وفي الدواء تجد بعض المضادة والاذى ، فتذهل عن تمييز الرديء من الجيد ، فتدفع الجيد والرديء لدفعها أذى الدواء .

وكذلك الدواء : اذا جذب يجذب ما يستصحب معه شيئاً من

قبل البحث عن الرياضة في كتاب ابن هبل ، لا بد من كلمة موجزة

عنه ، ولماذا اختير ابن هبل دون سواه ؟

ابن هبل<sup>(٣)</sup> :

طبيب بغدادى ، من اسرة عربية ، فهو علي بن أحمد بن علي بن عبد المنعم ( ابن هبل )<sup>(٤)</sup> . وُلد في محلة باب الأزج - احدى محال بغداد الشرقية - سنة ٥١٥ هـ = ١١٢٢ م<sup>(٥)</sup> ، وقد نشأ وترعرع في بغداد<sup>(٦)</sup> ، وتلقى علومه على كبار الاساتذة فيها حينذاك . فقد أخذ النحو عن ابن الخشاب النحوي<sup>(٧)</sup> ، وتردد الى المدرسة النظامية - أم المدارس يومها - فقرأ الفقه فيها<sup>(٨)</sup> ، وقرأ الأدب على الشريف ابي السعادات هبة الله ابن الشجري<sup>(٩)</sup> ، واشتغل بالحديث - بعد ذلك - فسمع وروى عن مشايخ وقته كابي القاسم اسماعيل بن أحمد بن عمر بن الاشعث السمرقندي<sup>(١٠)</sup> ، ومحمد بن أحمد العاقولي<sup>(١١)</sup> ؛ أما الطب فقد تتلمذ فيه على أوجد الزمان ابي البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي<sup>(١٢)</sup> ، فبرع فيه<sup>(١٣)</sup> ، وفاق أكثر أهل عصره من الاطباء<sup>(١٤)</sup> ، حتى عدّ أوجد وقته وعلامة زمانه في صناعة الطب والعلوم الحكمية<sup>(١٥)</sup> .

عُرف ابن هبل بذكاء متميز ، وقد وصفه مترجموه بذلك<sup>(١٦)</sup> ، بل أن بعضهم وصفه بوصف ، ندر من يوصف به . فقد قال عنه الذهبي أنه : « من اذكاء العالم »<sup>(١٧)</sup> .

وبعد أن بلغ ابن هبل ما بلغه من صناعة الطب ، وتمكّنه منها ، أحب أن يؤلف كتاباً يسهل على المشتغلين في علم الطب دراسته ، وأراد أن يكون وسطاً بين كتب القدامى والمحدثين ، فيكشف فيه ما لعله يتعذر فهمه على المشتغلين بالكتب القديمة . ولا يطول بهم المسلك كما في الكتب المحدثّة الكبيرة ، ويذكر فيه الادوية المعروفة المشهورة النفع بأسمائها الشائعة فيما بين الخلق ، وأوزانها المفهومة في اللسان العربي . والعدول عما يتعذر وجوده ، والايماء اليه بالاختصار ، وكذلك عما ذكر مما لم تخرجه التجربة<sup>(١٨)</sup> .

لقد كان ابن هبل أهلاً للنهوض بمثل هذا العمل ، لما كان يتمتع به من علم وذكاء ، وقد رجع الى كتب من سبقه من كبار رجال هذا العلم<sup>(١٩)</sup> ، اضافة الى ما تلقاه عن استاذه ، وعرفه هو بنفسه<sup>(٢٠)</sup> ، فألف كتابه : « المختار في الطب »<sup>(٢١)</sup> سنة ٥٦٠ هـ = ١١٦٥ م في مدينة الموصل<sup>(٢٢)</sup> - حيث كان يسكن إذ ذاك - وهو في أربعة اجزاء ، جمع فيه

الجيد ، ولا يستوفى اخراج الفضل ، والرياضة تأخذ من عمق البدن ، وتخرجه من مسالكه ، وتهيب ما تخرجه من المنافذ المعتادة ، ولا تترك الفضلة من الطعام تجتمع مع الفضلة من الطعام الآخر ، بل تخرجه أولاً فأولاً<sup>(٢٢)</sup>.

#### أقسام الرياضة :

تقسم الرياضة مبدئياً الى قسمين :

الاول - رياضة غير مقصودة : وهي ما يقع من حركات الناس في اداء اعمالهم ، وقضاء حوائجهم ومهامهم ، وقصدتهم لمعاشهم ، وأسفارهم لمطالبهم . وهذه الرياضة تقع بالاتفاق ، أي ان الناس لم يقصدوا بحركاتهم تلك الترييض . وان كانت رياضة فعلاً .

الثاني - رياضة مقصودة : أي تقع بالقصد والارادة والاهتمام ، فيأتي الشخص الحركة وهو يريد بها الرياضة ، كحركات أصحاب الرياضة<sup>(٢٣)</sup>.

#### أنواع الرياضة :

أنواع الرياضة كثيرة ، وهي تختلف من حيث : الشدة والضعف ، والقلة والكثرة ، والسرعة والبطء .

وتختلف أيضاً بحسب العضو المرتاض : كحركة اليدين والرجلين ، أو التنفس ، أو حركة جميع البدن ، كالمصارعة والمباينة - وهي أنواع - وكالعدو . والمشى السريع ، والحجل على الرجل الواحدة ، والمثاقفة بالسطب ، والسيف ، ولعب الرمح ، وركوب الخيل ، واللعب بالكرة - راجلاً وفارساً - واللعب بالطيطاب ، وقفز الغزال ، والقفز الى فوق ، والترحج بالأراجيح ، والقعود في المهود ، والكجاوات ، وإشالة الحجر والمقيررات ، وجذب الشيء ، والمشاكة ، والملاكمة ، والدوران ، والرقص ، والملاطمة ، والملاكمة ، والمصادمة .

ومن الرياضات اللطيفة :

الترحج بالأراجيح ،

ومن الرياضات الفاضلة :

مبادلة الرجلين مكانهما بسرعة ، مع قفزات الى خلف تتخللها قفزات الى قدام . العدو والرجوع فيه القهقري . ورياضة الصدر بحركة اليدين ، وحصر النفس ، والرجلين بتحريكهما ، وسكون البدن .

واجود الرياضات المتفنتة ( المتنوعة ) الحركة .

ومن الرياضات النجيدة :

الصاق الواحد ظهره الى ظهر صاحبه . وادخال يساره الى يمينه . ويمينه الى يساره ، وتشابكهما كذلك ، وانتشاء كل واحد منهما وانحناؤه . واجود هذه الرياضات :

أن يكون وجهه الى وجه صاحبه ، ويساره مباينة يسار صاحبه . ويمينه مباينة يمينه ، وانتشاءهما وانحناؤهما . والعدو في الميدان . والرجوع فيه القهقري ، من الرياضات النجيدة .

وسرعة الحركة بالمسلتين في اليدين ، متيامنة ومتياسرة ، بينهما مقدار الباع رياضة نافعة للصدر<sup>(٢٤)</sup>.

وقد يقوى البصر رياضته : في قراءة الكتب الواضحة الخطوط<sup>(٢٥)</sup> . ولا بأس بالنظر اليسير الى النقوش الدقيقة على سبيل الرياضة للعين<sup>(٢٦)</sup>.

#### حدود الانتفاع بالرياضات :

لكل نوع من انواع الرياضات حد في الانتفاع به ، ولنصيب كل عضو متحرك وما يقاربه أو يباغده حد منها . فما كان منها قوياً شديداً حُلل من الرطوبات ، ونقى من المواد ما هو أكثر . وما كان منها كثيراً طويلاً حُلل ونشفت أيضاً . وما كان منها ضعيفاً أو بطيئاً كان أقل تحليلاً ، وأبقى على المواد . وربما حرك ولم ينق فاضر .

والرياضة نافعة بحسب الابدان المرتاضة ، وحاجتها الى مقدار التحلل . وبحسب العضو المرتاض ، وبحسب مقدارها وما يتحلل فيها من العرق والبخار ، وما هيء من خروج العضلات . ومن اعتاد الانتفاع برياضة فليزمنها<sup>(٢٧)</sup>.

#### أوقات الرياضة :

ان الوقت الصالح للرياضة ، يختلف من فصل لآخر من فصول السنة :

- ١ - فوقت الرياضة في الصيف : هو الوقت البارد .
- ٢ - وفي الشتاء : في وسط النهار ، على أن تجري في المواضع المكتنة . المصونة من هبوب الرياح الباردة .
- ٣ - وفي الربيع : ضاحي النهار .
- ٤ - وفي الخريف : يلزم فيه الوقت المتشابه للهباء . بحسب ما تجري به العادة<sup>(٢٨)</sup>.

أما الوقت الذي يجب أن يرتاض فيه الانسان - من يومه - فهو : بعد انهضام طعامه المتقدم ، وبعد انتباهه من نومه ، وقرب ما يريد أن يجوع ، لأنها قبل الطعام نافعة ، ومعدة للبدن لقبوله ، وهي حافظة للصحة . وبعد الطعام مضرة لأنها تجذب المواد غير منهضة الى الاعضاء ، فتورث السدد والغلظ في الاحشاء<sup>(٢٩)</sup>.

الدلك :

يُعد الدلك في جملة الرياضة ، لانه يحلل بقايا ما ارتيك الى الجلد . والدلك قد يكون قبل الرياضة مهيتاً لها ، ويسمى ذلك : « الاستعداد » . أو يكون بعد الرياضة محللاً لبقايا ما انجذب الى الجلد ، ويتبعه السكون ، ويسمى ذلك « الاسترداد » . والدلك انواع ، فقد يكون قوياً أو خشناً ، أو كثيراً ، أو ضعيفاً ، أو ناعماً ، أو قليلاً ، أو معتدلاً ، في كل ذلك . وكل له منفعة بحسبه ، وفي وقته ، وفي البدن المعتاد له .

## هـ - رياضة الشيخ :

أما الشيخ فيجب أن يدبر تدبيراً رقيقاً كتدبير الطفل . ويمنع الكد والتعب . وتكون رياضته - أن كان قوياً - بالمشي الرقيق . وأن كان ضعيفاً بالركوب . ويجتنب الاغذية الغليظة ، ويستحم بالمياه الحارة<sup>(١١)</sup> .

## الرياضة حسب الاحوال :

ليس اختلاف الرياضة حسب اعمار الاشخاص فقط ، وإنما تختلف أيضاً حسب احوالهم . فقد يكون شخصان صحيان وبعمر واحد ، ولكن حال كل منهما تختلف عن حال الآخر ، وهذا تبين بعض الاحوال والرياضات الخاصة بها :

### أ - رياضة الحامل :

يجب أن تحذر الحامل التعب الشديد ، وطول المقام في الحمام ، والرياضة الرقيقة صالحة لها<sup>(١٢)</sup> . ويجب أن تحذر أيضاً السقطة والضرية والوثبة ، خاصة في أول الحمل وآخره<sup>(١٣)</sup> .

أما التدبير النافع للحمل لتسقط ، أن تتجنب الحركات العنيفة ، والطويلة المهزة ، والوثبة ، والسقطة ، والضرية ، وطول المقام في الحمام ، والجماع الكثير خاصة في أول الحمل وآخره .. وأن ترتاض رياضة معتدلة ، وتطيل النوم ، وتلزم الراحة والدعة ، وترقد على المراقدة الوثيرة<sup>(١٤)</sup> .

### ب - رياضة الممرض :

لا تختلف رياضة الممرض عن غيرها . ما دام لبنها معتدلاً صالحاً . ولكن إذا عرض له عارض غيرت الرياضة الى ما يسهل تلك الحال ، حتى يعود اللبن الى حالته الاعتيادية التي ينبغي أن يكون عليها . فان كان لبنها صالحاً وعرض له الغلظ : لطف برياضتها ، وتلطيف اغذيتها ، وشربت السكنجيين . وان رقي رقتها ، ومنعت الرياضة . وزادت في الغذاء .

وان قل لبنها - في حالة ما - زيد في غذائها ، وقلل من رياضتها ، واعطيت الاحساء المتخذة من الشعير والباقلی والارز . وماء النخالة بالسكر ...<sup>(١٥)</sup>

وان كثرت لبن الممرضة بحيث يفسد : فلتقلل من الغذاء ، وتزيد في الرياضة . وتستعمل الحوامض من الاغذية ، وتضمّد الثدي بالعسل المسحوق بالخل ، والاستنكار من أكل النعناع يجفف اللبن<sup>(١٦)</sup> .

### ج - رياضة المسافرين :

من أراد السفر . فليقدم على سفره : تنقية بدنه بقصد أو إسهال ، وينقل تدبيره الى ما يضطر اليه في سفره - تدريجاً - من : رياضة أو سهر ، أو التزام باغذية ، أو صبر عن حمام . وإذا أخذ في السير فيجب أن يتدرج فيه ، ويقلل من اغذيته .

والتمريخ والدلك بعد الرياضة نافع . ومن جملة ما يحلل ، ويذهب بالاعياء<sup>(١٧)</sup> .

## الرياضة حسب الاعمار :

يختلف نوع الرياضة التي يحتاج اليها الجسم باختلاف أعمار الاشخاص . وكذلك باختلافهم من حيث قوتهم وضعفهم . وتدرج الرياضة مع عمر الانسان ونموه .

### أ - رياضة الرضيع :

في البداية يحسن أن يتعاهد الطفل بالتحريك المعتدل<sup>(١٨)</sup> ، ومع الايام يزداد في رياضته ، خاصة بعد أن يبدأ بتناول الاغذية<sup>(١٩)</sup> . وإذا بدأ بالنهوض يحفظ . لئلا يسرع الى الحركة فتتأذى مفاصله وخزير ظهره ، وقد يعرض من ذلك تقوس الساقين . فيجب أن يمنع من سرعة الحركة ، وعند الزحف<sup>(٢٠)</sup> يسهل طريقه ويترك على نطع<sup>(٢١)</sup> ناعم<sup>(٢٢)</sup> .

### ب - رياضة الفطيم :

إذا جاوز الطفل حد الرضاع . فيقدم الرياضة اللطيفة . ويدرج فيها مع السن . ويلزم الاستحمام بالماء العذب قبل الطعام كل يوم . ويطلق له في الحركة الرقيقة ، ويبدأ بتصلب اعضائه بخفيف الدلك لتأخذ في التصلب .. ويختار له الاطعمة اللطيفة الصالحة الموافقة له . فإذا جاوز أربع سنين أطلق له في الحركة واللعب ، وزيد في غذائه على ترتيب لا تفسده الحركة<sup>(٢٣)</sup> .

### ج - رياضة الصبي :

إذا جاوز عمر الطفل ست سنين . منع من الحركة والتعب بعد الطعام ، وزيد في قوة غذائه . ودرج الى الحركات التي هي أقوى . وعوّد الاخلاق المحموده ، وحذر الشره في الاكل .

وإذا جاوز هذه السنين عوّد من الرياضات ما هو أشبه بما يحدس انه ينتهي اليه حاله . ويزيد في رياضته . وينقص من استحمامه . لتصلب اعضائه . وتبقى رطوباته . وتتحرس عن الجفاف .

ولا يزال يتدرج كذلك في زيادة الرياضة . وتقليل الاستحمام . وذلك الاعضاء وتصلبها ، ونقله الى الاغذية القوية الى أن يبلغ سن الفتى والشباب<sup>(٢٤)</sup> .

### د - رياضة الشاب :

أما الشاب فيجب أن يزيد في الرياضة ، فان الفضول تزيد في بدنه لقلة نموه . ويقلل الاستحمام الا بالماء المعتدل الحرارة العذب الطعم ، فان كان صاحب رياضات قوية فيتعاهد لبن بدنه بالدلك والدهن ، ويميل الى الاغذية المرطبة المعتدلة الباردة . وليحذر من الرياضة والحمام بعد الطعام<sup>(٢٥)</sup> .

والبول النتن في الاصحاء ، يدل على : حدوث الحميات ، أو على انتقاص عقوته ، بسبب رياضة معتدلة ، وآية ذلك أن يجد الانسان عقبيه الخفة<sup>(١١١)</sup>.

ويبول النساء اغلظ واميل الى البياض من ابوال الرجال ، لكثرة فضولهن ، وقلة رياضتهن و...<sup>(١١٢)</sup>.

**الطعام والرياضة :**

أجود أوقات الاكل ما كان عقيب الرياضة المعتدلة ، وبعد خروج ثقل الطعام المتقدم ، وعند صدق الشهوة للاكل<sup>(١١٣)</sup>.

ومن أوفق الاشياء للمغتذي : تنقية المعدة ، واعانتها على اخراج لطاخات الطعام المتقدم ، إما برياضة معتدلة ، وأما بتناول بعض الاشربة المحذرة للثقل المدرة للبول . والدلك والتعرق يعينان على ذلك ، ومن وجد ثقلًا في الجانب الايمن منه ، عند تناول الطعام فيجب أن لا يأكله الا على جوع شديد ، بعد الرياضة المعتدلة ، ويقتم عليه السكنجيين ...<sup>(١١٤)</sup>.

ومن أكل طعاماً فيتجنب الحركة عليه ، إلا اليسيرة وهي : أن يتمشى خطوات يستقر بها الطعام في قعر المعدة ، وينتهي بها الجشاء . وأما الحركات العنيفة على الطعام : فهي مفسدة له<sup>(١١٥)</sup>.

ومن كانت عروقه ضيقة - في أصل الخلقة - فيحرم عليه الحركة ، والحمام ، والجماع عقيب الطعام . ولا ينبغي أن يرتاض إلا مع خلو عن الطعام . ويتعاهد نفسه بأخذ السكنجيين . وخاصة البزوري<sup>(١١٦)</sup>.

وأضر شيء على الابدان : إدخال طعام على طعام لم ينهضم . والشبع المفرط عقيب جوع مفرط . ورياضة متعبة على طعام أو جماع ، أو حمام على امتلاء<sup>(١١٧)</sup>.

والابدان تختلف في قبول الاغذية ، بحسب اختلافها في العادات والأمزجة<sup>(١١٨)</sup> . وقد تضعف الشهوة للغذاء وتبطل ، بسبب قلة التحلل جداً ، كما يعرض المنعمين المتدعين التاركي الرياضة لقلة التحلل<sup>(١١٩)</sup>.

ومن الناس : من توافقهم الاغذية الغليظة ، وتفسد في معدم اللطيفة ، وهم أصحاب المعد القوية الحرارة ، وأصحاب الكد والرياضة . ومن الناس : من لا يستمرى الغليظة ، ولا يقدر على هضمها ، وذلك : إما لضعف تراكيبيهم . أو قلة هضمهم ، أو عدمهم للرياضة ، أو بسبب مزاج عارض لهم<sup>(١٢٠)</sup>.

ويكون الغذاء لطيف الجوهر : اذا كان المقدار الكثير منه يغذي البدن غذاءً يسيراً ، وهو إما أن يكون : غذاءً محموداً ، أو غير محمود . والمحمود ، هو مثل : الفرائج ، والطياهيج ، ومخاليق القناب ، والدراريج ، وخصي الديوك ، والسماك الرضاضي الصغار ، والشراب الريحاني ، وهذه الاغذية هي موافقة للمتدعين الساكنين القليلي الرياضة . وهي موافقة لمزاجهم الصحي<sup>(١٢١)</sup>.

فالاغذية القليلة الفضول ، الجيدة الاغذاء ، اللطيفة الدم ، تصلح للمتدعين والمتدعين والتاركي الرياضة . ولمن يريد تلطيف تدبيره<sup>(١٢٢)</sup>.

ويقتصر على الخفيفة منها ... ويجعل وقت الاعتذاء عند الراحة ، ولا يسير على الامتلاء ، وان اضطر الى اكل قبل السير فليقل ما أمكن ، ولا يكثر شرب الماء عليه .

ومن كان عبلاً : فلا يضره السير على الخوى ، ومن كان مهزولاً : فليشرب تبل سفره شيئاً من السويق بالسكر والماء البارد ، ويصبر عليه قليلاً ، ثم يسير<sup>(١٢٣)</sup>...

**تأثير حال المساكن في الناس ورياضاتهم :**

ان البلدان متباينة من حيث تربتها ، فتختلف طبائعها في : حرها ، وبردها ، ورطوبتها ، وبيسها ، وتختلف - تبعاً لذلك - طباع أهلها واحوالهم وامراضهم ، مما يؤثر في رياضاتهم :

**أ - المساكن الحارة :**

أهلها يسرع اليهم الضعف في رياضتهم ، والهرم في اعمارهم .. ويكونون غير شجعان<sup>(١٢٤)</sup>...

**ب - المساكن الباردة :**

يكون أهلها : أقوياء ، اشداء ، شجعان ، طويلي الاعمار ، صبورين على الرياضات المتعبة<sup>(١٢٥)</sup>...

**ج - المساكن الرطبة :**

يكون أهلها : لينى الابدان .. يسرع اليهم الاسترخاء في رياضتهم للين اعصابهم واسترخاء اعضائهم<sup>(١٢٦)</sup>...

**نبض المرتاض :**

أما نبض المرتاض ، فبحسب حاله في الرياضة : فإن كان في أول الرياضة ، فكلما جاد النبض يعظم ويقوى ويسرع ، لأجل الحاجة التي يوجبها اشتغال الحار الغريزي بالحركة ، الى أن يبلغ حد الاعتدال في الرياضة . ثم لا يزال النبض يضعف ويصغر ، مع سرعة حتى يبلغ الغاية في التعب ، فيبلغ النبض الغاية في الضعف والصغر ، حتى يصير دودياً ونملياً<sup>(١٢٧)</sup>.

وقد ذكر ابن هبل في فصل : « اسباب انواع النبض والطبيعي

منها » :

ان اسباب لين جرم العرق : اسباب مرطبة طبيعية : كالغذاء ، ومرضية : كالاستسقاء ، أو لا طبيعية ولا مرضية : كالاستحمام ، والرياضة المعتدلة<sup>(١٢٨)</sup>.

**أثر الرياضة في البول :**

ربما بال الصحيح التارك للرياضة بولاً فيه رطوبات كثيرة لزجة تتولد في بدنه لعدم رياضته فصح بها جسمه وزال كسله وجاد هضمه<sup>(١٢٩)</sup>.

ودوامها . ولا يقتصر فعلها على ذلك فقط . بل انها تكون علاجاً لشفاء قسم من الامراض أيضاً . وقد أوضح ابن هبل أن :

القوة المدبرة لبدن الانسان : هي المقاومة للأمراض والدافعة لها . وانما الطبيب الحاذق : عون للطبيعة . مقرب لها اسباب الدفع . والمنع من تدقيقها في دفع المؤذي . ما قد لا يهتدي اليه الطبيب . ألا ترى : انها تدفع الفضول في منافع دفعها . فإن امتنع عليها المنفذ . دفعته في غير المنفذ بالطف حيلة ...

فانما كانت الطبيعة تفي بالعلة . استغنت عن معاونه الطبيب . ولذلك ترى : الامم القوية القوي . الكثيرة الرياضة . تفي طبائفيهم بأكثر أمراضهم السهلة الوقوع . ويعينهم على ذلك عظمهم . وقلة ما يتناولونه من الاطعمة المختلفة . وشدة رياضتهم<sup>١١١</sup> . وقد قال الفاضل جالينوس :

انه بالتدبير اللطيف . والاغذية اللطيفة المحموده . داوى خلقا من الامراض المزمنة . مع الزامهم الرياضة المعتدلة المحتملة . واستغنى بذلك التدبير عن : كثير من الادوية . خاصة أصحاب : المفاصل . والربو . وأوجاع الكلى . وجسا الطحال . والكبد ...<sup>١١٢</sup> ويؤكد ابن هبل انه :

مهما أغنت المداواة في ازالة المرض . فلا تهجم على المداواة . فكثير من الامراض يزول بحسن التدبير بالمطاعم والمشارب والرياضات المعتدلة<sup>١١٣</sup> . ويبين ان :

المستعمل للرياضة - على الامر الاكثر - به غنى عن : شرب الادوية المسهلة . واستعمال القوي . لان الرياضة تحلل من بدنه ما يجتمع فيه من فضلات الغذاء . وأحوج الناس الى استعمال الدواء والقوي . من كان قوي البدن . كثير التفسح في الاطعمة . المتدع التارك للرياضة<sup>١١٤</sup> .

ولقد سبق - في ما مر من الحديث عن الرياضة - بعض أنواع المعالجة بالرياضة . مما اقتضاه سياق الحديث . وسنذكر هنا العلاج بالرياضة . سواء كانت : هي وحدها العلاج . أم انها مع غيرها مجتمعة تكون العلاج . وللبدن كله . أو لعضو منه :

تسمين القضيف<sup>١١٥</sup> . وتقضيف السمين<sup>١١٦</sup> :

السمين العبل : مستعد لوقوعه في المرض سريعا . وطريق تهزله : تقليل غذائه بحيث لا تضعف القوة . ورياضته على الريق رياضة متعبة . منتقلا اليها بالتدريج . فان السمين اذا فاجأ الحركة العنيفة أخطر بنفسه .

ويجب أن يغذى بالاغذية اليابسة : كالقلايا . والمطججات . ويجتنب : الامراق . والدمسم . ويتناول : من الخل - حسب الاستطاعة - ومما يطبخ بالخل . وكذلك المري . ويستحم على الريق . ويكثر من ذلك

ويصلح للمتدع التارك الرياضة من الفواكه : العنب . والتين . والبطيخ الصائق الحلاوة . ومن الحلو : القسب . والزبيب . والرطب . والتمر في البلاد المعتادة ذلك<sup>١١٧</sup> .

والغذاء الغليظ الجوهر : إما أن يكون محمود الخلط . أو غير محمود الخلط .

والمحمود الخلط . مثل : لحوم الضأن المستكملة السن . والعجاجيل . وكبد الضأن . والبيض المسلوق . والجبن الرطب . والسلك الرضاضي الكبار . والشراب الحلو الطري . وخبز السميذ . وهي موافقة : لأصحاب الكد والتعب وارياب الرياضات . ولمن يجود هضمه . ويحتاج الى زيادة في قوته وخصب بدنه .

وأما الاغذية التي جواهرها غليظة وليست بمحمودة . فمثل : لحم الجزور . والثيران . والخيول . والبغال . والثيروس . والكماة . والبنانجان . والشديد من البيض المسلوق . والادمغة من الحيوانات . والخبز الفطير . فان هذه الاغذية لا يهضمها ولا يستمرئها إلا : أصحاب الكد والرياضة المتعبة . وان كانوا لا يسلمون من غوائلها<sup>١١٨</sup> .

ولحم البقر يابس غليظ قوي . كثير الاغذاء . يصلح : لأصحاب الكد الشديد . والرياضة المتعبة القوية . الا انه يولد دما سوداويا ...<sup>١١٩</sup> والهرائس . والكبايس . والرؤوس . حارة من اغذية الشتاء . غليظة كثيرة الاغذاء . موافقة لأصحاب الكد والرياضة . زائدة في الدم والقوة<sup>١٢٠</sup> .

واللحم المسلوق - وهو البخني - غذاء صالح . مقول لابدان . زائد في الدم والمني . يوافق أصحاب الرياضة . والمعد القوية<sup>١٢١</sup> . ومن كان صفراوي المزاج : مال الى ما يربط فيبرد . وقمع الصفراء بالحوامض . ولا بأس أن يأكل يسيرا من الطعام قبل الحركة والحمام<sup>١٢٢</sup> . الاستحمام والرياضة :

أما الحمام الذي يصلح لأصحاب الرياضة : فهو عذب الماء . ويجب أن يدخلوه بعد الرياضة . والاستراحة . ونشاف العرق . وان يتدرجوا في بيوته . ويكثرؤا صب الماء على الارض الحارة . ويجلسوا في الآبزن<sup>١٢٣</sup> . ويستعملوا الأدهان . ولا يطيلوا الليث<sup>١٢٤</sup> .

هذا . وان العرق المعتاد خروجه في رياضة أو حمام نافع في حفظ الصحة . فيراعى فيه العادة . ويستجلب عند احتباسه : بالدلك . والحمام . والجلوس في الآبزن . والزيادة في الرياضة . وان لم يدر العرق . طبخ في الماء الذي يجلس فيه : البابونج . واكليل الملك . والمرزنجوش . فان كان احتباسه بسبب غلبة الرطوبة الغليظة . وتسديدها المسام . استفرغ الخلط البلغمي للزج بما يذكر في بابيه . واستكثر من الدلك . وان زاد خروج العرق عن العادة . نقص من الحركة والاستحمام . وزاد في الدعة ...<sup>١٢٥</sup>

## القسم الثاني

لقد تبين دور الرياضة وأهميتها في المحافظة على الصحة



### الصداع البارد مع مادة بلغمية :

بعد أن يذكر الأدوية النافعة في علاجه ، يقول ابن هبل :  
ولتكن اغذية هؤلاء ناشفة : كالقلايا ، والشوايا ، والمطجئات  
المبزة بالكرويا والدارصيني والخولنجان ، ولحوم الطير الخفيفة ،  
وليبخفوا الأكل ، ويزيدوا في الرياضة ، ويكثروا من ذلك الرجلين ،  
ويجتنبوا الاغذية المخرة المصدعة<sup>٨١</sup>.

### الصداع الذي سببه دود في الرأس :

... واعلم ان ملاك الأمر في علاج هذا النوع من الصداع : الاستئثار  
من الرياضة المتعبة ، وتقليل الغذاء ، واستعمال الحمام العذب الماء ،  
وكثرة صبه على الدماغ لتفتح مسامه ، وتنحدر فضلاته ، وتقل المواد  
المحتبسة التي تعفن ويتولد عنها الدود<sup>٨٢</sup>.

### السهر والارق :

يعالج السهر الذي سببه التخم بالجوع ، وتقليل الغذاء ، والزيادة  
في الرياضة ، والاستحمام ، وتنطيل المياه التي قد طبخ فيها الاشياء  
المحللة والمقوية للدماغ<sup>٨٣</sup>.

### أفات الذهن :

قد يعرض للانسان ان يختلط عقله وبهذي ، وأن يفسد تخيله أو  
فكره أو ذكره ، وقد يفسد فكره وذكره جميعاً . ويسمى هذا الفساد : الحمق  
والرعونة . وهي حالة شبيهة بالخرفية - كما يعرض لمن طعن في  
السن<sup>٨٤</sup> . وقد يكون اختلاط الذهن والهذيان سببه من الدماغ نفسه ، أو  
يكون تابعاً لمرض آخر ، أو بسبب مشاركة عضو مريض .  
... ويطعم هؤلاء : الاغذية اللطيفة المسخنة ، واللحوم الخفيفة  
المطحنة ، والقلايا .... وليحذروا الماء المتلوج ، والفواكه ، والبقول ،  
والألبان ، والاغذية المرطبة ، ويزيدوا في الرياضة<sup>٨٥</sup>.

### الرعونة والحمق :

إذا كان هذا واقعاً في أصل الخلقة والجبلة ، فلا علاج له . بل يقابل  
باسباب تضاد اسباب كونه ، لنلا يفرط ، وان كان عارضاً .. وعلى الأكثر  
يكون عن بيس ، إما مفرداً أو مع برد . وعلاجه : بالاقبال على اصلاح مزاج  
الدماغ .

ويغذوا هؤلاء بالاغذية الحارة الرطبة ، الزائدة في جوهر الدماغ .  
ويقبل على الرأس بالدلك ، والاستحمام بالماء العذب ، وتغريقه  
بالادهان ...<sup>٨٦</sup>

### الصرع :

... إن كانت هذه العلة بالاطفال : قويت حرارتهم ، وأميل تدبيرهم  
الى ما يخفف الرطوبات ، وليغذوا بالاغذية اللطيفة الخفيفة ... ويمتنعوا

- وخاصة ذلك الخشن - والادهان بالادهان الحارة ، ومصابرة الجوع .  
وأما المهازيل ، فهؤلاء يخصب بدنه باستعمال : الاغذية  
المرطبة ، ويتفلسحون في تناولها ، ويدخلون الحمام عقيب الهضم وقبل  
الحركة . يقللون التعب ، ولا يتعرضوا : للشمس ، والعرق ، والدخان ،  
والغبار . ويجلسون على الفرش الوشيرة ، ويهجون الاغذية الحامضة .  
إلا ما يصلح الشهوة وينبهاها من المقدار اليسير .

وان كان السبب في القضاة سوء مزاج عدل ، أو غلبة خلط  
استفرغ . والاشياء التي تخصب البدن ، منها تدابير : مثل السكون ،  
والدعة ، وترك : التعرض للحركات العنيفة والطويلة ، وتقليل الغذاء ،  
وأكل المالح والحريف والقديد ، وتكرار الفصد والاسهال والتعرق والادرار ،  
وطول المقام في الحمام ، والسهر ، وشرب الشراب العتيق ، والجماع  
المفرط ، كل ذلك مما يهزل البدن .

ومن أراد أن يخصب بدنه : فلا يتعرض لشيء من ذلك ، بل يزيد في  
السكون والدعة ، ولزوم الراحة ، ويتفلسح في الاغذية الصالحة المرطبة  
بعد الرياضة المعتدلة ، ويدخل الحمام بعد الطعام عقيب هضمه<sup>٨٧</sup>.

### استصلاح المزاج الازيد حرارة :

الانسان المعتدل المزاج : تدبيره متوسط معتدل بتعديل الاسباب  
الستة الضرورية ، وحفظ صحته يكون بالاشياء المشاكلة للحال التي هو  
عليها .

وأما ما ليس بمعتدل ، بل منحرف الى جهة من الجهات التي خرج  
اليها ، فإما أن يكون مزاجه منحرفاً الى جهة الحرارة ، وهو إما أن يكون  
حاراً وليس بيباس المزاج ولا رطبه . فيجب أن تكون أغذيتهم باردة ،  
وهواؤهم بارداً ، وحركاتهم يجب أن تكون قليلة ، فان الدعة والسكون يُعين  
على اصلاح مزاجهم . وأن يحذروا التعب ، والجماع ، والغم ، والغصب ،  
ويستعملوا البقول الباردة الرطبة كالخس والهندباء ، والفواكه الباردة ،  
ويجتنبوا الحلوات ...

وان غلبت الرطوبة مع الحرارة ، وكان مع غلبتها خلط بلغمي ، سقوا  
السكنجيين المقطع للبلغم ، واستفرغوا بالرقق بالاهليلجات ، وتعوهدا  
بالرياضة المعتدلة قبل الطعام ...<sup>٨٨</sup>

### استصلاح المزاج الازيد برودة :

ان كان هذا المزاج مع برودته رطباً ، احتاج من التدبير الى الاشياء  
المسخنة من : الاطعمة ، والاشربة ، والزيادة في الرياضة ، والتعرق ،  
ومقاربة نوب استفرغ الرطوبة وانضاجها وخراجها ، وانعاش الحرارة  
بالمعاجين الحارة المنشقة للبلغم المقوية للهضم ، والدلك الخشن .  
وان كان بارداً مع ذلك يابساً ، احتاج الى : الاطعمة المسخنة  
الرطبة ، واستعمال الادهان الحارة ، والجلوس في الأبرنات المسخنة  
المرطبة ، واستعمال الرياضة المعتدلة ، ودخول الحمام بعد انهضام  
الطعام ، واستعمال الايازير الحارة ، وشرب الاشربة المسخنة ...<sup>٨٩</sup>

### ما يوافق المعدة ويخالفها :

... والرياضة المعتدلة : تقوي المعدة ، وتنعش حرارتها ...<sup>(١١)</sup>

### علاج سوء المزاج البارد في المعدة :

... وإن كان مع سوء المزاج البارد في المعدة بلغم ، فلتأمر العليل : باستعمال الرياضة قبل الطعام ، وأن يستعمل من الاطعمة أخفها ، ويقلل مقدار الوجبة ، ولا يأكل الا على جوع صادق ، ويكون من الاغذية الحارة اليابسة ...<sup>(١٢)</sup>

### سوء الاستمراء والتخم :

... أما ضعف الهضم : فينفع فيه أن يقلل الانسان الطعام ، ولا يأكله الا بعد صدق الشهوة ، والرياضة المعتدلة ، وان يكون من اطعمة موافقة في كميتها وكيفيةها ...

وأما التخم ، وهو بطلان الهضم : فليبادر الى القيء ... ويقذف ويكرر حتى يستنقي ، ويلزم الجوع والنوم ... وفيما بعد يتناول الغذاء القليل ، ويلطفه ، ويشرب الشراب الريحاني ، ويرتاض رياضة معتدلة ، ويدخل الحمام ، ويدلك المعدة حتى تسخن أو يكمد بها بالخرق المسخنة ، ويدهنها ببعض الادهان المسخنة ...<sup>(١٣)</sup>

### الهيضة :

... أما التي سببها التخم ، فينبغي عندما يحس العليل بالمغص والتلوي : أن يشرب ماء حاراً قد طبخ فيه الكمون مرات ، ويجتهد في النوم ، ويمتنع من الطعام ما أمكن ... فاذا انتبه دخل الحمام ، وصب الماء الحار على معدته وبطنه ، وأطال الجوع ، وعاد الى قانونه في الغذاء ، مع تقليل وتلطيف ، وزاد في الرياضة ...<sup>(١٤)</sup>

### القراقر والنفخ في المعدة :

... ان كان السبب حالاً تتعلق بالمعدة ، تصرف العناية الى علاجها وتقويتها ، وان كان الرياح بسبب تناول الاغذية المنفخة ، فليهجر ، وليزد في الرياضة والحمام ، ويقلل في الغذاء ...<sup>(١٥)</sup>

### بطلان الشهوة للغذاء ، وضعفها :

... وقد تضعف الشهوة ، وتبطل بسبب قلة التحلل جداً .  
... وأما ضعف الشهوة أو بطلانها ، فان كان سببه قلة التحلل ، فليؤمر صاحبه : بالرياضة ، وتلك اعضاؤه ، ويحم ، ويعرق ، وان كان عنده فضلة استفرغت ، وليعط من الاغذية ما خف ولطف .  
وأما علاج بطلان الشهوة عند الحبالى : فالرياضة المعتدلة ، وتقليل الغذاء عن العادة ، وتناول الاغذية اللطيفة خاصة ما فيه حرافة وتقطيع ...

وما كان من سقوط الشهوة .. الذي بسبب تكاثف العروق وضعفها

القواكه ، والخبز السميد ، والالبان ، ويزيدوا في رياضتهم ...

فان كان الصرع عن البلغم : فتبتدىء بتنضيج المادة وتلطيفها ...  
وتستفرغ ... وقتيهم ... وأرحهم ، وادلك اطرافهم ، ورضهم رياضة معتدلة ، وغذهم بالاغذية اللطيفة اليابسة ...<sup>(١٦)</sup>

وذكر في مقدار الشربة من معجون نافع لأصحاب انواع الصرع ، إلا ما كان منه عن الدم ... : ثم عاود إسهالهم ، وتقيتهم ، ولا تبالح في اضعافهم بالاسهال ... وغد في ايام الراحة الى تدبيرهم بالرياضة المعتدلة والدلك ، واعطائهم شيئاً من المعاجين والفراغو السعوطات ... فان كان الخلط سوداوي : فيسقى العليل مطبوخ الأفتيمون والغاريقون ... ويدير تدبير أصحاب المالبخوليا ، إلا انه لا يبالغ تلك المبالغة في الترطيب ... بل تغذهم بالاغذية التي فيها رطوبة ... وتمنعهم التملء .  
وتزيد في : رياضتهم ، ودلكهم ، واستحمامهم ...<sup>(١٧)</sup>

### أمراض العصب :

... وانفع شيء للأعصاب ، الرياضة المعتدلة ...<sup>(١٨)</sup>

### التهيج في جفن العين :

العلاج : مقاومة السبب ، واستعمال الكماد المحلل ، وتخفيف الغذاء ، والزيادة في الرياضة المعتدلة ...<sup>(١٩)</sup>

### ضيق ثقب الحدقة :

... الحادث عن ورم ، فيعلاج الورم بما يحله ، والزيادة في : الرياضة والدلك ، واصلاح الاغذية ...<sup>(٢٠)</sup>

### الطرش والصمم :

... إن كان الطرش قوياً ، والخلط البلغمي غالباً : فيكرر الاستفراغ ... وينظ على الرأس النطولات الحارة المفتوحة ... ويحقن بالحقن الحادة ، ويستعمل الرياضة ، ويدلك أسافل بدنه ، ويقطر في الاذن القطرات المفتحة المحللة ...<sup>(٢١)</sup>

### الربو وضيق النفس :

... وتنفع أصحاب هذه العلة : الرياضة المعتدلة قبل الطعام ...<sup>(٢٢)</sup>

### غزارة اللبن في الثدي :

... قد يكثر اللبن في الثدي ، حتى يفسد فيه ، ويثقل الثدي ويؤذي . وقد يتفق أن يكون في غير اللواتي ولدن ، بل الاسباب تتفق ، تمنع ادراة الحيض ، فتتصرف المادة الى الثدي ، ويتكون منها لبن يدر ، ويؤذي بكثرته . وقد يجتمع منه في اثناء الرجال ، خاصة عند المراهقة وتقليل الثدي ، ولكنه يكون قليلاً .

والاشياء التي يعالج بها : ... وينبغي أن يزداد في رياضة المرضعة ، ويقلل غذاؤها ، وتطعم النواشف ...<sup>(٢٣)</sup>

القولنج البارد فان مصابرة الجوع من انفع الاشياء لهم ... وأعلم : ان الرياضة البالغة قبل الطعام من انفع الاشياء لهم . والخفض والدعة تضرهم<sup>(١١١)</sup>

واما القولنج الحادث عن ضعف القوة الدافعة ، فيعطى العليل بعض الادوية الترياقية ... وتتعش القوة باللحوم الخفيفة ... ويعان بالرياضة المعتدلة المحتملة<sup>(١١٢)</sup>

#### الديدان وحب القرع :

... أما اغذية الذين يتولد الدود في اجوافهم : فينبغي أن تكون من الاغذية المائلة الى اليبس والعامدة للزوجة ... وأن يحسوا الامراق من اللحم ، مما يطبخ بالحمص والشبت والملح الاندراكي . وتفرق اغذيتهم ، ويتجنبوا الامتلاء ، ويكثرؤا من الرياضة قبل الطعام ، الى أن يكثر فيهم العرق<sup>(١١٣)</sup>

#### مداواة سوء المزاج الرطب في الكبد :

... العلاج : يزيد في الرياضة ، ويقلل من الغذاء ، ويستعمل ما فيه تلطيف وتجفيف ، وبالجملية ينحو بهم نحو علاج من ابتدأ به الاستسقاء ، فيمنعهم من الاستكثار من الغذاء ، والحركة عليه ...<sup>(١١٤)</sup>

#### سوء المزاج اليابس في الكبد :

... العلاج : يقلل من الرياضة ، ويزيد في الغذاء ، ويجعله من جوهر ما يربط ...<sup>(١١٥)</sup>

#### الاستسقاء اللحمي :

... العلاج : اذا أحس الانسان بابتداء هذا المرض ، فليقلل من الاغذية ، ويتجنب منها : الرطب ، والغليظ ، والعسر الهضم ، والزجة ... ويتجنب الفواكه والبقول الباردة الرطبة ، ويقدم الرياضة ، ويزيد فيها على خلو المعدة ، ويحذرهما كل الحذر على الطعام ...<sup>(١١٦)</sup>

#### الاستسقاء الطبلي :

... العلاج : ان كان السبب ضعف المعدة ، فاقبل على تقويتها ، واستفراغ المادة برفق مع حفظ القوة . وكذلك : ان كان السبب عضواً آخر ، إما الكبد أو الطحال ، أو غيرهما ، فاقصده بالعلاج ، واصلح مزاجه ، واستفرغ المواد المجتمعة فيه ، وقوه ، ولا تسهل صاحب هذا النوع من الاستسقاء اسهالا قويا ، بل بالرفق والثاني . وتستعمل الدلك على البطن بالمناديل الخشنة والايدي ، وتكمدتها بالجوارس والنخالة ...<sup>(١١٧)</sup>

#### اليرقان الاصفر :

... أما ما كان عن شرب السم ، فينبغ فيه : سقى اللبن ، ودهن اللوز ...

عن الجذب ، فينبغ فيه التدلك ، والاستحمام ، والتعرق ، وشرب الشراب على الامراق المقوية<sup>(١١٨)</sup>

#### فساد الشهوة والوجم :

... أما النساء ، فيكفي الخطب مما عندهن من التوجم : اصلاح الاغذية ، وأخذ البدن في التدرج الى رياضة محتملة ، تحلل فضل تحليل . وتقوي فم المعدة فيهن بالربوب الحامضة القابضة ، ويطعمن الفاريج مشوية ومطبوخة بماء الرمان المر ...<sup>(١١٩)</sup>

#### الشهوة الكلبية :

... ان كان السبب البلغم : فيستفرغ ، وينقي المعدة منه . ويزيد العليل في الرياضة ...<sup>(١٢٠)</sup>

#### ضعف الهضم وبطء نزول الطعام وطفوه :

... اما بطء نزول الطعام : فينبغي أن ياكل الاخف والأقل ويفرقه ، ويزد في الرياضة ، ويستعمل الجوارشات المقوية ، ويدلك المعدة بالخرق الخشنة قبل تناول الطعام ، ويدلك الرجلين ، واذا أكل الطعام ، نام على جانبه الايمن ، ويمشي قبل النوم خطوات يتقرر بها الطعام في المعدة . وكذلك تدبير من يطفو الطعام في معدته ...<sup>(١٢١)</sup>

#### الذرب :

... أما الذرب الذي يجيء بأدوار : فينبغي أن تنقى العروق من الخلط المخزون فيها ، وتستأصل مادته بإسهال بالرفق ، عند سكون النوب .

فان كانت المادة صفراوية ، فيسهل ... وان كان الخلط بلغميا فالاهليلج الكابلي مع السكر ، ويقلل صاحب هذا النوع من الذرب من الغذاء ، ويزيد في الرياضة<sup>(١٢٢)</sup>

#### جساء المعدة :

... نسخة طلاء نافع : ... تظلى به المعدة ، ويزيد في الرياضة ، وبغذى بالاغذية اللطيفة<sup>(١٢٣)</sup>

#### المغص :

... اما الريحي منه : فتستفرغ المادة المولدة للرياح ... وينفع هؤلاء : أن يلففوا التدبير ، ولا يتملاؤا من الاطعمة ، ولا يكثرؤا الحركة عليها ، ويزنأوا رياضة معتدلة قبل الطعام ، ويستفرغوا بالحقن ...<sup>(١٢٤)</sup>

#### القولنج :

... قيل : ان الثوم له خاصية بتسكين أوجاع القولنج البارد . وقيل : ان اقتصر عليه القولنجي ، وجاع ، وارتاض عوفي<sup>(١٢٥)</sup> . وذكر ابن هبل في الكلام على اغذية القولنجيين : أما أصحاب

حبّ الآس...<sup>١٢٧</sup>

### النزف والاستحاضة :

... أما الاستحاضة : فقد تعرض للنساء . أن يدركن الحيض زيادة على أيام الحيض المعتدل الطبيعي . وقد يكون سببه شدة القوة . وتوفر الدم وكثرته . ولا يضرم ما يجيء منه شيئاً . وهذا قد لا يشتغل بعلاجه . خاصة إذا كان في أول الأمر . وكأنه كالطبيعي . إلا أن يكون مقداراً كثيراً . ويشغل أوقات المرأة . فينبغي لصاحبة هذا : أن تزيد في الرياضة . وتقلل من الأغذية . وتستعمل بعض الأدوية المقوية للرحم والقابضة . وأن أمكن ردها إلى المقدار الطبيعي بالتدريج . فلا يقعد عنه<sup>١٢٨</sup> .

### سيلان الرحم :

... وفي النساء من لا يسيل منها شيء . إلا عند تعرض الرجل لها . فانها بأدنى مداعبة تسيل منها رطوبة غليظة لزجة . أو مائية . أو من نوع آخر . فينبغي لمثل هذه : أن تستفرغ . وتنقى البدن . فإن كان الخلط مميئاً : فالفصد . وتقليل الغذاء . والزيادة في : الرياضة . والدلك . والاستحمام<sup>١٢٩</sup> .

### النقخة في الرحم :

... أما المائية المجتمعة في الرحم . فتعالج بما يعالج به الاستسقاء الزقي . وتصرف العناية إلى : إدرار الطمث والماء بالأدوية المدرة لهما . والحمولات والحقن . وتزيد المرأة في الرياضة . وتقلل من الأغذية . وتقتصر منها على القلايا المنشفة بلحوم الطيور الخفيفة اللحم<sup>١٣٠</sup> .

### حفظ الجنين والتحرز عن الاسقاط :

... وأما التدبير النافع للحيالي لئلا يسقطن . أن يتجنبن : جميع الأغذية الحريفة ... وكذلك المدرة للبول والطمث ... وتحذر : الحركات العنيفة ... وطول المقام في الحمام . والجماع الكثير ... وتشرب : من الربوب الحامضة القابضة ... وتأكل : السفرجل والرمان . وإن أخذت شيئاً من اقراص العود - خاصة عند النوم - انتفعت بها . وترتاض رياضة معتدلة . وتطيل النوم . وتتغذي بالأغذية المحمودة الكيموس<sup>١٣١</sup> ...

### عسر الولادة ، وتدبير من ضربها المخاض :

... وقد تتعسر الولادة بسبب اتداع الوالدة . وخفضها . وفرط راحتها . وقلة رياضتها . أو لسمنها . وفرط شحمها . ولذلك تسهل ولادة الاعراب . لرياضتهن . وتعبهن . وقلة خفضهن وراحتهن<sup>١٣٢</sup> .

### الحدة ، ورياح الأفرسة :

... والريحي منه . يعطى صاحبه : معجون حب الغار والكموني .

وينفعهم : التعريق . والرياضات المحتملة المعركة المحللة . والأدوية المعركة في الأيزن<sup>١٣٣</sup> ...

وأما اليرقان البهراني : فربما لا يحتاج من العلاج أكثر من : الأيزنات . والمحللات . والرياضة المعركة<sup>١٣٤</sup> .

### وجع الطحال من : برودة ، وورم ، وريح :

... إذا صلب الطحال : ... وربما كفى الخطب في مداواة هؤلاء بالرياضة المعتدلة المحللة . وأخذ الأغذية الصالحة المرطبة . وخاصة إذا أخذ الغذاء باعتدال وعلى جوع صائق<sup>١٣٥</sup> .  
... وينبغي للمطحول : أن يلطف الغذاء ... ولا يأكل الطعام إلا بعد الراحة عن رياضة بالغة معركة . والاستحمام بعدها . ويتجنب كل غليظ من الأطعمة<sup>١٣٦</sup> .

... ويقرب علاج السدة في الطحال من علاج السدة في الكبد ... ويقلل صاحبها من الغذاء . ويزيد في الرياضة . ولا يهمل استعمال المليينات قبل المنضجات وبعدها<sup>١٣٧</sup> .

### الحصى والرمل في الكلى والمثانة :

... أما إذا عرض احتباس الحصى وإيلامها : فيجلس العليل في الأيزن . ويمرغ ظهره وخواصره بدهن الخيري . ويهز ويحرك . وإن أمكنه أن يركب فرساً قطوفاً<sup>١٣٨</sup> . وينحدر من درج . أو يحجل على فرد رجل . ويشرب الأشياء المزلقة<sup>١٣٩</sup> ...

... ويذكر صفات أدوية أخرى . ويقول : ويكرر تجريح المريض إياها محلى للمحرورين بالطبرزد . وللمبرودين بالعسل . ويكثر تمرغ ظهره وخواصره ... ويردد جلوسه إلى الأيزن . ويكمد موضع الوجع ...

وينبغي لصاحب هذه العلة . إذا أحس برمل أو أدنى عسر . قبل أن يعظم أمر الحصى : أن يبادر إلى استفراغ الخلط البلغمي بعد تلطيفه وتسخينه بالأدوية المعتدلة الاسخان ... وتكون أغذية هؤلاء : ما خف من اللحم ... ويستعمل الرياضة المعتدلة . والجلوس في الأيزن . والاستحمام بالمياه العذبة<sup>١٤٠</sup> ...

### سيلان المنى والودي والمذي وكثرة الاحتلام :

... إن كان المنى كثيراً : فتقليل الغذاء . وتلطيفه . والزيادة في الرياضة وأكل الحوامض . وإن كان لرقته : فيغلظ التدبير . ويستعمل الأغذية المثينة . كالهريس والاكارع والقلايا والمطجنات . ويتجنب اللبن والثرايد والبقول . ويستعمل الرياضة المعتدلة . ويأكل الزبيب والبندق والقطايف والخشكناك<sup>١٤١</sup> .

### سرعة الانزال :

... وإن كان بسبب الحرارة : فيبرد المزاج . ويمرغ بالادهان المرطبة العطرة . ويغتنى بالأغذية الحامضة القابضة . ويقلل الرياضة . ويأكل

## ازدياد خروج الثفل عن العادة :

إذا زاد خروج الثفل عن العادة ولان . فينظر : فإن كان ... لتناول أغذية لزجة . استعمل : القوابض ، وأخذ السفرجل أو حب الأس قبل الطعام ، ويزاد في الرياضة<sup>١٢٨</sup> .

### رياضة الناقه :

رياضة الناقه كرياضة الطفل والشيخ ، لضعفه ولكونه يجب أن لا يدبر تدبير الأصحاء ولا المرضى ، لأنه قد زال عن حالة المرض ، ولم تتم صحته بعد .

والناقة على قسمين : إما أن يكون قد زال عنه المرض بالكلية ونقي بدنه منه . وزالت عنه جميع اعراض المرض ولوازمه . فليس عنده الا مجرد الضعف في القوة والالات . فيجب أن يكون تدبيره بانعاش حرارته الغريزية ، وتقوية اعضائه . وان يدرج في الاغذية ... ويرتاض ويستحم ... ويلزم المواضع الطيبة ، ويجلس على الفرش الوطئة ، ويتطيب بالطيب اللائق بالزمان والمزاج وخاصة الرياحين المستلذة ، وينام إثر الاستحمام . ويرتاض قبل الطعام رياضة رفيقة ، ويتدرج الى عوائده في الرياضة ، ويحذر الغضب والحدرد والجماع والتعب والتعرض للشمس وهواء الحمام الشديد الحرارة<sup>١٢٩</sup> .

وأما ضعف الشهوة أو بطلانها في الناقه ، فينظر ان كان هناك بقية من مادة المرض لم ينق منها المريض فتستفرغ بالرفق ، وتنمى الشهوة بالتدريج ... ويغذو غذاء قليلاً ، ويرتاض رياضة يحتملها بدنه<sup>١٣٠</sup> .

### احكام النكس وعلاماته ، وتدبير من انتكس :

... فأما تدبير من زالت حماه لبأمن النكس ، فهو : أن لا يبادر الى تناول مقدار كثير مما يليق به من الطعام ، الا بتحري المقدار اليسير الصالح منه . وينتقل عنه الى ما جرت عادته في الصحة ، انتقلاً بالتدريج الرفيق .

ولا يهمل بقايا مواد المرض ، ويحاول تنقيتها ، واستيفاء اخراجها ، وتبديل بقايا المزاج الحادث . كل ذلك بتدريج خفي . فان القوة تكون ثابتة بزوال المرض المثقل ، فأدنى مادة تعضدها وتقيمها ، والكثير من المواد تنهضها وتثقلها .

وكذلك التنقل في انواع الرياضات البدنية والنفسانية ، تنقلًا بالتدريج ، والحمام ، والدلك ، وتقوية العضو ، واعانته على دفع فضلاته ...<sup>١٣١</sup>

### الاعياء الحادث بسبب الرياضة ومداواته :

قد يحدث بسبب الافراط في الرياضة ، وتحلل الاخلاط الغالبة والمائلة الى الجلد وما يليه من العضل ألم يسمى اعياء . فمته : التمددي ، وذلك لأن العضل قد يتحلل من رطوباتها على ما يزيد في مقدار الحاجة ، فيعرض لهم نوع من التمدد . وعلامته : ان

ويدهن بالادمان الحارة ... وينطل بماء قد طبخ فيه الكمون و ... ويلزم الرياضة ، ويقلل من الاغذية ، ويهجر المولدة للرياح<sup>١٣٢</sup> .

### داء الثعلب ، والحية ، وانتثار الشعر :

... وأما علاج الموضع نفسه : ان كان في ابدان لينة كأبدان الصبيان والحضيان والنساء ، والذين جلودهم بيض زعرة . فتدلك ابدانهم بالخرق الخشنة حتى يحمر الجلد . ثم يدلك بالبصل المأكول ، أو يصل النرجس ، أو يصل العنصل ...

صفة طلاء ينبت الشعر في داء الثعلب والقرع ... [ يطلى به ] ، بعدما يدلك الموضع حتى يحمر ، ومتى تنفط عولج بمهرم الاسفيداج ، وشحم البط ، حتى يسكن ، ويعاود . طلاء آخر أقوى ...

وينفع الصفراوي منه : الخل الثقيف ودهن الورد . ويدلك الموضع بالخرق الخشنة حتى يحمر ، ويلطخ به<sup>١٣٣</sup> .

### فصل فيما يبيض الوجه ، ويجلو البشرة ، ويحمرها :

أما الأشياء التي تفعل ذلك ، فهي : إما ان تفعل بتناولها وأكلها ، أو شربها ، ومنها ما يفعل ذلك لطوياً من ظاهر . يجلو ما على سطح البشرة من الأوساخ والآثار الخفية ، ويجذب الدم الصافي الى البشرة ، فيبيض ويبرق ويحمر ...

والرياضة المعتدلة قبل الطعام ، والاستحمام بالمياه العذبة ، ولبس الثياب الناعمة ، وشم الطيب ، والسماع المطرب ، ومجالسة الاحباء ، والانتقال بالتين والجميز اليابس ، فانه يجذب الدم الى ظاهر ، وكذلك البسر والحناب والرمان ... وهذه كلها تولد دماً محموداً تحسن به البشرة<sup>١٣٤</sup> .

### حمى يوم عن خلفه :

من حمٍ لاجل خلفه حادة متدركة أو زحير حاد ، فيعالج بما ذكر من أدوية الخلفة والزحير ، فإذا فارقت الحمى ، فيدخل الحمام ، ويغتذي بالفرايج والطياهج : سماقية وزرشكية . ويتجنب : الاغذية الغليظة ، وما يخاف من سوء هضمه . ويعتنى بتقوية المعدة والاحشاء ، ويزيد في الرياضة<sup>١٣٥</sup> .

### حمى يوم استحصافية وقشفية :

... العلاج : ان كان السبب هواء بارداً ، أو الجلوس في الماء البارد ، أو الاستحمام به ، فالتدفؤ . والتدثر ، ودلك الجلد بالمناديل الخشنة ، وينتظر حماه حتى تنحط . ثم يدخل حماماً حاراً ..

... وكذلك فيمن كانت حماه قشفية ، وسببها بعد عهد بالحمام والدهن ، وانسداد المسام بالأوساخ ، وقد يكون لغلبة الاخلاط ، وامتلاء البدن منها . وإذا كانت عن هذا السبب ربما انحطت وعادت . فيعتمد الى استحمامه ولكه وتفتيح مسامه وتغريقه بالادمان المرطبة ...<sup>١٣٦</sup>



يضمض فيه العضل .

فيجب أن يبادر الانسان فيه : الى تقليل الرياضة ، ويستعمل ذلك اللين ليرطب به العضل ، ويمرغ بالادهان المرطبة .... ويكثر من صب الماء الفاتر العذب على الجسد ، ويقعد صاحبه في الأبن ، ويطلق القعود فيه ...

وربما عرض التمدد : بسبب انجذاب فضلة تحصل في العضل غير رديئة . وعلامته : كسل ، وثقل ، وعسر انثناء وانحناء . فيزيد في : الدلك ، والتمريخ بالدهن ، وطول المقام في الأبن .

وقد يعرض من الاعياء : الاعياء الورمي - وهو الذي يحس الانسان فيه باعضائه كأنها واردة ، تؤلم عند اللمس . وأكثر ما يعرض هذا الاعياء عند الابتداء بالرياضات ، لمن لم يعتدها . وسبب هذا الاعياء : سخونة العضل سخونة قوية ، وانجذاب خلط مجاور لها . وعلامته : ان يرى العضو كأنه قد ازداد حجمه ، وإذا لمس ألم . ويجب في هذا الحال لزوم الدعة والسكون ، والدلك اللين مع الادهان المرطبة ... والجلوس في الأبن ... وربما اضطر في هذا الاعياء الى الفصد إن لم تكن الرياضة قد بلغت الغاية في التعب والنصب ، وكان قريب العهد به ...

ومن الاعياء ما يسمى القروحي : وإن صاحبه يجد في اعضائه من الألم ما يجده المقروح . وسببه : انجذاب خلط حاد الى العضل ، إما من نوبان الاخلاط أو نوبان الشحم واللحم اللين . ويعالج : بالدلك الكثير ، والدهن ، والاستحمام ... وتلطيف الغذاء .

وقد يعرض من الاعياء نوع يسمى القشفي : وعلامته أن يجد صاحبه مع ما يجد من الاعياء قشفاً ويبساً وعسر حركة في الاعضاء . وعلاجه : الدهن ، والاستحمام ، والتغذي بالاغذية المرطبة ، ومعاودة الرياضة الخفيفة ثم الدهن ، والدلك والحمام .

وقد تتركب هذه الانواع من الاعياء ، ويجتمع منها الاثنان والثلاثة ، وعلاجاتها متقاربة . وإذا حدثت فلا يجب أن يهمل أمرها ، لئلا يحدث عنها انواع من الحميات .

وقد يحدث اعياء بغير سبب الرياضة ، يعالج بعلاجه ...

وقد يعرض التثاؤب والتمطي : بسبب فضل يجتمع في العضل ، تروم الطبيعة دفعه ونفضه بتمديد العضل . وكثيراً ما يكون عقيب الهضم والنوم والكسل .

وأما التثاؤب : فهو تمط من فضل يحصل في عضل الفكين والقص ، وإذا كثر ودام كان رديئاً ، يدل على الامتلاء ، والاستفراغ والدلك والزيادة في الرياضة نافع من التمثطي والتثاؤب<sup>(١١٧)</sup> .

#### الراحة والسكون :

كما ان الافراط في الرياضة قد ينتج عنه أضراره ، كذلك فإن الافراط في الدعة والسكون ينتج عنه أضراره ، فهو يطفئ الحار الغريزي ، ويخمد ، ويحبس الفضول ، ويضعف الاعضاء . فلا يجب أن يفرط فيه ، فانه مذموم . كما لا يجوز أن يفرط في الحركة ، فان الافراط فيها مذموم .

بل يكون السكون والراحة بعد الاستحمام ، والاعتسال بالماء العذب الفاتر ، وأكل الطعام الى أن ينهضم ، وتجم به القوى . وينبغي أن يكون السكون - في معتدل المزاج - مقابلاً للحركة لا بحيث يطول<sup>(١١٨)</sup> .

#### الخاتمة :

##### وصايا رياضية :

- ١ - لا يجوز أن يرتاض الانسان وهو جائع .. وإن اضطر الى حركة بعد الطعام ، فيصبر الى أن ينحدر عن المعدة ، فان ضرره يكون أقل .
- ٢ - يجب أن يتدبى الانسان بالرياضة قليلاً قليلاً ، الى أن يبلغ بها غاية الاحتمال .
- ٣ - الوقت المعتدل في تركها ، عندما يحس الانسان بالاعياء ، ويكثر انصباب العرق . ولا يجب أن يقطعها بغتة بل يتدرج في قطعها .
- ٤ - أن يستعمل عقيبها صب الماء الفاتر العذب على الاعضاء ، ويدهن بالادهان الطيبة .
- ٥ - من كان به ضعف في بعض الاعضاء ، فلا يجوز له أن يتعبه .
- ٦ - ضعيف التركيب لا يصلح له من الرياضات الا الرفيق الهين المحتمل<sup>(١١٩)</sup> .
- ٧ - المرتاض يضره شرب الماء البارد ، وخاصة الشديد البارد<sup>(١٢٠)</sup> .
- ٨ - من كان من اصحاب الامراض الحادة صاحب رياضة وتعب ، فلا تقصده ورطب مزاجه<sup>(١٢١)</sup> .

##### أدوية :

- ١ - أدوية يستعملها المصارعون :

( أ ) سندروس :

هو صمغ كالكهريا في جذبه التبن ... فيه قبض وحبس للدم ، ويستعمله المصارعون ليخفوا ولا يبهروا عند الحركة العنيفة . وإذا شرب منه كل يوم ثلاثة ارباع درهم في ماء وسكنجيين هزل ...<sup>(١٢٢)</sup>

( ب ) قليقلمون :

صمغ كرية الرائحة ، يجلب من بلاد العرب . وقد قيل : انه من السندروس ، وما صح . وقيل : انه لا يعد له دواء . في : وجع الاسنان ، وتساقط اللثة ، يحذ البصر ، وينفع من الريو بماء العسل .

يستعمله المصارعون . اذا شرب بماء العجين ثلاثة ايام ، اهزل الطحال جداً . وإذا شرب كل يوم ثلاثة ارباع درهم بسكنجيين هزل البدن ، وبماء العسل يدر الطمث ، وينقي آثار القروح<sup>(١٢٣)</sup> .

- ٢ - أدوية مصدرها المصارعون :

نذكرها لاستكمال جوانب البحث جميعها ، علماً بأن كتب الطب القديمة عند مختلف الامم - وليست كتب الطب العربية وحدها - ملأى

بمثل هذه الأدوية .

( أ ) عَزَق :

يقال : ان عرق المصارعين ينفع من ورم الأريية . واليابس من عرق المصارعين مع دهن الورد لجمود اللبن في الثدي . ومع دهن الحناء على أورام الثدي<sup>(١٢١)</sup>.

( ب ) وسخ الأذن :

ينفع من شقاق الشفة ، ومن الداحس ، ووسخ حيطان الصراع لقروح المشايخ والسحوج ، ووسخ أبدانهم لعرق النسا كالمرهم ، ولتحجير البراجم<sup>(١٢٢)</sup>.

( ج ) وسخ الحفام :

منه ما يجتمع على حيطانه ، ومنه على ابدان المصارعين ، وعلى الأرض وفي مواضع لعبهم . كله حار جذاب محلل . وأحره ما اجتمع على ابدانهم بعد ادهانهم بالزيت ، وينفع للتنفط وأورام الثدي<sup>(١٢٣)</sup>.

التعريف ببعض الألعاب التي سبق ذكرها :

( ١ ) الأراجيح :

جمع أرجوحة ، وهي : خشبة يوضع وسطها على شيء مرتفع عن الأرض ، ثم يجلس طفل على أحد طرفيها ، وآخر على طرفها الثاني ، فتدحرج الخشبة بهما ويتحركان ، فيميل أحدهما بصاحبه الآخر . وتسمى أيضاً مرجوحة . وهي ما يسمى - الآن - بخشبة الموازنة للأطفال . وأما ما نسميه بالمرجوحة ، أي : الحبل الذي يشد رأساه في مكان مرتفع ، ويقعد الأطفال على وسطه ، فكانت تسمى بالرجاحة ( على وزن زُمَانَة ) . وتسمى كذلك بـ : النواعة ، والنواطة ، والطواحة<sup>(١٢٤)</sup>.

( ٢ ) إشالة الحجر والمقيررات .

أي : رفع ائثال .

( ٣ ) جذب الشيء :

من الرياضات القريبة منها - في وقتنا الحاضر - جرّ الحبل ، وسحب النوايض الحديد الحزونية ، والغاية من هذه الرياضات ، تقوية الذراعين خاصة .

( ٤ ) الحجل على الرجل الواحدة :

رفع إحدى الرجلين ، والقفز على الأخرى<sup>(١٢٥)</sup> . والعامة تقول : « يحنجل » .

( ٥ ) الطبطاب :

الطبطابة : خشبة عريضة ، يلعب بها بالكرة ، وقيل : يلعب الفارس بها بالكرة<sup>(١٢٦)</sup> . وهذه اللعبة بالذات غير موجودة الآن . ولكن هناك ألعاب قريبة اليها ، لعلها متطورة منها .

( ٦ ) العدو :

مقارب للهرولة ، ودون الجري<sup>(١٢٧)</sup>.

( ٧ ) الكجاوات :

جمع كجاوة : أي العمارية<sup>(١٢٨)</sup> ، وهي هيكل من خشب شبيه

بالغرفة ، يجلس بالستائر يُحمل اثنتان منها على جانبي سنام الجمل ، يقعد شخص في كل منهما . وكانت الكجاوات تستعمل في التنقل والسفر .

( ٨ ) الكرة :

اللعب بالكرة راجلاً : هو لعبة الهوكي .

واللعب بالكرة فارساً : هو لعبة الكرة والصولجان أو الجوكان ، وهي لعبة البولو .

( ٩ ) المباطشة :

أن يمد كل واحد من اللاعبين يده الى صاحبه ليبطش به ، ويطش به تعني : أخذه بالعنف والسطوة ، وتناوله بشدة عند الصولة<sup>(١٢٩)</sup> . وهي أنواع ، منها : أن يشبك كل واحد منهما يده على وسط صاحبه ويلزمه ، ويتكلف كل منهما أن يتخلص من الآخر وهو يمسكه . ويسمىها أبناء هذا الجيل المباطحة ، وأبناء الجيل السابق المطارحة .

( ١٠ ) المتاقفة :

الملاعبة بالسلاح ، ومحاولة اصابة الغرة - أي الوجه أو الطلعة - في نحو مسابقة . وكانوا يستعملون جريد السعف الأخضر أو السيوف<sup>(١٣٠)</sup> .

ونسمي هذه اللعبة الآن بـ « الساس » ، ويستعمل اللاعبون السيوف أو عيذان التوت ، وهي منتشرة في القرى . وقد كانت قبل هذا أكثر انتشاراً .

( ١١ ) المسلة :

المسلة ( بالكسر ) : هي ابرة عظيمة ، أو مخيط ضخم<sup>(١٣١)</sup> . أي : قضيب حديد دقيق الرأس ، فهو أشبه ما يكون بالابرة .

واللعب بالمسلتين : هو أن يقف اللاعب ، ويغرز عن جانبيه مسلتين في الأرض ، بينهما مقدار باع - أي مسافة ما بين ذراعيه في حال انبساطهما - ثم ينقل اليمنى الى مغرز اليسرى ، واليسرى الى مغرز اليمنى ، ويعمل على أن يفعل ذلك أعجل ما يمكن<sup>(١٣٢)</sup> .

( ١٢ ) المشابكة :

ادخال اصابع يد أحد اللاعبين في اصابع يد الآخر ولتفاتها<sup>(١٣٣)</sup> . وتسمى الآن الملاواة أو المشابكة .

( ١٣ ) المصادمة :

المدافعة بالصدين<sup>(١٣٤)</sup> .

( ١٤ ) الملاطمة :

اللطم : ضرب الخد وصفحة الجسد بالكف مفتوحة<sup>(١٣٥)</sup> .

( ١٥ ) الملاكرة :

لكزه : ضربه بجميع كفه في صدره ، وربما اطلقت على : الضرب بجمع الكف في جميع البدن<sup>(١٣٦)</sup> .

( ١٦ ) المهود :

المهود : جمع مهد ، وهو الموضع الذي يهيا للصبي . ويوطأ لبنام

الحبال ، فهو مثل : الرجاجة<sup>(١)</sup> التي نسميها « المرجوحة » ، أو المهد المصنوع من الخشب ونسميه « كاروك » .

فيه<sup>(٢)</sup> . وأحسب ان المراد هنا ليس المهود الثابتة كالاسرة والسلال التي يوضع فيها الاطفال ، إذ انها لا تتحرك ، ومن ثم فلا رياضة في القعود فيها . وانما المراد المهود المتأرجحة : كالمهد الذي يصنع من

## الهوامش والمصادر :

- ٢ : ٢٣١ .
- تاريخ الاسلام مع ١٨ ق ١ ، ص : ٣٩٩ ، تاريخ ابن الدبيشي : و ٢١٥ .
- المشتبه في اسماء الرجال ، شمس الدين الذهبي ، ليدن ١٨٦٣ م ، ص : ٥٣٩ .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، مصر ١٣٥١ هـ ، ج ٥ ص : ٤٢ .
- المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، الملك الاشرف الغساني ، بغداد ١٩٧٥ ، ص : ٣٤٣ .
- ٩ - نكت الهميان : ٢٠٥ .
- ١٠ - المختارات في الطب ، ابن هبل البغدادي ، حيدر آباد الدكن ( ج ١ ) وج ٢ سنة ١٣٦٢ هـ وج ٣ سنة ١٣٦٣ هـ وج ٤ سنة ١٣٦٤ هـ ، ج ١ ص : ٥ .
- واسم الكتاب كما وضعه ابن هبل : « المختار في الطب » ، ولكن جمعية دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن طبعته باسم : « المختارات في الطب » .
- عيون الانباء ٢ : ٣٣٥ .
- ١١ - التكملة لوفيات النقلة ٤ : ٥١ ، تاريخ الاسلام مع ١٨ ق ١ ، ص : ٤٠٠ ، نكت الهميان : ٢٠٥ .
- ١٢ - عيون الانباء ٢ : ٣٣٥ .
- ١٣ - عيون الانباء ٢ : ٣٣٤ ، و : « اعلم اهل زمانه » في : الكامل في التاريخ ، ابن الاثير الجزري ، مصر ( ط ١ ) ١٣٠٣ هـ ، ج ١٢ ص : ١١٦ .
- البداية والنهاية في التاريخ ، ابن كثير ، ط ١ بيروت ( ط ١ ) ١٩٦٩ م ، ج ١٣ ص : ٦٧ .
- الدارس في تاريخ المدارس ، النعمي ، دمشق ١٩٥١ م ، ج ٢ ص : ١٣٠ .
- وكتب على الصفحة الاولى من النسخة المخطوطة من كتابه ( المختار في الطب ) التي تحتفظ بها مكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب بجامعة بغداد بالرقم ( ٤٠٨ ) : « تصنيف الشيخ الامام العالم الواحد .. » .
- والباقي من هذه النسخة الجزء الاول فقط ، وقد كتبها لنفسه : محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى ، وقد فرغ منها يوم ١٢ رمضان سنة ٦١٠ هـ ، أي السنة التي توفي فيها ابن هبل . ويبدو لي ان كاتبها موصل . وكانت - سابقا - في خزانة الاستاذ كوركيس عواد ، وقد أعارنيها فأفدت منها في تصحيح ما اقتبسته من الكتاب المطبوع من نصوص . وهي نسخة جيدة جديدة بان تعتمد .
- وإذا جاء في هذه الهوامش : « المختار في الطب » ، فالمقصود به هذه النسخة المخطوطة .
- ١٤ - المسجد المسبوك : ٣٤٣ ، شذرات الذهب ٥ : ٤٢ .
- ١٥ - تاريخ الاسلام مع ١٨ ق ١ ، ص : ٤٠٠ .

- ١ - هبل : يرجح انها بضم الهاء ، وفي ذلك تفصيل ، تجده في مقالة : « ابن هبل - الطبيب الذي ينشر الطب ودرس الادب وروى الحديث » لكاتب هذه المقالة .
- مجلة الاقلام ، وزارة الثقافة والارشاد ، بغداد ، ج ١٢ س ١ أب ١٩٦٥ ص : ٨٧ ( هـ ١ ) .
- ٢ - جاءت سلسلة اسماء آيائه هكذا في : التكملة لوفيات النقلة ، زكي الدين المنذري ، النجف ١٩٧١ م ، مج ٤ ص : ٥١ .
- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، شمس الدين الذهبي ، مع ١٨ ق ١ ط ٢ مصر ١٩٧٧ ، ص : ٣٩٩ .
- منتخب المختار ، محمد بن رافع السلمي ، بغداد ١٩٣٨ ، ص : ٣٠ .
- الاعلام ، خير الدين الزركلي ، بيروت ط ٢ ، ج ٥ ص : ٦٢ .
- وفي مجلة الاقلام زيادة ايضاح ، ج ١٢ س ١ ، ص : ٨٨ ( هـ ١٤ ) .
- ٣ - عيون الانباء في طبقات اطباء ، ابن أبي أصيبعة ، ج ٢ بيروت ١٩٥٧ م ، ص : ٣٣٤ .
- إنباه الرواة على انباه النحاة ، علي بن يوسف القفطي ، ج ٢ القاهرة ١٩٥٢ م ، ص : ٢٣١ .
- تاريخ ابن الدبيشي ، ابن الدبيشي ، مخطوطة في دار الكتب الوطنية ببغداد ، رقمها : ٥٩٢٢ ، و : ٢١٥ .
- [ وقد أثبت الدكتور مصطفى جواد ترجمة ابن هبل - نقلها عنها - في تطبيقاته على كتاب : تكملة اكمال الاكمال لابن الصابوني المطبوع في بغداد سنة ١٩٥٧ في الصفحتين ١٥٧ و ١٥٨ ] .
- تاريخ الحكماء ، علي بن يوسف القفطي ، ليبسك ١٣٢٠ هـ ، ص : ٢٣٩ .
- التكملة لوفيات النقلة ٤ : ٥١ ، تاريخ الاسلام مع ١٨ ق ١ : ٣٩٩ .
- دائرة المعارف الاسلامية ، نقلها الى العربية : محمد ثابت القندي وآخرون ، مصر ١٩٣٣ م ، مع ١ ص : ٢٩٢ .
- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دمشق ١٩٥٩ م ، ج ٧ ص : ٢١ .
- الاعلام : ٥ : ٦٢ . وتراجع مجلة الاقلام ج ١٢ س ١ ، ص : ٨٨ ( هـ ١٥ ) للاستزادة .
- ٤ - عيون الانباء ٢ : ٣٣٤ ، تاريخ الحكماء : ٢٣٨ ، إنباه الرواة ٢ : ٢٣١ .
- تاريخ مختصر الدول ، ابن العبري ، بيروت ١٨٩٠ م ، ص : ٤٢٠ .
- تاريخ ابن الدبيشي : و ٢١٥ ، معجم المؤلفين ٧ : ٢١ .
- ٥ - عيون الانباء ٢ : ٣٣٥ ، تاريخ الاسلام مع ١٨ ق ١ ، ص : ٤٠١ .
- نكت الهميان في نكت العميان ، صلاح الدين الصفدي ، مصر ١٩١١ م ، ص : ٢٠٥ .
- ٦ - عيون الانباء ٢ : ٣٣٥ ، تاريخ الاسلام مع ١٨ ق ١ ص : ٤٠١ ، دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٢٩٢ .
- ٧ - نكت الهميان : ٢٠٥ .
- ٨ - التكملة لوفيات النقلة ٤ : ٥١ ، نكت الهميان : ٢٠٥ ، إنباه الرواة

- ١٦ - المختارات في الطب ١ : ٥ .  
١٧ - وهو لا يذكر أسماء الكتب التي أخذ عنها إلا في النادر ، وإنما يشير - أحياناً قليلة - إلى أسماء من يذكر آراءهم . ولكنه - في الغالب - لا يذكر حتى الأسماء ، بل يقول : وقيل ، أو قال بعضهم ، أو قالوا ، أو ذكر بعض العلماء أو الفضلاء أو القدماء ، وأمثال هذا .  
١٨ - المختارات في الطب ١ : ٥ و ٢ : ٢١٤ و ٢ : ٢١٩ .  
١٩ - يراجع الهامشان : ( ١٠ و ١٣ ) . مع ملاحظة أن اسمه جاء : « المختار في الطب » حتى في المخطوطات الثلاث التي اعتمدتها جمعية دائرة المعارف العثمانية نفسها . المختارات في الطب ٢ : ٣٣٧ و ٤ : ٣١٨ .  
وكذلك في الكثير من الكتب التي ترجمت لابن هبل . على أن اسم الكتاب لم ينج في بعضها من الاختصار ، أو التحريف ، أو الجمع بينه وبين اسم كتاب آخر له . هو ( الطب الجمالي ) . مجلة الاقلام ج ١٢ ص ١ ، ص : ٨٨ ( هـ ) . و ص : ٨٩ ( هـ ) ٣٨ .  
٢٠ - عيون الأنباء ٢ : ٣٣٧ .  
٢١ - عيون الأنباء ٢ : ٣٣٦ ، نكت الهميان : ٢٠٦ . تاريخ الاسلام مج ١٨ ق ١ : ٤٠١ .  
٢٢ - كانت وفاة ابن هبل سنة ٦١٠ هـ = ١٢١٣ م . في مدينة الموصل ، أي قبل نكبة بغداد بنحو ( ٤٦ ) سنة .  
الاقلام ج ١٢ ص ١ : ٩١ ( هـ ) ٧٣ .  
٢٣ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٥ - ٢٠٦ و ١١٦ .  
٢٤ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٦ و ١١٦ .  
٢٥ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٦ .  
٢٦ - المختارات في الطب ١ : ٢٧٣ ( وفيه : بريضة . وقد صححت على المخطوطة ) ( ص : ٣٣٦ ) .  
٢٦ - المختارات في الطب ٣ : ٨٢ .  
٢٧ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٦ - ٢٠٧ .  
٢٨ - في المختارات : « المراكزة » ، وهو تصحيف .  
٢٩ - في المختارات : « بالمسيلتين » ، وهو تصحيف أيضاً .  
٣٠ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٧ - ٢٠٨ .  
٣١ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٧ .  
٣٢ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٧ .  
٣٣ - المختارات في الطب ١ : ١٨٩ .  
٣٤ - المختارات في الطب ١ : ١٩١ .  
٣٥ - زحف الصبي : انسخ على مقعده قبل أن يمشي . المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، قام بإخراجه : ابراهيم مصطفى وجماعة ، مصر ج ١ سنة ١٩٦٠ و ج ٢ سنة ١٩٦١ ، ج ١ ص : ٣٩١ .  
٣٦ - النطع : بساط من الجلد ( المعجم الوسيط ٢ : ٩٣٨ ) .  
٣٧ - المختارات في الطب ١ : ١٩٢ .  
٣٨ - المختارات في الطب ١ : ١٩٦ - ١٩٧ .  
٣٩ - المختارات في الطب ١ : ١٩٧ - ١٩٨ .  
٤٠ - المختارات في الطب ١ : ١٩٨ .  
٤١ - المختارات في الطب ١ : ١٩٨ .  
٤٢ - المختارات في الطب ١ : ١٨٨ .  
٤٣ - المختارات في الطب ١ : ١٨٧ .  
٤٤ - المختارات في الطب ١ : ٥٩ - ٦٠ .  
٤٥ - المختارات في الطب ١ : ١٩٠ .  
٤٦ - المختارات في الطب ١ : ١٩١ .
- ٤٧ - المختارات في الطب ١ : ٢٧٥ .  
٤٨ - المختارات في الطب ١ : ١١٠ .  
٤٩ - المختارات في الطب ١ : ١١٠ - ١١١ .  
٥٠ - المختارات في الطب ١ : ١١١ .  
٥١ - المختارات في الطب ١ : ١٦٩ .  
٥٢ - المختارات في الطب ١ : ١٦٤ .  
٥٣ - المختارات في الطب ١ : ١٨١ . وفيه : « رياضة » وقد صححت على المخطوطة ، ص : ٢٢٦ .  
٥٤ - المختارات في الطب ١ : ١٨٢ .  
٥٥ - المختارات في الطب ١ : ١٨٣ .  
٥٦ - المختارات في الطب ١ : ٢١٢ .  
٥٧ - المختارات في الطب ١ : ٢١٥ .  
٥٨ - المختارات في الطب ١ : ٢١٣ .  
٥٩ - المختارات في الطب ١ : ٣١٦ .  
٦٠ - المختارات في الطب ١ : ٢١٤ .  
٦١ - المختارات في الطب ١ : ٢١٤ .  
٦٢ - المختارات في الطب ٣ : ٢٧٦ .  
٦٣ - المختارات في الطب ١ : ٢١٤ .  
٦٤ - المختارات في الطب ١ : ١١٤ .  
٦٥ - المختارات في الطب ١ : ٢٣٦ .  
٦٦ - المختارات في الطب ١ : ٢١٢ .  
٦٧ - المختارات في الطب ١ : ١١٥ .  
٦٨ - المختارات في الطب ١ : ٢٣٦ .  
٦٩ - المختارات في الطب ١ : ٢٤٠ .  
٧٠ - المصدر نفسه .  
٧١ - المختارات في الطب ١ : ٢١٥ .  
٧٢ - المختارات في الطب ١ : ٢١١ .  
٧٣ - المختارات في الطب ١ : ٢٧١ .  
٧٤ - المختارات في الطب ١ : ٣٢٢ . وفيه : « رياضتهم » بدل « طبائهم » وقد صححت على المخطوطة . وفي المخطوطة « ازهمهم » بدل « عظمهم » ص : ٣٩٧ - ٨ .  
٧٥ - المختارات في الطب ١ : ١١٥ .  
٧٦ - المختارات في الطب ١ : ٢٨٩ - ٢٩٠ .  
٧٧ - المختارات في الطب ١ : ٣٠٠ .  
٧٨ - قُضف : دق ونخف لا عن هزال ( المعجم الوسيط ٢ : ٧٤٨ ) .  
٧٩ - هذا ما نسميه الآن بـ : « اللياقة البدنية » ، غير أن مفهومها لدينا يكاد يقتصر على : تقضيف السمين . في حين أن اللياقة هي الوسط بين : السمن والهزال . وعليه ينبغي أن تشمل القسمين : تقضيف السمين وتسمين النضيف .  
٨٠ - المختارات في الطب ١ : ٢٨٠ .  
٨١ - المختارات في الطب ٤ : ١٥٤ .  
٨٢ - المختارات في الطب ١ : ٢٧٩ .  
٨٣ - المختارات في الطب ١ : ٢٧٩ - ٢٨٠ .  
٨٤ - المختارات في الطب ٣ : ١٠ - ١١ .  
٨٥ - المختارات في الطب ٣ : ٢٠ .  
٨٦ - المختارات في الطب ٣ : ٣٥ .  
٨٧ - المختارات في الطب ٣ : ٣٦ .  
٨٨ - المختارات في الطب ٣ : ٣٨ .

- ١٣٦ - المختارات في الطب ٤ : ٢٥٧ .  
 ١٣٧ - المختارات في الطب ٤ : ٢٥٢ .  
 ١٣٨ - المختارات في الطب ١ : ٢٦٩ .  
 ١٣٩ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٠ - ٢٠١ .  
 ١٤٠ - المختارات في الطب ٣ : ٢٧٨ .  
 ١٤١ - المختارات في الطب ٤ : ٣٠٥ .  
 ١٤٢ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٨ - ٢١٠ .  
 ١٤٣ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٨ .  
 ١٤٤ - المختارات في الطب ١ : ٢٠٧ .  
 ١٤٥ - المختارات في الطب ١ : ٢١٨ .  
 ١٤٦ - المختارات في الطب ١ : ٣٢٦ .  
 ١٤٧ - المختارات في الطب ٢ : ١٤١ . وهو مانسميه : صندلص ، الذي كانت تصنع منه السبع سابقاً . أما الحالي فهو من اللدائن المصنوعة .  
 علماً بأن لدائن الصندلص هي الاخرى مختلفة ، فالآن تصنع من النفط . وقبل معرفة لدائن النفط ، كانت تصنع من مواد اخرى .  
 ١٤٨ - المختارات في الطب ٢ : ١٧٤ .  
 ١٤٩ - المختارات في الطب ٢ : ١٥٥ .  
 ١٥٠ - المختارات في الطب ٢ : ٧٣ .  
 ١٥١ - المصدر نفسه .  
 ١٥٢ - لسان العرب ، ابن منظور ، ط ١ مصر ١٣٠٠ - ١٣٠٧ هـ ، ج ٣ ص : ٢٧١ . تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، ط ١ مصر ١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ ، مج ٢ : ١٤١ . المعجم الوسيط ١ : ٣٢٩ - ٣٣٠ .  
 المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، الفيومي ، بولاق ١٢٨١ هـ ، ج ١ ص : ١٤٨ .  
 ١٥٣ - تاج العروس ٧ : ٢٧٤ ، المعجم الوسيط ١ : ١٥٨ .  
 ١٥٤ - تاج العروس ١ : ٣٥٣ .  
 ١٥٥ - تاج العروس ١٠ : ٢٣٥ .  
 ١٥٦ - المصباح المنير ٢ : ٥٢ .  
 ١٥٧ - تاج العروس ٤ : ٢٨٣ ، لسان العرب ٨ : ١٥٤ .  
 ١٥٨ - تاج العروس ٦ : ٥١ - ٥٢ و ١ : ٣١٧ و ٣ : ٤٤٥ ، المختارات في الطب ١ : ٢٠٦ .  
 ١٥٩ - لسان العرب ١٣ : ٣٦٤ ، تاج العروس ٧ : ٣٧٨ ، المختارات في الطب ١ : ٢٠٦ .  
 ١٦٠ - تاج العروس ٧ : ١٤٧ و ١٠ : ٣٣٢ .  
 ١٦١ - تاج العروس ٨ : ٣٦٤ ( لتقريب المعنى ) .  
 ١٦٢ - تاج العروس ٩ : ٦٠ .  
 ١٦٣ - لسان العرب ٧ : ٢٧٣ ، تاج العروس ٤ : ٧٨ ، المصباح المنير ٢ : ١٤١ .  
 ١٦٤ - المعجم الوسيط ٢ : ٨٩٦ ، لسان العرب ٣ : ٢٧١ ، تاج العروس ٢ : ١٤١ ، المصباح المنير ١ : ١٤٨ .

- ٨٩ - المختارات في الطب ٣ : ٣٨ .  
 ٩٠ - المختارات في الطب ٣ : ٥٦ - ٥٧ .  
 ٩١ - المختارات في الطب ٣ : ٥٨ .  
 ٩٢ - المختارات في الطب ٣ : ٦٣ .  
 ٩٣ - المختارات في الطب ٣ : ٨٩ .  
 ٩٤ - المختارات في الطب ٣ : ١٢٤ .  
 ٩٥ - المختارات في الطب ٣ : ١٤٤ .  
 ٩٦ - المختارات في الطب ٣ : ١٩٩ .  
 ٩٧ - المختارات في الطب ٣ : ٢٣٥ .  
 ٩٨ - المختارات في الطب ٣ : ٢٤١ .  
 ٩٩ - المختارات في الطب ٣ : ٢٤٨ .  
 ١٠٠ - المختارات في الطب ٣ : ٢٥٩ - ٢٦٠ .  
 ١٠١ - المختارات في الطب ٣ : ٢٦٠ - ٢٦١ .  
 ١٠٢ - المختارات في الطب ٣ : ٢٦٦ .  
 ١٠٣ - المختارات في الطب ٣ : ٢٧٨ - ٢٧٩ .  
 ١٠٤ - المختارات في الطب ٣ : ٢٨٠ .  
 ١٠٥ - المختارات في الطب ٣ : ٢٨٣ .  
 ١٠٦ - المختارات في الطب ٣ : ٢٨٦ .  
 ١٠٧ - المختارات في الطب ٣ : ٢٩٠ .  
 ١٠٨ - المختارات في الطب ٣ : ٣٠٠ .  
 ١٠٩ - المختارات في الطب ٣ : ٣١٠ .  
 ١١٠ - المختارات في الطب ٣ : ٣٢٤ .  
 ١١١ - المختارات في الطب ٣ : ٣٣٠ و ٣٣٢ .  
 ١١٢ - المختارات في الطب ٣ : ٣٣٧ .  
 ١١٣ - المختارات في الطب ٣ : ٣٤٥ .  
 ١١٤ - المختارات في الطب ٣ : ٣٥٢ .  
 ١١٥ - المختارات في الطب ٣ : ٣٥٢ .  
 ١١٦ - المختارات في الطب ٣ : ٣٧٨ .  
 ١١٧ - المختارات في الطب ٣ : ٣٨١ - ٣٨٢ .  
 ١١٨ - المختارات في الطب ٣ : ٣٩١ .  
 ١١٩ - المختارات في الطب ٣ : ٣٩٢ .  
 ١٢٠ - المختارات في الطب ٣ : ٣٩٨ .  
 ١٢١ - المختارات في الطب ٣ : ٤٠١ - ٤٠٢ .  
 ١٢٢ - المختارات في الطب ٣ : ٤٠٣ .  
 ١٢٣ - القطوف من الدواب : التي تسيء السير وتبطل . ( المعجم الوسيط ٢ : ٧٥٣ ) .  
 ١٢٤ - المختارات في الطب ٣ : ٤١٨ .  
 ١٢٥ - المختارات في الطب ٣ : ٣٢٢ - ٣٢٤ .  
 ١٢٦ - المختارات في الطب ٤ : ١٨ .  
 ١٢٧ - المختارات في الطب ٤ : ١٨ .  
 ١٢٨ - المختارات في الطب ٤ : ٣٠ - ٣١ .  
 ١٢٩ - المختارات في الطب ٤ : ٣٣ .  
 ١٣٠ - المختارات في الطب ٤ : ٤٧ .  
 ١٣١ - المختارات في الطب ٤ : ٥٩ - ٦٠ .  
 ١٣٢ - المختارات في الطب ٤ : ٦٤ .  
 ١٣٣ - المختارات في الطب ٤ : ١٠٦ .  
 ١٣٤ - المختارات في الطب ٤ : ١١٥ - ١١٦ .  
 ١٣٥ - المختارات في الطب ٤ : ١٢٨ - ١٢٩ .

- الأيـزن : وتـثـلث الـهـمـزة ... حـوض من نحاس ، يستنقع فيه الرجل ، أو شيء كالتابوت . ج : أيازين . واطلقه مجمع مصر على ما يسمى بالبانينو ، وهي قربة الشبه من الكلمة Bassin ، جدول م م : ٤١ .  
 معجم متن اللغة ، الشيخ أحمد رضا ، بيروت ١٩٥٨ م ، ج ١ : ٢٩٠ .  
 وفي الجدول الذي أشار اليه :  
 الأيـزن Bassin البانينو أقول وهو في الشام : المغطس .  
 معجم متن اللغة ١ : ١٠٢٠ الرقم : ٤١ .



# تحقيق التغليب

لابن كمال باشا

(ت ٩٤٠ هـ)

تحقيق وتقديم

د. صاحب أبو جناح

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

التحدث عن موضوعات الرسائل التي نشرها ، ونسأل الله التوفيق له ولنا ولجميع العامين في خدمة العربية وعلومها ، والحمد لله أولاً وآخراً .

## الرسالة ومصنفها

يمثل ابن كمال باشا امتداداً واضحاً للظاهرة « الجاحظية » في الذكر العربي الاسلامي ، فتعدّد المعارف والعلوم التي تميّزت بها كتابات الجاحظ ، وحرصه على أن يتناول جميع مظاهر الحياة والطبيعة والمجتمع والفكر - على قدر ما كان متيسراً له في ذلك العصر المبكر نسبياً - وجد صداه في أعمال جملة من الكتاب الموسوعيين الذين أنجبته العصور اللاحقة في التاريخ الفكري للعرب والمسلمين . ومن بين هذه الاسماء الالامعة يذكر التاريخ العلامة ابن الجوزي ( ت ٥٩٧ هـ ) ، والعلامة موفق الدين عبداللطيف البغدادي الفقيه المحدث للغوي الطبيب الرحالة ( ت ٦٢٩ هـ ) ، والعلامة جلال الدين السيوطي ( ت ٩١١ هـ ) صاحب المصنّفات الغزيرة المعروفة ، وابن كمال باشا نفسه ، وسواهم ممن صنّفوا في جميع فنون العلم والثقافة ، كعلوم القرآن والحديث واللغة والنحو والبلاغة والعروض والتاريخ والعقائد والفلسفة والطب والمجتمع وسواها من المعارف التي اتسعت لها مصنّفاتهم ورسائلهم الغزيرة .

## سيرته :

شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الحنفي . يعرف بابن كمال باشا ، وهو الاسم الذي كان يختاره لنفسه ، وبعضهم يسمّيه كمال باشا زادة ، على نحو ما جاء في نهاية المخطوطة البغدادية لهذه الرسالة وسواها من مصنّفات . وزادة كلمة فارسية تعني ابن . والمضاف يأتي بعد المضاف اليه في الفارسية وسواها من اللغات الآرية . كما قد يسمّيه بعضهم كمال باشا أوغلو . وأوغلو في التركية تعني ابن أيضاً وكان جدّه كمال باشا من أعيان الدولة العثمانية وأمرائها<sup>(١)</sup> ، مقدّماً عند سلاطينها ، إذ كان مريباً لبايزيد الثاني ابن محمد الفاتح . فعاصر عهده ( ٨٨٦ - ٩١٨ هـ ) وعهد أبيه السلطان محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

منذ مدة غير يسيرة علمت بوجود نسخة من رسالة « التغليب » لابن كمال باشا في مخطوطات المتحف العراقي ، وكان خبر هذه النسخة قد بلغني من طالب الدراسات العليا - يومها - السيد محمود علي حسو ، معتقداً أنها لابن هشام الانصاري . وحين تيسرت لي مصورة الرسالة تبينّت أنها لابن كمال باشا .

ولاهمية موضوع الرسالة وجدّته وطرافته ، ولمنزلة مؤلفها العالية في تاريخ الثقافة العربية الاسلامية والعلوم اللغوية ، عزمت على نشرها ، وبدأت السعي لجمع ما يتيسر من نسخها المتعدّدة . وقد تهيأ لي منها ثلاث نسخ جيدة ، فشرعت في تحقيقها ، وحين فرغت منه اطلعت على نشرة الدكتور ناصر سعد الرشيد لرسائل ابن كمال باشا ، وكانت رسالة التغليب بضمنها ، فنويت أن أتوقف عن إكمال عملي ، وأحجب نشرتي وأنصرف عن العمل بمجموعه . لكنني حين تفحصت عمل الدكتور ناصر الرشيد الذي أخرجه على نسخة وحيدة في مخطوطات الحرم المكي الشريف ، بدا لي أن أقابل نصّه بما لديّ من نص محقّق فوجدت مواضع الاختلاف بين النصين المحقّقين تتجاوز مائة وستين موضعاً بين سقط وتحريف وتصحيف واختلاف يقتضيه تنوع النسخ وأخطاء النشاخ ومشكلات الطبع ، وكان كلّ هذا يمكن تجاوزه لولا أنّي وجدت في نشرة الدكتور ناصر سقطاً بلغ ٥٦ سطراً من أصل النصّ الذي يقع في حدود اثنتي عشرة صفحة ، كما هو واضح في تعليقي خلال حواشي التحقيق .

وقد تأكد لي من ذلك السقط خطورة الاعتماد على نسخة واحدة في تحقيق النصوص ، وعدم الاطمئنان الى دقة العمل . وعلى أية حال فقد اعتمدت نشرة الدكتور الرشيد وجعلتها نسخة أخرى ورمزت لها بالحرف ط ، وهو مشكور على عمله الذي خدم به العربية حين أخرج هذا المجموع الذي بلغ ست رسائل .

وقد قنّمت لعملي بدراسة وافية عن المؤلف وعن ظاهرة التغليب في العربية ، وهو ما افتقدته في نشرة الدكتور الرشيد ، الذي لم يكن ههـ

( ٨٥٥ - ٨٨٦ هـ ) وكان أميناً لاختتام السلطان ( نشانجي ) كما كان عالماً من علماء عصره .

أما والده سليمان بك فقد كان قائداً عسكرياً في جيش السلطان محمد الفاتح ، وشارك في فتح القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ ، وصار بعدها وكيلاً لجند السلطان .

ولد شمس الدين أحمد في ( طوقات ) من نواحي سيواس ، وفي ظل أسرته المتنفذة أتيح له أن ينشأ في وسط هيا له كل أسباب الدرس والتعلم والتزود من منابع المعرفة والثقافة ، فغلب عليه حب العلم ، واشتغل به منصرفاً إليه ليلاً ونهاراً ، بعد أن اشتغل في شبابه في الجيش العثماني في سلطنة بايزيد .

وللرجل في الاشتغال بالعلم والانصراف له حكاية طريفة تدعو للتأمل ، ولا تقع إلا لمن سيكون في مثل منزلته العلمية .

فقد كان مع السلطان بايزيد في سفر ، وكان وزيره حينذاك ابراهيم باشا بن خليل باشا . وكان هناك أمير اسمه أحمد بن أورنوس من عظام أمراء الدولة ، وذي الجاه والنفوذ .

قال ابن كمال باشا : كنت واقفاً على قدمي أمام الوزير ، وعنده هذا الأمير المذكور جالساً ، فجاء رجل من العلماء ، رث الهيئة ، خلق الثياب ، فجلس فوق الأمير المذكور ، ولم يمهله أحد من ذلك ، فتحيرت في هذا الأمر ، وقلت لبعض رفقائي : من هذا الذي تصدر على مثل هذا الأمير ؟

قال : هو شخص من أهل العلم يقال له : المولى لطفي .

قلت : كم وظيفته ؟

قال : ثلاثون درهماً

قلت : وكيف يتصدر على هذا الأمير ووظيفته هذا المقدار ؟

فقال : العلماء مُعظمون لعلمهم ، فإنه لو تأخر لم يرض بذلك

الأمير ، ولا الوزير .

قال : فتفكرت في نفسي فوجدت أنني لا أبلغ رتبة الأمير المذكور في الإمارة ، وإنني لو اشتغلت بالعلم يمكن أن أبلغ رتبة ذلك العالم ، فنويت أن أشتغل بالعلم الشريف<sup>(١)</sup> .

ومنذ ذلك الحين ترك الجيش وانقطع إلى المولى لطفي فقرأ عليه وعلى سواه من المشايخ مثل المولى مصلح الدين مصطفى القسطلاني ، والمولى محيي الدين محمد خطيب زادة ، والمولى سنان الدين يوسف معروف زادة<sup>(٢)</sup> .

نشاطه العلمي :

زاوول ابن كمال باشا التدريس في أدرنة عام ٩١١ هـ استاذاً في مدرسة « علي بك » ، وفي « الحلبية » .

وطلب منه السلطان بايزيد الثاني أن يكتب تاريخ العثمانيين<sup>(٣)</sup> . وفي سنة ٩١٧ هـ ولي التدريس في مدرسة أسكوب في اليونان ، ثم رجع

إلى أدرنة يعلم فيها في مدارسها المختلفة ، ومنها مدرسة السلطان بايزيد الثاني . وفي سنة ٩٢٢ هـ صار قاضياً للمدينة ثم قاضياً لعسكر الأناضول ، وهو يشبه منصب قاضي القضاة .

وفي هذه الفترة دخل إلى القاهرة بصحبة السلطان « سليم خان بن بايزيد خان » حين أخذها من الجراكسة ، وكان إذ ذاك قاضياً بالعسكر المنصور في ولاية أناضول<sup>(٤)</sup> .

وفي القاهرة اجتمع بأكابر علماء مصر وضمهم مجلس المناظرة والمباحثة فاعجبوا بفصاحته وقدروا له منزلته العلمية وشهدوا له بالفضل والإتقان<sup>(٥)</sup> . بعد ذلك عزل عن منصب القضاء عام ٩٢٥ هـ فمُنَّ رئيساً لدار الحديث بأدرنة<sup>(٦)</sup> . وفي عام ٩٣٢ هـ صار مفتياً للخلافة العثمانية ( شيخ الاسلام ) ولم يزل في منصب الفتوى حتى توفاه الله في الثاني من شوال عام ٩٤٠ هـ . ( مسان ١٥٣٤ م ) في عهد السلطان سليمان القانوني ( ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م )<sup>(٧)</sup> .

ثقافته :

تنوعت معارف ابن كمال باشا بتنوع مصادر الدراسة لديه . فقد كان بارعاً في التفسير والفقه والحديث والنحو والتصريف والمعاني والبيان والكلام والمنطق والاصول وسواها .

فقلماً يوجد فن من الفنون ولا تجد له فيه مصنفاً أو مصنفات . وهو بهذا يعد نظيراً للسيوطي في مصر<sup>(٨)</sup> .

ولم تقتصر تأليفه على العربية ، بل كان يكتب بالتركية وبالفارسية<sup>(٩)</sup> . وذكر ابن العماد أن له رسائل كثيرة في المباحث المهمة الغامضة .

وكان يشتغل بالعلم ليلاً ونهاراً ولم يفتر قلمه . وكان صاحب أخلاق حميدة حسنة وأب تام وعقل وافر . كما ذكر التميمي أن له رسائل كثيرة

في فنون عدة لعلها تزيد على ثلاثمائة رسالة<sup>(١٠)</sup> .

وتنوع مصنفاته - بحسب احصاء الموسوعة التركية ، ومجموعها ٢٠٩ مصنفات على العلوم الآتية :

١ - علوم القرآن وتفسيره - ١٢ مصنفات .

٢ - الحديث الشريف وعلومه - ٨ مصنفات .

٣ - الفقه والشريعة - ٤٣ مصنفات .

٤ - الفلسفة - ٥٠ مصنفات .

٥ - الاداب - ٢٢ مصنفات .

٦ - المنطق - ٨ مصنفات .

٧ - التصوف - ٢ مصنفات .

٨ - الاخلاق - ٢ مصنفات .

٩ - علوم العربية ونحوها - ٢١ مصنفات .

١٠ - مصنفات باللغة الفارسية - ٩ مصنفات .

١١ - مصنفات في موضوعات متنوعة - ٣٢ مصنفات<sup>(١١)</sup> .

وقد أحصى له الأستاذ محمود فحّال ، في دراسته البليوغرافية القيمة عنه ( ١٨٢ ) مصنفاً بين كتاب ورسالة ومسألة وتعليق<sup>(١٢)</sup> . وقد ساعده اتقانه للغات التركية والعربية والفارسية على أن يتفقه في معرفة هذه اللغات ويكتب في قواعدها ونحوها ويقيم الموازنة بينها في عدد من رسائله ومصنفاته .

#### موضوع الرسالة :

عنيت هذه الرسالة بإيضاح قضية من قضايا المباحث الدلالية في العربية . وهي المباحث التي يشكل المجاز ، الذي هو لون من ألوان التوسع في استخدام اللغة ، الحيز الأكبر فيها . فإلى جانب البحث في ظواهر الترانف والمشتراك اللفظي والتضاد والاستعارة اللغوية ( الاقتراض ) والتوليد ، تتجه عناية الدلائل إلى البحث في أساليب المجاز في اللغة من كناية واستعارة ومجاز مرسل ومجاز عقلي وسواها من أساليب التعبير المجازي . ويأتي التغليب - الذي يحذه المصنف بأنه توسع في كلام العرب ، مداره على جعل بعض المفهومات تابعاً لبعض ، داخلاً تحت حكمه ، في التعبير عنهما بعبارة مخصوصة للمُغْلَب ، بحسب الوضع الشخصي أو النوعي - مثلاً من أمثلة التجوّز في العربية ، حيث يطلق اللفظ على ما وضع له في الأصل ، وعلى ما لم يوضع له ، تغليّباً لبعض المفهومات على بعضها الآخر .

والغرض من ذلك ، غالباً ، الاختصار والتخفيف في اللفظ ، والاختصار نكتة مشتركة بين أقسام التغليب كلّها ، كما يقول ابن كمال باشا في مقدّمة رسالته هذه .

ويراعى في التغليب عادة الخفة ، فيغلب الأخف ، مثل قولهم : الغمران ، في أبي بكر وعمر ، فغلب لفظ عمر لخفته ، والخبيبان ، في عبدالله بن الزبير وابنه حبيب ، وقيل في أخيه مصعب ، والمجّاجان في العجاج وابنه روية ، والمروتان في الصفا والمروة<sup>(١٣)</sup> . وقد تراعى الأفضلية ( التعظيم ) فيغلب المذكر على المؤنث ، حتى لو كانت أهمية المؤنث أعلى من أهمية المذكر ، مثل القمرين في الشمس والقمر ، فغلب القمر لتذكيره ، كما يقول اللغويون ، والابوين في الأب والأم .

وهذا النوع من التغليب الذي يقع بصيغة المثنى ، عرض له المحبّي في « جنى الجنّتين » وأوضحه بأنّه تغليب أحد المتجاورين أو المتشابهين على الآخر ، بأن يجعل الآخر مسمّى باسمه ادعاءً ، ثم يثنى ذلك الاسم قصداً اليهما جميعاً<sup>(١٤)</sup> .

وليس من ذلك قولهم : الجديان ، في الليل والنهار ، والاطيبان في الطعام والنوم أو النوم والجماع . والاحمران في اللحم والخمر والاسودان في الماء والتمر ، ونحوها . لأن ذلك من المثنى الحقيقي لأن الصفة تصلق على كل واحد من الاسمين . فالسواد في الماء والتمر والحمرة في

اللحم والخمرة ، والجدة في الليل والنهار .

كما أنّ التغليب يتجاوز المثنى إلى الجمع من الأسماء ، فيغلب المذكر على المؤنث إذا كان هذا المؤنث داخلاً في المجموع ، مثل قوله تعالى في صفة مريم « ع » ( وكانت من القانتين ) ( التحريم ١٢ ) ولم يقل من القانتات ، تغليّباً للمذكور من قومها على الإناث .

« والتغليب في جمع المذكر السالم هو في حقيقته صورة لتغليب المذكر على المؤنث أو بعبارة أنق لتغليب جمع المذكر السالم على جمع المؤنث السالم .. وتغليب المذكر على المؤنث هو القاعدة العامة في التغليب ، ويندرج تحتها كثير من صور التغليب ومجالاته ، ويكاد يكون الصورة السائدة في القرآن الكريم<sup>(١٥)</sup> .

وإذا كان التغليب في كلام العرب يقصد به عادة إلى التوسع في الدلالة لتشمل المفردة عدداً من أفراد الجنس ، فأنّه قد يفيد في بعض الأحيان الاختصار وتضييق الدلالة ، فتنتقص الغاية منه ، حيث تطلق المفردة على واحد بعينه من أفراد جنسها ، دون الآخرين ، ممن تصق عليهم دلالتها .

من ذلك قول أهل النحو « الكتاب » حيث ينصرف عند إطلاقه إلى كتاب سيبويه دون غيره من المصنّفات . وقول الناس « المدينة » حيث غلبت على مدينة رسول الله ( ص ) دون سواها من المدن ، وقولهم « العقبة » حيث غلب على عقبة أيلة دون سواها ، كما لفظ ابن الزبير غلب على عبدالله دون سواه من إخوته وكذلك ابن عباس غلب على عبدالله وابن مسعود وابن عمر ونحوهم ممن غلبوا على سائر إخوانهم ممن يصق عليهم لفظ ابن فلان .

وهذا النوع من التغليب المعكوس هو الذي أوضحه سيبويه في « باب ما يكون فيه الشيء غالباً عليه اسم يكون لكل من كان من أمته أو كان من صفته من الأسماء التي يدخلها الالف واللام ، وتكون نكرته الجامعة لما ذكرت لك من المعاني ، وذلك قولك : فلان ابن الضيق ، والضيق في الأصل صفة تقع على كلّ من أصابه الضيق ، ولكنه غلب عليه ( أي على خويلد بن نفيل بن عمرو الكلابي ) حتى صار علماً بمنزلة زيد وعمرو ، وقولهم : النجم ، صار علماً للثريا . وكابن الصعق قولهم : ابن رالأق ، وابن كراع ، صار علماً لإنسان واحد وليس كلّ من كان ابناً لرالأق وابناً لكراع غلب عليه هذا الاسم<sup>(١٦)</sup> .

وهذه الرسالة مع أنّ مؤلفها بدأها بتعريف التغليب في الاصطلاح وأشار إشارة سريعة إلى أقسام التغليب المتعددة ، وإلى الغرض منه في اللغة ، فإنّ هدفه العام من وضعها ليس تناول التغليب بصفته ظاهرة لغوية متنوعة تقع في حيز اللغة والنحو والصرف ، بل كان غرضه التنبّث من بعض النصوص والشواهد التي اختلف حولها الشراح والباحثون السابقون عليه ، وبما أن ما إذا كانت تدخل فيما يمكن أن يكون تغليّباً أولاً . ولهذا رسم عنوانها « رسالة في تحقيق التغليب » أي في تحقّقه والتنبّث من وقوعه في الأمثلة التي عرضت لها الرسالة التي حرّرها هو<sup>(١٧)</sup> .

سَلَّمَهُ اللهُ « وهذه العبارة وردت بضمن تنمة ألحقت بالرسالة المذكورة بخط ناسخ آخر . ويبدو من هذا التعقيب الذي استدرك به على الرسالة أن النسخة كتبت في حياة مصنفها ، مما رجح لدي اتخاذ نسخة الموصل الذي يضمها هذا المجموع أصلاً ، مع أنها ليست أكثر دقة أو كمالاً من نسخة المتحف العراقي .

## ٢ - نسخة المتحف العراقي

وهذه النسخة تقع في مجموع برقم ٥٥٣ / ٢ مجاميع ، وهي الآن في دار صدام للمخطوطات التي انتقلت اليها مخطوطات مديرية الآثار العامة ببغداد ، ورمزت لها بالحرف - م - .

وهي نسخة جيدة كتبت بخط نسخ وشغلت ٤ صفحات في كل صفحة ٢٤ سطراً ، ثم أكمل الناسخ بقية النسخة في حاشية الرسالة اللاحقة لها وهي رسالة الوصية ، فشغلت ١٠٠ صفحة من الصفحة الأولى من رسالة الوصية والحاشية العليا من الصفحة الثانية من الرسالة المذكورة .

وليس في هذه النسخة ما يشير الى تاريخ نسخها ولا الى اسم الناسخ وجاء في خاتمتها : تمت الرسالة ، وهي لكامل باشا زادة . وهي تشغل الورقات ١٩٤ - ١٩٦ والوجه الثاني من الورقة ١٩٣ من المجموع المذكور الذي يضم عدداً من رسائل ابن كمال باشا .

٣ - النسخة المطبوعة ، وهي التي نشرها الدكتور ناصر سعد الرشيد في كتابه « رسائل ابن كمال باشا » عن نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف وقد رمزت لها بالحرف ط ، وقد تقم الحديث عنها وعن نقصانها في المقدمة .

٤ - نسخة صورها لي الصديق الدكتور عياد الشبيتي من مركز تحقيق التراث بجامعة أم القرى ، ولا أعلم مصدرها ، وهي بضمن مجموع يضم رسالة المشاكلة . وقد جاء في أولها « هذه رسالة معمولية في تحقيق التغليف لابن كمال باشا الوزير » .

وهي في ١٠ صفحات ، في كل صفحة ٢٣ سطراً ، وخطها نسخ جيد ، ولكني لم انتفع منها بغير ثلاث صفحات ، لأن التصوير جاء ممتماً فلم أتبين منه شيئاً ، ويبدو أن ذلك الاضطراب وقع في أصل العظم الذي صورت عنه النسخة المصورة . ولم يذكر شيء عن الناسخ ولا عن تاريخ النسخ . وقد وضعت لها رمز « ك » .

ويذكر أن الدكتور محمود فجال أورد في بحثه عن ابن كمال باشا المنشور في مجلة عالم الكتب السعودية العدد ٣ المجلد ١٠ الصادر في آب ١٩٨٩ م أن لهذه الرسالة نسخاً أخرى في دار الكتب المصرية برقم ٣٨٩ مجاميع و ٦٦٣ مجاميع بلاغة ، وفي مكتبة برتونيل باستانبول

برقم ٩٨٠ / ٨٩٣ وأخرى بمكتبة قليج علي باستانبول أيضاً برقم ١٠٢٤ وأخرى بمكتبة عاشر أفندي باستانبول أيضاً برقم ٤٣٠ . وذكر الدكتور أحمد خطاب العمر أن المجموع الذي يضم نسخة رسالة التعريب في مكتبة حاج حسني باشا باستانبول الذي رقمه

وهذه الأمثلة عبارة عن مجموعة من الآيات القرآنية ، كان بعض المفسرين والمعلقين من أصحاب الحواشي قد تنازعوا في صحة كونها من باب التغليف أو لا . وهذا شأن ابن كمال باشا في كثير من الرسائل الجدلية التي كتبها .

والرجل كما نعرفه ، من المشتغلين بالمنطق والجدل ، وهو بحكم هذا المزاج الجدلي المتقضي ، والمعرفة المتشعبة ، ينزع الى الخوض في عدد من الامور الجدلية المتنازع حولها ، فيكتب رسالة في تحقيق المشاكلة وأخرى في تحقيق التجريد وأخرى في تحقيق تريب الكلمة الأعجمية وأخرى في إيمان أبوي النبي ( ص ) وأخرى في تحقيق معنى كاد وغيرها كثير مما يدخل في هذا الباب التحقيقي .

والواضح ان ثقافة ابن كمال باشا في الجدل والمنطق وقراءاته فيها أثرت تأثيراً واضحاً في صياغة أسلوبه في تحرير هذه الرسالة حيث غلبت على عبارته الدقة والايجاز وشدة السبك ، على ما هو معروف عن كتاب العصور المتأخرة ، مقن عرفوا بصرامة الأسلوب وجفاف العبارة ، وبخاصة علماء المشاركة من المشتغلين بعلوم المنطق والنحو والبلاغة وكتب التعليم من المختصرات والشروح والحواشي والتقييدات . وتتضح خلاصة ثقافة الرجل ومنابع معرفته في هذا الباب من خلال مصادره التي استعان بها في عرض المسائل الجدلية المتنازع عليها وجلبها من مصنفات المتأخرين من أمثال السكاكي والخطيب القزويني والسعد التفتازاني والشريف الجرجاني وغيرهم .

## تحقيق الرسالة

جرى العمل في تحقيق هذه الرسالة اعتماداً على أربع نسخ ، هي كل ما وقع لي من نسخها المتعددة . وهذه النسخ هي :

١ - نسخة مكتبة أوقاف الموصل ، وهي بضمن مجموع في مكتبة الرضوانية بمكتبة أوقاف الموصل تحت رقم ١٢٠ / ١٨ وقياسها ١٦٠ / ١١٠ ملم . ويضم المجموع المذكور عدداً من الرسائل يبلغ ٤١ رسالة ، منها رسالة في التعريب نشرها الدكتور أحمد خطاب العمر بالموصل عام ١٩٨٣ م ، والتنبية على غلط الجاهل والتنبية التي نشرها الدكتور رشيد العبيدي في مجلة المورد البغدادية عام ١٩٨٠ م في العدد الرابع ، وكان الشيخ عبدالقادر المغربي قد نشرها بدمشق عام ١٩٢٦ م في مجلة المجمع العلمي العربي ، ورسالة في تحقيق معنى كاد نشرها الدكتور رشيد العبيدي في مجلة آداب بغداد عام ١٩٧٣ ورسالة في المشاكلة ، وقد نشرهما الدكتور ناصر سعد الرشيد عن نسخة وحيدة بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم ١٥١ أدب ، وذلك بضمن كتابه : رسائل ابن كمال باشا ، الذي تحدثنا عنه في المقدمة .

وتقع هذه الرسالة في ١٣ صفحة ، في كل صفحة ١٨ سطراً . ويبدو أن المجموع الذي ضمها كتب بخط ناسخ واحد . وقد جاء في آخر رسالة التعريب التي يضمها هذا المجموع عبارة « لمولانا كمال باشا زادة

١٢١ / ٥ يضم عدداً من الرسائل لابن كمال باشا بينه نسخة من هذه الرسالة .

وقد اعتمدت في تحقيقي لهذه الرسالة الاصول العامة التي تواضع عليها أهل التحقيق من إثبات الفروق بين النسخ وتخريج النصوص

## هوامش الدراسة

- (١) الشقائق النعمانية لطاش كبري زادة - بيروت ١٩٧٥، ٢٢٦. وشذرات الذهب لابن العماد - بيروت ١٩٧٩، ٨ / ٢٣٨.
- (٢) شذرات الذهب ٨ / ٢٢٨.
- (٣) نفسه.
- (٤) الشقائق النعمانية، ٢٢٧.
- (٥) الطبقات السنّة في تراجم الحنفية للتميمي، طبار الرفاعي - القاهرة، ١ / ٣٥٦.
- (٦) الفوائد البهيّة للكنوي الهندي، ٢٢.
- (٧) الشقائق النعمانية ٢٢٧. وشذرات الذهب ٨ / ٢٣٩.
- (٨) شذرات الذهب ٨ / ٢٣٩.
- (٩) الطبقات السنّة ١ / ٣٥٧، والفوائد البهيّة للكنوي الهندي ١٧.
- (١٠) الشقائق النعمانية ٢٢٧.
- (١١) المصدر نفسه.
- (١٢) الخواص والمزايّا لابن كمال باشا (تحقيق حامد صادق قنّبي ص ٥٢١) بضمن (بحوث ودراسات في اللغة العربية وأدائها) - كلية اللغة العربيّة - جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلاميّة، ج- ٢.

الشواهد والتعريف بمن يحتاج القارئ الى التعريف بهم من الأعلام والتعليق على المواضع المشككة التي تحتاج الى تعليق لتوضيحها وبيانها للقارئ مع صنع الفهارس اللازمة لإكمال الفائدة من نشر هذا النص النافع . ومن الله التوفيق .

- (١٣) مجلة عالم الكتب مجلد ١٠ ع ٣ آب ١٩٨٩ م ص ٣٤٠ .  
(١٤) الكتاب ١/ ٢٦٨ ومغني اللبيب ٢/ ٦٨٧ والمقتضب ٤/ ٣٢٣  
والمثنى لأبي الطيب اللغوي ص ٤ وأصلاح المنطق ٩١، ٢٥١، ٤٠٠،  
٤٠٢، ٤٠٤ والمشوف المعلم للكبري ٥٠٦ .  
(١٥) جنى الجنئين للمحني ص ١١٧ دمشق ١٣٤٨ هـ مكتبة القدسي .  
(١٦) ظاهرة التغليب في اللسان العربي د. سيد رزق الطويل (مجلة البحث  
العلمي) كلية الشريعة - جامعة أم القرى ع ٦ سنة ١٤٠٣ هـ  
ص ١٢١، ١٤٠ .  
(١٧) الكتاب ١/ ٢٦٧ .  
(١٨) لا أعلم أن أحداً من القدماء أفرد مصنفًا مستقلًا لدراسة ظاهرة  
التغليب غير ابن كمال باشا ، وهناك رسالة في وقتين في التغليب لأبي  
نعيم السيد أحمد بن عبدالله الخادمي ، وهي بصمن مجموع في  
مخطوطات الأستاذ محرم جلبي المرعشي في مدينة مرعش التركية ،  
وقد ذكرها الدكتور طه محسن في فهرس مخطوطات هذه المكتبة  
المنشور في مجلة المورد البغدادية ع ٤ م ٤ سنة ١٩٧٥ م .

[illegible][illegible]

الصفحة الأولى  
من مخطوطة  
أوقاف الموصل



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوليّة<sup>(١)</sup> والصلاة على نبيّه وبعد

فهذه رسالة معمولة<sup>(٢)</sup> في تحقيق التغليب .

إعلم أنّ التغليب توسّع في الكلام<sup>(٣)</sup> شائع في كلام<sup>(٤)</sup> العرب ، مداره على جعل<sup>(٥)</sup> بعض المفهومات تابعاً لبعض ، داخل<sup>(٦)</sup> تحت حكمه في التعبير عنهما بعبارة مخصوصة للمُغْلَب ، بحسب الوضع الشخصي أو النوعي<sup>(٧)</sup> . ولا عبارة للوحدة<sup>(٨)</sup> والتعّد ، لا في جانب الغالب ، ولا في جانب المغلوب ، فإنّه<sup>(٩)</sup> قد يُغْلَب الواحد على الواحد كما في القمرين<sup>(١٠)</sup> والعمرين . وقد يُغْلَب المتعّد<sup>(١١)</sup> على المتعّد كما في قوله تعالى : ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله ( الفرقان ١٧ ) على بعض الوجوه<sup>(١٢)</sup> . وقد يُغْلَب المتعّد على الواحد كما في قوله تعالى : وكانت من القانتين<sup>(١٣)</sup> ( التحريم ١٢ ) وقد يُغْلَب الواحد على<sup>(١٤)</sup> المتعّد كما في قوله تعالى : وما رُكّ بغافل عما تعملون ( هود ١٢٣ )<sup>(١٥)</sup> .

وإنّما الاعتبار<sup>(١٦)</sup> للنكتة<sup>(١٧)</sup> التي تقتضيه ، والاختصار نكتة مشتركة بين الاقسام كلّها ، فهو لا يكفي في تبين<sup>(١٨)</sup> واحد من الوجوه المذكورة ، إذ<sup>(١٩)</sup> لا بدّ فيه من تخصّص وتعيّن<sup>(٢٠)</sup> ، كالذكر في القمر والخجفة في عُمر<sup>(٢١)</sup> والتحقيق في ما يعبدون<sup>(٢٢)</sup> ، والتعظيم في « كانت<sup>(٢٣)</sup> من القانتين » ، وفي<sup>(٢٤)</sup> « وما رُكّ بغافل عما تعملون » . إلّا أنّ التعظيم في الأول للمُغْلَب عليه ، وفي الثاني للمُغْلَب ، وبالقيد الأخير خرج ( كذا ) المشاكلة<sup>(٢٥)</sup> ، فإنّ فيها أيضاً جعل بعض المفهومات تابعاً لبعض داخل<sup>(٢٦)</sup> تحت حكمه في التعبير عنه بعبارة المتبوع<sup>(٢٧)</sup> ، إلّا أنّه يُعبّر<sup>(٢٨)</sup> فيها عن كلّ من<sup>(٢٩)</sup> المتشاكلين بعبارة مستقلة .

فإن قلت : هل يلزم حينئذ<sup>(٣٠)</sup> الجمع بين الحقيقة والمجاز في باب<sup>(٣١)</sup> التغليب ؟

قلت : تلك شبهة تختلج في البال قبل الوقوف على حقيقة الحال . قال الفاضل التفتازاني في آخر سورة النساء من شروح الكشاف : وشبهة الجمع بين الحقيقة والمجاز واردة في<sup>(٣٢)</sup> باب التغليب أجمع . وقد فرغ السعد<sup>(٣٣)</sup> من<sup>(٣٤)</sup> حلّ تلك الشبهة في شرح<sup>(٣٥)</sup> قول صاحب الكشاف . قلت : المراد المُتَزَلّ كلّ<sup>(٣٦)</sup> ، وإنّما عبّر عنه<sup>(٣٧)</sup> بلفظ الماضي<sup>(٣٨)</sup> ، وإن كان بعضه مترقّباً تغليباً للموجود على ما لم يوجد ، كما يُغْلَب المتكلّم على المخاطب ، والمخاطب على الغائب فيقال : أنا وأنت فعلنا ، وأنت وزيد تفعلان<sup>(٣٩)</sup> ، ولأنّه إذا كان بعضه نازلاً وبعض مُنتَظَرِ النزول جُعِلَ كأنّه<sup>(٤٠)</sup> قد نزل وانتهى نزوله ، حيث قال<sup>(٤١)</sup> : يعني<sup>(٤٢)</sup> أنّ الوجه في التعبير عن الماضي والآتي بلفظ الماضي<sup>(٤٣)</sup> ، إمّا تغليب ما حصل له الوجود على ما لم يحصل ، وإمّا جعل المترقّب بمنزلة المتحقّق<sup>(٤٤)</sup> ، فالأول مجاز باعتبار تسمية<sup>(٤٥)</sup> الكل<sup>(٤٦)</sup> باسم الجزء<sup>(٤٧)</sup> ، والثاني استعارة باعتبار تشبيه<sup>(٤٨)</sup> غير المتحقّق<sup>(٤٩)</sup> بالمتحقّق<sup>(٥٠)</sup> .

ويردّ على كلا<sup>(٥١)</sup> الوجهين : أنّه جمع بين الحقيقة والمجاز ، ولا يتصوّر معنى مجازي يعمّ المعنى الحقيقي والمجازي فيكون<sup>(٥٢)</sup> من عموم المجاز . والجواب إنّ الجمع هو أن يراد باللفظ معناه الحقيقي والمجازي ، على أن يكون كل<sup>(٥٣)</sup> منهما مراداً باللفظ ، وما هنا<sup>(٥٤)</sup> أريد المعنى الذي بعض أجزائه من<sup>(٥٥)</sup> أفراد الحقيقة دون البعض<sup>(٥٦)</sup> ، إلّا إلى هنا كلامه<sup>(٥٧)</sup> . ومن<sup>(٥٨)</sup> ها هنا تبين أنّ من قال إنّّه من المجاز ، لكون اللفظ مستعملاً في غير ما وضع له لنوع تلبّس<sup>(٥٩)</sup> بينهما كتشابه ونحوه ، ولم يصب في قوله : كتشابه ، لما<sup>(٦٠)</sup> عرفت أنّ اعتبار علاقة التشابه في طريق الاستعارة وهو غير طريق التغليب ، فإنّه من قبيل المجاز المرسل ، فتأمل .

أقول : قد تبين بما<sup>(٦١)</sup> ذكره ها هنا أنّه لم يُصِب فيما قاله في فصل حروف المعاني من<sup>(٦٢)</sup> التلويح : وكثيراً ما يُسمّى الجميع حروفاً ، تغليباً أو تشبيهاً للظروف بالحروف في البناء وعدم الاستقلال<sup>(٦٣)</sup> .

والأول<sup>(٦٤)</sup> أوجه لأنّه<sup>(٦٥)</sup> في الثاني<sup>(٦٦)</sup> يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز ، أو<sup>(٦٧)</sup> إطلاق الحروف<sup>(٦٨)</sup> على مطلق الكلمة ، حيث يرجّح<sup>(٦٩)</sup> الوجه الأول<sup>(٧٠)</sup> على الثاني بلزوم الجمع بين الحقيقة والمجاز على الثاني<sup>(٧١)</sup> مع أنّه شبهة<sup>(٧٢)</sup> واردة على كلّ منهما ، وحلّها<sup>(٧٣)</sup> أيضاً مشترك . ثم إنّ موجب ما ذكره من<sup>(٧٤)</sup> أن يكون الأول وجهاً دون الثاني ، لأنّ الاطلاق المذكور غير مخصوص ، بل يجوز الجمع المذكور<sup>(٧٥)</sup> ، فافهم .

واعترض عليه بأنّ هذا الجمع يلزم على الوجه الأول أيضاً ، لأنّ المُغْلَب معنى حقيقي للفظ ، والمُغْلَب عليه معنى مجازي ، فيلزم في صورة التغليب الجمع بين الحقيقة والمجاز .

لا يقال لكلّ<sup>(٧٦)</sup> معنى مجازي إذ اللفظ لم يوضع له ؛ لأنّنا نقول : فحينئذ يلزم أن لا يوجد الجمع في شيء من المواضع لجريان

هذه العلة في كل صورة من صور<sup>(٧٥)</sup> الجمع .

أقول : هذا الجواب ما ذكره الفاضل المذكور في<sup>(٧٦)</sup> بحث الجمع بين الحقيقة والمجاز من « التلويح » بقوله<sup>(٧٧)</sup> : لا يقال : المعنى الحقيقي جزء من مجموع المعنى الحقيقي والمجازي ، فيجوز ذلك في جميع الصور باعتبار إطلاق اسم البعض على الكل ، ودفعه بقوله : لأننا نقول : هو مشروط بأن يكون الكل موجوداً متحققاً ، له اسم واحد ، لازماً للجزء ، يصح انتقال الذهن من الجزء إليه ، كالإنسان المركب من الرقبة وغيرها ، والمجموع المركب من الإنسان والأسد ليس كذلك ، بل هو أمر اعتباري محض .

ومن غفل عن هذا قال في دفع ما ذكر : ويمكن أن يجاب عنه ما أجاب الفاضل الشريف في حاشية الكشف ، من أن الجمع في صورة التغليب إنما يلزم إذا أريد كل من المعنيين باللفظ ، وفي صورة التغليب أريد به معنى واحد مركب<sup>(٧٨)</sup> من المعنى الحقيقي والمجازي ، ولم يستعمل اللفظ في كل واحد منهما<sup>(٧٩)</sup> ، بل في المجموع مجازاً . ولا يلزم جريان ذلك في جميع المعاني الحقيقية والمجازية ، لجواز أن لا يكون هناك ارتباط يجعلهما معنى واحداً عرفاً ، يقصد إليه بارادة واحدة في استعمال اللفظ . أقول : تقرير الجواب على الوجه المذكور خارج عن قانون المناظرة ، لأن وظيفة المجيب البيان ، لأن قوله : ولم يلزم ، جواب سؤال مُقَدَّر ، حاصله المنع كما لا يخفى .

ثم أقول : الجواب الذي ذكره الفاضل التفتازاني في شرح الكشف وارتضاه الفاضل الشريف لا يقطع عرق الشبهة ، لأنه إنما يتمشى في مثل : القمرين ، وما يعبدون ، والقوم ، إذا أطلق على جماعة فيهم امرأة<sup>(٨٠)</sup> ، وأما في نحو قولنا : رأيت أحد عشر رجلاً ، إذا كان فيهم امرأة ، فلا يتمشى ، وذلك ظاهر<sup>(٨١)</sup> . وكذلك في مثل : ( أو لتعودن )<sup>(٨٢)</sup> : لأن العود إن أخرج عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي فلا تغليب ، وإن أبقى على معناه الحقيقي يلزم المحذور المذكور ، ولا مجال للتركيب بينهما ، فتأمل . قال صاحب المفتاح<sup>(٨٣)</sup> : التغليب باب واسع يجري في كل فن . قال الله تعالى حكاية عن قوم شعيب : « لنخرجنك يا شعيب ، والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا » ( الأعراف ٨٨ ) ( أدخل شعيباً في لتعودن في ملتنا )<sup>(٨٤)</sup> بحكم التغليب ، وإلا فما كان شعيب في ملتهم كافراً مثلهم ، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون أن يقع منهم صغيرة فيها نوع نفرة فما بال الكفر !

أقول : فيه نظر ، لأنه إن أراد أن شعيباً عليه السلام لم يكن في ملتهم كافراً مثلهم في اعتقادهم أيضاً فلا يلزم ذلك ، وما ذكره بقوله : فإن الأنبياء ... الخ ، لا يدل على ذلك ، إنما دلالة على أنه / عليه السلام لم يكن في ملتهم كافراً مثلهم في الواقع . وإن أريد أنه عليه السلام لم يكن في ملتهم في الواقع ففسلّم ، ولكنه لا يجدي نفعاً<sup>(٨٥)</sup> ، إذ لا يلزم منه أن لا يكون في ملتهم في اعتقادهم أيضاً ، وكونه عليه السلام في ملتهم في اعتقادهم يكفي في صحة قولهم ذلك ، كما لا يخفى<sup>(٨٦)</sup> على أنه يجوز أن يكون العود بمعنى الصيرورة ، وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية ، لا تكاد تسمعهم يستعملون « صار » ولكن « عاد » ، ويقولون : ما عدت أراه ، عاد لا يكلمني ، ما عاد لفلان مال . ثم إن شعيباً عليه السلام أجرى جوابه على وفق ما قالوا تركاً<sup>(٨٧)</sup> للمنازعة فيما لا يجدي فقال : إن عدنا في ملتكم ( الأعراف ٨٩ ) ، فلا تغليب فيه أيضاً كما زعمه الزمخشري والسكاكي .

وقال الترمذي في شرح المفتاح : وليس في قوله<sup>(٨٨)</sup> : بعد إذ نجانا الله منها « ( الأعراف ٨٩ ) دلالة على ما دل عليه « إن عدنا في ملتكم » بناءً على أن النجاة منها إنما تكون بعد الدخول فيها على ما سبق إليه الوهم ، لأن النجاة عن الشيء لا يلزم أن تكون بعد الدخول فيه .

أقول : وبهذا<sup>(٨٩)</sup> تبين أنه لا إباء في قوله : إذ نجانا الله منها «<sup>(٩٠)</sup> عن حمل « عاد » على معنى « صار » كما سبق إلى بعض الأوهام .

وأما التمسك<sup>(٩١)</sup> بما قيل إن « صار » لا يتعدى بفي فليس بشيء ، لأن التعدية خاصة اللفظ ، فالاختلاف في التعدية<sup>(٩٢)</sup> لا ينافي الاتحاد في المعنى<sup>(٩٣)</sup> .

قال الرضي : ولا يتوهم أن في التعدية بين علمت وعرفت فرقاً من حيث المعنى كما قال بعضهم ، فإن معنى « علمت أن زيداً قائم » وعرفت أن زيداً قائم » واحد . إلا أن عرفت لا ينصب جزئي الاسمية كما ينصبها علم ، لا لفرق معنوي بينهما ، بل هو موكل إلى اختيار العرب ، فإنهم قد يخصون أحد المتساويين في المعنى بحكم لفظي دون الآخر<sup>(٩٤)</sup> .

ثم قوله<sup>(٩٩)</sup>: فما بال الكفر؟! لم يصب محرّه، فإن صغيرة فيها<sup>(١٠٠)</sup> نوع نفرة أشد امتناعاً في حق الأنبياء عليهم السلام من سبق الكفر، لأن في الأول دلالة على خساسة النفس<sup>(١٠١)</sup>، بخلاف الثاني، ولذلك<sup>(١٠٢)</sup> اتفق الكل<sup>(١٠٣)</sup> على امتناع الأول دون الثاني.

قال صاحب الكشف في آخر سورة التحريم: فإن قلت: ما كان خيانتهم؟ يعني خيانة امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام، قلت: نفاقهما وإبطانهما الكفر وتظاهرها على الرسولين. فامرأة نوح عليه السلام قالت لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط عليه السلام دلت<sup>(١٠٤)</sup> على ضيقانه، ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور، لأنه سمع<sup>(١٠٥)</sup> في الطباع، نقيصة عند كل أحد، بخلاف الكفر، فإن الكفار لا يستقيحونه، بل يستحسنونه ويسمونه حقاً<sup>(١٠٦)</sup>. انتهى.

وهذا صريح في أن الكفر أهون من نقيصة<sup>(١٠٧)</sup> فيها نفرة الطباع، نظراً إلى منصب النبوة ومقام الدعوة، وإن كان الكفر في حد نفسه أشد النقائص وأغلظها فافهم.

وفي شرح الفاضل الشريف للمفتاح: ومن أنواعه أن يغلب الأكثر من جنس على أقله فينسب إلى الجميع ما هو منتسب إلى أكثره، كما في قصة شعيب عليه السلام، إذ غلب أتباعه عليه في نسبة العود<sup>(١٠٨)</sup> كما غلب هو عليهم في الخطاب. ففي قوله: (أو لتعودن) تغليبان. أقول: فيه بحث، وهو أن التغليب في الخطاب إنما يلزم إن لو لم<sup>(١٠٩)</sup> يكن ذلك الخطاب في محضر من أتباعه، إذ لو كان في محضر منهم يجوز<sup>(١١٠)</sup> أن يكون الخطاب إليه عليه السلام وإلى سائر الحاضرين من أتباعه معاً<sup>(١١١)</sup>، فلا تغليب، ولا<sup>(١١٢)</sup> دلالة في سياق الآية الكريمة على تعيين الحال<sup>(١١٣)</sup>. ولذلك لم يلتفت صاحب الكشف وغيره إلى التغليب في الخطاب، والله أعلم بالصواب<sup>(١١٤)</sup>.

وبهذا قوله تعالى: وكانت من القانتين (التحريم ١٢)، أي كانت مريم من المطيعين. وكان موجب / القياس القانتات، لأن سيفة الجمع بالواو والنون إنما هي للذكور<sup>(١١٥)</sup> خاصة، بحكم الوضع، فإطلاقها على الإناث تغليب<sup>(١١٦)</sup> للذكور<sup>(١١٧)</sup> على الأنثى. ونكتته الإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين<sup>(١١٨)</sup>، حتى عُدت في<sup>(١١٩)</sup> جملتهم وأدخلت في التعبير عن الذكور. فالتغليب للذكور<sup>(١٢٠)</sup> حكم تلك النكته لا العكس كما<sup>(١٢١)</sup> توهمه عبارة السكاكي حيث قال: عُدت الأنثى من الذكور بحكم التغليب<sup>(١٢٢)</sup>.

وقد تداركه الشارح<sup>(١٢٣)</sup> الفاضل حيث وجهها بقوله: أي جعلت بمنزلتهم في التعبير بلفظ يختص به الذكور وضماً: فإن قلت: ما تقول في قول<sup>(١٢٤)</sup> من قال<sup>(١٢٥)</sup>: «من» ابتدائية، و<sup>(١٢٦)</sup> كانت مريم من أعقاب هارون «ع» فلا تغليب في الآية، لأن ميناها على أن تكون تبعيضية؟ قلت: لا أرى<sup>(١٢٧)</sup> له وجهاً، لأن فيه تنزيلاً للكلام عن درجته بتضييع تلك النكته<sup>(١٢٨)</sup> اللطيفة: بل تقول: فيه تفويت<sup>(١٢٩)</sup> لوجه مطابقة بقية<sup>(١٣٠)</sup> الكلام لمقتضى الحال<sup>(١٣١)</sup>، فإن المقام مقام توصيفها<sup>(١٣٢)</sup> بجهات الفضل والمزية والكون من أعقاب نبي من الأنبياء، مما تستوي فيه الأقدام<sup>(١٣٣)</sup> كما لا يخفي على ذوي الافهام.

ثم قال السكاكي: وقال الله تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) (البقرة ٣٤) عُد إبليس من الملائكة بحكم التغليب عُد الأنثى من الذكور. وهذا على<sup>(١٣٤)</sup> وفق ما ذكره الزمخشري من أن الاستثناء متصل، لأنه كان جنباً<sup>(١٣٥)</sup> واحداً بين أظهر الألوف من الملائكة مغموراً بهم فغلبوا عليه في قوله: فسجدوا، ثم استثنى منهم استثناء<sup>(١٣٦)</sup> واحد<sup>(١٣٧)</sup> منهم<sup>(١٣٨)</sup>. وأقول: لا حاجة إلى التغليب في تصحيح اتصال الاستثناء، فإن ميناها على عموم الأمر بالسجود لإبليس<sup>(١٣٩)</sup>، وذلك لا يلزم أن يكون بتعميم عبارة الملائكة<sup>(١٤٠)</sup>، فإن للعموم المذكور طريقاً آخر، وهو الدلالة، وذلك أن الأكابر إذا كانوا مأمورين بالتذلل لأحد فيكون<sup>(١٤١)</sup> الأصاغر مأمورين به بالطريق الأولى، فالأمر بالسجود وإن كان بعبارة مخصوصة بالملائكة لكنه بدلالته عام لإبليس أيضاً.

وبهذا التفصيل يتبين ما في التعليل، الذي وقع في كلام الفاضل الشريف حيث قال في شرح المفتاح: فإن إبليس داخل فيما أريد بلفظ الملائكة، ولذلك<sup>(١٤٢)</sup> تناوله الأمر بالسجود، وكان استثناءه من قوله: فسجدوا، متصلاً، من القصور<sup>(١٤٣)</sup>، فافهم ولا تكن من القاصرين.

ثم قال السكاكي: ومن هذا الباب قوله تعالى: (بل أنتم قوم تجهلون) (النمل ٥٥) بناء الخطاب، غلب جانب «أنتم»

على جانب قوم<sup>(١٤٠)</sup>.

أقول : وقد نبّهت فيما سبق على أنّه ليس من هذا الباب . ثم قال : وكذا : ( وما رُكّ بغافل عما تعملون ) ( الانعام ١٣٢ )  
فيمن قرأ بقاء الخطاب<sup>(١٤١)</sup>، أي أنت يا محمّد وجميع المكلفين وغيرهم<sup>(١٤٢)</sup>.

أقول : إنّما قال : فيمن قرأ بقاء الخطاب ، إذ لا استشهاد<sup>(١٤٣)</sup> فيمن قرأ بالياء ، لصحة الإخبار عن الغائبين بيعملون ، من غير ارتكاب تغليب ، بخلاف الإخبار عن المفرد الحاضر بتعملون ، فإنّه لا يصحّ بدون التغليب ، ومن وهم<sup>(١٤٤)</sup> أنّ القيد<sup>(١٤٥)</sup> المذكور<sup>(١٤٦)</sup>،  
لأنّه على قراءة الغيبة ، لا يحمل على تغليب غيره<sup>(١٤٧)</sup> عليه الصلاة والسلام ، إذ لم يعهد في كلامهم تغليب الغائب ، وإن كان أكثر ،  
على المخاطب ، ولا تغليب أحدهما على المتكلم ، فقد وهم ؛ حيث زعم أنّه لولا عدم العهد بتغليب الغائب<sup>(١٤٨)</sup> على المتكلم لكان  
الكلام المذكور حينئذ مظنة التغليب ، وقد عرفت أنّه ليس كذلك لصحة الكلام حينئذ بدون التغليب .

ثم أقول : زعم الزمخشري أن قولنا : « أنا وأنت فعلنا » تغليب للمتكلم<sup>(١٤٩)</sup> على المخاطب ، على ما صرح به فيما نقلناه فيما  
سبق من كلامه .

ويردّ عليه أنّ الضمير<sup>(١٥٠)</sup> في فعلنا موضوع للمتكلم مع الغير<sup>(١٥١)</sup>، وقد استعمل في معناه الحقيقي فلا تغليب<sup>(١٥٢)</sup>.  
والجواب عنه بما ذكره الفاضل التفتازاني في شرح الكشاف ، وهو أنّ ذلك ، إذا لم يعبر عن غيره بطريق الخطاب أو الغيبة ، أما  
إذا عبر عنه بأحدهما فحقّه أن يجري على تلك الطريقة ، لا أن يجعل تابعاً للمتكلم ، لا يشفي<sup>(١٥٣)</sup>؛ لأنّه لا يتحقّق به معنى<sup>(١٥٤)</sup>  
التغليب .

نعم ثبت العدول عن مقتضى الظاهر ، ولا يلزم التغليب ، بل هو أقرب الى الالتفات من التغليب ، كما لا يخفى على من أمعن  
النظر وأجاد ، والله وليّ الرشد<sup>(١٥٥)</sup>.

ثم قال السكاكي : وكذا يذروكم ، في قوله تعالى : « جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً » يذروكم فيه «  
( الشورى ١١ ) خطاباً شاملاً للعقلاء والأنعام مغلّباً فيه المخاطبون على الغائب ، والعقلاء على ما لا يعقل<sup>(١٥٦)</sup>، بمعنى  
اقتضاء<sup>(١٥٨)</sup> المقام شمول الخطاب في يذروكم للعقلاء والأنعام ( والمخاطبين والغيب )<sup>(١٥٩)</sup>، وذلك بجمع التغليبيين في لفظة<sup>(١٦٠)</sup>  
« كم » ، فإنّ في مجيء الكاف دون الهاء تغليب المخاطبين على الغائب ، ومجيء<sup>(١٦١)</sup> الميم دون النون تغليب العقلاء على  
ما لا يعقل .

أقول : لقائل أن يمنع اقتضاء المقام شمول الخطاب فيه للفريقين ، ويقول : خصّ<sup>(١٦٢)</sup> الخطاب بذوي العقول<sup>(١٦٣)</sup> لعدم  
صلاحية الخطاب في غيرهم . ثم إنّ تخصيص الخطاب بهم لا يستلزم<sup>(١٦٤)</sup> تخصيص الحكم المذكور بهم ، كما أنّ تخصيص الخطاب  
في قوله تعالى : « لكم » و « أنفسكم » ، لم يستلزم تخصيص الحكم المذكور بهم ثمة ، والسكوت عن بيان الحكم في الأنعام  
لانفهامه<sup>(١٦٥)</sup> بطريق الدلالة ، وهذا من قبيل الإيجاز والاختصار ، فلا حاجة الى التغليب ( كما لا يخفى على ذوي الاعتبار )<sup>(١٦٦)</sup>.  
ثم قال<sup>(١٦٧)</sup> : ومنه قولهم أبوان ، للاب والآنم ، وقمران ، للشمس والقمر ، وخافقان ، للمغرب والمشرق .

قال الشارح<sup>(١٦٨)</sup> : والخافق هو المغرب ، من خَفَقَ النجم ، إذا غاب .

وقيل : المشرق ، لأنّه تخفّق فيه الكواكب ، أي تلمع .

أقول : التغليب فيه غير ظاهر ، بل الظاهر من كلام الجوهري ، حيث قال : والخافقان : أفقا المغرب والمشرق . قال ابن  
السكيت : لأنّ الليل والنهار يخفّقان فيه<sup>(١٦٩)</sup>، خلافة<sup>(١٧٠)</sup>.

قال الترمذي : اعلم أنّ التغليب قد يكون لقوة ما يَغْلِبُ<sup>(١٧١)</sup> وفضله ، كما في « أبوان » وقد يكون لمجرد كونه مذكراً كما في :  
قمران<sup>(١٧٢)</sup>، وقد يكون لقلة حروفه بالنسبة الى المغلّب عليه كما في « عُمران »<sup>(١٧٣)</sup>، وقد يكون لكثرة كما تلي عليك فيما تقدّم<sup>(١٧٤)</sup>  
من الآيات المذكورة ، يعني في قصة شعيب<sup>(١٧٥)</sup>، وقصة لوط<sup>(١٧٦)</sup> وقصة مريم وقصة آدم عليهم<sup>(١٧٧)</sup> السلام .

وقال الأزهري : والعُمران : أبو بكر وعُمر<sup>(١٧٨)</sup>، فغلب عمر ؛ لأنّه أخفّ الاسمين . ( وقيل : المراد عمر بن الخطاب وعمر بن  
عبد العزيز )<sup>(١٧٩)</sup> . قال<sup>(١٨٠)</sup> : ( وقيل : سنة العمرين قبل خلافة عمر بن عبدالعزيز )<sup>(١٨١)</sup>، يعني ما جاء في الحديث أنّهم قالوا  
لعثمان ( رض ) يوم الدار : نسألك سنة العُمَريين<sup>(١٨٢)</sup>.

ثم قال الأزهري : قال أبو عبيد<sup>(١٨٣)</sup> : فإن قيل كيف يُدَيء بفُمر<sup>(١٨٤)</sup> قبل أبي بكر وهو قبله ، وهو أفضل<sup>(١٨٥)</sup> ؟

قلنا<sup>(١٨٦)</sup>: العرب تفعل ذلك ، وتؤخر<sup>(١٨٧)</sup> الأفضل .. يقولون : ربيعة ومضر وسليم وعامر ، ولم يترك قليلاً ولا كثيراً . وعن قتادة<sup>(١٨٨)</sup> أنه سئل عن عتق أمهات الأولاد فقال : أعتق العُمران فمن بينهما<sup>(١٨٩)</sup> من الخلفاء أمهات الأولاد . ففي قول قتادة : العمران ، عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز . يعني أنه لم يكن بين أبي بكر وعمر خليفة<sup>(١٩٠)</sup> .

أقول : قد عرفت فيما سبق أنَّ التقلب من قبيل<sup>(١٩١)</sup> المجاز ، والتجوز في نحو العمرين والقمرين<sup>(١٩٢)</sup> بحسب الصيغة لا بحسب المادة ، فإنَّ صيغة التثنية<sup>(١٩٣)</sup> موضوعة بالوضع النوعي للمفردين<sup>(١٩٤)</sup> من جنس مادته<sup>(١٩٥)</sup> . فإطلاقه على فردين أحدهما من جنس مادته والآخر لا من جنس مادته يكون مجازاً بطريق تقلب ما هو من جنس مادته على غيره ، ولا تجوز في مفردة كما توهمه الفاضل الشريف حيث قال في شرح المفتاح تبعاً للرضي : ومنها تقلب أحد المتناسبين على الآخر بأن يطلق اسمه على الآخر ويثنى بهذا الاعتبار قصداً إليهما ، ثم المعتبر هو الاسم الأخف ، إلا أن يكون الأثقل مذكراً كالقمرين . ثم إنه لم يصب في عبارة الأثقل ، فإنَّ أحد الاسمين إذا كان أخف يكون الآخر خفيفاً لا ثقیلاً ، فإن الأثقل<sup>(١٩٦)</sup> ؟

فكان حقّه أن يقول : إلا أن يكون الآخر مذكراً<sup>(١٩٧)</sup> . ثم قال : فإن قلت : مجرداً إطلاق الاسم على الآخر لا يكفي في التثنية كما في المشتركين<sup>(١٩٨)</sup> ، بل لا بدّ من الاشتراك في معنى ليصيرا من جنس واحد . قلت : هو مختلف فيه ، فقد جوّز بعضهم أن يقال : قرءان ، لُطهر وخيض ، وعينان ، لجارية وباصرة .

أقول : لا يخفى ما في هذا الجواب على ذوي الألباب ، فإنَّ المسألة المختلف فيها لا تصلح<sup>(١٩٩)</sup> أن تكون مبني لأمر متفق<sup>(٢٠٠)</sup> عليه .

ثم قال : وأيضاً جاز أن يجعل الآخر مسمى باسمه ادعاءً ، ثم يؤوّل الاسم بمعنى المسمى به ليحصل مفهوم يتناولهما فيثنى باعتبارهما كما قيل في العلم<sup>(٢٠١)</sup> ، فيكون الأبوين<sup>(٢٠٢)</sup> المسميين بالأب .

ولا يخفى ما فيه أيضاً من التعسف . وقد ردّه بعضهم على ما اعترف به نفسه في الحاشية<sup>(٢٠٣)</sup> ، ( بأنَّ هذا التأويل في العلم قليل ، بخلاف تثنيته وجمعه ، ثم قال في الحاشية<sup>(٢٠٤)</sup> : والأولى أن يقال : الاعلام لكثرة استعمالها ، وكوّن الخفة مطلوبة فيها يكفي في تثنيتهما وجمعها مجرد الاشتراك في الاسم ، بخلاف أسماء الأجناس فتأمل<sup>(٢٠٥)</sup> .

تمت الرسالة في التقلب<sup>(٢٠٦)</sup> .

### هوامش التحقيق

في مخاطبته بصيغة الجمع في ( تعملون ) ليشمل المخاطب وغيره .

( ١٦ ) يستعمل المصنّف لفظة الاعتبار بمعنى الاهتمام فعذاها باللام ، كما فعل ذلك في عبدة ، حيث عذاها باللام ( هامش ٨ ) وقد شاعت بمعناها هذا عند المتأخرين ، حيث يقولون كتاب معتبر أي ذو أهمية . وليس كذلك معناها في أصل الوضع فهي من الاعتبار بمعنى الاتعاظ وتتمدّى بالباء .

( ١٧ ) في ط : بالنكتة .

( ١٨ ) في م ، ط ، ك : تعيين ، وهو أنسب .

( ١٩ ) سقطت ( إن ) من الأصل ، وفي ك ، ط : بل لا بدّ .

( ٢٠ ) في ك ، ط : مخصّص ومعيّن .

( ٢١ ) في ط : والتخفيف في العمر .

( ٢٢ ) في ط : فيما تعبدون .

( ٢٣ ) في ط : وكانت ، وهو تحريف .

( ٢٤ ) سقطت ( وفي ) من ط .

( ٢٥ ) يريد بالقيد الأخير قوله في حد التقلب « ... داخل تحت حكمه في التعبير عنهما بمباراة مخصوصة للمقلب » والمشكلة ليست كذلك .

( ٢٦ ) في ط : التبوع ، وهو تحريف .

( ١ ) الهاء في « وليه » يعود على الحمد والله تعالى ولي الحمد ، كما

يقال الدار لمالكها . وانظر الصيغة ذاتها في مفتتح الفوائد الضيائية لنور الدين الجامي ١ / ١٦٣ .

( ٢ ) ليست في ط .

( ٣ ) في م : توسّع شائع .

( ٤ ) في ك : لسان .

( ٥ ) في ط : حمل ، وهو تحريف .

( ٦ ) سقطت ( داخل ) من الأصل .

( ٧ ) في ط : التفرعي ، وهو تحريف .

( ٨ ) في ك : في الواحدة ، وفي ط : بالوحدة .

( ٩ ) سقطت ( فأنه ) من ك ، ط ، ومن الأصل .

( ١٠ ) سقطت ( القمرين ) من ط .

( ١١ ) في ط : التعمد ، وهو تحريف .

( ١٢ ) قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء ( يحشرهم ) وقرأ باقي السبعة بالنون . الاقتناع ٢ / ٧١٤ .

( ١٣ ) كان موجب القياس : القانتات . وسيأتي في ص ..

( ١٤ ) سقطت ( على ) من ط .

( ١٥ ) التقلب في مخاطبة الرسول ( ص ) بصيغة المفرد في ( ريك ) ثم



- سقط من ط ومقداره ٥٦ سطراً .
- ( ٧٧ ) سقطت ( بقوله ) من م .
- ( ٧٨ ) في م : تركب .
- ( ٧٩ ) ( واحد ) ليس تفي م ، ط .
- ( ٨٠ ) سقطت ( امرأة ) من م .
- ( ٨١ ) سقط ( وذلك ظاهر ) من الاصل .
- ( ٨٢ ) من الآية ٨٨ من سورة الاعراف .
- ( ٨٣ ) مفتاح العلوم : ١١٦ .
- ( ٨٤ ) سقط ما بين القوسين من م .
- ( ٨٥ ) سقطت ( نفعاً ) من اوصل .
- ( ٨٦ ) سقطت ( كما لا يخفى ) من الاصل .
- ( ٨٧ ) في م : تركنا ، وهو تحريف .
- ( ٨٨ ) الضمير يعود على شميب ع .
- ( ٨٩ ) في م : ومن هنا .
- ( ٩٠ ) تمام الآية : قد افترينا على الله كذباً ، ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها « الاعراف ٨٩ .
- ( ٩١ ) في م : التمثيل ، وهو تحريف .
- ( ٩٢ ) سقطت ( في التمدية ) من الاصل .
- ( ٩٣ ) سقطت ( في المعنى ) من الاصل .
- ( ٩٤ ) شرح الكافية للرضي ٢ / ٢٧٧ .
- ( ٩٥ ) الضمير يعود على السكاكي صاحب المفتاح .
- ( ٩٦ ) هنا ينتهي موضع السقط من ط الذي ابتداء في ص ١٥ .
- ( ٩٧ ) سقطت ( النفس ) من ط .
- ( ٩٨ ) في ط : وكذلك ، وهو تحريف .
- ( ٩٩ ) راجع هامش ٤٥ .
- ( ١٠٠ ) سقطت ( دلت ) من الاصل ، وفي ط : خاتمة في .
- ( ١٠١ ) في ط : مستقبح .
- ( ١٠٢ ) الكشف ٤ / ١٣١ وفيه يستسمجونه مكان يستقبحونه .
- ( ١٠٣ ) في ط : صغيرة .
- ( ١٠٤ ) في ط : المدد ، وهو تحريف .
- ( ١٠٥ ) كذا في النسخ ، وفي ط بدون إن ، وهو الوجه .
- ( ١٠٦ ) كذا في النسخ والوجه : لجاز .
- ( ١٠٧ ) سقطت ( معاً ) من ط .
- ( ١٠٨ ) سقطت ( ولا ) من ط .
- ( ١٠٩ ) في م : المجاز ، وهو تحريف ، ويريد بالحوال حال حضور الاتباع أو عدمه .
- ( ١١٠ ) الكشف ٢ / ٣٧٠ . ( ١١١ ) في الاصل : للمذكر . ( ١١٢ ) في ط : تقليباً . ( ١١٣ ) في ط : للذكر .
- ( ١١٤ ) لم ترد ( الكاملين ) في الاصل .
- ( ١١٥ ) في ط : من .
- ( ١١٦ ) في النسخ : المذكور ، وهو تحريف .
- ( ١١٧ ) في ط : على ما . ( ١١٨ ) مفتاح العلوم ١١٦ . ( ١١٩ ) في ط : الشريف . ( ١٢٠ ) في ط : حق .
- ( ١٢١ ) هو الزمخشري في الكشف ٤ / ١٣٢ .
- ( ١٢٢ ) في ط : أي .
- ( ١٢٣ ) في ط : لا أدري .
- ( ١٢٤ ) سقطت ( النكتة ) من الاصل .
- ( ١٢٥ ) في ط : تقريب ، وهو تحريف .
- ( ١٢٦ ) سقطت ( بقية ) من ط ومن الاصل .
- ( ١٢٧ ) في الاصل وفي ط : المقام .

- ( ٢٧ ) في ك : يعتبر ، وهو تحريف .
- ( ٢٨ ) في ط : في ، وهو تحريف .
- ( ٢٩ ) في ط : هل يلزم في التقلب .
- ( ٣٠ ) لم ترد ( باب ) في الاصل .
- ( ٣١ ) في م : على .
- ( ٣٢ ) سقطت ( السعد ) من ط ، والسعد هو مسعود بن عبدالله التفتازاني الملقب بسعد الدين اصولي ، مفسر ، متكلم ، محدث ، بلاغي ، توفي عام ٧٥١ هـ ، بغية الوعاة ٣٩١ ، الاعلام ٨ / ١١٣ .
- ( ٣٣ ) في ط : عن ، وهو تحريف .
- ( ٣٤ ) في ط : الشرح .
- ( ٣٥ ) في ط : كلية ، وهو تحريف . والاشارة هنا الى قوله تعالى : لكن الله يشهد بما أنزل اليك ، أنزله يعلمه ، والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيداً ( النساء ١٦٦ ) .
- ( ٣٦ ) سقطت ( عنه ) من م ، ط .
- ( ٣٧ ) في ط : المضى .
- ( ٣٨ ) في ط : يفعلان ، وهو تحريف .
- ( ٣٩ ) في ط : كانه كله .
- ( ٤٠ ) يعني السعد التفتازاني .
- ( ٤١ ) سقطت ( يعني ) من ط .
- ( ٤٢ ) سقطت ( الماضي ) من ط .
- ( ٤٣ ) في ط : التحقيق ، وهو تحريف .
- ( ٤٤ ) في ط : شبهة ، وهو تحريف .
- ( ٤٥ ) كل وبعض وغير وذات ومثل من الالفاظ الملازمة للاضافة ، فلا تقتصر بال التعريف في الفصيح ، ولكن ذلك شاع عند المتأخرين والمؤلفين لا سيما بعد ترجمة النصوص الفلسفية عن اليونانية والسريانية وشيوع مصطلحاتهما .
- ( ٤٦ ) سقط ( باسم الجزء ) من ط .
- ( ٤٧ ) في ط : التشبيه .
- ( ٤٨ ) سقطت ( غير المتحقق ) من الاصل .
- ( ٤٩ ) سقطت ( بالمتحقق ) من ط .
- ( ٥٠ ) ليست ( كلا ) في الاصل ولا في ط .
- ( ٥١ ) في ط ليكون .
- ( ٥٢ ) في الاصل : على أن كذا ، وكذلك في ط .
- ( ٥٣ ) في ط : ومنها أنه ، وهو تحريف .
- ( ٥٤ ) في ط : من معنى ، وهي زيادة .
- ( ٥٥ ) أي التفتازاني في حاشية الكشف .
- ( ٥٦ ) في ط : وفي . ( ٥٧ ) في ط : تلتبس . وهو تحريف . ( ٥٨ ) في ط : اذا ، وهو تحريف . ( ٥٩ ) في ط : مما . ( ٦٠ ) في ط : في . ( ٦١ ) التلويح ١ / ٣٤٨ . ( ٦٢ ) أي التقلب . ( ٦٣ ) في ط : لأن . ( ٦٤ ) أي التشبيه . ( ٦٥ ) في ط : واطلاق . ( ٦٦ ) في ط : الحرف . ( ٦٧ ) في ط : رجح .
- ( ٦٨ ) زاد في ط : من الوجهين .
- ( ٦٩ ) سقطت ( على الثاني ) من ط .
- ( ٧٠ ) في ط : أن شبهته .
- ( ٧١ ) في ط : وكلها ، وهو تحريف .
- ( ٧٢ ) كذا في الاصل وفي م ، وهي زيادة .
- ( ٧٣ ) في ط : بمن يجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز .
- ( ٧٤ ) في ط : الكل .
- ( ٧٥ ) سقطت ( من صور ) من الاصل .
- ( ٧٦ ) من قوله : في بحث الجمع .. وحتى قوله : فإن صغيرة فيها « ص ١٨

ذكر من الانبياء .

- ( ١٧٦ ) سقطت ( وقصة لوط ) من ط .  
 ( ١٧٧ ) في ط : عليهما .  
 ( ١٧٨ ) في ط : رضي الله عنهما .  
 ( ١٧٩ ) سقط ما بين القوسين من طبعة التهذيب .  
 ( ١٨٠ ) أي ابن السكيت الذي نقل عنه الأزهرى وابن السكيت يروي عن  
 الغراء عن معاذ الهراء ، وكلمة ( قال ) زيادة من التهذيب ، وانظر  
 اصلاح المنطق : ٩١ ، ٢٥١ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، والمشوف  
 المعلم للمكبري : ٥٠٧ .  
 ( ١٨١ ) ما بين القوسين سقط من ط ، وفي الاصلاح والمشوف المعلم :  
 سيرة .  
 ( ١٨٢ ) تهذيب اللغة ٢ / ٣٨٧ ( عمر ) وانظر المثنى لأبي الطيب اللغوي  
 ص ٤ .  
 ( ١٨٣ ) في التهذيب والاصلاح والمشوف المعلم : أبو عبيدة ، وكذلك في  
 المثنى لأبي الطيب .  
 ( ١٨٤ ) زاد في ط : رضي الله عنه .  
 ( ١٨٥ ) في ط : وأفضل ، وكذلك في الاصلاح والمشوف المعلم للمكبري  
 ط جامعة أم القرى .  
 ( ١٨٦ ) في ك : قلت .  
 ( ١٨٧ ) في ك : ط : ويؤخر الخير الافضل .  
 ( ١٨٨ ) أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري الاكهم ، كان تابعياً  
 وعالماً كبيراً ، نشابة ، جامعاً لأخبار الشعر ، ولد سنة ٦٠ هـ  
 وتوفي بواسط سنة ١١٧ هـ . طبقات ابن سعد ٧ / ٢٢٩ وابن  
 خلكان ٤ / ٨٥ وياقوت ١٧ / ٩ .  
 ( ١٨٩ ) في م : يليهما ، ولا إشكال فيه . ويبدو أن هذا هو أصل الخبر .  
 ( ١٩٠ ) زاد في ط وكذلك في الاصلاح والمشوف المعلم : رضي الله عنهما .  
 وانظر التهذيب ٢ / ٣٨٧ .  
 ( ١٩١ ) في ط : باب .  
 ( ١٩٢ ) سقطت ( العمرين و ) من نسخة الاصل .  
 ( ١٩٣ ) في ط : التشبيه ، وهو تحريف .  
 ( ١٩٤ ) في ط : لفردين .  
 ( ١٩٥ ) أي مادة المثنى مثل رجل ورجلان .  
 ( ١٩٦ ) قوله : المعتبر هو الاخف ، يقتضي أن أحد الاسمين خفيف والآخر  
 اخف منه ، ثم انتفض هذا بقوله : إلا أن يكون الاثقل مذكراً ، لأن هذا  
 يقتضي أن هناك ثقيلًا وأثقل .  
 ( ١٩٧ ) في ط : مذكوراً ، وهو تحريف .  
 ( ١٩٨ ) في ط : ك : المشترك .  
 ( ١٩٩ ) في ط : تصح .  
 ( ٢٠٠ ) في ط : مثنى لامرين ، وهو تحريف .  
 ( ٢٠١ ) مثل العمرين والخبيين والخالدين .  
 ( ٢٠٢ ) في ط : الابوان للمسميين بالاسباب ، وهو تحريف . والوجه : معنى  
 الابوين ، أي الام والاب ، وهو كذلك في شرح المفتاح ( خ ) .  
 ( ٢٠٣ ) يريد حاشية المطول .  
 ( ٢٠٤ ) سقط ما بين القوسين من ط ، ك ومن الاصل بسبب انتقال النظر .  
 ( ٢٠٥ ) زيادة من م . وفي ط : انتهى .  
 ( ٢٠٦ ) في م : تمت الرسالة وهي لكمال باشا زادة .

- ( ١٢٨ ) في ط : لوصفها .  
 ( ١٢٩ ) في ط : يستوي فيه الاقوام .  
 ( ١٣٠ ) سقطت ( على ) من الاصل .  
 ( ١٣١ ) في م : جنساً ، وهو تحريف .  
 ( ١٣٢ ) سقط ( منهم استثناء ) من ط .  
 ( ١٣٣ ) في ط : واحداً .  
 ( ١٣٤ ) المفتاح ١١٦ .  
 ( ١٣٥ ) أي يعنه مع الملاكة .  
 ( ١٣٦ ) في ط : له .  
 ( ١٣٧ ) في ط : تكون ، وهو تحريف .  
 ( ١٣٨ ) في م : والملك ، وهو تحريف .  
 ( ١٣٩ ) قوله : من القصور ، متعلق بقوله : يتبين ما في التعليل .  
 ( ١٤٠ ) المفتاح ١١٦ .  
 ( ١٤١ ) هي قراءة ابن عامر من السبعة ، السبعة ٢٦٩ والاقناع ٦٤٣ .  
 ( ١٤٢ ) المفتاح ١١٦ .  
 ( ١٤٣ ) في م : الاستشهاد ، وهو تحريف .  
 ( ١٤٤ ) في م : فهم ، وهو تحريف ، وفي حاشية الاصل تعليق : رد للشريف  
 الفاضل .  
 ( ١٤٥ ) في ط : القصد ، وهو تحريف .  
 ( ١٤٦ ) في ط : الذكور ، وهو تحريف .  
 ( ١٤٧ ) في ط : الفائبين .  
 ( ١٤٨ ) في ط : لتغليب الفائبين ، وهو تحريف .  
 ( ١٤٩ ) في ط : من تغليب المتكلم .  
 ( ١٥٠ ) في م : المضمهر .  
 ( ١٥١ ) ينظر تعليق ٤٥ .  
 ( ١٥٢ ) سقطت عبارة ( فلا تغليب من م .  
 ( ١٥٣ ) قوله : لا يشفي ، خبر عن قوله : والجواب عنه ... » .  
 ( ١٥٤ ) في ط : لا تحقق مع التغليب ، وهو تحريف .  
 ( ١٥٥ ) في م : الارشاد ، وفي ط سقطت العبارة كلها .  
 ( ١٥٦ ) سقطت ( ومن الانعام أزواجاً ) من ط بسبب انتقال النظر .  
 ( ١٥٧ ) مفتاح العلوم ١١٦ .  
 ( ١٥٨ ) في ط : يعني اقتضى .  
 ( ١٥٩ ) زيادة من ط .  
 ( ١٦٠ ) في ط : وجمع ذلك التغليب في لفظة لم .  
 ( ١٦١ ) في ط : وفي مجيء .  
 ( ١٦٢ ) في ط : حُص .  
 ( ١٦٣ ) في ط : العقل .  
 ( ١٦٤ ) في ط : في قوله تعالى : من أنفسكم ، لم يستلزم .  
 ( ١٦٥ ) كذا في النسخ ، وفي ط : لاستفهامه .  
 ( ١٦٦ ) سقط ما بين القوسين من ط .  
 ( ١٦٧ ) في ط : السكاكي .  
 ( ١٦٨ ) يريد الشريف الجرجاني .  
 ( ١٦٩ ) في ط وفي الصحاح : فيهما ( خلق ) .  
 ( ١٧٠ ) ( خلافة ) خبر عن ( والظاهر ) في بداية العبارة .  
 ( ١٧١ ) في ط : يفعله ، وهو تحريف .  
 ( ١٧٢ ) في ط : القمرين .  
 ( ١٧٣ ) في ط : القمرين ، وهو تحريف .  
 ( ١٧٤ ) سقط ( فيما تقدم ) من ط .  
 ( ١٧٥ ) زاد في ط : عليه الصلاة والسلام ، وهذا يرد عادة في أعقاب كل من

## ذيل الحيوان للسيوطي

تحقيق وتقديم :

د. صلاح الفرطوسي

كلية التربية - جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

في ربيع عام ١٩٨٤ م كنت في زيارة لصديقي العالم الجليل الاستاذ محمد العربي الخطابي أمين الخزانة الحسنية بالرباط، فاطلعني جزاه الله كل خير على بعض نفائسها، وكان من بينها المخطوط الذي أقدمه اليوم ( كتاب ذيل الحيوان لشيخ الاسلام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ) فقد نسخ في حياة مؤلفه، وبعد أقل من سنة من تأليفه إذ ذكر الناسخ في الصفحة الاخيرة من المخطوط نقلاً عن السيوطي ( قال مؤلفه فسخ الله في أجله وأمتع بوجوده فرغت « من تأليفه » يوم السبت تاسع عشر ذي القعدة سنة احدى وتسعمائة أحسن الله عاقبته ) أي : انه ألفه في العقد الأخير من حياته، فقد كانت وفاة السيوطي سنة ٩١١ هـ، أي : بعد كمال نضجه العلمي والثقافي. وذكر الناسخ ( محمد بن علي بن سود بن الابراهيم الحنفي ) انه فرغ من نسخه ( في اليوم المبارك يوم الخميس حادي عشر ذي الحجة الحرام سنة اثنين وتسعمائة ) .

وقد سارع الاستاذ الخطابي بتصوير المخطوط حينما علم برغبتي بتحقيقه جزاه الله خير الجزاء وابقاه ذخراً لمحبي التراث والقائمين عليه. ومما يؤسف عليه ان في المخطوط المذكور سقطاً لا يعرف مقداره، ورأيت من المفيد جداً أن أقوم بنشره وأن اقدم له فيه مادة حرف الهمة والباء والتاء وجزء من مادة حرف الجيم .

### التأليف في الحيوان

قبل أكثر من ربع قرن من الزمان تطرق استاذنا الدكتور حسين نصار في كتابه المعجم العربي نشأته وتطوره ١ / ١٢٢ - ١٣٤ الى كتب الحيوان وما ألف فيه، وخص كتب الحشرات والخيل بعنايته فذكر أحد عشر مؤلفاً في الحشرات، ورأى أن أول من ألف فيها أبوخيرة الاعرابي، وهو من رواة اللغة في القرن الثاني الهجري وقد روى كتابه الحشرات أبو عمرو بن العلاء، وتوقف الدكتور حسين عند كتاب أبي الحسن الاخفش الاصغر ( ٣١٥ هـ ) الذي ألف كتاب الجراد .

وذكر ستة وثلاثين مؤلفاً في الخيل ورأى أن أول من ألف فيها أبو مالك عمرو بن كركرة، وهو من الرواة الذين أخذ عنهم الخليل وغيره، ورأى ان للحروب المتصلة بين المشرق والمغرب، ولا سيما الحروب

الصليبية أثراً في محاولة التأليف في هذا الجانب من البحث إذ اتسمت بعض هذه التأليف بصيغة لغوية أدبية منها كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لعلي بن عبدالرحمن بن هذيل الأندلسي .

وفي سنة ١٩٧٢ نشر صديقنا الدكتور محمد باقر علوان بحثاً قيماً في مجلة المورد الغراء في مجلدها الاول العدد الثالث والرابع بعنوان كتب الحيوان عند العرب قسمها عدة أقسام هي :

- ١ - الكتب التي تبحث عن نوع واحد من أنواع الحيوان ككتب الخيل والإبل وغيرها .
  - ٢ - الكتب التي تبحث عن طبائع الحيوان .
  - ٣ - الكتب التي تهتم بعلاج الحيوان .
  - ٤ - الكتب التي تهتم بما يمت الى الحيوان بصلة ككتب السرج واللبام وغيرها .
  - ٥ - الكتب التي تبحث عن أسماء الحيوان وصفاته واللوانه وأفعاله وما الى ذلك .
  - ٦ - الكتب التي تبحث عن غرائب المخلوقات كالجن والسمالى وما الى ذلك .
  - ٧ - الكتب التي تبحث عما يباح أكله وما يحرم حسب الشرع الاسلامي .
  - ٨ - وأخيراً الكتب التي تبحث عن الحيوان عامة وبجميع مظاهره .
- ثم قدم قائمة بالنوع الأخير بلغ عدد الكتب فيها ثمانية وسبعين كتاباً . بين مطبوع ومخطوط .

فإذا أضفنا الى هذه القوائم قوائم الكتب التي ألفت في الموضوعات الاخرى، والفصول التي عقدت للحيوان في معاجم الموضوعات كالغريب المصنف والمخصص وكفاية المتحفظ وفقه اللغة، وما ورد من أسماء حيوانات وما يتعلق بها في معجماتنا اللغوية كالعين والتهديب والجمهرة والمحكم والمحيط والمقاييس واللسان والصحاح والقاموس والتاج وغيرها استطعنا أن نتصور الجهد الهائل الذي بذله علماء العربية في هذا الجانب من البحث، حتى اننا نستطيع أن نقرر باطمئنان ان ما قدمه العرب للحضارة الانسانية في هذا الميدان يفوق ما قدمته الامم الاخرى مجتمعة .

وأفاد علماء العربية أيضاً من جهود الأمم التي سبقتهم في هذا الميدان فترجموا كثيراً من كتب الحيوان الى العربية منذ أقدم عصور الحضارة العربية الاسلامية ككتاب الحيوان لديموكراتيس وكتاب الحيوان لارسطوطاليس وغيرهما .

ولعل أهم كتاب ألف في الحيوان وما زال يلقي رواجاً واسعاً هو كتاب حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ هـ فقد طبع غير مرة واختصره مؤلفون كثيرون نذكر منهم الدكتور محمد باقر علوان شمس الدين محمد بن أبي بكر بن عمر الدماميني وتقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي ومحمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد المعروف بابن قاضي شعبة والسيوطي والميداني والهروي وغيرهم .

وترجم محمد تقي التبريزي كتاب الدميري الى الفارسية . وترجم كتاب الدميري عبدالرحمن السيراسي الى التركية . ونذيل كتاب الحيوان القاضي جمال الدين محمد بن علي وسمى تنذيله ( طبخ الحيوان ) .

ونذيل أيضاً جلال الدين السيوطي الذي أعنى بتحقيق كتابه . وللسيوطي قبل النذيل كما ذكرنا اختصار للكتاب سماه ديوان الحيوان وقد ترجمه الى اللاتينية ابراهيم الحقلاني وطبع ببافيس سنة ١٦٤٧ م .

ومن العيب أن نكتب ترجمة لجلال الدين السيوطي بعد ما ترجم لنفسه في كتابه حسن المحاضرة ، ويعد كل ما كتب عنه من كتب ورسائل جامعية ، وبعد الرسالة القيمة التي كتبها عنه الدكتور عدنان محمد سلمان خاصة وقد طبعت ببغداد سنة ١٩٧٦ . وليس خافياً على الباحثين في الدراسات النحوية والصرفية واللغوية والبلاغية والدينية والتاريخية والفلسفية ان السيوطي كان أمام زمانه في جميع هذه العلوم .

بلغت مؤلفاته حداً يفوق التصور وقد أحصى له الدكتور عدنان أكثر من سبعمائة مصنف في مختلف الفنون وعزا اسباب كثرتها الى سرعته في الكتابة والتأليف ، وعدم اهتمامه بالمناصب الحكومية ، وتصدره للافتاء والتدريس ، وفرط حساسيته إذ كثيراً ما يدفعه غضبه الى التأليف للرد على منافسيه وتفرغه التام للتأليف في اخريات أيامه وغيرها من اسباب تغمد الله بواسع رحمته وتجاوز عن خطايا وخطايانا انه سميع الدعاء .

والراجع عندي ان السيوطي ألف كتابه الذيل ( بروكلمان ١٣٨ / ٢ الملحق ١٧١ / ٢ ) بعد اختصاره كتاب حياة الحيوان الذي سماه ( ديوان الحيوان ) .

والكتاب استدراك على حيوان الدميري وقد رتب مادته على حروف المعجم بحسب الترتيب الألف بائي المشرقي وهو يعني بالحرف الاول من المادة ولا يلتفت الى حشوها ، ويندر أن يستشهد بمنظوم أو منظور

لتوثيق مادته .

ولا أريد أن أتحدث عن الكتاب فهو بين يدي القارئ الكريم بقدر ما اريد أن أتحدث عن مصادره فيه ، إذ المعروف عن السيوطي اعتماده في التأليف على جهود سابقيه ، وهو أمر لا يقلل من قيمة أكثر مؤلفاته إذ ان ميزة المنهج وطريقة العرض تبقى من سمات مؤلفاته . وإذا كان السيوطي يعتمد على جهود سابقيه ، فان غيره يعتمد عليها أيضاً . ومصادره تنقسم على قسمين منظورة وغير منظورة .

أما المنظور منها فينقسم على قسمين أيضاً :

أ - كتب ذكر أسماءها أذكرها بحسب تسلسل ورودها في الكتاب ، وهي :

١ - القاموس المحيط للفيروز ابادي : ذكره في مادة الاربيان والارخبه والتلد والتبج والجمعي والجشنة .

٢ - مفردات ابن البيطار : ذكره في مادة الاربيان واسفنج البحر .

٣ - كفاية المتحفظ لابن الأجدابي : ذكره في مادة الارخ والاقمر والتنفل .

٤ - الزنبيل لابن خالويه : ذكره في مادة بغير والتفا .  
ب - أعلام ذكر أسماءهم ولم يذكر مؤلفاتهم أذكرهم بحسب تسلسل ورودهم في الكتاب وهم :

١ - النضرين شميل : ذكره في مادة الأبخث والأعرج والأكبر .

٢ - أبو حاتم السجستاني : ذكره في مادة زج والأبرق والبترء والبهله والتلدة والتيمير والتبج والجشنة .

٣ - الليث : ذكره في مادة الاعيرج .

٤ - القمي : ذكره في مادة الاعيرج والإمر والاصرمان .

٥ - الأصمعي : ذكره في مادة الثمرة .

٦ - ابن خالويه : ذكره في مادة الجفول ( وانظر حاشية المادة ) .  
مصادره غير المنظورة

وتنحصر في كتاب القاموس المحيط للفيروز ابادي إذ ان أكثر من سبع وتسعين بالمئة من مادة الكتاب منقولة حرفياً من القاموس دون زيادة أو نقصان ، ولولا القاموس لتعذر عليّ قراءة كثير من كلمات المخطوط بسبب سوء تصويره وما أصابه من عوادي الزمن وأفاته . وسأذكر لك أعزك الله أمثلة ولك بعدها أن نوازن بين مادة الذيل والمادة نفسها في القاموس .

الأصل : الأشرف : الخفاش ، وطار آخر لا وكر له لا يسقط إلا ريثما يجعل لبيضه انحوصاً من تراب ويبيض ويغطي عليه ويطيير ويبيض يتنفس بنفسه فإذا أطاق فرخه الطيران كان كابويه في عادتتهما . والمادة منقولة حرفياً من القاموس ( شرف ) ..

- الازمولة وكبرذونة : المصوّت من الوعول وغيرها . والمادة منقولة حرفياً من القاموس ( زمل ) .

- الأعصم من الظباء والوعول : ما في نزعاه أو أحدهما بياض

جاء في الذيل : ( الأبرد : النمر والانتى : برداء والجمع : أبارد )  
وجاء في حياة الحيوان مادة النمر ٢ / ٦٣٧ وكنيته أبو الأبرد وأبو  
الأسود ... الخ وهو أبو الأبرد في الموضع ٥٥ .  
وجاء في الذيل ( البريد : الفرائق لأنه ينذر قدام الأسد ) وورد  
الاسم في حياة الحيوان الكبرى في مادتي الببر ١ / ١٩٠ والفرائق  
٢ / ٣٩٠ .  
وجاء في الذيل ( البوه والبوهة : الصقر سقط ريشه ) وفي حياة  
الحيوان ١ / ٢٦٩ البوه : طائر يشبه البوم والانتى بوهة .  
وجاء في الذيل ( الثرمل كقنفذ : دابة ) وفي حياة الحيوان  
١ / ٢٨٦ الثرمله انتى الثعلب .  
وجاء في الذيل ( الجزرة : الشاة السمينة . والجمع : جزر ) وجاء  
في حياة الحيوان ١ / ٣٢٧ الجزور من الضأن خاصة مأخوذة من الجزر  
أي : القطع .

وسائرهما أسود أو أحمر . والمادة منقولة حرفياً من القاموس ( عصم )  
وانظر أيضاً المواد ( الأصنف ) ، ( الأجام ) ، ( الأخزم ) ، ( الأصم )  
( البلت ) ( البلكتة ) ، ( البدح ) ، ( البقرة ) ، ( البرص )  
( البلص ) وغيرها كثير .  
والسيوطي ينقل عن القاموس أحياناً دون تمحيص كقوله :  
الجعب : الكثيبة من البقر ، ولا معنى لما نقل ، إذ لا يوجد حيوان  
بهذا الاسم ، ولا معنى لقوله : الكثيبة من البقر ، والصواب ما جاء في  
القاموس ( جعب ) ( الجعب : الكثيبة من البعر ) بعين غير معجمة  
وكقوله : الجنبخ كقنفذ : الجراد الضخم ، وهو خطأ سببه ان مادة  
( جنبخ ) تقدمت مادة ( جندخ ) في القاموس ومن معاني مادة  
( جنبخ ) الضخم ، والصواب ما أثبتته في المتن عن القاموس  
( جندخ ) .  
ولم يكن دقيقاً في كل ما استدركه علي الدميري .

### كتاب ذيل الحيوان

تأليف شيخ الاسلام العالم العامل

العلامة فريد دهره ووحيد عصره

جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي

أمتنع الله بوجوده أمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وصلى الله على رسوله محمد وسلم . هذا ما وقع الوعد به من إفراد الحيوان الزائد على ما في كتاب  
الشيخ كمال الدين الدميري رحمه الله مرتباً على حروف المعجم .  
باب الهمزة

الأزب بالضم : صغار النهم ساعة تولد .  
الإريان<sup>(١)</sup> بالكسر : سمك ، قاله في القاموس ، وفي المفردات لابن البيطار .  
الأزمان بالرأي : قيل : هو الجراد ، وقيل : الجراد البحري ، ويقال أيضاً : رومان .  
الأخطبان<sup>(٢)</sup> : طائر .  
الأذب بالذال المعجمة : الثور الوحشي ، ويقال له أيضاً : الذب ، وذب الزباد<sup>(٣)</sup> ، والذئب كقنفذ .  
الأزنب<sup>(٤)</sup> : جرد قصير الذنب ، وكذا اليزنب .  
الأزهاب بالفتح : ما لا يصيد<sup>(٥)</sup> من الطير .  
الأزيب بزاي ثم مثناة تحتية كالأحمر : القنفذ .  
الألفث : التيس الملتوي أحد قرنيه .  
الأبخت<sup>(٦)</sup> : بموحدة ومعجمة : طائر قريب من الأغبر ، والجمع : بخث . قال أبو نؤاس :  
أعددت للبختان حتفا .  
وقال : لا يوئل الأبخت من حذره .  
وقال النضر بن شميل : كل طائر أبخت فيه كدرة ، والبخت : شكلة كلون الزماد .  
أدمج ، كاحمد : اسم النعجة .



اسفنج البحر : في مفردات ابن البيطار ، زعم بعضهم انه حيوان ، وليس كذلك بل هو شيء يشبه الليف يتكون على الحجارة<sup>(٧)</sup> .  
الأزج<sup>(٨)</sup> : الظليم يطول خطوه كانه يزج برجليه زجا إذا مشى قداماً لا يقبضهما ولا يثنيهما كأنهما حرفا فأس ، والانتى : زجاء ، والجمع : زج قاله أو حاتم .

الإضريج<sup>(٩)</sup> : الفرس الجواد .

الأعزج<sup>(١٠)</sup> : الغراب لأنه إذا مشى توثب كأنه مقيّد .

قاله النضر .

الأعيرج : حية صماء لا تقبل الرقبة وتطفر كالافعى ، قال الليث<sup>(١١)</sup> : لا توثت ، والجمع أعيرجات ، وقال القمي : الأعيرج : الحية الذكر الخبيث .

الأقلع : الجعل .

الإرخ ، ويكسر : الذكر من البقر ، والأزجي بالضم : الفتى منه ، والإراخ ككتاب : بقر الوحش ، والأزجية<sup>(١٢)</sup> : ولد الثيئل ، كذا في القاموس .

وفي كفاية المتحفظ<sup>(١٣)</sup> الأزخ : البرة الفتية من بقر الوحش وجمعها إراخ بكسر الالف .

الأبرؤ<sup>(١٤)</sup> : النمر والانتى برداء ، والجمع : أبارد .

الاسود : العصفور ، وكذا السوادية<sup>(١٥)</sup> .

الأعقد<sup>(١٦)</sup> : الكلب القصير ، والجمع : عقد ، قاله ابن خالويه في الزنبيل .

الأكبد<sup>(١٧)</sup> : طائر يكون في الحرم ظهره أعبر ويطنه أسود ، وهو عصفور قاله النضر .

الانقد<sup>(١٨)</sup> بالفتح ، والإنقدان بالكسر : السلخاة ، احدى بنات طبق : الحية .

بنات<sup>(١٩)</sup> الأكر : حمير وحش منسوبة ( ٢ ) الى فحل منها

الإزار : العقاب والنعجة ، وتدعى للحلب فيقال : إزار إزار .

الأذئير : ضرب من الحيات .

الأزفر : الفرس العظيم الجنبين ، والجمع : زفر<sup>(٢٠)</sup> .

الأزهر : الثور الوحشي ، والزهر : البقرة الوحشية .

الأشمز : ابن الظبية .

الأظفر<sup>(٢١)</sup> : كبار القردان .

الأعفر<sup>(٢٢)</sup> من الطباء : ما يغلو بياضه حمرة كالذي في سراته وأقرابه<sup>(٢٣)</sup> بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض والانتى عفراء .

الأغور : الغراب ، وكذا الغويّر لحدة بصره .

الأقمر : الأبيض من الحمير الوحشية ، والجمع : قمر ، ذكره في كفاية المتحفظ<sup>(٢٤)</sup> .

الإمر : الخروف . قال القمي : من أمثالهم<sup>(٢٥)</sup> في نفي الشيء : ما لفلان إمر ولا إمرة ، الإمر : الخروف ، وهو الذكر والإمرة الرّخل ، وهي أنثى .

الأنمر من الخيل والنعم : ما على شبه النمر .

الأنعور : السرب من الطباء أو جماعة الأوعال ، والجمع<sup>(٢٦)</sup> : أماعز وأماعيز .

الأنس : ذكر السلاجف .

الأخنس : القراد .

الأنس من الطير : الذي لونه بين السواد والحمرة .

الأضوص : الناقة الحائل السمينة ، ومن أمثالهم<sup>(٢٧)</sup> : أضوص عليها ضوص ، والضوص : الرجل اللئيم .

الأحصان<sup>(٢٨)</sup> : العبد والحصار .

الأغقص من التيوس : ما التوى قزناه على أذنيه من خلفه .

الأزقط : الذمير ، ومن الغنم الأبعث .  
 أبواع<sup>(٢٩)</sup> : اسم النعجة معرفة وتدعى للحلب بها .  
 الأشق بالقف : طويز كالعصفور ، وفي ريشه خضرة ، رأسه أبيض ، والجمع : أساقع .  
 الأصق<sup>(٣٠)</sup> بالقف : طائر ، وهو الصفارية .  
 الأصيل<sup>(٣١)</sup> : حية دقيقة العنق رأسها كبندقة .  
 الأودغ : اليزبوع ، وكذا الودغ ، ويحزل<sup>(٣٢)</sup> .  
 الأيدغ<sup>(٣٣)</sup> : طائر .  
 الأفشخ بقاء ومعجمتين : كبش ذهب قرناه كذا وكذا .  
 الأخصف<sup>(٣٤)</sup> : بقاء معجمة وصاد مهملة وفاء : الأبيض الخاصرتين من الخيل ، والظليم الذي فيه بياض وسواد .  
 الأخصف<sup>(٣٥)</sup> بمعجمتين وفاء : الحية .  
 الأخلف<sup>(٣٦)</sup> : الحية الذكر .  
 الأسف<sup>(٣٧)</sup> بمعجمتين من الخيل : الأبيض .  
 الاستد<sup>(٣٨)</sup> من الظلمان : الأعوج العنق .  
 الأشرف<sup>(٣٩)</sup> : الخفاش ، وطائر آخر لا يسقط إلا ريثما يحمل لبيضة أنوصاً من تراب ويبيض ، ويغطي عليه ويطيئ ، ويبضه يتفقس<sup>(٤٠)</sup> بنفسه ، فإذا أطاق فرجه انطيران كان كابويه في عادتهما .  
 الأصنف<sup>(٤١)</sup> : الظليم المتفشر الساقين .  
 الأبرق : طائر ياكل الدخن ، والجمع بزق<sup>(٤٢)</sup> ، قاله أبو حاتم .  
 الإجل<sup>(٤٣)</sup> : القطيع من الظباء ، والجمع : اجال .  
 الإزبل : الأرنب .  
 الأزمولة<sup>(٤٤)</sup> وكبرنونة : المصووت من الوعول وغيرها .  
 أزعلان بضم الهمزة والراء والعين وتشديد اللام : الدباس ، والقبارى ، والصلاحى ، [ ٣ ] وذوات الاطوق ..  
 الأجام<sup>(٤٥)</sup> : الضفادع .  
 الأخرم<sup>(٤٦)</sup> : الحية الذكر .  
 الأزم : السنور .  
 الأصرمان<sup>(٤٧)</sup> أيضاً : الصرد والغراب . قال القمي : من أمثالهم<sup>(٤٨)</sup> : تركت فلاناً بوحش الأصرمين ، وهما الغراب والصرد ، ومعناه تركته بغلاة لا أنيس بها .  
 الأصم<sup>(٤٩)</sup> : الحية لا تقبل الرقى .  
 الأعضم<sup>(٥٠)</sup> من الظباء والوعول : ما في ذراعيه ، أو أحدهما بياض وسائرهما أسود أو أحمر .  
 الأكشم والكشم<sup>(٥١)</sup> : الفهد .  
 الأذنة محركة<sup>(٥٢)</sup> : صغار الإبل والغنم ، والجمع : أذن .  
 الأوان : السلاحف ، قال كراع<sup>(٥٣)</sup> : ولم يُسمع لها بواحد .  
 الأين : الحفل .  
 الأفنون بالضم : الحية .  
 الإزبيان<sup>(٥٤)</sup> بالكسر : سمك كالذود .  
 الأعنى<sup>(٥٥)</sup> : الضبعان الذكر ، والأنثى عثواء .

#### باب الباء

البث<sup>(١)</sup> بمثناة كصرد : طائر محترق الريش ، إن وقعت ريشة منه في الطير أحرقتة .

الْبَحْتُ بِمَثَلَتِهِ : الحَيَّةُ الْعَظِيمَةُ<sup>(٢)</sup>.

الْبَلَكَةُ<sup>(٣)</sup> بِمَثَلَتِهِ : فَاةٌ عَظِيمَةٌ .

الْبَزْحُ<sup>(٤)</sup> بِالْفَتْحِ : نَوْعٌ مِنَ السَّمَكِ .

ابن يَرْيَحُ : كَامِيرٌ<sup>(٥)</sup> : الْغَرَابُ .

الْبُدُّ بِالضَّمِّ : انْبِرَاضٌ .

الْبَرِيدُ<sup>(٦)</sup> : الْفَرَانِقُ لِأَنَّهُ يُنْذِرُ قَدَامَ الْأَسَدِ .

بَزْدَةٌ<sup>(٧)</sup> : عِلْمٌ لِلنَّعْجَةِ .

الْبَيْدَانَةُ<sup>(٨)</sup> : الْحِمَارُ الْوَحْشِيَّةُ ، وَالْجَمْعُ : بَيْدَانَاتٌ .

الْبِرُّ : زَلْدُ الثَّعْلِبِ وَالْفَاةِ وَالْجَرْدِ ، يُقَالُ<sup>(٩)</sup> : فَلَانٌ لَا يَعْرِفُ هَذَا مِنْ بَرٍّ ، أَيْ : الْقَطُّ مِنَ الْفَارِ .

بَغِيرٌ<sup>(١٠)</sup> فِي التَّبْيَانِ ، قَالَ الطَّرطُوشِي فِي مَصَالِحِ الْمُلُوكِ : هِيَ دَوِيَّةٌ تَكُونُ بِخَرَّاسَانَ تَسْمُنُ عَلَى الثَّعْبِ وَالشَّقَاءِ . قَالَ : وَعِظْمَاءُ التَّرِكِ يَقُولُونَ<sup>(١١)</sup> ... لِلْقِيَادِ ، وَهُوَ زَعِيمُ الْقَوْمِ فِي الْقِتَالِ ، أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خَصَالٍ مِنْ أَخْلَاقِ الْبِهَائِمِ : هَسْبٌ ... مَنْحَتْ الْجُجَاعَةِ ، وَقَلْبُ الْأَسَدِ ، وَخَفْلَةُ الْخَنْزِيرِ ، وَزَوَّغَانُ الثَّعْلِبِ ، وَضَبْرُ الْكَلْبِ ، وَخَرَّاسَةُ الْكُرْكِيِّ ، وَعِيَارَةُ الذِّيبِ ، وَسُفْنٌ بَغِيرٌ ، وَهِيَ دَابَّةٌ تَسْمُنُ عَلَى الشَّقَاءِ . انْتَهَى .

الْبِتْرَاءُ : قَالَ أَبُو حَاتِمٍ<sup>(١٢)</sup> : هِيَ الَّتِي تَطِيرُ مِنْ تَحْتِ قَدَمِ الْإِنْسَانِ وَهِيَ لَا يَشْعُرُ ، تَطِيرُ قَرِيباً مِنَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ تَقَعُ فِي الْحَشِيشِ قَصِيرَةً<sup>(١٣)</sup> ...

الْبَيْقَرَةُ<sup>(١٤)</sup> : طَائِرٌ أَبْزَقُ أَوْ أَطْحَلُ<sup>(١٥)</sup> أَوْ أَبْيَضُ ، وَالْجَمْعُ : بَقَرٌ .

الْبَرْصُ<sup>(١٦)</sup> بِالْفَتْحِ : دَوِيَّةٌ تَكُونُ فِي الْبَثْرِ .

الْبُقْصُوصَةُ<sup>(١٧)</sup> كَالْقُصْفُورَةِ : دَوِيَّةٌ صَغِيرَةٌ بِيضَاءُ لَهَا بَرِيقٌ .

الْبِلْصُ<sup>(١٨)</sup> وَالْبِلْوُصُ وَالْبِلْصَةُ : أَبُو بُزْنِصٍ .

الْبِلْصِيُّ<sup>(١٩)</sup> : طَائِرٌ أَخْضَرُ الْبَيْضِ ، وَالْجَمْعُ : بِلَاصِيٌّ .

الْبِلْصِيُّ<sup>(٢٠)</sup> كَزَمْكِيٍّ : طَائِرٌ كَالْمُرْدِ الْوَاحِدِ : بِلْصٌ أَوْ بِلْصُوٌّ وَبِلْصُوءَةٌ .

ابنُ<sup>(٢١)</sup> بِلْصَى : طَائِرٌ .

الْبِطِيطَةُ<sup>(٢٢)</sup> : الْحَجَلَةُ .

الْبِلْقُوطُ<sup>(٢٣)</sup> : طَائِرٌ .

الْبَاقِعُ<sup>(٢٤)</sup> : الضَّبُعُ ، وَالْغَرَابُ الْأَبْقَعُ ، وَالْكَلْبُ الْأَبْقَعُ .

الْبَانِعُ<sup>(٢٥)</sup> : وَلَدُ الظُّبْيِ إِذَا بَاعَ فِي مَشْيِهِ ، وَالْجَمْعُ : بُوعٌ .

الْبُلْغُلُغُ<sup>(٢٦)</sup> بِالضَّمِّ : طَائِرٌ مَائِيٌّ طَوِيلُ الْعُنُقِ .

الْبُغُ<sup>(٢٧)</sup> بِالضَّمِّ : الْجَمَلُ الصَّغِيرُ وَالْأُنْثَى : بُغَةٌ / ( ٤ ) .

الْبَزْقُ<sup>(٢٨)</sup> مَحْرَكٌ : الْحَمْلُ ، مَعْرَبٌ ، وَالْجَمْعُ : أَثْرَاقٌ وَبُرْقَانٌ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ .

الْبُقَاقُ<sup>(٢٩)</sup> : طَائِرٌ صَيَّاحٌ ، الْوَاحِدَةُ : بُقَاقَةٌ .

الْبَهْمَةُ<sup>(٣٠)</sup> : هَنِيئَةٌ طَوِيلَةُ الرِّجْلَيْنِ غَبْرَاءُ طَوِيلَةُ الرِّقْبَةِ وَالْمَنْقَارِ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : الْبُورْكَةُ كَقَسْوَرَةٍ<sup>(٣١)</sup> : الْقَنْفَذَةُ .

الْبِرْشَشُوكُ<sup>(٣٢)</sup> كَسَقَنْقُورٍ : سَمَكٌ .

الْبُنْبُكُ<sup>(٣٣)</sup> : كَقَنْفَذٍ وَجَنْدَلٍ : دَابَّةٌ كَالدُّلْفَيْنِ أَوْ سَمَكٌ يَقْطَعُ الرَّجْلَ<sup>(٣٤)</sup> نَصْفَيْنِ فَيَبْلَعُهُ<sup>(٣٥)</sup> .

الْبُزْغَلُ<sup>(٣٦)</sup> كَقَنْفَذٍ : وَلَدُ الضَّبُعِ أَوْ وَلَدُ الْوَبْرِ مِنْ ابْنِ آوَى .

الْبُلْبُلُ<sup>(٣٧)</sup> : سَمَكٌ قَدْرُ الْكَفِّ .

الْبَهْدَلَةُ : طَائِرٌ أَخْضَرُ بَعْضُ الْمَشْجَرَةِ ، وَالْجَمْعُ : بَهْدَلٌ ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ<sup>(٣٧)</sup> .

البُرَامُ<sup>(٣٨)</sup> كُفْرَاب : القَرَاد . والجمع : أُبْرِمَةٌ .  
البِلْمُ<sup>(٣٩)</sup> مُحَرَّكٌ : صِغَارُ السَّمَكِ .  
البُيْمُ<sup>(٤٠)</sup> : البُوحُ .  
البدن<sup>(٤١)</sup> : الوَعْلُ المُسِنَّ .  
البُنْيُ كُفْمِي<sup>(٤٢)</sup> : ضَرْبٌ مِنَ السَّمَكِ .  
البُوهُ<sup>(٤٣)</sup> والبُوهَةُ : الصُّقْرُ سَقَطَ<sup>(٤٤)</sup> ريشه .

### باب التاء

التُّجُجُ<sup>(٤٥)</sup> كَصُرْدٌ : فَرْخُ الْعَقَابِ .  
التُّنْجِي<sup>(٤٦)</sup> بالضم : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ .  
التُّلْدُ بالضم : فَرْخُ الْعَقَابِ ، قَالَهُ فِي الْقَامُوسِ . وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ<sup>(٤٧)</sup> : التُّلْدَةُ .  
التُّرُ : الشَّرِيعُ الرَّكُضُ مِنَ الْبِرَازِيزِ كَالْمُنْتَرِ .  
التَّمْرَةُ<sup>(٤٨)</sup> كَقَبْرَةٍ أَوْ ابْنِ تَمْرَةٍ : طَائِرٌ أَصْفَرُ مِنَ الْعَصْفُورِ . وَقَالَ<sup>(٤٩)</sup> أَبُو حَاتِمٍ : التَّمْمِيزُ ، وَهُوَ أَبُو تَمْرَةٍ ، وَأَظْنَهُ التَّمْرَةُ : أَصْغَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الطَّيْرِ يَجْرُسُ الرُّطْبُ<sup>(٥٠)</sup> ، وَالشَّجَرُ كَمَا يَخْرُسُ النَّحْلُ وَالذَّبِيرُ . وَقَالَ<sup>(٥١)</sup> الْأَصْمَعِيُّ : التَّمْرَةُ : هُوَ النَّسَكُ بِالْفَارَسِيَّةِ ، وَأَنْشَدَ :  
وَاحْتَمَلَ الْيَتَمُ فَرِيحَ التَّمَرِهِ  
التَّهْبِطُ بِكِسْرَاتٍ مُشَدَّدِ الْبَاءِ : طَائِرٌ أَغْبَرُ قَدْرَ فُرُوجِ الدَّجَاجَةِ يُعَلِّقُ رِجْلَيْهِ وَيَصُوبُ رَأْسَهُ ثُمَّ يُصَوِّتُ وَيَصُوتُ كَأَنَّهُ يَقُولُ : أَنَا أَمُوتُ أَنَا أَمُوتُ .  
التُّفْعَةُ<sup>(٥٢)</sup> كَهَمْزَةٍ : دَوْدَةُ صَغِيرَةٌ تَوَثِّرُ فِي الْجِلْدِ .  
التُّفْلُقُ كَزَيْجٍ : مِنْ طَائِرِ الْمَاءِ .  
التُّفْلُ<sup>(٥٣)</sup> : وَلَدُ الثَّعْلَبِ . قَالَهُ فِي كِفَايَةِ الْمُتَحَفِّظِ<sup>(٥٤)</sup> .  
التُّرْهُ<sup>(٥٥)</sup> : دَوِيَّةٌ فِي الرَّمْلِ ، وَالْجَمْعُ : تُرْهَاتُ .  
التُّرْخُمُ<sup>(٥٦)</sup> وَالْيَرْخُومُ بِالْمَثْنَةِ مِنْ فَوْقِ وَمِنْ تَحْتِ : الذَّكَرُ مِنَ الرَّخْمِ .  
التُّثَا<sup>(٥٧)</sup> : قَالَ فِي التَّبْيَانِ : هُوَ سَنُورُ الْبَرِّ قَرِيبٌ مِنَ الثَّعْلَبِ عَلَى شَكْلِ السَّنُورِ الْإِهْلِيِّ مُحَرَّمٌ أَكَلُهُ فِي الْأَصْحِ .  
التَّلْوُ<sup>(٥٨)</sup> بِالْكَسْرِ : وَلَدُ النَّاقَةِ ، يَفْطَمُ فَيَتْلُوها ، وَالْجَمْعُ : أَتْلَاءُ ، وَوَلَدُ الْحِمَارِ ، وَالْأُنْثَى : بَلْوَةٌ ، وَالْعِنَاقُ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ حَذِّ الْإِجْفَارِ .  
التَّلْوَةُ : الْبَعِيرُ .

### باب الثاء

الثُّطَا<sup>(٥٩)</sup> بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ : دَوِيَّةٌ .  
الثُّبُجُ مُحَرَّكٌ : طَائِرٌ قَالَهُ فِي الْقَامُوسِ<sup>(٦٠)</sup> ، وَقَالَ النُّضْرُ وَأَبُو حَاتِمٍ الثُّبُجُ مِنَ الْهَامِ يَصِيحُ اللَّيْلَ أَجْمَعُ صَوْتًا وَاحِدًا : مَاتَتْ خَبِلَ مَاتَتْ خَبِلَ ، وَهُوَ ثُبُجٌ أَيْضًا .  
الثُّاطَةُ<sup>(٦١)</sup> : دَوِيَّةٌ لِسَاعَةٍ ، وَالْجَمْعُ : ثَاطُ .  
الثُّطَاءُ<sup>(٦٢)</sup> : الْعَنْكَبُوتُ أَوْ دَوِيَّةٌ أُخْرَى تَلْسَعُ شَدِيدًا ، وَالْجَمْعُ : ثُطَيٌّ ( ٥ ) .  
الثُّزْمَلُ<sup>(٦٣)</sup> كَقَنْفَذٍ : دَابَّةٌ .  
الثُّزْغَلُ كَقَنْفَذٍ<sup>(٦٤)</sup> : أَنْثَى الثَّعَالِبِ .  
ثُعَال<sup>(٦٥)</sup> كُفْرَابٌ : أَنْثَى الثَّعَالِبِ .

### باب الجيم

الجَوَازِي<sup>(٦٦)</sup> : الْوَحْشُ .  
جَابَةُ الْمَدْرَى<sup>(٦٧)</sup> : الظُّبَيْةُ أَوَّلُ مَا طَلَعَ قَرْنُهَا .

- الْجَزْزَةُ<sup>(٣٢)</sup> محرقة مشددة : جماعة الحُمُر أو الغلاظ الشُّدَادُ منها .  
 الْجَفْبُ<sup>(٣٣)</sup> : الكَثِيْنَةُ من البقر .  
 الْجَفْبِيُّ : نملٌ أحمر ، والجمع : جَفْبِيَّاتٌ ، قاله في القاموس ، قال<sup>(٣٤)</sup> : ويخط بعضهم : الْجَفْبِيُّ كَالْأَرَبِيِّ ، والجمع : جَفْبِيَّاتٌ .  
 الْجَلْبَةُ<sup>(٣٥)</sup> بالضم : القطعة من الغنم .  
 الْجُحْجُحُ كَهَذِهِ<sup>(٣٦)</sup> : الكبش العظيم .  
 الْجَوَارِحُ<sup>(٣٧)</sup> : ذوات الصيد من السباع والطيور .  
 الجندخ<sup>(٣٨)</sup> كقنفذ : الجراد الضخم .  
 الْجَدُودُ<sup>(٣٩)</sup> : الاتان السَّمينَة ، والجمع : جِدَادٌ ككتابٍ ، والنَّفْجَةُ قَلٌّ لبنها .  
 الْجَلْمَدُ<sup>(٤٠)</sup> كجَفَرٍ : البقرة .  
 الْجَلْمِدُ<sup>(٤١)</sup> كزَبْرَجٍ : أتانٌ الضَّخْلُ .  
 الْجَيْزَرَةُ<sup>(٤٢)</sup> : سمكة .  
 الْجَزْزَةُ<sup>(٤٣)</sup> : الشاةُ السَّمينَة ، والجمع : جَزَزٌ .  
 الْجُفْرُو<sup>(٤٤)</sup> : دويَّةٌ .  
 الْجَنْبَارُ<sup>(٤٥)</sup> كسمسار والجَنْبَار كجَنْبَارٍ : فرخُ الخُبَارِ .  
 الْجَنْهَرُ<sup>(٤٦)</sup> والجَنْهَوْر : الذباب الذي يُفْسِدُ اللحم .  
 جَهِيْزَةٌ<sup>(٤٧)</sup> بالزاي : قنبلٌ : علمٌ للضُّبُع ، وقيل : للذُّبَّة وقيل : لجروها ، وقيل : للذئب ، وقيل : لغُرْسِه .  
 الْجَنْسُ<sup>(٤٨)</sup> والجَنْبِيْسُ : ولدُ الذئب .  
 الْجَعَانِيْسُ<sup>(٤٩)</sup> : الجفلائ مقلوب المجانبس .  
 الْجَنْئِيْسُ<sup>(٥٠)</sup> كسَكِيْتٍ : سمكةٌ بين البياض والصفرة .  
 الْجَحْمَرُشُ<sup>(٥١)</sup> : الأفعى الخشنة .  
 الجاهضة<sup>(٥٢)</sup> : الجَحْشَةُ الحوليَّةُ ، والجمعُ : جواهضُ .  
 الْجَلْفَلُغُ<sup>(٥٣)</sup> كسَفَرْجَلٍ ، وقد يضم أوله ، وقد تضم اللام أيضاً : الْقَنْفَذُ والضُّبُع والخُنْفُساءُ ، وقيل : خنفساء نصفها طينٌ ونصفها خيوانٌ .  
 الْجَلْفَلْفَةُ<sup>(٥٤)</sup> ، وتُضَمُّ : الخنفساء .  
 الْجَوَزُفُ<sup>(٥٥)</sup> : الحمامُ والظَّلِيمُ والبَزْدُونُ السريغ .  
 الْجَوَزُقُ<sup>(٥٦)</sup> كجَوَزِبٍ : الظَّلِيم .  
 الْجُبَالُ<sup>(٥٧)</sup> كغُرَابٍ : القَبْرُ .  
 جدلة<sup>(٥٨)</sup> : النَّمْلُ الصغار وذاتُ القوائم .  
 الْجَفْلُ<sup>(٥٩)</sup> بالفاء : نملٌ سود .  
 الجفول<sup>(٦٠)</sup> : ولد النِّعَام ، قاله ابن خالويه في<sup>(٦١)</sup> .  
 الْجَوْلُ<sup>(٦٢)</sup> بالضم : الوعلُ المُسَبَّنُ .  
 الْجَهْلِيلُ<sup>(٦٣)</sup> : المسنُّ أو العظيم من الوعول .  
 جَحَمٌ<sup>(٦٤)</sup> كَصَرَبٍ : طائرٌ .  
 الْجَنَمُ<sup>(٦٥)</sup> كجبلٍ : طائرٌ كالعصافير حُمْزُ المناكير .  
 الأجرام<sup>(٦٦)</sup> : لوانان من السمك .  
 الْجَلْمُ<sup>(٦٧)</sup> مُحَرَّكَةٌ : غنمٌ طوال الأرجل لا شعر على قوائمها ، تكون بالطائف ، وتيس الطباء والغنم ، والجمع : جلام ككتابٍ والقراد والجدي .



الجارف<sup>(٢٩)</sup> : ولد الحية .  
 الجُشنة<sup>(٣٠)</sup> بالضم : سمكة بها زبانيان .  
 الجُشنة بالضم والجُشنة كدُجئة : طائر ، قاله في القاموس ، وقال<sup>(٣١)</sup> أبو حاتم الجُشنة ، ويقال : الجُشنة ، والجمع : الجُشن :  
 طيور<sup>(٣٢)</sup> سود تصيب بذنبها تُعشش بالحصى .  
 الجُوني<sup>(٣٣)</sup> بالضم : ضرب من القطا .  
 الجابي<sup>(٣٤)</sup> : الجراد .  
 أبو جو<sup>(٣٥)</sup> .. كغراب : الجراد .  
 أم جعار<sup>(٣٦)</sup> وأم جعور : الضئع .  
 أم جفران<sup>(٣٧)</sup> : الرُخمة / ( ٦ ) .  
 سقط كبير لا يعرف مقداره .  
 تم<sup>(٣٨)</sup> الكتاب ، قال مؤلفه فسخ الله في أجله وأمتع بوجوده فرغت يوم<sup>(٣٩)</sup> السبت تاسع عشر ذي القعدة سنة احدى وتسعمائة  
 أحسن الله عاقبتة .

وقد فرغ منه كاتبه أقل عبيد الله وأحوجهم الى عفوه ومغفرته محمد بن علي بن سود<sup>(٤٠)</sup> بن الابراهيم الحنفي عامله الله بلطفه  
 الخفي وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين أمين في اليوم المبارك يوم الخميس حادي عشر ذي الحجة الحرام سنة اثنتين  
 وتسعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل<sup>(٤١)</sup> صلى الله على أشرف خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً<sup>(٤٢)</sup> .

## الهوامش

### باب الهمزة

- ( ١ ) في الاصل الإرتبان ، وانظر القاموس والتاج ( أرب ) .
- ( ٢ ) في اللسان ( خطب ) سمي بذلك لخطبة في جناحيه ، وهي الخضرة .
- ( ٣ ) في الاصل الرماد ، وانظر اللسان والقاموس ( ذب ) .
- ( ٤ ) في اللسان ( رنب ) اليرنب والمرنب .
- ( ٥ ) مطموسة في الاصل وهي عن القاموس ( رهب ) .
- ( ٦ ) كذا في الاصل ، ولم أقف عليها في المصادر التي رجعت اليها ، ولعله  
 الابلث وهو طائر بطيء الطيران عنبر وجمعه بفتان ، المخصص  
 ١٧٢ / ٨ ، التهذيب ٩٤ / ٨ والتاج ( بفت ) .
- ( ٧ ) العبارة في الاصل مرتبكة بسبب انتقال النظر وفيه ( النعجة زعم  
 بعضهم انه حيوان ، ونيس كذلك بل هو شيء يشبه الليف يتكون على  
 الحجارة اسفنج البحر في مفردات ابن البيطار .
- ( ٨ ) ينظر أيضاً اللسان والقاموس ( زج ) .
- ( ٩ ) في المخصص ١٧٢ / ٦ وفرس إضريح مشبه بانضراج العقاب ، وهو  
 انقضاؤها من الجو كاسرة .
- ( ١٠ ) ينظر أيضاً القاموس والتاج ( عرج ) .
- ( ١١ ) العين ٢٢٣ / ١ .
- ( ١٢ ) انظر أيضاً العين ٣٠١ / ٤ ، والثيتل : الوعل ، أو ذكر الاروى ، وجنس  
 من بقر الوحش ، ينظر القاموس ( ثيتل ) .
- ( ١٣ ) في كفاية المتحفظ ٦٦ الارخ : البقرة الفتية وجمعها إراخ بكسر  
 الالف . وجاء في اللسان ( أرخ ) الارخ : الفتى من بقر الوحش كالارخ  
 رواهما جميعاً أبو حنيفة وأما غيره من أهل اللغة فانما روايته الارخ  
 بالراء .
- ( ١٤ ) جاء في حياة الحيوان مادة النمر ٦٣٧ / ٢ وكنيته أبو الابر ، وأبو  
 الاسود .. الخ وهو أبو الابر في المرصع ٥٥ .
- ( ١٥ ) في اللسان ( سود ) والسودانة : طائر ياكل العنب والجراد وبعضهم  
 يسميها السوداية .
- ( ١٦ ) في اللسان ( عقد ) العقد : التواء في الذنب يكون فيه كالعقدة ،  
 والعقد : الكلب ، لانعقاد ذنبه جعلوه اسماً له .
- ( ١٧ ) انظر أيضاً المخصص ١٥٥ / ٨ .
- ( ١٨ ) بالبدال والذال في اللسان ( نقد ) ، والانتقدان السلحفاة الذكر عن  
 اللبث .
- ( ١٩ ) المخصص ٤٧ / ٨ .
- ( ٢٠ ) انظر أيضاً القاموس ( زفر ) وفي الاصل بفتح الفاء .
- ( ٢١ ) في اللسان ( ظفر ) الاظفار .
- ( ٢٢ ) في الاصل : الاصفر ، وصوابه في المخصص ٢٥ / ٨ ، والقاموس  
 ( عفر ) .
- ( ٢٣ ) في الاصل : وأقرانه ، والتصويب عن المخصص ٢٥ / ٨ ، والقاموس  
 ( عفر ) .
- ( ٢٤ ) كناية المتحفظ ٦٧ .
- ( ٢٥ ) الصحاح ( أمر ) وفيه أيضاً الإمّر : الصغير من ولد الضان والانثى  
 إمرة .
- ( ٢٦ ) اللسان والقاموس ( معز ) .
- ( ٢٧ ) مجمع الامثال ٢٤ / ١ .
- ( ٢٨ ) جنى الجنيتين ١٦ .
- ( ٢٩ ) في القاموس ( بوع ) والنعجة تسمى أبوا معرفة لتبوعها في المشي  
 وتدعى نلحلب بها .
- ( ٣٠ ) كذا أيضاً في اللسان والقاموس ( صقع ) .
- ( ٣١ ) ينظر المخصص ١١١ / ٨ والقاموس ( صلع ) وفي الاصل الاصلع .

- ( ١٨ ) كذا أيضاً في القاموس ( بلص ) ، وأبو بريص ذكر في حياة الحيوان الكبرى في ثلاث مواضع ، أبو بريص ١ / ٢٧٠ سام أبرص ٢ / ١٩ الوزغ ٢ / ٦٩٣ .
- ( ١٩ ) كذا أيضاً في القاموس ( بلص ) وبعض كلمة بلنص مطموس في الاصل .
- ( ٢٠ ) كذا أيضاً في القاموس ( بلص ) .
- ( ٢١ ) انظر القاموس ( بلص ) وجاء في الموضع ٨٩ أبو بلصاء : طائر صغير قصير الجناحين طويل الذنب .
- ( ٢٢ ) في القاموس ( بط ) المُنْبِطِطَةُ .
- ( ٢٣ ) كذا أيضاً في القاموس ( بلقط ) .
- ( ٢٤ ) كذا أيضاً في القاموس ( بقع ) .
- ( ٢٥ ) كذا أيضاً في القاموس ( باع ) .
- ( ٢٦ ) الباقي من الكلمة في الاصل البك ، وقد أفدناها من القاموس ( بلع ) .
- ( ٢٧ ) النص في الاصل محرف وفيه ( البغ بالضة المعجمة : الحمل الصغير والانش ) والكلمة التي تلي الانثى مطموسة ، وقد اخترت نص القاموس ( بغ ) .
- ( ٢٨ ) كذا أيضاً في القاموس ( برق ) وانظر أيضاً المعرب ٩٣ .
- ( ٢٩ ) كذا أيضاً في القاموس ( بق ) .
- ( ٣٠ ) كذا في الاصل ولم أعثر عليها فيما رجعت اليه من مصادر .
- ( ٣١ ) ينظر القاموس ( برك ) وعن الصفاني في التاج ( برك ) .
- ( ٣٢ ) في القاموس ( برشك ) سمك بحري .
- ( ٣٣ ) كذا في القاموس ( بنك ) .
- ( ٣٤ ) في الاصل : الرجلين وما أثبتته في القاموس .
- ( ٣٥ ) في الاصل فيبنتله وما ثبتته في القاموس .
- ( ٣٦ ) كذا في القاموس برعل وفي الاصل البُزْضِل .
- ( ٣٧ ) القاموس ( بلل ) .
- ( ٣٧ ) عنه في المخصص ٨ / ١٥٤ .
- ( ٣٨ ) كذا في القاموس ( برم ) .
- ( ٣٩ ) كذا في القاموس ( بلم ) .
- ( ٤٠ ) كذا في القاموس ( بم ) .
- ( ٤١ ) كذا في القاموس ( بدن ) .
- ( ٤٢ ) كذا في القاموس ( بنن ) .
- ( ٤٣ ) كذا في القاموس ( بوه ) ، وفي حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٦٩ ، البوه : طائر يشبه البوم ، والانثى بوهة .
- ( ٤٤ ) في القاموس يسقط .
- باب التاء
- ( ١ ) كذا في القاموس ( تلج ) .
- ( ٢ ) كذا في القاموس ( تنج ) .
- ( ٣ ) في القاموس ( تلد ) باسكان اللام وفي الاصل بفتحها .
- ( ٤ ) في المخصص ٨ / ١٤٧ عنه ، يقال له : التَّنْجُ والتَّنْذَةُ والتَّنْذُ .
- ( ٥ ) كذا في القاموس ( تر ) .
- ( ٦ ) كذا في القاموس ( تمر ) ، وجاء في الموضع ١٠٩ ابن تفرزة : طائر صغير جداً كاصفر العصفير ، ويقال له : أبو تمره ، وجمعه : بنات تمره ، ويقال له أيضاً : تَفْرَزة ، والجمع : التمامر .
- ( ٧ ) ما بين الرقمين في المخصص ٨ / ١٦٥ وكله منسوب لابي حاتم .
- ( ٨ ) في المخصص ٨ / ١٦٥ الزهر .
- ( ٩ ) قال الاصمعي ليس في المخصص .
- ( ١٠ ) كذا في القاموس ( هبط ) .
- ( ١١ ) كذا في القاموس ( تنف ) .

- ( ٣٢ ) ينظر أيضاً القاموس ( ودع ) .
- ( ٣٣ ) كذا أيضاً في القاموس والتاج ( يدع ) .
- ( ٣٤ ) انظر أيضاً المخصص ٦ / ١٥٥ .
- ( ٣٥ ) كذا أيضاً في التاج ( خضف ) .
- ( ٣٦ ) كذا أيضاً في القاموس ( خلف ) .
- ( ٣٧ ) الاسعف في المخصص ٦ / ١٥٥ الاشيب الناصية .
- ( ٣٨ ) كذا أيضاً في القاموس ( سقف ) .
- ( ٣٩ ) كذا أيضاً في القاموس ( شرف ) .
- ( ٤٠ ) انظر القاموس ( شرف ) وفي الاصل ( يتنفس ) .
- ( ٤١ ) كذا أيضاً في القاموس ( صنف ) .
- ( ٤٢ ) المخصص ٨ / ١٥٥ .
- ( ٤٣ ) عن ابن السكيت في المخصص ٨ / ٢٩ .
- ( ٤٤ ) بنصه في القاموس ( زمل ) .
- ( ٤٥ ) كذا أيضاً في القاموس ( اجم ) .
- ( ٤٦ ) كذا في المخصص ٨ / ١١١ ، والقاموس ( خزم ) .
- ( ٤٧ ) الاصمران : الذئب والغراب ، والليل والنهار ، والصرد والغراب جنى الجنتين ٢٠ .
- ( ٤٨ ) مجمع الامثال ١ / ١٤٧ .
- ( ٤٩ ) كذا أيضاً في القاموس ( صم ) .
- ( ٥٠ ) كذا أيضاً في القاموس ( عصم ) .
- ( ٥١ ) ينظر المخصص ٨ / ٧٢ والقاموس ( كشم ) .
- ( ٥٢ ) ينظر القاموس ( اذن ) ، وفي الاصل محرك .
- ( ٥٣ ) في الاصل قال ويعدها بياض بمقدار كلمة ، والقول عن كراع في اللسان ( أون ) .
- ( ٥٤ ) في القاموس ( ارب ) سمك ولم يصفه .
- ( ٥٥ ) ينظر القاموس ( عتو ) .
- باب الباء
- ( ١ ) كذا أيضاً في القاموس ( بلت ) .
- ( ٢ ) مطموسة في الاصل ، وانظر القاموس ( بحث ) .
- ( ٣ ) كذا أيضاً في القاموس ( بكت ) .
- ( ٤ ) كذا أيضاً في القاموس ( يدح ) .
- ( ٥ ) مطموسة في الاصل وهي في القاموس ( برح ) وانظر الموضع ٩٤ وورد الاسم في حياة الحيوان الكبرى ٢ / ٣٠٥ في مادة غراب ، وهي من كناه .
- ( ٦ ) كذا أيضاً في القاموس ( برد ) وورد الاسم في حياة الحيوان الكبرى في مادتي الببر ١ / ١٩٠ ، والفرانق ٢ / ٣٩٠ .
- ( ٧ ) كذا في القاموس ( برد ) وبعض كلمة برده مطموس في الاصل .
- ( ٨ ) في القاموس ( باد ) الاثان الوحشية أو التي تسكن البيداء .
- ( ٩ ) المثلث ١ / ٣٥٧ وورد المثل وتفسيره في حياة الحيوان الكبرى ٢ / ٦٧١ .
- ( ١٠ ) لم أقف عليها فيما رجعت اليه من مصادر .
- ( ١١ ) كلمة لم استطع تبينها .
- ( ١٢ ) عن أبي حاتم في المخصص ٨ / ١٤٢ وفيه من الطيور التي تسكن البر .
- ( ١٣ ) طمس بمقدار كلمة . لعلها الذئب .
- ( ١٤ ) كذا أيضاً في القاموس ( بقر ) .
- ( ١٥ ) الطحلة : لون بين الغيرة والبياض .
- ( ١٦ ) كذا أيضاً في القاموس ( برص ) .
- ( ١٧ ) كذا أيضاً في القاموس ( يمص ) .

- ( ١٨ ) كذا في القاموس ( جهز ) .  
 ( ١٩ ) كذا في القاموس ( جيس ) .  
 ( ٢٠ ) كذا في القاموس ( جمس ) .  
 ( ٢١ ) كذا في القاموس ( جنس ) وفي الاصل ( الجفيس ) .  
 ( ٢٢ ) كذا في القاموس ( جحمرش ) وفي حياة الحيوان ٣٠٨ / ١  
 الجحمرش : الارنب المرضع ، والمجوز الكبيرة والمرأة الثقيلة

#### السجدة .

- ( ٢٣ ) كذا في القاموس ( جهض ) .  
 ( ٢٤ ) كذا في القاموس ( جلع ) .  
 ( ٢٥ ) كذا في القاموس ( جلع ) .  
 ( ٢٦ ) كذا في القاموس ( جرف ) .  
 ( ٢٧ ) كذا في القاموس ( جرق ) .  
 ( ٢٨ ) كذا في القاموس ( جتل ) .  
 ( ٢٩ ) كذا في الاصل ، وفي القاموس ( جدل ) كسخابة .. والنمل الصغار  
 ذات القوائم .

- ( ٣٠ ) في القاموس ( جفل ) النمل لغة في الجتل ، ولم يذكر له لوناً ، وهو  
 كما وصفه في اللسان ( جفل ) .

- ( ٣١ ) ليس في مصادري .  
 ( ٣٢ ) طمس بمقدار كلمة لم أتبينها لعلها الزنبيل .  
 ( ٣٣ ) كذا في القاموس ( جول ) .  
 ( ٣٤ ) كذا في القاموس ( جهل ) .  
 ( ٣٥ ) كذا في القاموس ( جحم ) .  
 ( ٣٦ ) كذا في القاموس ( جدم ) .  
 ( ٣٧ ) كذا في القاموس ( جرم ) وفي نسخة منه الاجرام .. كرمان ، وهو  
 الاصب .

- ( ٣٨ ) كذا في القاموس ( جلم ) .  
 ( ٣٩ ) كذا في القاموس جرن وجاء في حياة الحيوان ٣٠٦ / ١ الجارف :  
 ولد الحية .

- ( ٤٠ ) كذا في القاموس ( جسن ) .  
 ( ٤١ ) القول عن صاحب العين في المخصص ١٥٤ / ٨ وليس في مطبوع  
 العين .

- ( ٤٢ ) في الاصل طائر .  
 ( ٤٣ ) كذا في القاموس ( جون ) .  
 ( ٤٤ ) كذا في المخصص .  
 ( ٤٥ ) لم استطع تبينها .

- ( ٤٦ ) كذا في القاموس ( جمر ) وانظر أيضاً المرصع ١٢٣ وفي حياة  
 الحيوان جمار : الضبع .

- ( ٤٧ ) كذا في القاموس ( جمر ) وانظر أيضاً المرصع ١٢٣ .

#### خاتمة الكتاب

- ( ١ ) مطموسة بسبب التصوير .  
 ( ٢ ) مطموسة بسبب التصوير .  
 ( ٣ ) كذا في الاصل .  
 ( ٤ ) ما بين الرقمين بخط مغاير .

- ( ١٢ ) كذا في القاموس ( تفق ) ، وكزيرج أغلبها مطموس في الاصل .  
 ( ١٣ ) كفاية المتحفظ ٦٣ .  
 ( ١٤ ) كذا في القاموس ( تره ) .  
 ( ١٥ ) في القاموس ( رخم ) النرخم واليزخوم والتزخوم .  
 ( ١٦ ) ليس في مصادري .  
 ( ١٧ ) كذا في القاموس ( تلو ) .

#### باب الثاء

- ( ١ ) كذا في الاصل ولعله تحريف ، وفي القاموس والتاج ( ثط ) الثطاء .  
 ( ٢ ) القاموس ( خيج ) وجاء في المخصص ١٦٢ / ٨ واللسان والتاج ثيج ،  
 من الهام يصحح الليل لجمع كانه يثن ، والجمع : الثيجان .  
 ( ٣ ) كذا في القاموس ( ثاط ) .  
 ( ٤ ) كذا في القاموس والتاج ( ثط ) ولم يذكر لها جمع فيها .  
 ( ٥ ) كذا في القاموس ( ثرمل ) ، وفي حياة الحيوان الكبرى ٢٨٦ / ١  
 الثرملة انثى الثعلب ، وقد ذكرها صاحب القاموس أيضاً .

- ( ٦ ) كذا في القاموس ( ثرغل ) .

- ( ٧ ) كذا في القاموس ( ثمل ) .

#### باب الجيم

- ( ١ ) لم ألق عليها في مصادري .  
 ( ٢ ) في الاصل جابر المدري وهو تحريف ينظر المخصص ٢٦ / ٨ وفيه  
 غير مهموز وجاء في القاموس ( جوب ) ( جابة المدري لغة في جابته  
 بالهمز ) .

- ( ٣ ) كذا في القاموس ( جرب ) .  
 ( ٤ ) في القاموس والتاج ( جمب ) ( الجمب : الكثيفة من النفر ) ويبدو ان  
 الامر قد اختلط عند السيوطي فقرأ البعر بالعين البقر بالقاف .

- ( ٥ ) كذا في القاموس ( جبب ) .  
 ( ٦ ) كذا في القاموس ( جلب ) .  
 ( ٧ ) كذا في القاموس ( جج ) .  
 ( ٨ ) كذا في القاموس ( جرح ) .

- ( ٩ ) كذا في القاموس ( جندخ ) وفي الاصل الجنبخ وهو خطأ سببه ان  
 مادة ( جنبخ ) تقدمت مادة ( جندخ ) في القاموس ومن معاني مادة  
 ( جنبخ ) الضخم .

- ( ١٠ ) كذا في القاموس ( جدد ) .  
 ( ١١ ) كذا في القاموس ( جلد ) وفيه أيضاً والقطيع الضخم من الإبل أو  
 المسان منها .

- ( ١٢ ) كذا في القاموس ( جلمد ) .  
 ( ١٣ ) كذا في القاموس ( جذر ) .

- ( ١٤ ) كذا في القاموس ( جزز ) وجاء في حياة الحيوان ٣٢٧ / ١ الجزور  
 من الضان والمعز خاصة مأخوذة من الجزر ، أي : القطع .

- ( ١٥ ) كذا في القاموس ( جمر ) .  
 ( ١٦ ) النص في القاموس ( جنبر ) ( الجنبر كمقعد : الجمل الضخم  
 والقصير وفرخ الحبارى كالجنبار مثال جنحبار وسمسار ) ، وفي حياة  
 الحيوان ٣٤٣ / ١ الجنبر كمقعد : فرخ .

- ( ١٧ ) كذا في القاموس ( جهر ) .

## شعر أبي جعفر بن سعيد الأندلسي

( ٥٥٩ هـ )

### صنعة

د. احمد حاجم الربيعي

كلية التربية - جامعة البصرة

حافظاً للشعر، وذاكراً لنظم الشريف الرضي، ومهيار، وابن خفاجة، وابن الرقاق فرقت طبايعه، وكثر اختراعه وابداعه<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني ان ثقافته الادبية كانت متنوعة بين ابناء المشرق والانلس، فاطلع على نواوينهم جميعاً، وحفظ الشيء الكثير عنها. وكانت له اول الامر محاولات شعرية، يخفق فيها مرة وينجح اخرى، وكان يلقي من والده عبدالمك الاعجاب والتقدير. وكانت المجالس الادبية التي يحضرها كبار الادباء وبعض الفتية المتأبيين مدرسة مفتوحة لصقل المواهب الشعرية، ومن ابرزها مجلس عمه ابي بكر في غرناطة، وكان هذا المجلس منتدً يتربد عليه الشعراء من امثال ابي بكر المخزومي، وابن قزمان، والكتندي، والشاعرات من امثال نزهون القلاعية، ينشد فيه الشعر، وتتفنن به التيان على نعمات العود، وتنتشر فيه روائح الند والطيب. وقد دعا ذلك ابا بكر المخزومي الى ان يقول:

دار السعيدني ذي ام دار رضوان

ما تشتهي النفس فيها حاضر داي<sup>(٢)</sup>

وكانت وفاة ابي محمد عبدالله بن ابراهيم الحجاري ( من وادي الحجارة ) في مدة المرابطين على عبدالمك بن سعيد حدثاً كبيراً في تاريخ الاسرة، فلم يفكر احد من بني سعيد في ان يضع كتاباً يذكر فيه علوم الانلسيين او انبهم على الرغم من انهم كانوا اهل ادب وعناية بالعلم، إلا ان مجيء هذا الاديب قد اتاح لهم الفرصة لكي يقرحوا عليه ان ينون شيئاً من علمه ومحفوفاته في كتاب يختلف ترتبيته عما ألفوه في ترتيب الكتب التي سبقته كالنخيرة والقلاند، فوضعه على هيئة جدول جغرافي ادبي تاريخي، قسم فيه الانلس الى كور وبلدان، يتناول في كل كورة او بلدة تقسيمها الجغرافي وتاريخها مع ذكر ابيائها، وشيئاً عن حياتهم ونماذج من شعرهم. فكان كتابه ( المسهب في فضائل المغرب )<sup>(٣)</sup> وقيل ( المسهب في غرائب المغرب )<sup>(٤)</sup>.

ومهما يكن من ذلك، فان هذا الكتاب قد استوعبه الحجاري صاحبه عبدالمك بن سعيد ومضى الى سبيل حاله، فاخذ عبدالمك

اسمه ونسبه :

ابو جعفر احمد بن عبدالمك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبدالله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبدالله بن سعيد بن عمار بن ياسر صاحب رسول الله ( ﷺ )<sup>(٥)</sup>. وقد اورد ابن حزم هذا النسب نفسه مع اختلاف يسير، وهو ابدال كل اسم سعيد بـ ( سعد ) في سلسلة النسب هذه، ثم أكملها بقوله : وينسب ياسر الى مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الونيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الاكبر بن يام بن عنس - ولقب ابو جعفر بالعنسي نسبة الى هذا الجد - وعنس هذا ابن مالك بن اند بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبا في اليمن<sup>(٦)</sup>.

ولادته ونشأته :

لم تذكر لنا المصادر شيئاً عن ولادته، او عن طفولته المبكرة على الرغم من ان بعض هذه المصادر قد اشارت الى تاريخ ولادة اخيه محمد الذي يكبره قليلاً وهو عام ٥١٤ هـ<sup>(٧)</sup> لذا فاننا لا نستطيع ان نذهب بتاريخ ولادته الى ابعد من عام ٥٢٠ هـ وفي قلعة بني سعيد - قلعة آباله واجدانه، وهي لا تبعد كثيراً عن غرناطة - ولد ابو جعفر، وفيها قضى طفولته وصباه.

ثقافته :

نشأ ابو جعفر احمد بن سعيد في بيئة تعتمد على الثقافة الادبية في تكوينها الاجتماعي، وبين اسرة عريقة في قول المنظوم والمنثور. وقال فيه الملاحى : « وكان من جلة الطلبة ونبهاهم، وله حظ بارع من الادب، وكتابة مفيدة، وشعره مدون ». وقال فيه ابو الحسن بن سعيد في كتابه المسمى ( الطالع السعيد في بني سعيد ) نشأ محباً للادب،

تكلّم فقد اصفى الى قولك الدهر

وما لسواك اليوم نهى ولا أمر

قال فلما اتمها اثنى عليه الخليفة ، وقال لمبدا الملك ابيه : ايها خير في بنيك ؟ فقال يا سيدنا : محمد دخل اليكم مع ابطال الاندلس وقوادها ، وهذا مع الشعر ، فانظروا ما يجب ان يكون خيراً عندي . فقال له الخليفة : كل ميسر لما خلق له ، وان كان الانسان متقدماً في صناعة . فلا يؤسف عليه ، انما يؤسف على متأخر القدر محروم الحظ<sup>(١٧)</sup> . وورث القصيدة ايضاً في المغرب لابن سعيد<sup>(١٨)</sup> ولكن رواية ابن الخطيب قد انفردت بالاشارة الى وفاة ابي جعفر على عبدالمؤمن وهو ( حدث السن ) ، ومن المعروف ان جواز عبدالمؤمن الى جبل الفتاح كان عام ٥٥٦ هـ كما ورد في بعض المصادر<sup>(١٩)</sup> . وكانت وفاة ابي جعفر عام ٥٥٩ هـ<sup>(٢٠)</sup> فهل هذا يعني ان حياة ابي جعفر الحافلة بالاحداث بين وفاته ووفاته لا تزيد على ثلاث سنوات ؟ ام ان عبارة ( حدث السن ) قد وقعت سهواً في رواية ابن الخطيب ولم نجدتها في رواية ابن سعيد الذي كان شاعراً عم والده . اما اذا اخذنا برواية المراكشي الذي يقرر فيها ان عبور عبدالمؤمن الى الاندلس ونزوله بجبل الفتاح كان في سنة ٥٢٨ هـ<sup>(٢١)</sup> فان عبارة حدث السن تصق عليه لانه على هذه الرواية ابن التامنة عشر .

ومهما يكن في ذلك فان ابا جعفر كان شاعراً منذ صباه ، وقد شهد له بذلك ابن سعيد على شاعريته بقوله : « لا اعلم في بني سعيد اشعر منه ، بل لا اعلم في بلده »<sup>(٢٢)</sup> وكذلك قدرته على استنباط بعض الاحكام النقدية في الشعر ، فانتقد بعض القصائد التي انشئت امام الخليفة عبدالمؤمن في جبل الفتاح . من تلك قصيدة ابي القاسم اخيل بن ابريس الرندي ، ومطلعها :

ما الفخر إلا فخر عبدالمؤمن

أثنى عليه كل عبء مؤمن

قال ابو جعفر : دعاه التجنيس الى الضعف والخروج عن المقصود ، والاولى ان لو قال : ( شاد الخلافة وهو أول مبتني )<sup>(٢٣)</sup> .

واجتمع ابو جعفر بالشاعر ابي العباس احمد بن سيد الاشبيلي المشهور باللص في وفد اشبيلية ، واستنشد ، فجعل ينشده ما استجفاه لخروجه عن حلاوة منزع ابي جعفر الى ان وصل في انشاده :  
« ما أفنى السؤال لكم نوالاً

ولكن جوبكم أفنى السؤال

قال له ابو جعفر : لا جعلك الله في حل من نفسك ، يكون في شمرك مثل هذا ، والله لو لم يكن لك غير هذا البيت ، لكنت به أشعر اهل الاندلس<sup>(٢٤)</sup> .

ومن بعده ابنائه احمد - وهو شاعرنا - ومحمد ، ثم موسى بن محمد وابنه علي بن موسى ينظرون في ذلك الكتاب ، فراقهم نظامه ، وهو في الحقيقة نظام مبتكر وطريف ، ولكنهم وجدوا ان الحجاري قد نسي الكثير ، واهمل بعض الشعراء ، فمضوا يكملون ما فات ، ويمثلون ما فيه ، ويضيفون عليه ، ويحذرون مادته كيفما اتفق لهم ، حتى اصبح ( المسهب ) على ايديهم كتاباً آخر يعرف باسم ( المغرب في حلى المغرب ) ، ولكنهم - على اي حال - احتفظوا بهيكله العام ، وانصبت اضافاتهم وتعديلاتهم ضمن اطار هذا الهيكل .

وعلى هذا فان ابن سعيد يعده مفخرة للاندلس بعامة ، ولبنى سعيد بخاصة بقوله : « يكفي الاندلس في هذا الشأن تصنيف هذا الكتاب بين ستة اشخاص في ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥ هـ ، وقد احتوى على جميع ما يذاكر به ، ويحاضر بحلاه من فنون الادب المختارة »<sup>(٢٥)</sup> . وعنها الدكتور علي حمودة « منقبة جليلة لعلها لم تكن لاية اسرة من الاسر الاسلامية بالرغم من ان تاريخ الاسلام قد شاهد مئات من مثل هذه الاسرة التي جعل افرادها العظام الانقطاع لخدمة العلم ديناً لهم »<sup>(٢٦)</sup> . وانتشرت دعوة الموحدين في المغرب الاقصى ، فدخلوا مراكش اواخر سنة ٥٤١ هـ ، وبخلت في ملكهم اجزاء كثيرة من الاندلس ، فما لبث ان قدم وفد الاندلس على الخليفة عبدالمؤمن وهو بمراكش للبيعة عام ٥٤٢ هـ ، فارسل اليها جيشاً بقصد تمهيدها ، ومدافعة العدو الذي اغتتم فرصة انقلاب الموحدين ، ثم جمع عبدالمؤمن جموعاً عظيمة ، وخرج بهم قاصداً الاندلس ، وعبر البحر حتى نزل الجبل المعروف بجبل طارق ، فسماه ( جبل الفتاح ) ، واقام به شهراً ، وابتنى فيه مدينة ، وصفها الحميري بقوله : « فلحين ما جاءت مدينة تفوق المدن حسناً وحصانة ، لا يدخل اليها إلا من موضع واحد ، قد حصن بسور منيع من البنيان الرفيع ، وسميت بمدينة الفتاح ، وقالت الشعراء فيها . ثم جاز اليها في سنة ٥٥٦ هـ ، وورد الوفود عليه هناك فلتقاهم بالكرمة »<sup>(٢٧)</sup> .

وهنا يحسن ان نورد ما ذكره المراكشي في وصف احتفاله ببيعة اهل الاندلس له ، وهو بجبل الفتاح قائلاً : « ووفد عليه في هذا الموضع وجوه الاندلس للبيعة ، كاهل مالقة ، وغرناطة ، ورندة ، وقرطبة ، واشبيلية وما الى هذه البلاد ، وكان له بهذا الجبل يوم عظيم .. واستدعى الشعراء في هذا اليوم ابتداء ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك ، انما كانوا يستأننون فيؤنن لهم »<sup>(٢٨)</sup> .

ومما يرويه ابن الخطيب عن وفد غرناطة - وفيهم ابو جعفر - على الخليفة عبدالمؤمن قائلاً : « ولما وفدت الاندلس على صاحب امر الموحدين في تلك الاوان وهو محتل بجبل الفتاح ، واحتفل شعراؤها في القصائد ، وخطباؤها في الخطب بين يديه ، كان في وفد غرناطة ابو جعفر وهو ( حدث السن ) في جملة ابيه واخوته وقومه ، فدخل معهم على الخليفة ، وانشده قصيدة منها قوله :



كان الفرق ظاهراً بين أمير قادم من الصحراء ، حاد الطبع بدوي  
الشمائل ، وبين شاعر رقيق الحواشي ، لطيف المعشر ، ظريف النكتة ،  
يهوى الفتنة ، ويمشق الجمال . فبدأ يظهر في شعره ما كان مكتوماً في  
صدره ، فقد « شرب يوماً مع خواصه ، وخرج ثاني يوم الى الصيد ، وكان  
اليوم ذا غيم ويرد . ولما اشتد البرد مالوا الى خيمة ناطور ، وجعلوا  
يصطلون ويشربون على ما اصطادوا ، فحملت ابا جعفر بقية السكر على  
ان قال وهو يصف يومه ، ويروج بما في نفسه :

ان قال وهو يصف يومه ، ويبيح بما في نفسه :

**فقل لحريص ان يراني مقيداً**

بخدمته لا يجعل الباز في القفص

وما كنت طوع نفسي فهل اری

مطيعاً لمن عن شاو فخری قد نقص

فكان في اصحابه من حفظ هذين البيتين ، ووشي بهما للسيد  
فمزله أسوأ عزل «(٢٣) .

وهو بهذا لم يأسف على ما بدر منه ، او ما قد يترتب عليه بعد العزل عن منصبه ، وهو الذي كان يتقنى بحريته ويحرص عليها ، وهو الذي يرى الهدف الاول والاخير من الحياة انما هو التمتع باطاليبيها ، وليكن بعد ذلك ما يكون .

**ابو جعفر وحفصة الركونية :**

أوقف المقرئ في كتابه ( نفع الطيب ) فصلاً كاملاً على شاعرات الاندلس ، إلا أن ما ذكره عنهن كان مقتضباً ، وما استشهد من شعرهن كان قليلاً ، وكان من جملة ما ذكره شاعرات من غرناطة كن يحتلن المقام الأول بين شاعرات الاندلس ، منهن : حمدة بنت زياد المؤدب ، ونزهة القلاعية ، والشاعرة حفصة الركونية محبوبية شاعرنا أبي جعفر بن سعيد .

وحفصة بنت الحاج الركونية شاعرة انبية جمعت بين الجمال والحسب والمال ، ورقة النظم والنثر ، وعلى الرغم من انها لم تحظ في دراساتها الحاضرة من عناية وشهرة مثلما حظيت بها ولادة محبوبية ابن زيون ، إلا انها لم تكن اقل منها شأناً ، فقد طبقت شهرتها الافاق بما تنشد من شعر ، وتجر بمكنون الحب ، وتتردد على مجالس الادب . ولا نستطيع ان نذهب الى ما نهب اليه الدكتور الطاهر احمد مكي حين اعطى للشاعرة نوراً سياسياً هاماً تجاوز نظم النثر الى المشاركة في تبوير ثورة اوشكت ان تعصف بسلطان الموحدين في الاندلس<sup>(٢٤)</sup> وذلك لامرين : الاول منها : ان سلطان الموحدين كان كبيراً بحيث ان لولتهم كانت تمتد من طرابلس الغرب الى السوس الاقصى واكثر بلاد الاندلس ، والاندلس بحد ذاتها ولاية قسمتها الخليفة عبدالمؤمن الى ولايات صغيرة جعل عليها اولاده وابناء عمومته ، فجعل على ولاية غرناطة مثلاً ابنه السيد ابا سعيد عثمان ، ولان هذه الدولة - وهي مثل كل

ولما انشد ابو عبدالله محمد بن غالب الرصافي شاعر الاندلس في  
اوانه ، قصيدته على الخليفة عبدالمؤمن في جبل الفتوح ومظلمها :  
لو اقتبست الهدى من جانب الطور

اعطيت ما شئت من هدي ومن نور  
قال عنه ابو جعفر: انه ابن رومي الانلس، كما رآه من حسن  
اختراعه وتوليده (٢٠).

ومر عليه شعر حمدة بنت زياد المؤنّب ، ولها من الشعر قولها :  
ولما أبى الواشون إلّا فراقنا

وما لهم عندي وعندك من ثارٍ  
قال عنها : هي خنساء المقرب<sup>(٢١)</sup> .

ولا نعلم ان كان هو اول من اطلق هذه الالفاظ ( ابن رومي الانتلس، ختساء المغرب ) على الشعراء المجيبين ؟ ام ان هذه الالفاظ كانت متداولة وشائعة بين الناس ، ومن المرجح انه اول من اطلقها عليهم ، وذلك لانها لو كانت متداولة لما ذكرها هنا ، او اضاف الى عبارته كلمة ( حقاً ) لنتبين منها انها كانت شائعة ومعروفة .

**وزارتہ :**

لم يكن أبو جعفر مهيباً لتحمل المسؤولية ، او التفكير في القدرة على تصريف امورها ، وهو الى جانب كونه شاعراً رقيقاً ، واديباً ناثراً صاحب لهو في الحياة ، وفلسفة تتم عن ذلك . وحينما استقل ابوه عبدالملك بقلعته بين سقوط المرابطين وظهور الموحدين اتخذه وزيراً ، واستنابه في اموره فلم يصبر على ذلك ، وطلب اعفاءه فلم يعفه ، فعاتبه ابوه قائلاً : افي مثل هذا الوقت الشديد تترك الى الراحة ؟ فكتب اليه ابو جعفر :

**مـــــــــــــولاي في اي وقت**

## انسال في العيش راحه

فلما قرأ أبوه الآيات ، قال : لا ينفع الله بما لا يكون مركباً في  
الطبع ، ماثلة له النفس . ثم وقع على ظهر ورقته ( قد تركنا سراج  
أنسك ، وألحقنا يومك بأمسك )<sup>(١٢٢)</sup> .

كان ابو جعفر شاعراً موهوباً لم يخلق للوظيفة او الادارة او الحكم ، يسمى وراء ملذاته سون قيد ، ولكن قد تجني على المرء مواهبه ، فلن يكد يستقر الامر للموحدين ، حتى ولى الخليفة عبدالمؤمن ابنه السيد ابا سعيد عثمان على غرناطة واعمالها ، فطلب كاتباً من اهلها - وكانت الكتابة في تلك العصر تعني الوزارة - فوصف له فضل ابي جعفر ، وحسبه وابيه وظرفه ، فولاه الوزارة ، فطلب ابو جعفر منه ان يعفيه ، فلم يقبل منه ذلك . ولم يستطع ان يكيف نفسه مع هذا المنصب ، او ان يغير من طريقته المابتة ، فضاق بالمنصب ، وكره ان يكون كاتباً لمن يراه بونه علماً وادباً .

أزورك أم تـزور فـان قلبي  
الى ما ملتم ابدأ يميل<sup>(٢١)</sup>

وتصل الأبيات الى ابي جعفر وينظر ما فيها من رغبة وتلف، ولكن طبيعته الهائلة تدفعه لان يرد عليها رداً لطيفاً رقيقاً ومنطقياً :

ما الـروض زواراً ولكنـما

يـزوره هب النسيم العليل<sup>(٢٢)</sup>

ولم تقنع حفصة نفسها بهذا الجواب الهادي الرزين، وانما تقر الذهاب بنفسها اليه مقتحمة خلوته مع ابن عمه حاتم وغيره من اقاربه وهم في لهو وطرب، فتطرق الباب بجرأة وتدفع لجاريته بطاقة كتبت فيها :

زائر قد أتى بجيد غزال

طامع من محبه بالوصال

أتراكم بلـنكم مسعفيه

أم لكم شاغل من الاشغال<sup>(٢٣)</sup>

فلما قرأ ابو جعفر الرقعة قرأها بقلبه قبل عينيه، وتاملها بماطفته قبل عقله، فعلم انها من حفصة فتفهمه الغبطة. وفي رواية الحموي وابن الخطيب: باهر الى الباب فلم يجدها<sup>(٢٤)</sup>، وفي رواية ابن سعيد: باهر الى الباب فقابلها بما يقابل من يشفع له حسنه وأدابه والفرام به، وتفضل بالزيارة دون طلب او اذن مسبق<sup>(٢٥)</sup>. ولكن عندما نريد ان نميز الرواية الاولى من الرواية الثانية نجد الاولى اقرب الى الحقيقة، وأكثر انسجاماً مع الواقع، وذلك لاسباب نذكرها :

١ - لم تعلم حفصة ان حبيبها ابا جعفر كان مع اصحابه في لهو وطرب. وكانت تأمل ان تجده لوحده، واذا ما تقضت بزيارته - فسوف يكون موقفها حرجاً، لذلك دفعت رقعة لجاريته، وتراجع ولم تنتظر جواب تلك الرقعة.

٢ - احست حفصة انها قد اطلقت لماطفتها العنان، وسمحت لنفسها بزيارته دون دعوة مسبقة، وانما هي دعت نفسها بنفسها، فان ذلك يقلل من كبريائها. ولا بد لها من ان تعزز موقفها ولو في اللحظة الاخيرة، فأثرت ذلك التراجع والانسحاب.

٣ - وصما يؤيد تراجعها وعدم مقابلة ابي جعفر لها، فقد كتب اليها رقعة بعد قراءته رقعتها يطلب اليها الوصال. فلو كان قد التقى بها لانتفى ذلك الطلب، وهذه الرقعة هي :

أي شغل عن المحب يعوق

يا صباحاً قد آن منه الشروق<sup>(٢٦)</sup>

والتقى الماشقان، وخرجا الى مروج غرناطة ويساتينها، وبخلا الى احد منازلها الجميلة، وهو ( حور مؤمل ) وباتا فيه « على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة، ونضارة النعيم »<sup>(٢٧)</sup> وهو تعبير ظريف يبين العلاقة الحميمة بين الروض ( حفصة ) وبين النسيم ( ابي جعفر ). ولما حان وقت الانفصال قال :

دولة تكون في اول امرها قوية ومتماسكة - لا تستطيع اية قوة سياسية ان تعصف بسلطانها مرة واحدة، فهل من المعقول ان حفصة ومن معها من افراد قلائل تستطيع ان تزعزع اركان تلك الدولة، وتعصف بسلطانها في الاندلس.

والامر الثاني : ان هذا الرأي ليس جديداً علينا، فقد اطلق على ابن زينون من قبل حين جملوه محرضاً محبوبته ولادة بنت المستكفي بالله ( ٤١٤ - ٤١٦ هـ ) الخليفة الاموي المخلوع للقيام بتدبير ثورة تقوض نظام بني جهر في قرطبة<sup>(٢٨)</sup> وهو امر ايضاً لا اساس له من الصحة.

ولم يستطع مؤرخو الادب ان يتجاوزوها، او ان يمزوا بها مروراً عابراً مثل بقية الشعارات، وانما كانوا يتحدثون عنها حديثاً يتراوح بين الايجاز الى الاطناب قليلاً، فكتب عنها ابن الخطيب قائلاً : « ادبية زمانها وشاعرة اوانها ... فريدة الزمان في الحسن والظرف والادب واللونعية »<sup>(٢٩)</sup> وقال عنها ابن دحية : « رخيمة الشعر، رقيقة النظم والنثر »<sup>(٣٠)</sup>، ووصفها كل من الحموي والمقري بكونها : « الشاعرة الادبية المشهورة بالحسب والادب والجمال والمال »<sup>(٣١)</sup>.

ولا نعلم متى ولدت على وجه الدقة، ولكنها على اقرب تقدير لا تبعد كثيراً عن عام ٤٣٠ هـ / ١١٣٥ م وانها ولدت في البشرات وعاشت في غرناطة، وامضت فيها طفولتها وصباها، وكانت غرناطة في ذلك الوقت تحت حكم المرابطين .. وهي مثل غيرها ذهبت الى المؤنابات في بعض البيوت، او جاءت تلك المؤنابات الى البيت، فقد كان من عناية الابهاء ببنايتهم ان يعينوا لهن مؤنابات يعلمنهن اطرافاً من الثقافة الادبية وعلوم الدين.

عاشت حفصة حياتها في غرناطة، وعاصرت فيها كل الشدائد والمحن التي تعاورتها ما بين سقوط دولة المرابطين الى قيام دولة الموحيدين عام ٥٤٩ هـ، وما رافقها عادة خلال تلك الاحداث من فقدان الامن والاستقرار، ولا شك ان تلك الاحداث قد تركت في نفسها - وهي الادبية الاربية - رقة في المشاعر، وعمقاً في الاحساس، وجرأة على المواقف. وفي هذه الفترة وعمرها يقارب العشرين تلتقي بشاعرنا ابي جعفر احمد بن سعيد، ولكننا لا نعلم كيف كان لقاءهما ولا اين ؟ اذا ما علمنا انه من السهل ان يلتقي شاعر وشاعرة في مجتمع يحب الشعر ويحل الشعراء.

وتصل العلاقة بين حفصة وحبيبها الى درجة كبيرة من الهيام والشوق واللهفة والحسرة، وفي حبه تفقد حفصة تبلل المرأة وتمنمها، فالمرأة عموماً مهما بلغت بها لرجات الشوق وشقت عليها نوازع الحنين فانه ينبغي لها ان تخفي وجدها، وان تتظاهر بكونها معشوقة لا عاشقة، ولكن حفصة لا تأبه بذلك، وتسترسل بشعرها، وتضع حبيبها بين اختياريين لا ثالث لهما من غير تلميح او اشارة تدعو لزيارتها، فان لم يستطع زارته قائلة :

ظل ممدود ، وبلغ حفصة ما بين حبيبها وبين تلك الجارية ، فكتبت اليه :  
يا اظرف الناس قبل حال  
واقمه وسطه القدر  
عشقت سوداء مثل ليل  
بدائع الحسن قد ستر  
بالله قل لي وانت ادري  
بكل من هام في الصور  
من الذي حب قبل روضاً  
لا نور فيه ولا زهر<sup>(٢٦)</sup>  
فكتب اليها معتذراً :

عدمت صبحي فاسود عشقي  
وانعكس الفكر والنظر<sup>(٢٧)</sup>  
ويبدو من هذا ان للجواري السود نصيباً مهماً من غاية العشاق ،  
وكن هدفاً لما يرمون اليه ، ولعل ميل العشاق الى تلك الجواري السود  
يدخل من باب اغاظة المحبوب ، فهو يكيدها بميله الى ما هو اقل منها  
جمالاً . وقد شاركه في هذا الميل شاعر يسبقه بزمن بعيد هو ابن زيدون .  
وقد مال الى جارية سوداء من جواري محبوبته ولادة ، فكتبت اليه :

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا  
لم تهسو جاريتي ولم تتخير  
وتركت غصناً مثمراً بجماله  
وجنحت للفصن الذي لم يثمر  
ولقد علمت بانني بدر السما  
لكن ولعت لشقوتي بالمشتري<sup>(٢٨)</sup>

وعند المقارنة بين عتب حفصة على أبي جعفر ، وبين عتب ولادة  
على ابن زيدون يتبين لنا ان الفرق كبير بينهما ، فعتب حفصة كله رقة  
ودلال وذلك لان حفصة تحب ابا جعفر حقاً ، وتصويرها للجارية السوداء  
فيه ظرف ورقة ، فهي ظاهراً لا تسيء اليها ، وانما تساله وهو يفهم في  
تناسق الصور من احب روضاً حالياً من النور والزهر ، وعتب ولادة فيه  
تمالي وخشونة ، وذلك لان ولادة تحب نفسها أولاً ، وهي فيما يبدو  
متكبرة ، وتتصرف كأميرة حين تعاتب حبيبها ابن زيدون ، فقد ترك غصناً  
مثمراً بالجمال ومال الى الفصن الذابل الذي لم يثمر .

ولما طال الافتراق على أبي جعفر ، وتمكنت منه الوحشة والسامة ،  
استبد به الشوق ، فكتب اليها دون ان يذكر اسمها وحسبه في ذلك حبه  
علامة بينهما ، فهو يكفيه انه يخاطب حبيباً لا يملئه حبيب ، فقد برحه  
الشوق واضناه الانتظار ، وطالت عليه الايام حتى حسبها الايام الاخيرة  
من عمره ، فاخذ يستنجزها ان تفي بما وعدت ، وان تترك ما قطعت عليه  
اليوم لا غداً ، وإلا فالياس قد اخذ منه كل ماخذ :

يا من اجانب ذكر اس  
مـ وحسبي علامة  
مسا إن ارى السوءد يقضى

رعى الله ليلاً لم يرع بمنم

عشية وارانا بحور مؤمل<sup>(٢٩)</sup>

ولكن هذا اللقاء وما تحقق فيه من ود وصفاء ، كان يفتقر الى عنصر  
اساس وهو ( الامان ) الذي لم يستطع العشاق - مهما حاولوا - ان  
يبلغوه ، فالمحب خائف في كل حين ، وهو خوف طبيعي ناجم عن وجود  
الرقباء والوشاة والنامين .

واذا كان الدكتور محمد سعيد قد صب اللوم كله على حفصة  
وحدها حين وصفها بأنها انسانة انانية ذات رؤية قاتمة مشبعة بالشك  
والريبة والغل والحسد ، وعلى العكس من حبيبها ابن سعيد الذي لا يرى  
سوى الفبطة والبشاشة والانفتاح ، ولا يحس في الوجود سوى الخير  
والمحبة<sup>(٣٠)</sup> .

وهذا ما لا نرتضيه عنها ، فالشاعرة محقة في تلك الاترياب ، وهي  
تنطق من مبدأ الاحساس بالخطر قبل وقوعه ، تلك الخطر الذي يحق  
بحبها وحبيبها من كل جانب ، فهي تشمر بالوشاة والرقباء من حولها ،  
ولديها القناعة بان الحب مهما كبر وازداد ، زادت معه المخاطر ، وهي في  
هذا على العكس من حبيبها أبي جعفر فهي تشك بحاسة الانثى وترتاب ،  
وهو يرى بجرأة الرجل وتجاهله لتلك المخاطر ، لذلك كان ردها عليه رداً  
تشويه المرأة والاسى :

لمعرك ما سر الرياض بوصلنا

ولكنه ابدى لنا الغل والحسد<sup>(٣١)</sup>

وهكذا فان السعادة التي تنعم بها المحبان لم تنم لهما صافية بون  
تكدير او تنغيص ، فقد اقتحم عالم حبهما الجميل - ويذون تردد - امير  
غرناطة السيد ابو سعيد عثمان بن الخليفة عبدالمؤمن ومعه سلطان  
الحاكم وبطشه ، يدفعه التنافس مع ابن سعيد للاستيلاء على قلبها ،  
والانفراد بحبها .

ولا بد ان حفصة عانت كثيراً من محاولات الامير لجعلها اسيرة  
هواه وحده ، وهي الانسانة الرقيقة التي تعشق الحرية وتحب الحياة ،  
وفي حياتها حبيب تهواه ولا تستطيع ان تستبدله بآخر ، ولم تكن تخشى  
ما تخشاه على نفسها من ذلك الامير بقدر ما تخشاه على حبيبها ، فقد  
كانت تعرف جيداً ما كان بينه وبين الامير من حقد واحتقار كل واحد  
منهما للآخر ، وما يتمتع به الامير من حرية التصرف بحياة الناس ، وله  
القدرة على البطش به ، والتخلص منه ان اراد ذلك بسهولة ويسر .  
وحاولت كثيراً ان تفهم حبيبها على ان يعتمد عنها ولو لفترة تقارب  
الشهرين ، وهي فترة قصيرة اذا ما قيست بفترات الحياة المقبلة  
المتفتحة لهما ، ولكنها ليست بالقليلة لما تصبو اليه نفسيهما من ود  
وشوق ولقاء . وفيها تستطيع حفصة ان تفهم نفسية الامير جيداً ، وتطلع  
على ما يبغته لهما . وهي في طلبها قد تجاوزت عواطفها ، وحاولت  
كبتها ، وهي تعلم ان البعد لن ينسيه حبه .

وتطول فترة الشهرين على أبي جعفر ، واذا به يعلق بجارية سوداء  
سعت اليه من بعض القصور ، فاقام معها اياماً وليالي بظاهر غرناطة في

مردنيش في شرق الاندلس قائمة ، وبقيت هذه المنطقة تحت امرته منذ عام ٥٤٢ هـ حتى وفاته عام ٥٦٨ هـ ، ولم يستطع الموحدون ان يستولوا على ما في حوزته من ولايات .. فقال عبدالملك لابنيه ابي جعفر ومحمد « ان حركنا حركة كنا سبباً لهلاك هذا البيت ما بقيت نولة هؤلاء القوم - ويعني الموحدين - والصير عاقبته حميدة ، وقد كنا ننهك عن الممارسة فلم تركب إلا هوك »<sup>(١٧)</sup> .

واخذ ابو جعفر واخوه عبدالرحمن واتفقا على ان يثورا في القلعة باسم ابن مردنيش ، وقد ساعدهما على ذلك قريبيهما حاتم بن سعيد ، وخاطبوا ابن مردنيش وصدر لهم جوابه بالمبادرة ووصلت منه خيل ضاربة متوجهة الى القلعة ، وخافوا من ظهور الامر ، فبادر حاتم وعبدالرحمن الى القلعة وتم لهما المراد ، وأخر ابا جعفر التردد ففاتاه ، وتوقع ان يقبض عليه وهو في طريقه الى القلعة ، فقد اصبح الطريق اليها صعباً تتخلله العيون ، وراودته فكرة لعلها تنقذه من هذه المحنة ، وهي ان يتوجه الى مالقة ، ولم تكن مالقة اكثر اماناً من الطريق الى القلعة ، فقد وضع السيد العيون في كل جهة . فقبض عليه والقي في السجن . ووجد اخوه عبدالرحمن ان خطتهما قد فشلت وانتهت فز الى امير شرق الاندلس محمد بن مردنيش ، ووجد السيد بذلك سبباً آخر للايقاع بابي جعفر فطولع باسمه ، وامر بقتله صبراً سنة ٥٥٩ هـ / ١١٩٨ م .

ولما بلغ حفصة مقتلته حزنت عليه كثيراً ، ولبست الحداد علانية ، وبكته جهرة على الرغم من تعرضها الى الاساءة والتهديد بالقتل ، ورتته بأبيات منها :

هـنـدوني من اجل لبس الحداد

لحبيب اربوه لي بالحداد<sup>(١٨)</sup>

وعجز السيد ابو سعيد ان يجد الى قلبها طريقاً . وضافت هي بالحياة في غرناطة ، وقد شهدت فيها مصرع حبيبها ، فارتحلت الى مراکش عاصمة الموحدين ، وقصدت الخليفة عبدالعزيم ، فأنشدته ابياتاً تطلب فيها الامان والماوى ، وحقق لها الخليفة ما ارادت ، واختارها مؤنبة لبناته ، فوليت تعليم النساء في داره ، وأمضت بقية حياتها في مراکش حتى وافاها الاجل عام ٥٨٠ هـ<sup>(١٩)</sup> او عام ٥٨٦ هـ<sup>(٢٠)</sup> . ويموتها انتهت قصة غرام جريء في مجتمع اسلامي يحرص كثيراً على التقاليد والاعراف المستمدة من الاسلام والقيم العربية ، فقصدتهما تتقارب او تتشابه في اكثر من موضع من قصة ولادة وابن زيدون التي ملأت الافاق شهرة وصيتاً ، ونالت اهتماماً كبيراً من لدن الادباء والدارسين<sup>(٢١)</sup> .

ولكن حينما نستعرض قصة حفصة وابن سعيد نراها الصورة المعكوسة لقصة ولادة وابن زيدون ، والقصتان تشابهان لان كلا طرفيهما شاعران ، واذا كانت ولادة قد ارتبطت بالوزير الشاعر ابن زيدون ، فان حفصة هي الاخرى قد ارتبطت بالوزير الشاعر ابن سعيد ، واذا كان ابن

والعمر اخشى انصرامة<sup>(٢٢)</sup>

ثم وجه ابياته مع غلامه عصام ، وبقي مثلهماً لمعرفة رثا عليه . وعندما وصل حفصة كتاب حبيبها وقراته ، اجابت عليه بتل ، ولكنه ادخل على قلبها الفرح والغبطة ، فتركت الوعد الذي قطعته ، ولكنها لم تستطع ان تبوح بذلك ، وانما اشارت الى ذلك اشارة خفية لا يفهمها غيره :

يا منعي في هوى الحسـ

من والفـرام الامـامـة

لو كنت تعرف عـنـري

كففت غـرب المـلامـة<sup>(٢٣)</sup>

ووجهت ابياتها مع رسوله الذي لعنته وسبته زيادة في الترمويه ، فانصرف بغاية من الخزي ، وهو لا يعلم لماذا سبته ، ولما اطل على ابي جعفر وهو في انتظاره ، قال له : ما وراءك يا عصام ؟ قال اقرأ الابيات تعلم . فلما قرأها . قال : ما اسخف عقلك . انها وعدتني للقية في جنتي المعروفة بالكمامة . سر بنا ، فبادروا للكمامة فما كان إلا قليلاً حتى وصلت اليه ، وكان احسن لقاء ..

محفته ومقتله :

ان هذه العلاقة الحميمة بين ابي جعفر بن سعيد وحفصة الركونية لم تدم طويلاً ، فقد تدخل السيد ابو سعيد عثمان بن الخليفة عبدالعزيم في صراع مع ابي جعفر على حب حفصة والتنافس في هواها ، فكان كل منهما على مثل الرصف للآخر<sup>(٢٤)</sup> ووجد في وزارته عند السيد شيئاً لم يحتمله فضاك بالمنصب ، وكره ان يكون كاتباً عند من يناقسه في حبيبته ، ووجد الحساد والوشاة طريقهم للايقاع بالوزير وتنحيته عن منصبه . وكانت حفصة تعلم بما يببته الوشاة ضده .

وحاولت حفصة اصلاح الامر فلم تفلح ، ومما زاد الطين بلة ان الوشاة قد نقلوا الى السيد بيتين من الشعر قالها وهو يصف يومه بعد ان خرج مع اصحابه الى الصيد ، فعزله السيد ابو سعيد عن وزارته كما مر ولم يأسف لهذا . ثم طلبت حفصة من ابي جعفر ان يبتعد كل منهما عن الآخر مدة شهرين ، لعلها تترضى الامير فيها . وتحتاج ابا جعفر توبة من القلق والحيرة والغيرة ، فيقول لها محقراً شأن هذا الامير الذي اخذت تتقرب اليه : « ما هذا الغرام الشديد به ؟ او ما تحبين في ذلك الاسود ، وانا اقدر ان اشتري لك من سوق العبيد بعشرين ديناراً خيراً منه »<sup>(٢٥)</sup> . وتبلغ مقولته الامير ، فأسرها في نفسه ، واستشعر ابو جعفر النهاية والسيد يتوسد له المهالك في كل خطوة يخطوها ، ويبحث عن الامن بأي ثمن ، وقد صوّر لنا حالته البائسة بقوله :

من يشتري مني الحياة وطبيها

وزارتي وتـأبـي وتـهـذي<sup>(٢٦)</sup>

واخذ السيد في امره مع ابيه واخوته ، وكانت فتنة محمد بن

حلى المغرب ليل على ما يتمتع به من ثقافة ونوق ادبي ..

شعره :

### - حرف الهمزة -

( ١ )

قال ابو جعفر احمد بن عبد الملك بن سعيد : [ طويل ]

- ١- ألا هاتها إن المسرة وضلها  
وما الحزن إلا في توالي جفائها
- ٢- مُدَاماً بكن الإبريق عند فراقها  
وأضحك ثغر الكاس عند لقائها

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : رايات المبرزين ٩٦ .

### - حرف الباء -

( ٢ )

وله وهو من حسناته : [ سريع ]

- ١- شَقَّتْ جُيُوبٌ فرحاً عندما  
أَبَتْ وفي البُعد تُشَقُّ القلوب
- ٢- فقلْتُ هذا موقِفٌ ما يشقُّ  
الجيب فيه غيْرُ صبِّ طروب
- ٣- فابتسمتُ زهواً وقالت: كذا الـ  
أفق لغُود الشمس شقَّ الجُيوب

التخريج :

الابيات : في المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٨ .

( ٣ )

وشرب ليلة مع اصحاب لهم وفيهم وسيم ، فأعرض بجانبه وقطب ، فتكرر المجلس ، فقال ابو جعفر : [ سريع ]

- ١- يا مَنْ نائى عَنَّا الى جانبٍ  
صدأ كميل الشمس عند الغروب
- ٢- لا تَزُو عَنَّا وجهك المجتلى  
فالشمس لا يُعْهَدُ منها قطوب
- ٣- إنْ دَامَ هذا الحالُ ما بيننا  
فاننا عَمَّا قَريبٍ نتوب
- ٤- ما نشتكى الدهر ولا خطبه  
لولاك ما دارت علينا خطوب

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٤ - ١٨٥ .

زيون قد لقي منافساً هو الوزير ابن عبدوس ، فان ابا جعفر قد لقي ابا سعيد بن عثمان بن الخليفة عبدالمؤمن منافساً قوياً ، واذا كان الدهر قد حرم ابن زيون من ولادة وانقلابها عليه ، واغترابه منفياً عن بلده ، فقد كان ابو جعفر اوفر حظاً من صاحبه ابن زيون ، فقد ظل معشوقاً ، وكان اكثر وقته مطلوباً<sup>(٢٢)</sup> لان حفصة كانت اكثر شاعرية من ولادة ، واكثر جراءة في الهجوم على معاني العشق والفيرة والاثارة ..

نتاجه الادبي :

نكر ابو القاسم محمد بن عبد الواحد المعروف بالملاحى ، مؤلف كتاب ( تاريخ علماء البصرة ) ان شعر ابي جعفر مدون<sup>(٢٣)</sup> ولكننا لم نعثر على ديوانه ، وانما عثرنا على قصائد ومقطعات ماثورة في مصادر الادب ، مثل : معجم الانباء للحموي ، والمغرب ، ورايات المبرزين ، والمرقصات والمطريات لابن سعيد ، والاحاطة لابن الخطيب ، ونفع الطيب للمقرئ ، ولعله كان يقصد الى انه مدون في بعض المصادر . وقد تحدد هذا الشعر وفق اغراض معينة ، تنسجم ونظرتة للحياة وفلسفته فيها . فقد غلب الوصف على شعره ، ولا سيما وصف الطبيعة الاندلسية ونعوات الاخوان الى مجالس الانس والادب ، ويليها المديح وهو مديح موجه الى والده والى الخليفة عبدالمؤمن ، وهو في مديحه لا يبتغي النوال وانما التقرب والرضا من السلطان ، فقد كان الشاعر من اسرة ميسورة تشتهر بالرئاسة والوزارة . ويأتي الغزل بعد ذلك ، وهو غزل في محبوبته حفصة وتغزل ببعض الظرفاء من الغلمان . وكان يهزل من بعض اصحابه واخوانه ، فامتدت خفته هذه الى اغراضه الاخرى كالعتاب والاعتذار والمساجلات الشعرية ، وغيرها . فبلغت قصائده ومقطعاته اثنتين وسبعين قصيدة ومقطعة وموشحة واحدة<sup>(٢٤)</sup> .

ولكننا لا نظن ان هذا جل شعره اذا ما علمنا انه كان يرتجل كثيراً من الاشعار ولا سيما تلك التي تتعلق ببعض مجالس الانس والادب ، وما يدور فيها من مساجلات شعرية ، ولقاء المحبين وما يدور فيه من مطارحات شعرية ، وهي تستدعي سرعة الخاطر بعد التأثير بالمواقف التي تثير قريحة الشاعرين .

وشعره من الناحية الفنية يبرز بالصورة الشعرية والاستعارات والمجازات ، واوزانه توافق اغراضه ، فالبحر الطويل والكامل استخدما في الوصف ونعوات الاخوان والمديح والاعتذار وهي اغراض جادة ، واستخدم السريع في المواقف التي تثير الانفعالات كالعتاب والاخوانيات والوصف والتهكم . اما الخفيف والمجتث فقد استخدمهما في الغزل والمساجلات الشعرية . وسنفرد دراسة في شعره من الناحية الفنية ان شاء الله .

اما نثره فهو قليل ، ويقتصر على بعض الرسائل في الاعتذار عن مجلس انس او تهنئة او تسلية . وكثيراً ما كان يستشهد فيه بشعراء الجاهليين والاسلاميين والعباسيين . ولعل اسهامه في كتاب المغرب في



( ٤ )

ولما اظلم الليل نظر ابو جعفر وابن سيد الى منارة  
( شنتبوس ) ، وقد عكست مصابيحها في النهر ، والى النجوم قد  
طلعت فيه : [ مجتث ]  
قال ابن سيد :

اخْلُغْ عَلَى النهرِ ثوب الـ

كـرى فـذلك واجب

فقال ابو جعفر :

١ - وانظُرْ الى الشرج فيه

كالزهر ذات الذوائب

٢ - وحين صفق لـلاف

في نقطته الكواكب

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٩٨ .

( ٥ )

وله يعتذر وقد دعي الى مجلس انس : [ طويل ]

١ - لئن غبت عمن نوره نور ناظري

فحسبي لديه أن اغيب عقابا

٢ - وسوف اوافيه مقراً برزتي

وفي حمله أن لا يطيل حسابا

التخريج :

البيتان في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٩١ .

( ٦ )

وله : [ خفيف ]

١ - ما خدمناكم لأن تشفعوا فيـ

لنا بدار الجزاء يوم الحساب

٢ - ذاك يوم أنا وأنت سواء

فيه كل يخاف سوء العقاب

٣ - إنما الشأن الذب في هذه الدنـ

لـيا بسلطانكم عن الاصحاب

٤ - واذا ما خذلتهم بشكوى

ويخلتم عنهم برز الجواب

٥ - فاعذروهم أن يطلبوا من سواكم

نصرة وارفعوا حجال العتاب

٦ - واذا أرض مُجذبٍ لفظته

فله العذر في اتباع السحاب

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٢ .

( ٧ )

فقال ابو جعفر ( في الشاعر الرصافي البلنسي وقد اظهر

الزهد وترك الخلاعة ) : [ طويل ]

١ - بدا زهده مثل الخضاب فلم يزل

به ناصلاً حتى بدا زور كاذب

التخريج :

البيت في : المقرئ : نفع الطيب ٣ / ٥١٥ .

( ٨ )

جعل السيد يتوسد له المهالك ، وابو جعفر يتحفظ كل

التحفظ ، وفي حالته تلك يقول : [ كامل ]

١ - من يشتري مني الحياة وطيبها

ووزارتي وتآذبي وتهذبي

٢ - بمحل راج في ذرى ملمومة

زويث عن الدنيا باقصى مرتب

٣ - لا حكم ياخذ بها إلا لمن

يعفو ويرث دائماً بالمذنب

٤ - فلقد سئمت من الحياة مع امرئ

مُتغضبٍ مُتغلبٍ مُتـرثبٍ

٥ - الموت يلحطني اذا لاحظته

ويقوم في فكري اوان تجنبي

٦ - لا اهتدي مع طول ما حاولته

لرضاء في الدنيا ولا للمهرب

التخريج :

الابيات في : ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٥ .

- حرف التاء -

( ٩ )

وقال ابو جعفر يصف صورة جارية راقصة بسيوف وليفور

رخام يصنع في انبوية الماء صورة خباء : [ طويل ]

١ - وراقصة ليست تحرك دون ان

يحرّكها سيفٌ من الماء مُصلَّتْ  
٢- يدورُ بها كرهاً فتنضي صوارماً  
عليه فلا تعيا ولا هو يُيهتُ  
٣- اذا هي دارث سرعة خِلَّتْ انها  
الى كلِّ وجو في الرياضِ تَلَفَّتْ

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤٩٧ / ٣ .

- حرف الحاء -

( ١٠ )

وقال (٥) : [ سريع ]

١- عَجَّ على الخَوْر وخَيْمٌ به  
حيث الاماني ضافيات الجناخ  
٢- واسبق له قبل ارتحال الندى  
ولا تَزْزه نون شارٍ وراخ  
٣- وكُنْ مقيماً منه حيث الضبا  
تمتازُ مسكاً من اريج البطاخ  
٤- والقضبُ مال البعض منها على  
بعض كما يثني القنود ارتياخ  
٥- وشقَّ جيبَ الصبح نورٌ كما  
شقَّتْ جيوبَ الظلِّ منها الرياح  
٦- لم احصِ كم غاديته ثابتاً  
واسترقضتني الراخ عند الرواخ

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٥١٧ / ٣ .

( ٥ ) وورد في النفع ايضاً : وعندما قال الشريف الاصم في فحوص السرايق من متنزهات قرطبة شعر :

الا فدعوا ذكر المذهب وبارق

ولا تساموا من ذكر فحوص السرايق

قال ابو جعفر : فلما سمعت هذا الشعر لم اتمالك من الاستعبار ، وحركني ذلك الى ان قلت في خور مؤمل سيد متنزهات غرناطة ... ولم يذكر هنا ما قاله فيه ، وذكره في موضع آخر . ( المقرئ : نفع الطيب ٤٧٥ ١ ) .

( ١١ )

وكتب الى والده يطلب اعفائه من الوزارة : [ مجتث ]

١- مـولاي في أي وقتٍ  
انال في العيش راحة

٢- إن لم أنلها وعمري  
ما إن أنار صباحة  
٣- وللملاح عيون  
تميل نحو الملاحة  
٤- وكأش راحي ما إن  
تملّ مني راحة  
٥- والخطب عني أعمى  
لم يقترب لي ساحة  
٦- وأنت نوني سـوـو  
من الفلا والرجاحة  
٧- فـاغـفـني وأقـلـني  
مما رأيت صلاحة  
٨- ما في الوزارة حظ  
لمن يريد ارتياحة  
٩- كلّ وقـالّ وقـيلّ  
ممن يطيل نبـاحـة  
١٠- أنسي أتى مستقيماً  
فاترك فديت سـراـحـة

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ١٨٠ / ٤ .

( ١٢ )

وله عند اول حضوره أمام عبدالمؤمن : [ وافر ]  
١- عليك أحالني داعي النجاح  
ونحوك حثني هادي الفلاح  
٢- وكنت كساهر ليلاً طويلاً  
ترنح حين بُشّر بالصباح  
٣- وذئ جهد تغفل في قفار  
شكا ظمأ فذلّ على القراح  
٤- دعانا نحو وجهك طيب ذكر  
ويدعو للرياض شذا الرياح

التخريج :

الابيات في : ابن سعيد : المغرب ١٦٤ / ٢ والمقرئ : نفع الطيب

١٨١ / ٤ وفي النفع : البيت الاول - حادي الفلاح . وفيه : البيت الثالث - وذئ جهل وفيه ايضاً : البيت الرابع - ويذكر للرياض .

- حرف الدال -

( ١٣ )

وقوله وقد بلغه ان حاسداً شكره : [ مجتث ]

وقد جعلت من شدة القرُ تُرعدُ

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٥ .

( ١٦ )

وعندما قاربت الشمس الغروب ، ومد لها في النهر معصم  
مخضوب ... [ مجتث ]

١ - قال ابو جعفر :

انظر الى الشمس قد أَلـ

صقَّتْ على الارض خدَا

٢ - فقال ابن سيد :

هي المـــــــرأة ولكن

من بعدها الافق يصدا

٣ - فقال ابو جعفر :

مدَّت طرازاً على النهـ

ر عندما لاح بُردا

٤ - فقال ابن سيد :

أهدت لطرفك منه

ما للاكلام يهدى

٥ - فقال ابو جعفر :

درع اللجين عليه

سيف من التبر مُدا

٦ - فقال ابن سيد :

فاشرب عليه هنيئاً

وزد سروراً وسعدا

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٩٧ - ١٩٨ .

( ١٧ )

ولما طلع الفجر .. [ مجزوء الرمل ]

١ - قال ابو جعفر :

نثر الطل عــوذة

ونضاً الليل بروة

٢ - قال ابن سيد :

وبدا الصبح بوجـ

مطلع فينا سـوذة

٣ - فقال ابو جعفر :

١ - متى سمعت ثناء

عفن غدا لك حاسد

٢ - فكان منك انخداع

به فرأيتك فاسد

٣ - بصدرة منك ناز

لهيئها غير خامد

٤ - وعلمك لك ما زد

ت في السعادة زائد

٥ - وانما ذاك منه

كالحب في فخ صائد

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٩ .

( ١٤ )

دخل ابو جعفر في احد مناذه وادي اشبيلية فظهر له احد  
السفهاء صوتاً قبيحاً واعلم ان الشاعر احمد بن سيد المشهور  
باللص قد املى على السفهيه ما قال وصنع ، فكتب اليه معاتباً :  
[ خفيف ]

١ - يا سميتي وإن أفاد اشتراك

غير ما يرتضيه فضل وود

٢ - أكذا يُزدرى الخليل بأفق

أنت فيه ولم يكن منك رثيق

٣ - لا أرى من سلطت ..... ولكن

ليس يخفى عليك من هو .....

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٩٣ .

٣ - الموضعان المنقوطان يدلان على كلمة قبيحة .

( ١٥ )

وله يصف ناراً : [ طويل ]

١ - نظرت الى نارٍ تصول على الدجى

إذا ما حسبتها تدانث تبعد

٢ - ترقمها ايدي الرياح وتارة

تخفضها مثل المكبر يسجد

٣ - وإلا فمن لا يملك الصبر قلبه

يقوم به غيظ هناك ويقعد

٤ - لها ألسن تشكو بها ما اصابها

وغدا ينشُر لَمَّا  
فتَر الليلُ بنوثة  
٤ - فقال ابن سيد :  
فهلُم اشـرُـبْ وقَبـلْ  
من غدا يُنطقُ عوثة  
٥ - فقال ابو جعفر :  
ثم صافخه على رغب  
م النوى وافرك .....  
٦ - فقال ابن سيد :  
واجعل الشكر على ما  
نلتـه منه جـوثة

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٩٩ - ٢٠٠ .

٥ - الموضع المنقوط يدل على كلمة تخرج عن المألوف .

( ١٨ )

وقوله وقد مَرَّ بقصر من قصور الخليفة عبدالمؤمن وقد رحل

عنه : [ بسيط ]

١ - قصر الخلافة لا أخليت من كرم  
وإن خلوت من الأعداد والفند  
٢ - جُزنا عليه فلم تنقص مهابته  
والغليل يخلو وتبقى هيئة الأسد

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٧ والمقرئ : نفع الطيب

٢ / ٥١٦ في النفع : البيت الاول - قصر الخليفة ، وفيه : البيت الثاني - جزنا عليك .

( ١٩ )

واجتمع بفرنطة محمد بن غالب الرصافي الشاعر  
المشهور ، ومحمد بن عبدالرحمن الكتندي وغيرهما ، فآخذوا يوماً  
في ان يخرجوا لنجد او حور مؤمل ، فقالوا ما لنا غنى عن ابي  
جعفر بن سعيد ، فكتبوا له شعراً :

بعثنا الى رب السماحة والمجد

ومن حاله في ملة الظرف من ند

..... الابيات .

فكان جوابه لهم : [ طويل ]

١ - هو القول منظوماً او الدُر في المعق

هو الزهر نفاح الصبا ام شذا الود  
٢ - اتاني وفكري في عقالي من الاسى  
فحل بنفت السحر ما حل من عقد  
٣ - ومن قبل علمي أين مبعث وجهي  
علمت جناب الود من نفس الود  
٤ - وأيقنت أن السهر ليس براجع  
لتقديم عصر او وقوف عل حد  
٥ - فكل أوان فيه اعلام فضله  
ترانف موج البحر رداً الى رد  
٦ - فكم طيها من فائت مترنم  
يهر بما ..... مغطف الصلح  
٧ - فيا من بهم تزهى المعالي ومن بهم  
قياد المعاني ما سوى قصدكم قصدي  
٨ - فسمعاً وطوعاً للذي قد أشرتم  
به لا أرى عنه مدى الدهر من بُد  
٩ - فقوموا على اسم الله نحو حديق  
مقلدة الاجياد موشية البُرد  
١٠ - بها قبة تدعى الكمامة فاطلعوا  
بها زهراً أذكر نسبها من اللد  
١١ - وعندي ما يحتاج كل مؤمل  
من الراح والمعشوق والكتب والسرور  
١٢ - فكل الى ما شاءه لسث تانياً  
عنناً له ان المساعد لو الود  
١٣ - ولست خلياً من تالس ليل  
اذا ما شدت ضل الخلي عن الرشيد  
١٤ - لها ولد في حجرها لا تزله  
أوأن غناء ثم ترميه بالهمد  
١٥ - فيا ليتني قد كنت منها مكاه  
تقلبني ما بين خصم الى نهد  
١٦ - ضمنت لمن قد قال التي زاهد  
اذا حل عندي ان يحول هن الزهد  
١٧ - فإن كان يرجو جنة الخلد أجلاً  
فمنندي له في ..... جنة الخلد

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٢ / ٥١٦ = ٥١٥ .

١٧ - الموضع المنقوط كلمة تخرج عن المألوف .

ذلك ، وظهر عليهم الحسد له فقال : [ سريع ]

- ١ - سر نحو ما تختار لا تسمعن  
ما قاله زيد ولا عمرو
- ٢ - كلهم يحمدا ما رمته  
مهما يساعذ رأيك الدهر
- ٣ - عجبث ممن رام صدر العلا  
يروم أن يصفو له دهر

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٨ .

( ٢٣ )

ومما قاله في الخليفة عبدالمؤمن وهو محتل بجبل الفتح :

[ طويل ]

- ١ - تكلم فقد اصغى الى قولك الدهر  
وما لسواك اليوم نهى ولا أمر
- ٢ - وزم كل ما قد شنته فهو كائن  
وحاول فلا بر يفوت ولا بحر
- ٣ - وحشبك هذا البحر فالأ فانه  
يقبل ثرياً داسه جيشك الغمر
- ٤ - وما صوته إلا سلام مرند  
عليك وعن بشر بقرير يفتز
- ٥ - بجيش لكي يلقي امامك من غدا  
يعاند امراً لا يقوم له أمر
- ٦ - اطل على ارض الجزيرة سغدا  
وجند فيها ذلك الخبز الخبز
- ٧ - فما طارق إلا لذلك مطرق  
ولابن نصير لم يكن ذلك النضر
- ٨ - هما مهدها كي تحل بارضاها  
كما حل عند التم بالهالة البدر

ومنها :

- ٩ - ألا إن قصراً قد بدا لي بافقه  
محيك اهل أن يخز له البدر
- ١٠ - اطل على البحر المحيط مرفعاً  
فختمه الشفري وتوجه النضر
- ١١ - ووافث جيوش البحر تلثم عطفه  
مرافقة لما تناهى به الكبر
- ١٢ - وما صوتها إلا سلام مرند

( ٢٠ )

- وله وقد تقدم امامه في ليلة مظلمة احد اصحابه ، فطفىء السراج في يده فقال لوقتته : [ مجتث ]
- ١ - لي من جبينك هادي  
في الليل نحو مرادي
  - ٢ - فما اريد سراجاً  
يبدلني لرشاد
  - ٣ - أئني وكفك سحب  
يبدو بها ذا اتقاد

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٤ .

- حرف الراء -

( ٢١ )

- وكتب ابو جعفر الى حفصة معتذراً بعد اعتكافه مع جارية سوداء اطرف اعتذار : [ منسرح ]
- ١ - لا حكم إلا لامرنا  
له من الذنب يعتذر
  - ٢ - له محيا به حياتي  
اعيد مجلاه بالشو
  - ٣ - كضحية العيد في ابتهاج  
وطلمة الشمس والقمر
  - ٤ - بسعده لم أمل اليه  
إلا طريفاً له خبز
  - ٥ - عدفت صبحي فاسود عشقي  
وانعكس الفكر والنظر
  - ٦ - إن لم تلح يا نعيم رحي  
فكيف لا تفسد الفكر

التخريج :

الابيات في : الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٤ - ٢٢٥ وابن الخطيب : الاحاطة ١ - ٥٠٠ - ٥٠١ في الاحاطة : البيت الاول - من ذنبه معتذر . والبيت الثاني - اعيد مداه . والبيت الثالث - كضحية العيد . والبيت الرابع - سعده لم أمل اليه ..... إلا اطرافاً له خبر .

( ٢٢ )

وله وقد اجمع رأيه على أن يفد على امير المؤمنين عبدالمؤمن ، فاخذ في ذلك مع اصحاب له ، فجعلوا يثنونونه عن



( ٢٦ )

وله وهو من آياته : [ كامل ]

- ١ - إني لأحمد طيفها وألومها  
والفرق بينهما لدي كبير
- ٢ - هي إن بدت لي شية في جفوة  
والطيف في حين المشيب يزور
- ٣ - وإذا توالى صدها أو بينها  
وافى على أن المزار عسير

التخريج :

الابيات في : المقري : نفع الطيب ٤ / ١٨٧ .

( ٢٧ )

وله يستدعي احد ابناء الرؤساء الى يوم اجتماع :  
( وافر ) :

- ١ - تداركنا فإننا في سرور  
وما بسواك يكتمل السرور
- ٢ - أهلة أنسنا بك في تمام  
أليس تتم بالشمس البسور

التخريج :

البيتان في : المقري : نفع الطيب ٤ / ١٨٩ .

( ٢٨ )

ومن شعره : [ طويل ]

- ١ - أتانى كتاب منك يحسنه الدهر  
أما خبره ليل ، أما طرسه فجر
- ٢ - به جمع الله الاماني لفاطري  
وسمعي وفكري فهو سحر ولا سحر
- ٣ - ولا غزو إن ابدى العجائب ربه  
وفي ثوبه بر وفي كفه بحر
- ٤ - ولا عجب إن أينع الزهر طله  
فما زال صوب القطر يبدو به الزهر

التخريج :

الابيات في : ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٩ = ٢٢٧ ، والبيت الاول فقط  
في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٥ .

( ٢٩ )

وكتب كل من ابي جعفر وحفصة بيتاً عن لخل الكتندي

وفي كل قلب من تصفدها نعر

١٣ - ألا قل له يعلو الثريا فأنه

اطل على بحر وحل به بحر

١٤ - محيطان بالدنيا فليس لفخره

إذا لم يكن طلق اللسان به عذر

التخريج :

الابيات من ( ١ - ٨ ) في : ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٣ - ٢٢٤  
والبيت الاول والابيات من ( ٩ - ١٤ ) في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٥ في  
المغرب : البيت الاول - وما لسواك الان .

( ٢٤ )

وكتب الى ابي جعفر ابو الحكم بن هردوس في يوم بارد  
بفرناطة ، فوجه بما طلب ، وجاوبه بما كتب : [ خفيف ]

- ١ - أيتها السيد الاجل الوزير  
الذي قدره معلى خطير
- ٢ - قد بعثنا بما أشرت اليه  
دقت لسانك والسرور تشير
- ٣ - كان لغزاً فككته بون فكر  
إن فهمي بما تريد خبير

التخريج :

الابيات في : المقري : نفع الطيب ٤ / ٢٠١ .

( ٢٥ )

وقال في نهر الوادي الكبير ( نهر حمص ) باشبيلية :  
[ مجزوء الرمل ]

- ١ - نهر حمص لا عدمننا  
ك فمنا مثلك نهـ
- ٢ - فيك يلتد ارتياح  
أبد الدهر وسكر
- ٣ - كل عمر قد خلا منـ  
ك فمنا نلـك عمر
- ٤ - خـصـه الله بمعنى  
فيه لـلـباب سر
- ٥ - يلعن الانسان فيه  
وهو يصفي ويـسـر

التخريج :

الابيات في : المقري : نفع الطيب ٤ / ١٩٢ - ١٩٣ .

بينهما ، ثم سقطه في حفرة مطمورة ، فابتدأ ابو جعفر : [ مجزوء  
الرجز ]

١ - قُلْ لِلَّذِي خَلَصْنَا

منه الوقوع في .....<sup>(١)</sup>

٢ - ارجع كما شاء .....

يا ابن ..... الى ورا

٣ - وإن تغذ يوماً الى

وصالنا سوف ترى

٤ - يا أسقط الناس ويا

انزلهم بلا مرا

٥ - هذا مدى الدهر تلا

قي لو اتيت في الكرى

٦ - يا لحية تشقق في الـ

..... وتثمن العنبرا

٧ - لا قرب الله اجتماعا

عاً بك حتى تقبرا

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٧٥ .

( ١ ) المواضع المنقوطة تدل على كلمة قبيحة .

( ٣٠ )

وقوله في والده وقد شئت عليه درعاً ، وخرج بجنيه غازياً :

[ طويل ]

١ - أيا قائد الابطال في كل وجهة

تطير قلوب الأشد فيها من الذعر

٢ - لقد قلت لقا أن رأيتك دارعاً

أيا حسن ما لاح الحباب على النحر

٣ - وأنشدت والابطال حولك هالة

أيا حسن ما دار النجوم على البدر

٤ - فبسر مثلما سار الصباح الى الدجى

وأب مثلما أب النسيم عن الزهر

التخريج :

الابيات في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٧ والابيات الثلاثة الاولى منها

في المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٩ .

( ٣١ )

وقال يصف قلعة بني سعيد : [ طويل ]

١ - الى القلعة الغراء يهفو بي الجوى

كان فؤادي طائر زُم عن وكر

٢ - هي الدار لا ارض سواها وإن ناث

وحجبتها عني صرخت من الدهر

٣ - أليست باعلى ما رأيت منصّة

تجلت بحلي كالعروس على الخدر

٤ - لها البدر تاج والثريا شئوفا

وما وشؤها إلا من الانجم الزهر

٥ - أطلت على الفحص النضير فكل من

رأى وجهة منها تسلى عن الفكر

التخريج :

الابيات في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٠ .

( ٣٢ )

وله في غلام اسود ساق ارتجالاً : [ طويل ]

١ - ادار علينا الكأس طيبي مهفوف

غدا نشره واللون للذئير الشحري

٢ - وزاد لنا حسناً بزهر كؤوسه

وحسن ظلام الليل بالانجم الزهر

التخريج :

البيتان في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٢ .

( ٣٣ )

وقال ابو جعفر بن سعيد : [ طويل ]

١ - ولما رأيت السعد لاح بوجهه

منيراً دعاني ما رأيت الى الذكر

٢ - فاقبل يدي لي غرائب نطقه

وما كنت أدري قبلها منزع السحر

٣ - فاصغيت إصغاء الجديب الى الحيا

وكان ثنائي كالرياض على القطر

التخريج :

الابيات في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٥ والمقرئ : نفع الطيب

٤ / ١٨٣ في النفع : البيت الاول - لاح بوجهه .. ما رأيت الى الشكر . البيت

الثاني - واقبل يدي .. ادري قبله .

( ٣٤ )

وله وقد احسن ما شاء : [ طويل ]

١ - تركتكم لا كارهأ في جنابكم

التخريج :

البيتان في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٢ .

- حرف السين -

( ٣٧ )

وله في شعاع القمر والشمس على النهر : [ طويل ]

١ - ألا حبذا نهز اذا ما لحظته

ابن أن يرد اللحظ عن حسنه الانش

٢ - ترى القمرين الدهر قد غنيا به

يفضضه بدر وتذهب شمس

التخريج :

البيتان في : المقرئ : نفع الطيب ٣ / ٥١٦ ووردا ايضاً في ٤ / ١٨٩ .

- حرف الصاد -

( ٣٨ )

وله يصف خروجه الى الصيد في يوم بارد : [ طويل ]

١ - ويوم تجلى الافق فيه بعنبر

من الغيم لذنا فيه باللهم والقنص

٢ - وقد بقيت فينا من الامس فضلة

من السكر تغرينا بمنتبه القنص

٣ - ركبنا له صباحاً وليلاً وبعضنا

اصيلاً وكل ان شدا جلجل رقص

٤ - وشهب بزا قد رجمننا بشهبها

طيوراً يساغ اللهو ان شكت الغصن

٥ - وعن شفق تغري الصباح او الدجى

اذا اوثق ما قد تحرك او قمص

٦ - وملنا وقد نلنا من الصيد سؤلنا

على قنص اللذات والبرد قد قرص

٧ - بخيمة ناطور توسط عذبها

جحيماً به من كان عذب قد خلص

٨ - ادرنا عليه مثله ذهبية

دعته الى الكبرى فلم يجب الرخص

٩ - فقل لحريص ان يراني مقتيداً

بخدمته لا يجعل البار في القفص

١٠ - وما كنت إلا طوع نفسي فهل ارى

مطيعاً لمن عن شاو فخري قد نقص

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٠ - ١٨١ وورد البيت التاسع

فقط في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٤ .

ولكن ابي ردي الى بابكم دهري

٢ - وطاحت بي الاطماع من كل وجهة

تنقلني من كل سهل الى وعبر

٣ - وما باختيار فارق الخلد ألم

وما عن مراد لاذ أيوب بالصبر

٤ - ولكنها الايام ليست مقيمة

على ما اشتهاه مشت أمد العمر

٥ - وإنك إن فكرت فيما اتيت

تبيّن أن الترك لم يك عن غدر

٦ - ولكن لجأ في النفوس اذا انقضى

رجعت كما قد عاد طير الى وكر

٧ - وإنني لمنسوب اليكم وإن ناث

بي الدار عنكم والقدير الى القطر

٨ - وإنني لمئن بالذي نلت منكم

مقيم على ما تعلمون من البر

٩ - وإن خنتكم يوماً فخانني المنى

وساء لديكم بعد إحماده زكري

١٠ - على انني أقدرت اني مذنب

ونو المجد من يغني المقر عن العذر

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٥ .

( ٣٥ )

وقوله : [ طويل ]

١ - يقوم على الآداب حق قيامها

ويكبر عما يظهرون من الكبر

٢ - كصوب الحيا إن ظل يُسمع وهو إن

غدا سامعاً مثل المصيخ الى الشكر

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٥ .

( ٣٦ )

وله في حقام والنصف الاخير لابن بقي : [ بسيط ]

١ - لا أنس ما عشت حقاماً ظفرت به

وكان عندي أحلى من جنى الظفر

٢ - نعمت جسمي في ضدين مفتنماً

( تنعم الغصن بين الشمس والمطر )

- حرف العين -

( ٣٩ )

وقوله : [ طويل ]

- ١- ألا حبذا روض بكرنا له ضحى  
وفي جنبات الروض للطلل أدمع
- ٢- وقد جملت بين الغصون نسيماً  
تمزق ثوب الطلل منها وترقع
- ٣- ونحن اذا ما ظلت القضب ...  
نظل لها من هزة السكر ...

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٥١٧ / ٣ .

٢- الموضحان يدلان على كلمة تخرج عن المألوف .

( ٤٠ )

وله ايضاً : [ طويل ]

- ١- أيا لائي في حمل صحبة جاهل  
قطوب المحيا سيء اللحظ والسمع
- ٢- لمنفعة ترجى لديه صحبته  
وإن كان ذا طبع يخالفه طبعي
- ٣- كما احتمل الانسان شرب مرارة الـ  
حذاء لما يرجو لديه من النفع

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ١٨٥ / ٤ .

- حرف الفاء -

( ٤١ )

وقوله وهو من بدائعه : [ طويل ]

- ١- بدا نذب السرحان ينيء أنه  
تقنم سبقاً والفزالة خلفه<sup>(١)</sup>
- ٢- ولم تزعيني قبلها من متابع  
لمن لا يزال الدهر يطلب حتفه

التخريج :

البيتان في : ابن سميد : المغرب ١٦٧ / ٢ والمقرئ : نفع الطيب

٥١٥ / ٣ في النسخ : البيت الاول - تقدم سبب .

( ١ ) نذب السرحان : الحجر . والفزالة : الشمس . وهما توريثان .

- حرف القاف -

( ٤٢ )

وله : [ مخلع البسيط ]

- ١- أبصره من يلوم فيه  
فقال ذا في الجمال فائق
- ٢- أمارى ما ذهبت منه  
كان عذولاً فصار عاشق

التخريج :

البيتان في : المقرئ : نفع الطيب ١٨٩ / ٤ .

( ٤٣ )

وقوله في غلام اسود وقد لبس بياضاً : [ متقارب ]

- ١- وغصن من الابنوس ارتدى  
بمأج كليل علاه فلق
- ٢- يحامي لنا الكاس في كفه  
صباغ بجنج علاه شفق

التخريج :

البيتان في : المقرئ : نفع الطيب ١٨٢ / ٤ .

( ٤٤ )

ولما اجتمع وجهه بوجه ابيه - وقد اخرج عبدالمؤمن من السجن - جعل يحمد الله تعالى جهراً ، ويفرد بهذه الابيات :  
[ طويل ]

- ١- طلعت علينا كالغزالة بالضحي  
وعرك طفاخ ووجهك مشرق
- ٢- فغفراً لذنوب الدهر أجمع إنه  
اتى اليوم من حسناه ما هو أليق
- ٣- فلح في سماء العز بالسعد طالعا  
وقدرك سام افقه ليس يلحق
- ٤- فقد سرحت لما غدوت مسرحة  
قلوب وافكار وسمع ومنطق

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ١٩٠ / ٤ - ١٩١ .

( ٤٥ )

وكتب الى حفصة راغباً في الوصال والانس الموصول :

[ خفيف ]

١ - أي شغل عن المحب يعوق  
يا صباحاً قد آن منه الشروق

٢ - صل وواصل فانت اشهن الينا  
من لذيذ المنى فكم ذا نشوق ؟

٣ - لا وحبك لا يطيب صبوخ  
غبت عنه ولا يطيب غبوق

٤ - لا وذل الجفا وعز التلاقي  
 واجتماع اليه عز الطريق

التخريج :

الابيات في : الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٦-٢٢٧ وابن الخطيب :  
الاحاطة ١ / ٥٠١ في الاحاطة : البيت الاول - عن الحبيب يعوق .. يا صاحباً  
قد آن . والبيت الثاني - من جميع المنى ... ذا تشوق . والبيت الثالث - بحياة  
الارضى يطيب صبوخ ... عرفاً إن جفوتنا او غبوق . والبيت الرابع - لا وذل  
الهوى .

( ٤٦ )

وله : [ مجتث ]

١ - لا تكثرن عتابي

إن طال عنك فراقني

٢ - فمما يضرب بعاد

بطول والود بساقي

التخريج :

البيتان في : المقري : نفع الطيب ٤ / ١٨٣ .

( ٤٧ )

وله وقد جلس الى جانبه رجل تكلم فأنبا عن علو قدر ،  
فساله عن بلده ، فقال : اشبيلية ، ففكر ثم قال : [ بسيط ]

١ - يا سيّداً لم أكن من قبل أعرفه

حتى تكلم مثل الروض بالعبق

٢ - وزادني أن غدا في حمص منشؤه

لقد تشاكل بين البدر والافق

التخريج :

البيتان في : المقري : نفع الطيب ٤ / ١٨٦ .

- حرف الكاف -

( ٤٨ )

وله على لسان انسان اخلقت برده : [ سريع ]

١ - مولاي هذي بُردتي أخلقت

وليس شيء بونها أملك

٢ - وصرت من بأس ومن فاقة  
ابكي اذا ابصرتها تضحك

التخريج :

البيتان في : المقري : نفع الطيب ٤ / ١٨٦ .

- حرف اللام -

( ٤٩ )

وكتب للشاعر الكتندي في ظهر رقعته كلام وذيله بقوله :  
[ مجزوء الكامل ]

١ - سناك من اهواه حائل

إن كنت بعد العتب واصل

٢ - مع أن لونك مزعج

لو كنت تحبس بالسلاسل

التخريج :

البيتان في : المقري : نفع الطيب ٤ / ١٧٥ .

( ٥٠ )

وقال في جواب حفصة : [ سريع ]

١ - أجلكم ما دام بي نهضة

عن أن تزوروا إن وجدت السبيل

٢ - ما الروض زواراً ولكنما

يزوره هب النسيم العليل

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٦ .

( ٥١ )

وقال ابو جعفر من ابيات في بسيط غرناطة : [ كامل ]

١ - يا حُسن يوم المهرجان وطيبه

يوم كما تهوى أغر محجل

٢ - سُرّ لحاظك حيث شئت فإنه

في كل موقع لحظة متأمل

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٨ وورد البيت الثاني ايضاً في كل

من : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٠٣ والمقري : نفع الطيب ٣ / ٥١٧ .

( ٥٢ )

وقال له السيد ابو سعيد عثمان بن عبدالمؤمن صاحب



فما في حياتي انّ طائل

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٨ .

( ٥٥ )

وله وقد خطر على منزله من اليه له ميل ، وقال : لولا اخاف  
التثقيب لدخلت وانصرف . فلما علم ابو جعفر كتب اليه :  
[ سريع ]

- ١ - مولاي لم تقصّد تعذيب من  
يهوى وما قصصك مجهول
- ٢ - طلبت تخفيفاً بيمد وفي  
تخفيف من تهواه تثقيب
- ٣ - غيوك إن زار جنى ضجرة  
ولج منه التال والقيل
- ٤ - وأنت إن زرت حياة وما الـ  
حعيش اذا ما طال مملول

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٦ .

( ٥٦ )

- وقال : [ خفيف ]
- ١ - زارها من غدا سقيم هواها  
ويراه شوقاً اليها النحول
  - ٢ - وكذا الروض لا يزور ويأتي  
ابداً نحوه النسيم العليل

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٦ .

( ٥٧ )

ومن شعره ما يجري مجرى المرقص ، وقد اجتمع مع  
الرصافي والكتندي على راحة ومسمع بجنته : [ مجزوء الكامل ]

- ١ - لله يوم مسرة  
أضوى وأقص من ذبالة
- ٢ - لما نصبنا للمنى  
فيه باوتار حباله
- ٣ - طار النهار به كفر  
تاع فاجفلت الفزالة<sup>(١)</sup>

غرناطة ما أنت إلا حسن الفراسة وافر العقل : [ طويل ]

- ١ - نسبتم لمن هذبتموه فراسة  
وعقلاً ولولاكم للازمه الجهل
- ٢ - وما هو أهل للثناء وانما  
علامك لتقليد الايادي له أهل
- ٣ - وما أنا إلا منكم واليكم  
وما في من خير فانتم له أصل

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٣ .

( ٥٣ )

وله وقد سافر بعض الارائل بماله ، فنكب في سفره ، وعاد  
فقيراً بأسوأ أحواله : [ بسيط ]

- ١ - اغد ولا يُغن عنك القيل والقال  
فالجود مبتسم والفضل يختال
- ٢ - قالوا فلان رماه الله في سفر  
راه رأياً بما حالت به الحال
- ٣ - فآب منه سليباً مثل مولده  
عليه نل وتفجيع وإقلال
- ٤ - فقلت : لا خفف الرحمن عنه ، فلم  
يكن لديه على القصاد إقبال
- ٥ - فقل له : دام في نل ومسغبة  
ولا اعيدت له في المال آمال
- ٦ - قد كان حمقك حسن المال يستره  
فاليوم اصبح لا عقل ولا مال

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٧ - ١٨٨ .

( ٥٤ )

وله وقد سافر احد الرؤساء من اصحابه : [ متقارب ]

- ١ - أيا غائباً لم يغب نكزه  
ولا حال عن وئّه حائل
- ٢ - لئن مال دهرى بي عنكم  
فقلبي نحوكم مائل
- ٣ - فإني شاهدت منكم غلاً  
من العجز قس بها باقل
- ٤ - لئن طال بي البعد عن لحظكم

٤- فكاننا من بعده

..... الهداية بالضلالة

التخريج :

الابيات في : المقري : نفع الطيب ٥١٥ / ٣ وورد في النفع مرة اخرى  
١٩٢ / ٤ والابيات الثلاثة الاولى في كل من : ابن سعيد : المغرب ١٦٧ / ٢  
وابن الخطيب : الاحاطة ٢٧٧ / ١ في الاحاطة : البيت الثاني - من اوتار . في  
المغرب : البيت الثالث - واجفلت . في الاحاطة : البيت الثالث - ظل النهار ...  
واجفلت .

( ١ ) والنهار : ذكر الحباري واليه اشار بقوله طار النهار . والغزالة :  
الشمس ولا يخفى حسن التوريتين . وهذا المعنى لم يسبق اليه . ولم يقدر احد  
ان ينزعه من يديه . ( نفع الطيب ٥١٥ / ٣ ، ١٩٢ / ٤ ) .  
٤ - الموضع المنقوط يدل على كلمة تخرج عن المألوف .

( ٥٨ )

وقوله [ خفيف ]

١ - اسقني مثل ما اناز لعيني

شفق أليس الصباح جمالة

٢ - قبل أن تبصر الغزالة تستد

رج منه على السماء غلالة

٣ - وتامل لمسجد سال نهراً

كرعت فيه أو تقضى غزالة

التخريج :

الابيات في : المقري : نفع الطيب ٥١٦ / ٣ .

( ٥٩ )

وبعد ليلة وصال مع حفصة في بستان بحور مؤمل ، قال ابو

جعفر قبل وقت التفريق : [ طويل ]

١ - رعى الله ليلاً لم يُرغ بمذمم

عشية واراننا بحور مؤمل

٢ - وقد خفقت من نحو نجد اريجة

اذا نفحت جاءت برياً القرنفل

٣ - وغرد قمري على الدوح وانثنى

قضيبي من الرياح من فوق جدول

٤ - يرى الروض مسروراً بما قد بدا له

عناق وضّم وارتشاف مقبلي

التخريج :

الابيات في : الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢١ - ٢٢٢ وابن سعيد :

رايات المبرزين ٩٢ - ٩٣ وابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٤٩٩ والمقري : نفع  
الطيب ٢ / ٢١٨ ووردت في النفع مرة اخرى ٤ / ١٧٧ والابيات الاول والثالث  
والرابع في : ابن سعيد : المرقصات والمطريات ٨٨ .

البيت الاول : في الرايات - بخور مؤمل ( وهو الاصح لانه ورد هكذا في  
اغلب الروايات ) . وفي المرقصات - لم يرح ..... بجود مؤمل . وفي الاحاطة  
- رعاناً واراناً بخور مؤمل . وفي النفع - بحور مؤمل . وفي النفع مرة اخرى  
- لم يرح ..... بحور مؤمل .

البيت الثاني : في الرايات - هبت برياً . وفي الاحاطة - وقد نفحت من  
نحو .... جاءت برياً .

البيت الرابع : في الرايات - ترى الروض . في المرقصات - اترى لروض .  
في النفع - ترى الروض .

- حرف الميم -

( ٦٠ )

وجلس ابو جعفر وابن سيد في احد منازه الوادي الكبير في  
اشبيلية ، وأخذا يشريان ولما أظلم الليل : [ مجزوء الرمل ] :

١ - قال ابو جعفر :

سقني والافق بُـرُـزُـدُ

بنجوم الليل مُقَلَمُ

٢ - فقال ابن سيد :

ويساطُ النهارِ منها

وهو فضي مُـدـرهمُ

٣ - فقال ابو جعفر :

ورواقُ الليلِ مُـرـخـى

والشذا بالروض قد نم

٤ - فقال ابن سيد :

والندى في الزهر منتو

رُ على عقم مُنظَمُ

٥ - فقال ابو جعفر :

والصبا جرث على مئـ

بِ الطلئ كف ابن مريم

٦ - فقال ابن سيد :

كان مبهوتاً فلما

نفخت فيه تكلم

٧ - فقال ابو جعفر :

وكان الكاس والقهـ

حوة دينـار ودرهم

٨- فقال ابن سيد :

وبدا السدف يُناغي الـ

مـود والمزمـار هـنـم

٩- فقال ابو جعفر :

فـاذاع الـانس مـنا

كـل ما قد كان مـكـتم

١٠- فقال ابن سيد :

أـي عـيش يـهـتك المسـ

تـوز لو كان ابن أـهـم

١١- فقال ابو جعفر :

هـكـذا العـيش ودغـني

من زـمان قد تقـسم

١٢- فقال ابن سيد :

حـين لا خـمـر سـوى ما

بـكـؤوس البـيض من نـم

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٩٨ - ١٩٩ .

( ٦١ )

وقوله : [ كامل ]

١- في الروض منك مشابهة من أجلها

يهـفـو لها طـرفـي وقـلـبي المـغرـم

٢- الفصن قد والازاهر جلية

والورد خـد والاقاحـي فـبـسـم

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٧ والمقرئ : نفع الطيب

٣ / ٥١٦ البيت الاول : في النفع - يهفو له طرفي .

( ٦٢ )

وطلب ابو جعفر من حفصة الاجتماع فمطلته شهرين ، فكتب

لها : [ مجتث ]

١- يا من اجانب ذكر اسـ

مـه وحسـبي عـلامـة

٢- ما إن ارى الوعد يقضى

والعمـر أخـشـي انـصـرامـة

٣- اليوم ارجوك لا أن

تـكـون لي في القـيامـة

٤- لو قد بصرت بحالي

والليل ارحني ظلامـة

٥- انوح وجداً وشوقاً

إذ تستريح الحمامـة

٦- صب اطلال هواه

على الحبيب غـرامـة

٧- لمن يتيه عليه

ولا يـرد سـلامـة

٨- إن لم تُنيلي اريحي

فاليأس يُتني زمامـة

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٧٣ .

( ٦٣ )

وكتب ابو جعفر اليها : [ رمل ]

١- قد أتانا منك شعر مثـلـما

أطلع الافق لنا أنجمـة

٢- وفم فاه به قد أقسمت

شفـتي بـاللـه أن تـلـثمـة

التخريج :

البيتان في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٦ .

( ٦٤ )

وقوله مما كتب به الى اخيه محمد وقد ورد منه كتاب

بانعام : [ مجتث ]

١- وافى كتابك يـذـبي

عن سـابـغ الإنـعام

٢- فقلتُ دُرُ ودُرُ

من زـاخـر وغمـام

التخريج :

البيتان في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٢ .

( ٦٥ )

وقوله ينم حماماً : [ سريع ]

١- يا رُب حمام لعنـا به

أبدى الينا كل حـمـام

٢- افق له قَطَر حـمـيم كما

أصـمـت سـهـام من يـذـي رامي

التخريج :

البيتان في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٧ .

( ٦٨ )

وقوله ايضاً : [ خفيف ]

١ - ولقد قلتُ للذي قال حلّوا

هاهنا : سِرْ فاننا ما سئمنا

٢ - لا تعيّن لنا مكاناً ولكنّ

حيثما مالت اللواحظُ ولنا

التخريج :

البيتان في : المقرئ : نفع الطيب ٣ / ٥١٧ والبيت الثاني فقط في : ابن

سعيد : المغرب ٢ / ١٦٨ .

( ٦٩ )

ومن نظم أبي جعفر قوله : [ كامل ]

١ - لو لم يكن شئُ الحمايم فاضلاً

شدو القيان لما استخفّ الاغصنا

٢ - طربُ ثنى حتى الجماد ترحأ

وأفاض من دمع السحاب أعيننا

التخريج :

البيتان في : المقرئ : نفع الطيب ٣ / ٥١٦ .

( ٧٠ )

وله في أبيه وقد سجنه عبدالمؤمن : [ كامل ]

١ - مولاي إنّ يحبسك خير خليفة

فبذاك فخرُ واعتلاء الشان

٢ - فالحفّ يُحبس نوره من غبطة

والمرهفات تصان في الاجفان

٣ - فابشر فنزع الدر من اصدافه

يُعليه لاسلاك والتيجان

٤ - ولئن غدا من ظلّ بونك مطلقاً

إنّ القذى ملقى عن الاجفان

٥ - والعين تحبس دائماً أجفانها

وهداية الانسان بالانسان

٦ - والطرش يختم ما حواه نفاسة

ويهان ما يبدو من العنوان

٧ - فاهناً به لكن ملئاً مكثه

٣ - يخرقُ شحباً للدخان الذي

لاح نعيم العارض الهامي

٤ - وقيم يجذبني جذباً

وتساراً يكسر إبهامي

٥ - ويجمع الاوساخ من لؤمه

في عضدي قصداً لإعلامي

٦ - وازدحم الاندال فيه وقد

ضحوا ضجيجاً دون إفهام

٧ - وجملة الامر بخلنا بني

سام وعدنا كبني حام

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع ٤ / ١٨٢ .

- حرف النون -

( ٦٦ )

وله وقد حضر مجلساً مع اخوان له في انبساط ومزاح ،

فدخل عليهم احد ظرفاء الغرياء بوجه طلق ويشاشة ، فاهتز

لما سمع بينهم ، وجعل يصل ما يحتاج من مزاحهم الى صلة

باحسن منزع وانبل مقصد ، فانشد ابو جعفر ارتجالاً : [ سريع ]

١ - يا سيّداً قد ضفّ مجلس

حلّ به للمزح إخوان

٢ - لم تلق من فجاته خجلة

ولا ثناناً عنه كتمان

٣ - كائن من جمعنا واحد

لم ينب منّا عنه انسان

٤ - ولم تكن ندرية لكن بدا

في وجهه للظرف عنوان

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٧ .

( ٦٧ )

وله وقد لقي احد اخوانه وكان قد اطلال الغيبة عنه ، فدار

بينهما ما اوجب ان قال : [ كامل ]

١ - إنّ لحث لم تلمخ سواك الاعين

او غبت لم تذكر سواك الالسن

٢ - أنت الذي ما إنّ يملّ حضوره

ومغييه السلوان عنه يؤمن

سجناً لغير منلة وهوان  
٨- فلتعلوون رغم الاعادي بعده  
بذرى الخليفة في نرى كيوان

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٩ - ١٩٠ .

( ٧١ )

وكتب في ظهر رقعة الكتندي : [ مجتث ]

- ١- يا من اذا ما اتاني  
جعلته نصب عيني
- ٢- تراك ترضى جلوساً  
بين الحبيب وبينى ؟
- ٣- إن كان ذاك فماذا  
تبغي سوى قُرب حيني
- ٤- والآن قد حصلت لي  
بمسد المطسال بديني
- ٥- فإن أتيت فدفعاً  
منها بكتبا اليدين
- ٦- أو ليس تبغي وحاشا  
ك أن ترى طييز بيني
- ٧- وفي مبيتك بالخم  
س كل قبج وشين
- ٨- فليس حَقَّك إلا الـ  
خلو بالقمرين

التخريج :

الابيات في : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٧٤ - ١٧٥ .

( ٧٢ )

ومن متنزهات غرناطة المشهورة ( حور مؤجل ، واللشنة ،  
والزاوية ، والمشايخ ) وقد ذكر ابو جعفر بن سعيد الخور في شعر  
تقدم انشاده ، وذكره في موشحته البديعة وهي :

ذقبت شمس الاصيل فضة النهر  
أي نهر كالمدامة  
صير الظل فدامة  
نسجته الريح لامة  
وثنت للفصن لامة  
فهو كالمضب الصقيل خف بالشفر

مضحكاً ثقر الكمام  
مبكياً جفن الغمام  
منطقاً وُزق الحممام  
داعياً الى المسدام  
فلهذا بالقبول خط كالسطر  
حبذا بالخور مغنى  
هي لفظ وهو معنى  
مذهب الاشجان عنا  
كم درينا كيف سزنا  
ثم في وقت الاصيل لم تكن ندري  
قلت والمزج استدارا  
بذرى الكاس سوارا  
سالباً من السوقارا  
دائراً من حيث دارا  
صاد اطياز العقول شبك الخور  
وعذ الحب فساخلف  
واشتهى المظل فسوف  
ورسولي قد تعرف  
منه بما ادري فحرف  
بالله قل يا رسولي لش يغب بدري

التخريج :

الموشحة في : ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٠٣ - ١٠٤ .

## الهوامش والمصادر :

- ( ١ ) ابن حزم : جمهرة انساب العرب تحقيق عبدالسلام هارون طدار  
المعارف بمصر ١٩٦٢ ، ٤٠٦ .
- وابن سعيد : المغرب في حلى المغرب تحقيق د. شوقي ضيف طدار  
المعارف بمصر ١٩٦٤ ، ٢ / ١٦١ .
- وابن سعيد : رايات المبرزين وغايات المميزين ، تحقيق د. النعمان

- عبدالمتعال ، مطابع الاهرام ، القاهرة ١٩٥٩ ، ٩٥ .
- وابن الخفيف : الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ،  
طدار المعارف بمصر ١٩٥٥ ، ١ / ٢٢٢ .
- والمقرئ : نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق د. احسان  
عباس ، طدار صادر ، بيروت ١٩٦٨ ، ٢ / ٣٣٣ .

- ( ٢١ ) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ٤٠٥-٤٠٦ .  
 ( ٣ ) المقرئ : نفع الطيب ٣٣٥ / ٢ .  
 ( ٤ ) ابن الخطيب : الاحاطة ٢٢٢-٢٢٣ .  
 ( ٥ ) المصدر نفسه ٤٣٣ / ١ .  
 ( ٦ ) المقرئ : النفع ١٨٣ / ٣ .  
 ( ٧ ) ابن سعيد : المغرب ١٦١ / ٢ .  
 ( ٨ ) المقرئ : النفع ١٨٣ / ٣ .  
 ( ٩ ) د. علي محمد حمودة : تاريخ الاندلس السياسي والمعماري والاجتماعي ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥٧ ، ١٢ .  
 ( ١٠ ) الحميري : الروض المعمار ( صفة جزيرة الاندلس ) نشره ليفي برونفستال ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ ، ١٢١ .  
 ( ١١ ) المراكشي : المعجب في تضييخ اخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد المرين ، القاهرة ١٩٦٣ ، ٢١٣ .  
 ( ١٢ ) ابن الخطيب : الاحاطة ٢٢٣-٢٢٤ .  
 ( ١٣ ) ابن سعيد : المغرب ١٦٥ / ٢ .  
 ( ١٤ ) ابن الخطيب : الاحاطة ٢٢٣ / ١ ، والحميري : الروض المعمار ١٢١ والناصري : الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ، الدار البيضاء ١٩٥٤ ، ١٦٣ / ١ .  
 ( ١٥ ) ابن الخطيب : الاحاطة ٢٢٧ / ١ .  
 ( ١٦ ) المراكشي : المعجب ٢٢٦ .  
 ( ١٧ ) المقرئ : النفع ١٧٩ / ٤ .  
 ( ١٨ ) المصدر نفسه ٢٠٢ / ٤ .  
 ( ١٩ ) المصدر نفسه ٢٠٢ / ٤ .  
 ( ٢٠ ) ابن سعيد : المغرب ٢٤٣ / ٢ .  
 ( ٢١ ) المصدر نفسه ١٤٥-١٤٦ / ٢ .  
 ( ٢٢ ) المقرئ : النفع ١٨٠ / ٤ .  
 ( ٢٣ ) المصدر نفسه ١٨٠-١٨١ / ٤ .  
 ( ٢٤ ) د. الطاهر احمد مكي : دراسات اندلسية في الادب والتاريخ والفلسفة ، طدار المعارف بمصر ١٩٨٠ ، ٩٠ .  
 ( ٢٥ ) د. جودة الركابي : في الادب الاندلسي ، طدار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ ، ١٧٦ .  
 ( ٢٦ ) ابن الخطيب : الاحاطة ٢٢٣ / ١ ، ٤٩٩ .  
 ( ٢٧ ) ابن دحية : المطرب من اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابياري وآخرين ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩٥٤ ، ١٠ .  
 ( ٢٨ ) الحموي : معجم الادباء نشره د. احمد مزيد طدار المامون ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ١٠ / ٢١٩-٢٢٠ والمقرئ : نفع الطيب ١٧١ / ٤ .  
 ( ٢٩ ) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٥ وابن سعيد : المغرب ١٦٦ / ٢ والمقرئ : نفع الطيب ١٧٨ / ٤ .  
 ( ٣٠ ) ابن سعيد : المغرب ١٦٦ / ٢ .  
 ( ٣١ ) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٦ وابن سعيد : المغرب ١٣٩ / ٢ .
- واين الخطيب : الاحاطة ١٠ / ٥٠١ والمقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٧٨ .  
 ( ٣٢ ) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٦ وابن الخطيب : الاحاطة ٥٠١ / ١ .  
 ( ٣٣ ) ابن سعيد : المغرب ١٣٩ / ٢ .  
 ( ٣٤ ) ابن الخطيب : الاحاطة ٥٠١ / ١ .  
 ( ٣٥ ) المقرئ : نفع الطيب ٣ / ٢١٨ .  
 ( ٣٦ ) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢١-٢٢٢ وابن سعيد : رايات المبرزين ٩٢-٩٣ وابن سعيد : المرقصات والمطربات نشر دار حمد ومكيو ، بيروت ١٩٧٣ ، ٨٨ ، وابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٤٩٩ والمقرئ : نفع الطيب ٣ / ٢١٨ .  
 ( ٣٧ ) د. محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس طويزة الاعلام بغداد ، ١٩٨٠ ، ١٨١ .  
 ( ٣٨ ) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٢ وابن سعيد : رايات المبرزين ٩٣ وابن سعيد : المرقصات ٨٨ وابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٥٠٠ والمقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٧٧ ، ٣ / ٢١٨ .  
 ( ٣٩ ) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٣-٢٢٤ وابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٥٠٠ .  
 ( ٤٠ ) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٤ وابن الخطيب : الاحاطة : الاحاطة ١ / ٥٠٠-٥٠١ .  
 ( ٤١ ) ابراهيم ابو الخشب : تاريخ الادب العربي في الاندلس ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٦٦ ، ٢٢٨ .  
 ( ٤٢ ) المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٧٣ .  
 ( ٤٣ ) المصدر نفسه ٤ / ١٧٤ .  
 ( ٤٤ ) ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٤ . والرصف : الحجارة المحماة ، اي كل منهما شديد الحقد على الآخر .  
 ( ٤٥ ) ابن سعيد : المغرب ٢ / ١٦٤ وابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٥ والمقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨١ .  
 ( ٤٦ ) ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٥ .  
 ( ٤٧ ) المصدر نفسه ١ / ٢٢٥ والممارجة من المرج ومعناه الفساد والشتت .  
 ( ٤٨ ) المصدر نفسه ١ / ٢٢٧ .  
 ( ٤٩ ) المصدر نفسه ١ / ٥٠٢ .  
 ( ٥٠ ) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٧ وابن سعيد : المغرب ٢ / ١٣٨ .  
 ( ٥١ ) د. محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين ١٨٣ .  
 ( ٥٢ ) د. مصطفى الشكعة : الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه طدار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٨ ، ٢١٩ .  
 ( ٥٣ ) ابن الخطيب : الاحاطة ١ / ٢٢٧ .  
 ( ٥٤ ) له قصيدة ومقطوعة لا يليق المقام بنشرهما لخروجهما عن المألوف . احدهما على حرف الراء والثانية على حرف اللام ينظر : المقرئ : نفع الطيب ٤ / ١٨٤ وابن سعيد : رايات المبرزين ٩٦ .

- ( ٢١ ) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ٤٠٥-٤٠٦ .  
 ( ٣ ) المقرئ : نفع الطيب ٣٣٥ / ٢ .  
 ( ٤ ) ابن الخطيب : الاحاطة ٢٢٢-٢٢٣ .  
 ( ٥ ) المصدر نفسه ٤٣٣ / ١ .  
 ( ٦ ) المقرئ : النفع ١٨٣ / ٣ .  
 ( ٧ ) ابن سعيد : المغرب ١٦١ / ٢ .  
 ( ٨ ) المقرئ : النفع ١٨٣ / ٣ .  
 ( ٩ ) د. علي محمد حمودة : تاريخ الاندلس السياسي والمعماري والاجتماعي ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥٧ ، ١٢ .  
 ( ١٠ ) الحميري : الروض المعمار ( صفة جزيرة الاندلس ) نشره ليفي برونفستال ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ ، ١٢١ .  
 ( ١١ ) المراكشي : المعجب في تضييخ اخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد المرين ، القاهرة ١٩٦٣ ، ٢١٣ .  
 ( ١٢ ) ابن الخطيب : الاحاطة ٢٢٣-٢٢٤ .  
 ( ١٣ ) ابن سعيد : المغرب ١٦٥ / ٢ .  
 ( ١٤ ) ابن الخطيب : الاحاطة ٢٢٣ / ١ ، والحميري : الروض المعمار ١٢١ والناصري : الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ، الدار البيضاء ١٩٥٤ ، ١٦٣ / ١ .  
 ( ١٥ ) ابن الخطيب : الاحاطة ٢٢٧ / ١ .  
 ( ١٦ ) المراكشي : المعجب ٢٢٦ .  
 ( ١٧ ) المقرئ : النفع ١٧٩ / ٤ .  
 ( ١٨ ) المصدر نفسه ٢٠٢ / ٤ .  
 ( ١٩ ) المصدر نفسه ٢٠٢ / ٤ .  
 ( ٢٠ ) ابن سعيد : المغرب ٢٤٣ / ٢ .  
 ( ٢١ ) المصدر نفسه ١٤٥-١٤٦ / ٢ .  
 ( ٢٢ ) المقرئ : النفع ١٨٠ / ٤ .  
 ( ٢٣ ) المصدر نفسه ١٨٠-١٨١ / ٤ .  
 ( ٢٤ ) د. الطاهر احمد مكي : دراسات اندلسية في الادب والتاريخ والفلسفة ، طدار المعارف بمصر ١٩٨٠ ، ٩٠ .  
 ( ٢٥ ) د. جودة الركابي : في الادب الاندلسي ، طدار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ ، ١٧٦ .  
 ( ٢٦ ) ابن الخطيب : الاحاطة ٢٢٣ / ١ ، ٤٩٩ .  
 ( ٢٧ ) ابن دحية : المطرب من اشعار اهل المغرب ، تحقيق ابراهيم الابياري وآخرين ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩٥٤ ، ١٠ .  
 ( ٢٨ ) الحموي : معجم الادباء نشره د. احمد مزيد طدار المامون ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ١٠ / ٢١٩-٢٢٠ والمقرئ : نفع الطيب ١٧١ / ٤ .  
 ( ٢٩ ) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٥ وابن سعيد : المغرب ١٦٦ / ٢ والمقرئ : نفع الطيب ١٧٨ / ٤ .  
 ( ٣٠ ) ابن سعيد : المغرب ١٦٦ / ٢ .  
 ( ٣١ ) الحموي : معجم الادباء ١٠ / ٢٢٦ وابن سعيد : المغرب ١٣٩ / ٢ .



## الطير في حياة الحيوان للدميري

« من منشورات دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٦ »

عرض

عادل محمد علي الشيخ حسين  
عضو اتحاد المؤرخين العرب

تحقيق

الاستاذ عزيز العلي العزي

تأويلاً .. ولهذا فهو جدير بأن يتبوأ مكان الصدارة ومنزلة السبق في الكشف عن هذا العلم الحديث ، لانه سجله قبل الفيلسوف الالاماني بمئات السنين .

ويقول الدكتور حسين فرج زين الدين العالم الحياتي المصري : اذا كان ( جيته ) هو رائد علم التكافل ، فان الدميري هو الرائد الاول ، وصاحب الفضل الاسبق ، ولهذا فمن حق العلماء أن يزينوا صدور كتبهم في هذا العلم بكلمة الدميري « ان بين الضب والمقارب مودة » . ومن آثار الدميري في علوم التطور ودراسة البيئة ، ما اورده في كتابه عن تحريم أكل التمساح من قوله « ان الشرع يبيح أكل لحوم الكائنات البحرية قاطبة ، إلا ان التمساح ليس من هذه الكائنات ؛ اذ انه من اللواحم الارضية ( أكلات اللحوم ) التي عادت الى الماء . واللواحم الارضية لا يؤكل لحمها » وهو بذلك يشير هنا الى أحد الاطوار البائدة من حياة التمساح . والتي لم يعرفها العلم إلا حديثاً .

٣ - لم يوضح الاستاذ الكريم العزي أثر كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري على الحضارة الانسانية ، في كتابه الذي بين ايدينا . ويمكن تحديدها بعدة نقاط منهجية علمية تطابق المنهاج العلمي الحديث فيما يتعلق بعلوم الحيوان هي كما يلي :

أ - انه اول من تناول الحيوان من زوايا متعددة ، سواء من الناحية اللغوية والعلمية والادبية والدينية كل ذلك في مؤلف واحد ، هو موسوعة شاملة فريدة في نوعها .

ب - اهتم الدميري فيما يتصل بعلم الاحياء الجغرافي ، فقال مثلاً عن الحيوان المعروف باسم ( الشيخ اليهودي ) أو انسان الماء ، انه حيوان يوجد ببحر الشام . وقال عن السمك الطيار « السمك الخطاف » انه سكة ببحر سبته لها جناحان سوداوان على ظهرها ، تخرج من الماء وتطير في الهواء وتم تعود الى البحر . وهذه الامثلة توضح ان المطلع يستطيع أن يتبين منه موطن الحيوان سواء من الوصف أو

كان من المؤمل أن يقوم الاساتذة هلال ناجي وعزيز العلي العزي والدكتور جليل ابو الحب بتحقيق كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري بكل فصوله من لباثن واسماك وطيور وبرمائيات وحشرات وغير ذلك . إلا انه مع الاسف لم تتحقق هذه الامنية التي طالما انتظرها عشاق التراث العلمي العربي الاسلامي .

وبعد فترة تريبو على السنتين ونيف ، صدر تحقيق قيم لفصل واحد من هذا الكتاب من قبل الاستاذ الفاضل عزيز العلي العزي الذي اتحف المكتبة العربية بالمزيد من الدراسات والبحوث الرصينة وبالاخص في مجال تحليل وابراز الوجه المشرق من تراثنا العلمي العربي الاسلامي . وتناولت هذه الدراسة المحققة الطيور التي ذكرها الدميري في كتابه حياة الحيوان بشكل تحليل وتحقيق ممتاز .

واتماماً للفائدة اثبت هنا بعض الهنات التي فانت استاذنا العزي مع اعتذاري له وهي لا تقلل من اهمية هذه الدراسة الجادة في جسم تراثنا العلمي العربي الزاهر ..

١ - كان المفروض أن يعرف الاستاذ العزي القارئ العزيز بالعصر الذي عاش فيه الدميري وهو ما يجله الكثير . فالمصادر التاريخية تشير الى ان الدميري عاش في فترة حكم سلاطين المماليك الشراكسة ( ١٣٨٢ - ١٥١٧ م ) .

٢ - ما دام المحقق قد تناول سيرة الدميري بشكل مفصل فكان ينبغي أن يشير لمآثره في علم الحيوان بشكل مختصر على أقل تقدير - ففي اوروا عامة والمانيا خاصة يعتبر الفيلسوف الالاماني ( جيته ) أباً لعلم ( التكافل - Symbiosa ) لمجرد عبارة عارضة جاءت في مؤلفه « فاوست » ومضمونها « ان روحين يسكنان صدي » ، ولا يكاد يصدر كتاب الماني في هذا العلم إلا وهو يحمل على صدره هذا الشعار دلالة على اسبقية الشعب الالاماني وفضله في وجود علم التكافل هذا . وللدميري فضل السبق في الحديث عن هذا العلم ، وهو لم يذكره بعبارة عارضة ، بل سجل ما يثبت وجود هذه الظاهرة التكافلية بما لا يحتمل

من النوارد والأمثال .

ت - عنى الدميري ببيئة الحيوان وطباعه وغذائه . وذكر الحيوانات التي تنشط في النهار وتأثير ذلك على ابصارها . وتحدث عن الحيوانات التي تعيش في البيئات المختلفة كالصحارى وفي الاراضي المنزرعة والجبال والصخور وفي الانهار والبحار .

تكلم عن الخفاش ووصفه بأنه : « حيوان ليلي ضعيف البصر يتغذى بالهوام » . وقال عن القنفذ : « حيوان شوكي يتغذى بالحيات والحشرات » . وقال عن البوم : « انها طائر ليلي يصيد الفأر » . ووصف النعامة : « بأنها جمل الصحراء ولها ساقان طويلان وخفاً يساعدها على العدو السريع وتتغذى بالحشائش » . وذكر الدميري السبات الشتوي فقال عن الدب : « فاذا جاء الشتاء دخل وجاره الذي اتخذه في الغيران ولا يخرج حتى يطيب الهواء » .

ج - تمكن الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى من تعريف كل حيوان ، وقد جعله في موضعه الصحيح من الشجرة الحيوانية .. فقسم الثدييات والطيور والزواحف والاسماك . كما قسم هذه الاقسام الى فروعها الصحيحة كما في التصنيف الحديث ... وبذلك فقد سبق كارل لينوس الذي قيل انه أول من وضع التصنيف الحديث للحيوان والنبات .

ح - زود الدميري المكتبة العربية لعلم الحيوان بثروة من الاسماء السليمة سواء في ذلك الحيوان البالغ أو صغاره واسماء الذكر والانثى كما افاض في تسمية الانواع ، مثل ما ورد تحت مواد الاسد والابل والخيول والحية وغيرها . وقد تضمن بعض الاسماء الغريبة التي سارت جنباً لجنب مع العلم الحديث مثل كلمة : ( الجلكي ) التي تطلق على نوع من الاسماك اللافكية يتطفل على الاسماك . ومثل كلمة الارنب البحري على ضرب . من الحيوانات الرخوة ، يزحف على الاعشاب البحرية التي يتغذى بها ، ويتميز بأن قرنيه الاماميين « ويعرفان بالملماسين » كبيران وبشبهان اذني الارنب ومن هنا اشتق اسم الحيوان ... ومثل كلمة تغلق على طائر من طيور الماء وأخذها عنه احمد فارس الشدياق والدكتور جورج بوست ، والدكتور امين المعلوف في تعريف هذا الطائر .

د - استعان بكتابه هذا كثير من علماء الاجناس البشرية الاوربيين من امثال ( هومل ) في تحديد مواطن الجنس السامي في الشرق حسب توزيع الحيوان الجغرافي .

- و - نتيجة لتقدير علماء الغرب للعالم العربي الدميري فقد اطلق العديد منهم اسماء على مؤلفاتهم مشابهة لاسم كتاب حياة الحيوان مثل العالم الالماني « بريم » الذي اطلق على موسوعته التي اخذ فيها عن الدميري ( Tieresieben ) أو حياة الحيوان ، وهو نفس الاسم الذي اطلقه الدميري على كتابه ، كما ان دائرة المعارف البريطانية وغيرها من الموسوعات الاوروبية والاميركية ، ترجمت للدميري وكتابه ، اعترافاً بفضلته وتقديراً لعلمه .
- ي - سطر لنا الدميري في كتابه هذا مادة علمية غزيرة عن الحيوانات التي بحث ودرس عنها . لقد شمل كتابه تقريباً جميع المجاميع من الحيوانات المألوفة التي نعرفها اليوم ما عدا المجهرية والغريبة جداً منها والتي لم يكشف العلم عنها إلا بعد ثلاثة قرون من وضع الدميري كتابه .
- ٤ - وحول أهم الدراسات العربية للدميري وكتابه لم يذكر الاستاذ العزي إلا مقدمة محمد الحائق في كتابه المختصر المختار من كتاب الحيوان . ودراسات الاستاذ المؤرخ العراقي الدكتور جليل ابو الحب في حين غفل عن ذكر الاستاذ العالم المصري الدكتور حسين فرج زين الدين ( ١٨٩٧ - ١٩٧٢ ) الذي كان أول من وضع دراسات وبحوث عن الدميري وكتابه حياة الحيوان فقد اشرف سنة ١٩٦٦ على اصدار موسوعة الدميري بأجزاء متسلسلة من سلسلة كتاب التحرير ، ووضع فهرساً علمياً لما جاء في كتاب الدميري من اسماء الحيوانات المختلفة لما يقابل العربية بالانكليزية واللاتينية ، وكان زين الدين قد تناول سيرة الدميري وكتابه حياة الحيوان الكبرى ضمن كتابه دراسات في علم الحيوان ورواد التاريخ الطبيعي ص ( ٢٥٠ - ٢٦٥ ) . كما تناول بالتحليل التكافل عند الدميري في دائرة معارف الشعب من سلسلة كتاب الشعب المصرية التي صدرت في القاهرة سنة ١٩٦٠ .
- وكان الدكتور محمد رشاد الطوبي قد درس كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري في سلسلة تراث الانسانية التي كانت تصدر في القاهرة في مج ٣ ، سنة ١٩٦٥ .
- وسبق كل هؤلاء دراسة عن الدميري وكتابه للاستاذ المرحوم مصطفى الدمياطي على صفحات مجلة المقتطف المحتجة في مج ٦٥ ، القاهرة ، سنة ١٩٢٤ .
- وكذلك أعد صاحب هذه السطور دراسة موسعة عن الدميري وكتابه بعنوان « حياة الحيوان الكبرى للدميري واثره في علم الحيوان الحديث » نشرت في مجلة الجامعة التي تصدرها جامعة الموصل ، العدد ١٨ ، السنة ٤ ، سنة ١٩٧٤ .
- ٥ - في ص ٤٦ من كتاب الطير اعتبر الاستاذ العزي الباقعة هي

وفي الصفحة ١١٦ ، أبو زيدان فان الديميري ربما خلط ما بين هذا المصطلح أي اعتبره طير في حين كل المصادر تشير الى انه نبات وقد جاء في الموسوعة في علوم الطبيعة ( الجزء ١ ، ص ١٢ ) ان ابو زيدان ( Anchonium , Anconium ) نبات عشبي نجمي بري معمر من فصيلة الصليبيات . مهدد بلاد الشرق الأدنى . يقال انه من النباتات الطبية التي يتداوى بها والتي تقوي المعدة والامعاء . وهو من نباتات جرد لبنان الطوعية ، يوجد من ارتفاع ١٥٠٠ - ٢٥٠٠ م . نجمته كوكبية فرعاء . اوراقها جذرية الانتشاح مستطيلة الشكل ، نصلها خملي البشرة ، مسنن الحافة . ازهارها حرشفية الكاس ، ارجوانية البتلات . بذورها ضخمة .

في الصفحة ١٤٤ . لم يهتد الاستاذ العزي الى طائر الصعب . وقد بحثت عنه في كثير من المراجع والمصادر فلم أجد غير مصدر واحد هو الموسوعة في علوم الطبيعة ( الجزء الثاني ، ص ٦١ ) قال : « الصعب ( Quelea ) جنس طير من فصيلة التتوطيات . انواعه المعروفة ثلاثة موطنها افريقية الشرقية من شواطئ بحر القلزم ( الاحمر ) الى ما وراء الحبشة . اجسامها صغيرة الحجم طولها يتراوح من ١٢ - ١٥ سم . اذواها قليلة الاختلاف عن بعضها ، يكثر فيها الاحمر العنابي رؤوسها واعناقها واجنحتها سود . حثار قوائمها وابازرها صفر . مناقيرها سود أو حمر . ارساغها الى السمرة الحنطية قوتها الحبوب والبذور والهوام . تعيش في الادغال . اعشاشها محبوكة القش ، كروية الشكل ، مقطومة المدخل . اناثها تضع من ٥ - ٧ بيضات تحضنها بمناوبة الذكور نحو اسبوعين . الجمع صعب .

في الصفحة ١٥٤ . ذكر الاستاذ العزي انه يعتقد انه البومة الاذناء أو البومة . لكن الاستاذ ادوار غالب ذكره في الموسوعة في علوم الطبيعة ( الجزء ٢ ، ص ٩٣ ) . قال « الطبطاب ( Megacephalos ) جنس طير من فصيلة الشقباتيات ( Megapodiidae ) . انواعه قليلة تتميز باعتدال اجسامها . رؤوسها صلح تعلوها خوذ سود قرنية التركيب . إذ انها كبيرة الحجم . ظاهر اذواها الى السمرة العابقة يعلوها موج زيتوني باطن اذواها وبطنها واذناها الى السمرة الوردية . اجنحتها مستديرة الشكل ، متوسطة الحجم . اذناها صغيرة فرقة . ارساغها قوية لونها الى السواد ، تالف الاحراج القريبة من الشواطئ . تعيش ذكراً وانثى كالحمام . اسرابها تعد من ٧ - ١٥ زوجاً . قوتها الحبوب على اختلافها . اناثها تبيض في افحوص كبير الحجم قطره يتراوح بين ١٢٠ و ١٥٠ سم . وعمقه من ٣٠ - ٦٠ سم . تحفره مع ذكورها ورفيقاتها من السرب الواحد في رمال الشاطئ على حدود مرمى المد . وهي لا تحضن بيضها بل تضعه في الافحوص وتغطيه بطبقة من الرمل سماكتها نحو ٢ سم ، فينقسه بعد اسبوعين . وهي تبيض في موسمها من ٨ - ١٠ بيضات ، تضعها بالتتابع حيث ينقضي بين الواحدة والتي تليها ١٢ - ١٤ يوماً . والبيضة كبيرة الحجم مستطيلة الشكل تبدو عند

الدغرة . في حين جاء في الموسوعة في علوم الطبيعة ( الجزء ١ ، ص ١٢٤ ) ان الباقعة ( moor-fowl ) هي كل طائر يرد المستنقعات دون المشارع .

في ص ٥١ ذكر العزي ان البغات نوع من النسور ، هذا صحيح حيث ذكر ادوار غالب في الموسوعة في علوم الطبيعة ، الجزء الاول ، ص ١٥٤ ما يلي : « البغات : Catharista , Urubū » جنس طير من الكواسر ينتمي الى فصيلة النسريات . انواعه قليلة جميعها كبيرة الجثة ، صلعاء الرؤوس ، مستطيلة المناسر المنعققة البهرة - ارساغها ومخالبها عارية ، سواقطها كبيرة الحجم سمراء اللون . أشهر أنواع البغات الاسود ( Urubu atrata , Catharista atrata ) والبغات الرشيق ( Urubu aura , Catharista aura ) .

في صفحة ٥٦ لم يعطينا الاستاذ العزي معلومات وافية عن البوه مع انه كان مصيباً فيما ذهب اليه من انها نوع من البومييات . وفي الموسوعة في علوم الطبيعة الجزء ١ ، ص ١٧٩ : « البوه : جنس طير من البومييات ( Hornedsowls , Bnbo ) وعماره البوهيات . انواع عديدة منتشرة في جميع اقطار العالم وهي أكبر أنواع كواسر الليل حجماً تتميز بمناسرها الصلبة القوية ومناقشها المستديرة الفسيحة وسواقطها الضعيفة واذناها القص . ارساغها ومخالبها القوية العارية . أشهرها البوه ( Eagle - owl , Great horned owl , maximus ) وبوه فيرجينية ( Virginian horned owl , Bubo virginianus ) .

وفي صفحة ٨٤ ، اعتقد استاذنا العزي ان وصف الديميري لهذا الطير المبالغ فيه هو طير اسطوري . بينما يذكر ادوار غالب في موسوعة علوم الطبيعة ( الجزء ٢ ، ص ٢٩٩ ) ما نصه « الخثق ( قشعام أكلف ) Gyps fulvus . طائر من القشعام طوله نحو ١٢٠ سم . بسطته ٢٧٠ سم . ثوبه الى الكلفة الغبراء تزهر في الظهر وتعقب في البطن . سقطه رافل كبير تعترضه خطوط بيض . توزيعه فسيح الارعاء تمتد من الهند الى اوربا وافريقية الشمالية والشرقية . يضع اوكلاره في صدور الصخور الشاهقة الموحشة . الانثى تبيض بيضة واحدة أو بيضتان تحضنها بمناوبة الذكر نحو اربعة اسابيع . وهو من الطيور القواطع . في صفحة ١٠١ ، اعتبر الاستاذ العزي الدقيش هو نفسه الدغناش ( الدقناش ) .

بينما في الموسوعة في علوم الطبيعة ( الجزء الاول ، ص ٤٠٩ ) اعتبر الدقيش جنساً آخر قال : الدقيش - Tanysiptera جنس طير من المازوريات ( Dacelonians ) . انواعها قليلة العدد . اجسامها متوسطة الحجم . اذواها متراكبة الالوان . رؤوسها واجنحتها الى المزقة الزاهية . محاسرها وظهورها وجوانب اعناقها سود . صدورها وبطنها الى الصهبة الريداء . اغانيكها وثبج ظهورها بيض . وهي تالف الاحراج والغابات قوتها الحشرات .

الحنطي الافلوسي التبيح والتوشيم . اناثها تضع من ١٢ - ١٦ بيضة تحضنها وحدها في افاحيص ترصعها بالقش والورق اليابس بين الادغال الكثيفة .

في الصفحة ٢٤٠ لم يهتد . الاستاذ العزي الى تعريف هذا الطائر الذي ذكره الدميري بصورة مبهمه .

وجاء في الجزء الثاني ، ص ٥٦٦ من الموسوعة في علوم الطبيعة ما نصه : « النعبول - Spilornis ، جنس طير من السقاوات وفصيلة الصقريات . أنواعه عديدة جميعها من اوايد المناطق الحارة . اجسامها ربعة ، اثوابها مختلفة الالوان المتركة . تتميز برؤوسها المتوجة بكشة قفنية الارتكاز . تعيش في الجبال الجرداء وفي الغيافي القاحلة . غذاؤها القواضم والزواحف والافاعي والحشرات - أشهر أنواعها نعبول باشا - Spilornis bacha . »

وضعها قرميدية اللون ثم تنحرف الى الصفرة وتستقر على البياض . الفرخ يقف كاسياً نشيطاً مستغنياً عن حضانة امه التي يجهلها ولا تعرفه .

في الصفحة ١٩٦ . اعتبر الاستاذ العزي هذا المصطلح الذي ذكره الدميري نوعاً من الجراد الكبير وشكك في الاسم فيما بعد باعتباره القبيط كما سمته سامية مراد المترجمة لكتاب الطيور المصرية من تأليف ويمبر . لكنه جاء في الموسوعة في علوم الطبيعة ( الجزء ٢ ، ص ٢٧٤ ) ما يلي : « القبيط - Polyelectron ، Asiaticpea - Cock ، جنس طير من فصيلة التدرجيات انواعه المعروفة عشرة جميعها من طيور الزابج والهند الصينية . تألف المناطق الحرجية الجبلية . اجسامها قريبة من التدرج ، أذيالها مستطيلة منفشة كاذيال الطاووس تتميز بصيص ارساغها التي يتراوح عددها بين ٢ و ٦ . قنابرها تاجية منتصبة . اثوابها عديدة الالوان يكثر فيها الاخضر الاسفع والاريد

## المراجع

- ( ١ ) حياة الحيوان الكبرى للدميري ، القاهرة ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة - ١٩٦٦ ( كتاب التحرير ) ، ( ١ - ٢ ) .
- ( ٢ ) الطير في حياة الحيوان للدميري ، تحقيق الاستاذ عزيز الملي العزي ، بغداد - ١٩٨٦ .
- ( ٣ ) الطيور العراقية للاستاذ المرحوم بشير اللوس ، بغداد - ( ١ - ٣ ) . ١٩٦٠ - ١٩٦٢ .
- ( ٤ ) الموسوعة في علوم الطبيعة ، للاستاذ ادوار غالب ، بيروت ١٩٦٦ ( ١ - ٣ ) .
- ( ٥ ) الطيور اللبية ، اوجستوتوسكي ، ترجمة : عياد موسى الموامي ، الدار العربية للكتاب ، تونس - طرابلس ، ١٩٨١ .
- ( ٦ ) دائرة المعارف الزراعية . اصدار المجلة الزراعية العربية ، القاهرة ، ( ١٩٦٠ - ١٩٧٧ ) ، الاجزاء من ( ١ - ٨ ) .

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة



## المحتويات

من الترفه الى جهد المقل ..... رئيس التحرير ٣ - ٤

### البحوث والدراسات

- استثناس بمعجم آيات الاقتباس - القسم الأول ..... عبدالقادر التحافي ١٨ - ٥
- رحلة مغربي الى حضرموت عام ٨٦٥ هـ - ١٤٦٠ م ..... د. عبدالهادي التازي ٤٠ - ١٩
- من قواعد التحقيق العلمي ، توثيق عنوان المخطوط مؤلفه ..... هلال ناجي ٤٩ - ٤١
- طبقات الشعراء لمحمد بن سلام ..... د. علي جواد الطاهر ٥٦ - ٥٠
- علل الاعراب والحركات الاعرابية في العربية ..... د. قيس اسماعيل الاوسي ٦٨ - ٥٧
- في الشعرية العربية - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ..... طراد الكبيسي ٧٤ - ٦٩
- العمارة الاسلامية - عمارة التوحيد ..... ترجمة محمود حمندي ٨٢ - ٧٥
- الرياضة صحة وشفاء « دراسة عن الرياضة في كتاب ابن هبل » ..... ناجي محفوظ ٩٧ - ٨٣

### النصوص المحققة

- تحقيق التغليب لابن كمال باشا ( ت ٩٤٠ هـ ) ..... تحقيق د. صاحب ابو جناح ١٠٩ - ٩٨
- اوراق من كتاب ذيل الحيوان للسيوطي ..... تحقيق د. صلاح الفرطوسي ١٢٠ - ١١٠
- شعرابي جعفر بن سعيد الاندلسي ( ٥٥٩ هـ ) ..... تحقيق د. احمد حاجم ١٤٣ - ١٢١

### الفهارس والببليوغرافيات

- الشعراء التعليميون والمنظومات التعليمية - القسم الثالث ..... د. رزوق فرج رزوق ١٥٩ - ١٤٤

### العرض والنقد والتعريف

- الطير في حياة الحيوان للدميري ..... عادل محمد علي الشيخ حسين ١٦٣ - ١٦٠



# AL-MAWRID

BIANNUAL JOURNAL OF CULTURE  
AND HERITAGE

ISSUED BY  
THE HOUSE OF PUBLIC CULTURAL AFFAIRS  
THE MINISTRY OF CULTURE AND INFORMATION

Volume 21 Number 1 1999

